

البيانات في زواج القرآن

دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني

الدكتور تمّام حسان

الجزء الأول

علاء الكتب

المحتويات

الجزء الأول

مقدمة - بيان بعض المصطلحات ٧ - ١٥

الفصل الأول - الإعراب فى التركيب القرآنى ١٧ - ٢٨

مفردات لا تظهر عليها العلامة (١٨) - فكرة العامل النحوى والمصادر المنصوبة (٢٠) - قبول فكرة الحذف والتقدير (٢٣) - ما يعرض للإعراب من ظواهر موقعية (٢٦).

الفصل الثانى - البنية فى التركيب القرآنى ٢٩ - ٦٦

بنية اللفظ (٣٠) - البنية قرينة (٣٢) - تعدد المعنى الوظيفى والمعجمى (٣٤) - تعدد معنى الصيغة الصرفية (٤٨) - مبدأ النقل (٥١) - نقل الاسم (٥٣) - نقل المصدر (٥٥) - نقل الوصف (٥٧) - نقل الفعل (٥٨) - نقل الضمير (٥٩) - نقل الظرف (٦٣) - نقل الأدوات (٦٤)

الفصل الثالث - قرينة الرتبة فى التركيب القرآنى ٦٧ - ٨١

الرتبة نوعان (٦٧) - الرتبة المحفوظة (٦٨) - الرتبة غير المحفوظة (٦٩) - رتب غير نحوية (٧٠) - اللف والنشر (٧٢) - الرتبة ورعاية الفاصلة (٧٣) - ترتيب الأشباه (٧٤) -

الفصل الرابع - قرينة التضام فى التركيب القرآنى ٨٣ - ١٢٦

محور التركيب ومحور التقلب (٨٣) - المعاقبة والتضاد والتكامل والتتابع (٨٤) - الافتقار والاختصاص والتوارد والتنافى والتنافر (٨٩) -

الحذف والزيادة (٩١) الفصل (١٠٨) الاعتراض (١١٥) - إدخال اللفظ على غير مدخوله (١١٩) - التضمين (١٢٢) إغناء اللفظ عن اللفظ (١٢٤)

الفصل الخامس - قرينة الربط فى التركيب القرآنى — ١٢٧ - ١٦٣

نمط الحملة (١٢٧) - الأصل فى الربط إعادة اللفظ (١٢٨) إعادة المعنى (١٣٢) - إعادة صدر الكلام (١٣٢) - قد يكون التكرار لأمن اللبس (١٣٥) - قد يتعذر الربط بإعادة الذكر (١٣٦) - الضمائر تغنى عن إعادة الذكر (١٣٧) - قد يؤدى عدم المطابقة فى اللفظ إلى الربط بالعبارة الواصفة (١٤٥) - الربط بأل (١٤٦) تصيد المرجع من السياق (١٥٠) - ضمير الشأن (١٥١) - الأدوات الداخلة على الجمل (١٥٢) - الحروف الداخلة على المفردات (١٥٦) الربط بالمطابقة (١٥٩) - المطابقة باللفظ والمطابقة بالمعنى المفرد (١٦٠)

الفصل السادس - قرينة السياق فى التركيب القرآنى — ١٦٣ - ١٧٤

قد يتعدد معنى النمط التركيبى (١٦٣) - السياق كبرى القرائن النحوية (١٦٤) قد يدل السياق بمبناه وقد يدل بمعناه (١٦٤) قد تكون القرينة السياقية اجتماعية أو من التاريخ أو الجغرافيا إلخ (١٧٢)

الفصل السابع - تأملات فى القيم الصوتية فى القرآن الكريم ١٧٥ - ٢٢٨

الإيقاع والنبر (١٧٥) - الفاصلة (١٩٠) - الحكاية (٢٠٢) - المناسبة (٢١٥) - حسن التأليف (٢٢٠) - الالتزام ببنية الصيغة الصرفية (٢٢٤) - الالتزام بخصوص الزوائد (٢٢٤) - الالتزام بخصوص اللواصق (٢٢٥) - الالتزام عند مفصل الكلمتين بتكوين كل منها (٢٢٧).

الفصل الثامن - الرخصة فى التركيب ————— ٢٢٩ - ٢٥٨

- تقديم (٢٢٩) - الترخص فى قرينة البنية (٢٣١) - الترخص فى
قرينة الرتبة (٢٣٣) - الترخص فى قرينة الربط (٢٣٥) - الترخص فى
قرينة التضام (٢٤٩) - الترخص فى الإعراب (٢٢٥)

الفصل التاسع - تنوع معانى مشتقات المادة الواحدة — ٢٥٩ - ٢٨٧

- تقديم (٢٥٩) - مادة «أ ت ي» (٢٦٠) - مشتقات القدر (٢٧١) -
مشتقات الإحسان (٢٧٧) -

الفصل العاشر - فروق فى معانى المفردات القرآنية — ٢٨٩ - ٣٢٨

- تقديم (٢٨٩) - ما ولا فى النفى (٢٩٠) - أدوات الشرط (٢٩١) -
مفردات المعجم (٢٩٣) - الرحمن الرحيم (٢٩٤) - الآخرة والأولى
(٢٩٨) - الحق (٣٠٢) - اليمين والأيمين (٣٠٥) - مادة «ج ه ل»
(٣١١) - الكتاب (٣١٣) - مستقر ومستودع (٣١٦) - مشتقات «ف ت ح»
(٣١٧) - مفردات «وزن» (٣١٩) - الدين (٣٢١) - مفردات «ع د ل»
(٣٢٤) - أمة (٣٢٥)

الفصل الحادى عشر - النمط التركيبى فى القرآن الكريم — ٣٢٩ - ٣٦٨

- تقديم (٣٢٩) - تعدد المعنى الوظيفى بحسب الأصل أو النقل
(٣٣١) - تعدد معانى النمط المثبت (٣٣٢) - تعدد معانى النمط المنفى
(٣٣٦) - تعدد معانى النمط الشرطى (٣٣٨) - تعدد معانى النداء
(٣٤٠) - تعدد معانى نمط الأمر (٣٤١) - تعدد معانى نمط النهى
(٣٤٣) - تعدد معانى الاستفهام (٣٤٥) - تعدد معانى نمط العرض
(٣٥١) - تعدد معانى التحضيض (٣٥٢) - تعدد معانى عسى ولعل
(٣٥٢) - تعدد معانى نمط التمنى (٣٥٥) - الوجه الآخر للمسألة (٣٥٦)

- تعدد أنماط الدعاء (٣٥٧) - تعدد أنماط التعجب (٣٥٨) - عطف التسوية بين أم وأو (٣٦٢).

الفصل الثاني عشر - ألفاظ وعبارات مختارة — ٣٦٩ - ٣٩٤

تقديم (٣٦٩) - اللفظ بين الأفراد والسياق (٣٧٠) - الألفاظ (٣٧٢) - العبارات (٣٧٨)

الفصل الثالث عشر - العلاقات الملحوظة في النص القرآني — ٣٩٥ - ٤٢١

تقديم (٣٩٥) - علاقة الجملة بالجملة (٣٩٧) - موقف البلاغيين من علاقة الجملة بالجملة (٣٩٧) نقد موقف البلاغيين (٣٩٨) - سياق الموقف في الدراسات الحديثة (٤٠٠) - موقف علماء النص من القضية (٤٠٣) - وضوح العلاقة الملحوظة واحتمالها (٤٠٤) - علاقة السببية (٤٠٧) - علاقة التفسير (٤٠٩) - النقض والإبطال (٤١٢) - العلاقة الشرطية (٤١٣) - الترتيب والتعقيب (٤١٤) - الملابس (٤١٥) - الإلزام (٤١٥) - الالتزام (٤١٦) - إجابة سؤال وارد (٤١٨)

الفصل الرابع عشر - الصحة والجمال في النص القرآني — ٤٢٣ - ٤٦٨

مفهوم الصحة (٤٢٣) - أنواع المعاني (٤٢٦) - مستويات من جمال الاواء القرآني: ١ - المستوى الصوتي (٤٢٧) - ٢ - مستوى المفردات (٤٣٤) - ٣ - مستوى التراكيب (٤٤١) - مستوى التناص (٤٥٧) - مستوى الأسلوب (٤٥٧)

الفصل الخامس عشر - صفات القرآن في القرآن — ٤٦٩ - ٥٠٣

هدى (٤٦٩) - موعظة (٤٧١) - رحمة (٤٧٢) - لاريب فيه (٤٧٣) - مصدق (٤٧٣) - ذكر (٤٧٤) - ذكرى (٤٧٦) - تذكرة (٤٧٦)

- عربى (٤٧٧) - محكم (٤٧٨) - حكيم (٤٧٨) حق (٤٧٨) مين (٤٨٢)
- يهدى (٤٨٤) - يبشر (٤٨٥) غير ذى عوج (٤٨٦) - قيم (٤٨٦) - آيات
بينات (٤٨٦) - فرقان (٤٨٨) - تنزيل (٤٨٨) - كتاب (٤٨٩) - وحى
(٤٩٦) - صحف مطهرة (٤٩٩) - أحسن الحديث (٥٠٠) - شفاء (٥٠٠)
- بصائر (٥٠١) - مبارك (٥٠٢) - بشرى (٥٠٢) - روح (٥٠٢) - مهيمن
(٥٠٣) - برهان (٥٠٣).

مقدمة

ليست هذه الدراسة محاولة لتفسير القرآن الكريم تفسيراً لغوياً وأدبياً، وليست محاولة أخرى للكشف عن إعجاز القرآن إعجازاً لغوياً أو أدبياً. فإذا صادف القارئ في هذه الدراسة تفسيراً غير مألوف لأحد الألفاظ أو التراكيب، أو صادف القارئ ظاهرة تنم عن الإعجاز اللغوي لأساليب القرآن الكريم، فإن المؤلف لم يقصد إلى الكشف عن ذلك قصداً، ولا ادعى لنفسه مكان المفسر ولا موقف الباحث في الإعجاز. فلقد كان اهتمام المؤلف منذ البداية متجهاً إلى الغايات العملية التي أملت عليه أن يغشى ساحة القرآن متأملاً بعين اللغوي وقلب الأديب ما اشتمل عليه بناء النص القرآني من مباني اللغة ومعاني الأدب. لقد مضى على المؤلف معظم عمره وهو يقرأ القرآن خاشعاً لجلاله مستمتعاً بجماله، دون أن يتوقف كثيراً ليسأل نفسه عن سر هذا الجلال ومجلى ذلك الجمال، وربما تريت - في القليل النادر - عند هذه العبارة أو تلك فقبل فيها ما سبق إليه الدارسون من قول في الأسباب الداعية إلى الإحساس بالجلال والجمال. ثم شاء الله جلت قدرته أن يوفقني للقيام بهذا العمل من خلال ارتباطي بالعمل في معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى - مكة المكرمة - إذ كلفت إنشاء قسم من أقسام هذا المعهد يسمى قسم التخصص اللغوي والتربوي، وأن أكون مشرفاً على هذا القسم ورئيساً له، فكان أول ما قمت به لأداء هذه المهمة أن أحدد مقررات الدراسة في هذا القسم، وأن أطلب معونة بعض الزملاء لوضع مفردات المقررات، وأن أتولى بنفسى أمر مادة «دراسات لغوية وأدبية في القرآن»، فأحدد موضوعاتها وأقوم بتدريسها.

والمعلوم أن طلاب المعهد بعامة هم من غير الناطقين بالعربية بحكم النشأة، فهم

من أبناء الشعوب الآسيوية والأفريقية وقليل منهم من الشعوب الأوروبية أو الأمريكية، وكانوا جميعا من المسلمين، كما يفهم من إقامتهم بمكة المكرمة. وكان من المطلوب لمادة دراسية تخاطب هؤلاء الطلاب أن تعد لهم فى مذكرات تنزح إلى البساطة فى التعبير، وانتقاء ما يتيسر فهمه على الطلاب من ظواهر اللغة ولمحات الأدب. ولقد كانت المذكرات المشار إليها مختصرة ضامرة الحجم، فيها من الشواهد أكثر مما فيها من نتائج البحث، ولكنها مع ذلك كانت لصاحبها شعاعا هاديا يرشده إلى ثراء هذا الحقل القرآنى، ويعدده بالعطاء الجم ويزعه أن يشمر عن ساعديه، ويبدأ الجهد من جديد على نطاق أوسع، وفى مجال أرحب. وهكذا أمسكت بالمصحف الشريف لأقرأه قراءة متأنية ولأقيد ملاحظاتي اللغوية والأدبية على حواشى صفحاته، تمهيدا لما يتبع ذلك من الجمع والتبويب. وهكذا كانت مقاصد الدراسة فى بدايتها عملية الطابع تسعى إلى التعليم والتطبيق لا إلى العلم والنظر. ثم تحولت المقاصد بعد ذلك إلى الطابع العلمى بإغراء الثراء الذى بدأ فى تركيب القرآن وأسلوبه، فلم يجد المؤلف لنفسه منصرفا دون الولوج إلى رحاب القرآن راجيا من الله التوفيق، وجاعلا عمله هذا قربانا فى ساحة القرآن.

* * *

سوف يصادف القارئ أثناء اطلاعه على هذه الدراسة بعض المصطلحات التى ربما استدعت شيئا من الإيضاح، ولهذا أعمد إلى محاولة إيضاحها فى السطور التالية. إن غموض المصطلح لهو آفة القراءة والفهم، وكثيرا ما تضيع الفائدة من قراءة القارئ الجاد لأنه ترك مع المصطلحات ليستخرج معانيها بذكائه الشخصى من قرائن السياق إن وجدت القرائن. فإذا لم توجد القرائن الدالة على المعنى المراد لم يفلح الذكاء فى إدراك المراد. ولقد حاولنا أن نجنب القارئ هذه النتيجة من خلال تحديد المصطلحات، وفيما يلى بعض المصطلحات التى تستحق الشرح والإيضاح:

١- **المبنى أو البنية** : كل ما أفاد معنى لغويا فهو مبنى (*) ولو كان حرفا زائدا لمعنى أو حرفا من حروف المعانى أو ضمير شخص أو إشارة أو موصولا أو أداة أو صيغة صرفية أو نمطا من أنماط الجمل، أما ما زاد من الحروف لغير معنى - كألّف فاعل وواو

(*) أنظر اللغة العربية معناها ومبناها للمؤلف.

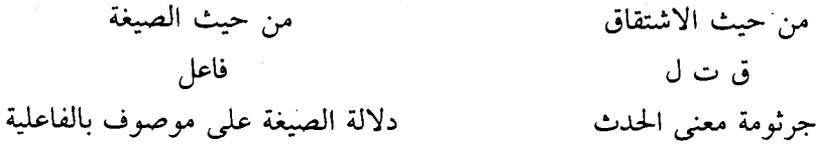
مفعول - فلا يعد من المباني . وقد درج النحاة على إضافة المبنى إلى المعنى ، فقالوا تاء الافتعال ، وها التنبيه ، ونون التوكيد ، وسين الاستقبال ، وضمير الغيبة ، وصيغة المضارع . كما وصفوا المبنى بقولهم الدال على كذا كقولهم : السين والتاء الدالة على الطلب ، و «انفعل» الدالة على المطاوعة ، و «افتعال» الدالة عن الاتخاذ ، وهلم جرا . فإذا نظرنا إلى عبارة : «فسيكفيكمهم» وجدنا الفاء تدل بحسب ما قبلها ، ثم وجدنا سين الاستقبال ، وياء المضارعة ، وكاف المخاطب ، و «هم» الدالة عن الغائبين . وكل ذلك مبان تتكون منها العبارة ، يضاف إليها صيغة «يفعل» بكسر العين ، أما اللفظ المصوغ على مثال هذه الصيغة فهو ينتمي إلى المعجم ويسمى «الكلمة» . ثم إن نمط الجملة الاسمية مبنى ومثله مبنى الفعلية ومبنى المثبتة والمنفية والمؤكدّة والاستفهامية ، إلخ .

٢- المعنى الوظيفى : اعترف النحاة بثلاثة أنواع من المعانى أكبرها المعنى المفيد ، وهو معنى الجملة ، ثم المعنى المفرد ، وهو معنى الكلمة ، وأشاروا إلى معنى ثالث ربطوا به الشبه المعنوى ، وقالوا : «هو معنى عام حقه أن يؤدى بالحرف» . فإذا توسعنا فى فهم هذا المعنى العام لنشمل به المعانى التى نسبناها منذ قليل إلى طوائف المباني ، حصلنا على مفهوم المعنى الوظيفى . ذلك بأن كل ما نسب إلى المباني المذكورة من المعانى هو فى واقع الأمر وظائف تؤديها هذه المباني فى السياق ، فالافتعال والتنبيه والتوكيد والاستقبال والغيبة والمضارعة والطلب والمطاوعة والاتخاذ والخطاب والغيبة والإثبات والنفي والتوكيد والاستفهام ، كل أولئك معانٍ وظيفية تؤديها المباني ، بسيطة كانت أم مركبة .

٣- المعنى المعجمى : هو المعنى المفرد الذى للكلمة خارج السياق فى حال أفرادها ، وهو يعد ثمرة لتضافر اشتقاقها وصيغتها الصرفية . وإذا كانت الصيغة الصرفية إحدى ركيزتى المعنى المعجمى ، كان المعنى الوظيفى المنسوب إلى الصيغة عنصراً من عناصر المعنى المفرد للكلمة . فإذا التمسنا المعنى المعجمى لكلمة «قاتل» كان المعنى الوظيفى المنسوب إلى صيغة «فاعل» عنصراً من المعنى المعجمى لكلمة «قاتل» ، أما العنصر الآخر فيأتى من أصولها الثلاثة : القاف ، والتاء ، اللام ، وهو العنصر المشترك بين جميع مشتقات هذه المادة على اختلاف صيغها الصرفية ، فكل كلمة من

مشتقات هذه المادة تحمل فى طيها قسطا من العطاء الدلالى للأصول الثلاثة المذكورة، ثم تختلف عن أخواتها بحكم الصيغة، ويمكن تمثيل ما تقدم على النحو التالى:

منابع المعنى المعجمى للفظ «قاتل»



وإنما قلت «جرثومة معنى الحدث» ولم أقل «الحدث» أو «معنى الحدث». لأن معنى الحدث هو معنى المصدر، أما الأصول الثلاثة فتكتب مفرقة لتصبح من العموم، بحيث تندرج تحتها المشتقات جميعا، ومنها المصدر الذى لا يصلح بخصوصيته الدلالية على الحدث أن يكون أصلا عاما للاشتقاق.

٤- القرينة اللفظية : هى عنصر من عناصر الكلام يستدل به على الوظائف النحوية، فيمكن بالاسترشاد بها أن نقول هذا اللفظ فاعل، وذلك مفعول به أو غير ذلك. ومثل هذه القرائن كمثمل معالم الطريق التى يهتدى بها المرء إلى المكان الذى يقصده، وتختلف القرائن باختلاف اللغات، وفى العربية من القرائن اللفظية قرينة البنية والإعراب والربط والترتبة والتضام، وفيها فوق ذلك كبرى القرائن اللفظية، وهى قرينة السياق. ولاتدل واحدة من هذه القرائن بمفردها على المعنى النحوى، وإنما يتضح المعنى بعصبة من القرائن المتضافرة، فمثلها فى تضافرها على تحديد المعنى النحوى مثل ما يهتدى به الطبيب إلى تحديد نوع المرض، فهو لا يكتفى لتعيين المرض بالاستدلال عليه، بالحمى أو صفرة الوجه أو الغثيان أو الرعشة فقط. وإنما يضم بعض ذلك إلى بعض، وقد يضيف إليه اختبارات وتحليلات أخرى واستفسارا عن تاريخ المرض، إلخ. . والفاعل مثلا لا يعرف بالرفع فقط وإنما يعرف به وبالاسمية والتأخر عن الفعل وكون الفعل مبنيا للمعلوم، وما يصحب ذلك من قرينة معنوية هى دلالة هذا الاسم على من فعل الفعل أو قام به الفعل (أى على من تحقق الفعل بواسطته).

٥- **القرينة المعنوية** : هي العلاقة التي تربط بين عنصر من عناصر الجملة وبين بقية العناصر، وذلك كعلاقة الإسناد التي هي نسبة عنصر الحدث الذي في معنى الفعل أو الوصف إلى فاعله أو واسطة وقوعه أو محل وقوعه، وذلك كالذي في قام زيد ومات عمرو وانكسر الإناء، وزيد قائم وعمرو هالك والإناء منحطم، أو مكسور وعلاقة التعدية تقوم بين الفعل ومفعوله الذي وقع عليه الحدث، وهي قيد يخصص نسبة الحدث إلى من أسند الحدث إليه فقولنا «قرأ زيد» إسناد للقراءة إلى زيد على وجه العموم، فإذا قلنا «قرأ زيد الدرس» خصّصنا القراءة بالدرس وسكتنا عن كل مقروء آخر. ومثل ذلك علاقة المصاحبة للمفعول معه وعلاقة الغائية للمفعول لأجله والظرفية للمفعول فيه والملابسه للحال والإخراج للاستثناء، وهلم جرا فإذا سمع السامع الجملة أو قرأها القارئ فأدرك العلاقة بين عناصر الجملة (كإدراك ما إذا كان المصدر في ﴿وَدَعَّ أَذَاهُمْ﴾ (الأحزاب ٤٨) مضافا إلى فاعله أو إلى مفعوله)، كانت العلاقة التي أدركها قرينة على المعنى النحوى المراد من الجملة، وقد أشرنا منذ قليل إلى أن هذه القرائن المعنوية تتضافر مع القرائن اللفظية فيتضح المعنى بمجموع ما تتضافر من القرائن، ويرجع إدراك هذه القرائن المعنوية في العادة إلى وضوح قرينة السياق.

٦- **قرينة السياق** : وهي ما يكتنف السياق من قيود تركيبية، أو أشراط إفادة أوهما معا. ونضرب لذلك مثلا قول الشاعر :

أنا ابن أباة الضيم من آل مالك وإن مالك كانت كرام المعادن

إذ المعروف أن من معانى «إن» أن تكون نافية أو شرطية، أو مخففة من الثقيلة؛ فأى ذلك هو معناها فى هذا البيت/ لو جعلناها نافية لورد التناقض على البيت، لأننا عندئذ ندعى للشاعر أنه مدح قومه فى الشطر الأول وهجاهم بالشطر الثانى. ولو جعلناها شرطية لورد عليها اعتراض من جهة التركيب، واعتراض من جهة المعنى. فأما من حيث التركيب، فلو جعلناها شرطية لتحتم بعدها تقدير فعل محذوف وجوبا لايتحتم تقدير مثله على المعنى الآخر (أى تخفيف إن)، والأصل أن مالا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير، وأما الاعتراض من جهة المعنى،

فالببت على معنى الشرطية يشبه قولنا «زيد منصف إن عدل» وهو معنى فاسد لأن هذا الشرط يحتمل أحد معنيين: أحدهما الغائية بمعنى «زيد منصف حتى إن عدل»، والثاني هو العنادية بمعنى «زيد منصف على رغم عدله»، ولما كان الإنصاف هو العدل وكان الشيء لا يصلح غاية لنفسه ولا ضدا لها كان المعنى فاسدا. فلم يبق إلا أن تكون «إن» مخففة من الثقيلة، ويكون المعنى «وإن مالكا كانت كرام المعادن». ومثله قول الكميت:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا منى ودو الشيب يلعب؟

فقوله «ودو الشيب يلعب» بحكم صورته يصلح أن يكون تركيبا خبريا، ولكنه في هذا البيت لا يصلح لذلك؛ لأنه ليس من المعتاد ولا من المعقول أن يكون اللبب ديدن ذى الشيب، ولو ادعينا أن الشاعر يقصد بعض ذوى الشيب دون كلهم، وللزم أن تشتمل العبارة على ذكر «قد» فتصير العبارة بهذا «ودو الشيب قد يلعب» وهى ليست مذكورة فى العبارة، فلم يبق إلا أن يكون المعنى على الاستفهام الإنكارى وأن تقدر الهمزة، فيكون المعنى «أو ذو الشيب يلعب»؟

٧- الرخصة: هى تركيب الكلام على غير ما تقضى به القاعدة اتكالا على أمن اللبس(*) فإن لم يؤمن اللبس نسب الكلام إلى الخطأ لا إلى الترخص، ومرتكز الرخصة ما سبق أن أشرنا إليه من تضافر القرائن؛ لأن تعدد القرائن على إرادة المعنى قد يجعل واحدة من هذه القرائن زائدة على مطالب وضوح المعنى، لأن غيرها يمكن أن يغنى عنها، فيكون الترخص بتجاهل التمسك بهذه القرينة. مثال ذلك أن العرب حين قالت «خرق الثوب المسمار» برفع الثوب ونصب المسمار علمت من خلال المناسبة المعجمية (التي هى فرع على قرينة التضام يسمى التوارد)، أن الفعل «خرق» يتطلب المسمار فاعلا ولا يصلح الثوب أن يكون فاعله؛ لأن الثوب لا يكون خارقا للمسمار عقلا أو عادة. فلما أغنت قرينة التضام إلى جانب قرائن أخرى كاسمية الفاعل ورتبته متأخرا عن الفعل، إلخ... أمكن تجاهل دلالة الإعراب على المعنى النحوى، فكان الترخص بنصب الفاعل ورفع المفعول بعكس القاعدة. والرخصة، كما تقول أصول النحو مرهونة بمحلها، فلا تصلح لأن يقاس عليها.

(*) اللغة العربية معناها ومبناها.

ووظيفة القول بها الآن تفسير ما نسبه الأقدمون إلى الشذوذ ونحوه، فلا تبرر بها أخطاء المحدثين.

٨- الأسلوب العدولى : الأصل فى الاستعمال استصحاب الأصل، سواء من حيث المبني أو من حيث المعنى، ولكن العرب درجت على تصحيح حالات معينة من العدول عن الأصل، وأعطتها من الأعتداد بها مارقى بها إلى مستوى الصواب المعتمد على قاعدة. ويلاحظ ذلك أساسا بالنسبة للعدول عن القرائن اللفظية. والفرق بين الرخصة وهذا الأسلوب العدولى، أن الرخصة يعتذر عنها ولا يعتذر عن الأسلوب العدولى، ومن ظواهر الأسلوب العدولى ما يلى.

١- البنية يعدل عنها بواسطة النقل - والنيابة - وتسخير اللفظ لتوليد المعنى - والتضمين.

٢- الإعراب ويعدل عنه بواسطة إعراب الجوار

٣- الربط ويعدل عنه بواسطة الالتفات - والتغليب - وحذف الرابط.

٤- الرتبة ويعدل عنها بواسطة التقديم والتأخير.

٥- التضام ويعدل عنه بواسطة الحذف - والزيادة - والفصل - والاعتراض - وتجاهل الاختصاص.

٦- المعنى الأصيل ويعدل عنه بواسطة المجاز.

فالعرب لاتخطئ واحد من هذه الأساليب وإن كانت كلها عدولا عن أصل.

٩- تعدد المعنى بحسب الأصل : وهذا المعنى إما أن يكون وظيفيا أو معجميا أو تركيبيا، والفرق بينه وبين النقل أن تعدد المعنى لايلزم معه التحول من قسم من أقسام الكلم إلى قسم آخر، كما لا يلزم فيه تغير الموقع ولا شروط التركيب. مثال تعدد المعنى الوظيفى مانراه فى معانى حروف الجر وحروف العطف ونحوهما، ثم مانراه من تعدد معانى الصيغ الصرفية كفاعل التى تصلح لوصف الفاعل. والصفة المشبهة، وفعل التى تصلح اسما كسيرير ومصدرا كزئيز ووصفا كبخيل، وأفعل التى تصلح للتفضيل وللصفة المشبهة، وكذلك «إن» التى تصلح للنفى والشرط، ولأن تكون مخففة من الثقيلة، ولكنها تظل حرفا فى كل الحالات، وأما تعدد المعنى المعجمى

فيتضح عند النظر فى المعاجم، إذا لا تكاد تجد كلمة ذات معنى واحد لاتعددها، فقد يأتى تعدد معناها عن طريق تطور الدلالة عبر القرون والاحتفاظ بالمعنيين القديم والحديث، وقد يأتى من اختلاف استعمالها بإختلاف القبائل وإهمال الرواة لنسبة كل استعمال إلى قبيلة خاصة، وقد يأتى التعدد من استعمال الكلمة حينما بالخروج بها عن معناها الأصلى إلى معنى مجازى، ثم اشتها ذلك المجاز وجريانه فى الاستعمال حتى يصبح معنى حقيقيا آخر للكلمة. وكلا النوعين من تعدد المعنى، إنما هو من قبيل الاقتصاد اللغوى، إذ تعتمد اللغة إلى تسخير مبانيها المتناهية المحدودة العدد، بحيث تفى بمطالب المعانى غير المتناهية التى لا حدود لأعدادها فتسعى تعبيراً صحيحاً وتعبيراً بليغاً. انظر مثلاً إلى معانى «قام» وتأمل اختلافها فى نحو: قام زيد - قام به الفعل - قامت القيامة - قام الليل وصام النهار - قام الله على كل نفس بما كسبت - قام له الأمر - قام ميزان النهار - قام قائم الظهيرة - قام الحق - قام الوالى للأمر - قام المتاع، إلخ. أما تعدد معنى النمط التركيبى فمثاله: «بارك الله فىك» أو بصلح للاثبات والدعاء وكذلك «ما هذا» بصلح للاستفهام الطلبى والانكارى ونحو «المطلقات يتر بحن بأنفسهن ثلاثة قروء» وهو يصلح للخير والطلب إلخ.

١٠- تعدد المعنى بحسب النقل : أحدى طرق تعدد المعنى الوظيفى، وهو صورة من صور العدول عن الأصل فيما يتصل باستعمال البنية ومعناها فى اللغة، إذ تخرج البنية عن استعمالها الأصلى إلى استعمال اخر لم ينسب لها فى تقسيم الكلم فيتعدد معناها الوظيفى. مثال ذلك الظروف المتصرفة التى هى أسماء بحكم تقسيم الكلم، ولكنها نقلت إلى استعمال الظروف، وكذلك الأفعال الناسخة التى نقلت من الفعلية إلى استعمال الأدوات، ومن ذلك أيضاً الأسماء الجامدة التى تستعمل استعمال المشتق، كما فى قولنا «زيد رجل» أى متصف بالرجولة، إذ وضع لفظ «رجل» موضع لفظ «متصف بالرجولة»، ولذا قالوا فيه إنه مؤول بالمشتق، ومنه ما الاستفهامية التى نقلت إلى معنى التعجب، ومنه الظروف والموصولات التى نقلت إلى استعمال أدوات الاستفهام والشرط نحو أين، ومتى، وأيان، وحيث، وإذا، وإذا، ومن، وما، وأى، إلخ. ويلاحظ فى نقل المبنى من استعمال إلى آخر إما تغيير الموقع تقدماً أو تأخيراً، وإما تغيير شروط التضام، أو تغيير المعنى الوظيفى. فالأول كما فى الظروف التى نقلت إلى الشرط والاستفهام، إذ تحولت إلى موقع

الصدارة فى الجملة، والثانى نحو ما التعجبية التى إن لم يتغير موقعها فى الجملة فقد كان من شروطها أن يليها «أفعل»، والثالث نحو الأسماء والإشارات التى فقدت الاسمية أو الإشارية عند نقلها إلى الظرفية.

* * *

وتقع هذه الطبعة من الكتاب فى جزئين يختلفان إلى حد ما من حيث الطابع. فأما الجزء الأول فيدور حول الجانب التركيبى من الكلام على حين يدور الجزء الثانى حول الجانب المفهومى والأسلوبى. وواضح أن الجانب التركيبى عرفى واجتماعى وأن الجانب الأسلوبى فردى مخالف لأصول الاستعمال. من هنا نجد فصول الجزء الأول تدور حول القرائن والنمط التركيبى والصحة وغير ذلك جوانب العرف اللغوى ونجد الجزء الثانى يشتمل على فصول تدور حول مفاهيم مثل الكتابة والمسافة والعدول والمقاصد الأسلوبية وأساليب التوجيه والجانب الخلفى وأساليب الدعوة وتحكيم النص فى صدق الدعاوى ومضامين السور وبعض قصص الأنبياء فى القرآن الكريم.

هذا وأدعوا ربى عز وجل أن يجعل جهدى فى هذا الكتاب خالصا لوجهه وأن يجزنى بالصواب إحسانا وبالخطأ غفرانا وأن يجعل هذا الجهد فى ميزان حسناتى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم اللهم آمين.

والله ولى التوفيق،

أبو هانىء

د. تمام حسان

الإعراب في التركيب القرآني

لم تحظ واحدة من قرائن النحو بمثل ما حظى به الإعراب من اهتمام النحاة، سواء منهم من ربط الإعراب بالمعنى ومن لم يربطه. نعم إن من النحاة من أنكر صلة الإعراب بالمعنى وجعل الحركات الإعرابية من مظاهر طلب الخفة هرباً من ثقل الإسكان فمثل الحركات في رأيه كمثل التخلص بالكسر من التقاء الساكنين وكمثل اجتلاب همزة الوصل وحركتها اتقاء البدء بالساكن. ولكن الرد على هؤلاء يأتي من جهات:

أ - أن علامات الإعراب ليس كلها حركات فقد يدل على الإعراب بالحرف ولم يقل أحد إن الحروف من وسائل طلب الخفة.

ب - أن بعض المفردات يشتمل على مناسبة صوتية لحركة الإعراب كالذى نلاحظه في تغيير حركة الراء في كلمة «أمرئ» بحسب تغير حركة الاعراب فتقول:

قال امرؤ القيس - قرأت امرأ القيس - عجبت لامرئ القيس .

أنت امرؤ فاضل - ومازلت امرأ فاضلاً - يالك من امرئ فاضل .

فلولا اطراد التغير في الحركة الأخيرة ما تغيرت حركة المناسبة.

ج - أن القرآن الكريم نزل معرباً ووصل إلينا بالتواتر معرباً تلقته الأذان عن الشفاه وحكته ألسنة الأبناء عن روايات الآباء فما سمعنا يوماً أن واحداً من القراء روى اطراد الإسكان ولو على سبيل الشذوذ.

د - أن الحديث النبوي قد رواه الأعاجم بلفظه حيناً وبمعناه حيناً آخر فلم نجد أحداً يروى عن النبي ﷺ نصاً سكنت فيه أواخر الكلمات.

هـ - أن الشعر العربي وصل إلينا معرباً وما كان له أن يكون إلا معرباً لأن كميات حركة الإعراب محسوبة في وزنه وهي جزء أصلي من قافيته وروح الشعر هي الحركات لاسواكن الحروف لأن الشعر إنشاد والانشاد لا يكون على ساكن.

و - أن المعنى قد يتوقف على الإعراب فى بعض الحالات كما فى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ (التوبة ٣١). بالنصب على
لفظ المسيح

ز - أن الاعتداد بالحركة فى القافية كان وراء تقسيمها إلى مطلقة ومقيدة .

ذلك رد على من ينكر صلة الإعراب بالمعنى ويجعله سعيا إلى طلب الخفة .

أما الذين اعترفوا بصلة الإعراب بالمعنى فقد بالغوا فى ذلك حتى خرجوا عن
جادة الصواب فلم يكن خطأهم أقل من خطأ أولئك المنكرين . لقد لقيت قرينة
الإعراب من هؤلاء قدرا من الحفاوة جعلهم يتجاوزون النظر إلى وضعها بين قرائن
النحو إلى أن يجعلوها النحو كله تقريبا، وبنوا على الإعراب هيكلًا نظريًا أطلقوا
عليه اسم «العمل النحوى» صيروا هذا الهيكل غاية تقصد إليها دراسة النحو وينتهى
إليه فهمه ويسعى إلى تحصيلها تعليمه . وهكذا أصبح النحو عندهم ضبط أو آخر
الكلم بحسب المعنى . ولكن الناظر إلى أنواع الكلم يرى أن بعضها يقبل التغير
الإعرابى فى آخره والبعض الآخر يأبى هذا التغير إما لتعذر ظهور الحركة على المفرد
أو ثقله أو لأن العنصر الذى يستحق الإعراب مركب والمركب لا تظهر عليه الحركات
والذى يقبل الإعراب من المفردات هو الكلمات المتمكنة وهى التى تتوافر لها الصفات
الآتية :

أ - أن تخلو من شبه الحرف لفظيا ومعنويا .

ب - أن تكون ذات أصل اشتقاقى قوامه الأصول الثلاثة : فاء الكلمة وعنيها ولامها .

ج - أن تكون ذات صيغة صرفية .

د - يضاف إلى ذلك وإن لم يكن شرطا فى التمكن أن تكون الكلمة منتهية بحرف

تظهر عليه العلامة الإعرابية دون تعذر أو ثقل .

وتتحقق هذه الشروط للأسماء والأوصاف بحسب الأصل وللضارع الصحيح

الآخر بعلة الشبه شريطة ألا تتصل به إحدى النونين (نون التوكيد ونون النسوة).

ولكن طائفة أخرى من المفردات وما يقوم مقام المفردات تتأبى على قبول علامة

الإعراب فلا يتضح معناها النحوى (كالفاعلية والمفعولية الخ) بواسطة الحركة الإعرابية

وإنما تقدر عليها الحركة تقديرا لتعذر ظهورها أو ثقله . ومن ذلك :

أ - الاسم المقصور والمضارع المعتل بالألف تقدر الحركة عليهما للتعذر.
ب - الاسم المنقوص والمضارع المعتل الآخر بالياء أو الواو تقدر الحركة عليهما للثقل
في حالة الرفع لهما وحالة الجر للمنقوص.
أضف إلى ذلك طوائف أخرى لا تقبل الحركات لفظا وإنما تنسب إلى الإعراب
تقديرًا. ومن هذه الطوائف:

ج - المبنيات من الأسماء والضمائر الشخصية والإشارات والموصولات ومبنيات
الظروف والمضارع المبنى.

د - الماضي والأمر إذا وقعا موقعا يستحق الإعراب.
هـ - المركبات العددية.

و - الجمل ذوات المحل وهي التي تحل محل المفرد.
ز - ذلك ينسب إلى الإعراب في ضوء فكرة المعاقبة.

ح - العناصر التي لا تستحق الإعراب لاعتماد معناها على أمور أخرى غير
الإعراب كالافتقار والاختصاص والرتبة وهي الحروف والأدوات جوامد الألفاظ غير
المتصرفة كعسى وليس الخ.

ط - وأخيرا يأتي عنصر مركب هو المصدر المؤول الذي ينسب إلى ما يستحقه
المصدر الصريح من إعراب. هذه الأنواع الأخيرة (ج، د، هـ، و) تنسب إلى المحل
الإعرابي ولا تنسب الطائفة (ز) إلى إعراب أبدا وأما (ح) فيقال فيه: «أن وما بعدها
في ت أويل مصدر مرفوع أو منصوب أو مجرور حسب الموقع» وهي عبارة غامضة لا
يتضح منها أيهما المرفوع الخ أو المؤول أم الصريح الذي آل إليه المؤول.

فإذا كانت هذه الطوائف لا يستبين معناها بالعلامة الاعرابية فإن نسبتها إلى تقدير
الحركة أو المحل لا تعد قرينة لأن من شأن القرينة أن تقوم الفهم لا أن يخرعها
الفهم لأن تدخل الفهم بالاختراع يجعل المخترع نتيجة متأخرة عن الفهم لا قرينة
متقدمة عليه تقوده إلى المعنى. ومن ثم لا يجدى لتكشف المعنى أن تنسب العنصر
اللغوي إلى حركة مقدرة أو محل مقدر لأن ذلك يلحق التكشف ولا يقود إليه كشأن
القرائن. والواقع ان القول بالمحل الإعرابي لا ينتمى إلى قرينة الإعراب وإنما هو نوع
من استعمال فكرة «المعاقبة» في الموقع، وسيأتى شرح هذه الفكرة في صدر الكلام
عن قرينة التضام.

حتى حين تظهر الحركات الاعرابية على أواخر المفردات ومن ثم يتضح أمامنا إعراب هذه المفردات لا يعد ذلك كافيا لبيان معنى الجملة، دعنا نذهب أبعد من ذلك فنقول إنه حتى لو تضافرت قرائن أخرى مع الإعراب كالتبعية والربط وما قد يكون هناك من افتقار أو اختصاص فإن هذه القرائن ستصل بنا إلى نقطة المعنى الإعرابي التحليلي ولا تتخطاه بالضرورة إلى معنى التركيب في عمومه كما يبدو من العبارة الآتية:

«تربص الصباح بالقصيدة فمرجها فكأنما ابتلع موق إبطها».

إذا كان الكلام هو المفيد فليس هذا كلاما ولئن أمكن إعراب مفرداته. لنحن قادرون أن نلاحظ على هذه المفردات فقدانها للتناسب للأسباب الآتية:

١- الصباح لا يتربص لأنه لانية له.

٢- والقصيدة لا يتربص بها لأنها لاتصلح ضحية كيد ولا تمرج لأنها ليست مما يقبل ذلك.

٣- والصباح لا يتلعب شيئا لأن كل ما فيه شأنه البروز والوضوح أما الليل فقد يتلعب الأشياء مجازاً.

٤- فإذا ابتلع شيئا فلن يتلعب الموق لأن الموق لا جسم له.

٥- وليس للإبط موق وإنما يكون الموق للعين.

وهكذا نجد هذه المفردات تفتقد المناسبة المعجمية التي هي قوام التوارد وهو نوع من التضام قسيم للتلازم والتنافي. تلك المناسبة هي السبب في قول النحاة إنه إذا أمكن العطف امتنع المفعول معه بمعنى أننا إذا نظرنا إلى عبارة مثل: أحب تلاوة القرآن وأذان الفجر. فإن أذان الفجر لا يصلح مفعولا معه لإمكان أن يكون هو محبوبا معطوفا على تلاوة القرآن فالعطف أولى أما إذا قلت: سار زيد ويمين الطريق فذلك لا يصلح للعطف لأن يمين الطريق لا يسير ومن ثم يكون مفعولا معه. فالقضية التي تحكم ذلك هي قضية المناسبة المعجمية التي بها يصلح الأمران أن يعطف أحدهما على الآخر أولا يصلح فينصب على المعية.

ولقد يسيء النحاة في بعض الحالات فهم دلالات الإعراب بسبب تمسكهم بفكرة

العامل دون نظر إلى القيم الأسلوبية للجملة وقد حدث ذلك بصورة خاصة في فهمهم للمصادر المنصوبة على الإنشاء والتي عدوها منصوبة بواجب الحذف تمسكا منهم بفكرة العامل النحوى. ففى قوله تعالى: ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ (الذاريات ٢٥) يحلو للنحاة أن يقدروا ناصبا للمصدر فيقولوا إن أصله: «نسلم سلاما» وهكذا ينقلب المعنى رأسا على عقب فيتحول إلى الخبر بعد أن كان للإنشاء ولو كان خبرا لارتفع المصدر الأول كما ارتفع المصدر الثانى فى الآية وقد جاء ردا على التحية اذ قاله ابراهيم لضيفه وقد ارتفع المصدر الثانى على الإخبار لأنه استجابة لإنشاء التحية الذى عبر عنه المصدر الأول. يكفى فى هذه الحالة ونحوها أن نعرف المصدر منصوبا على معنى الإنشاء وننجو بهذا من تحريف مقاصد الأساليب. ويصدق ذلك على تراكيب قرآنية كثيرة مثل قوله تعالى:

* ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (مريم ٣٤) فعبارة «قول الحق» إنشاء لتأكيد الجملة ومن ثم لامناص من اعتبار هذا القول اعتراضا (أى جملة معترضة) لمجرى الكلام الذى هو فى الأصل: «ذلك عيسى بن مريم الذى فيه يمترون».

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ﴾ (لقمان ٨، ٩) فقوله «وعد الله حقا» يشبه قولنا «يمين الله صدقا» وهو قسم بدليل قول امرئ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا
ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

* ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ ﴾ (الزمر ٢٠) وهذا كسابقه يعد من قبيل القسم ولو قدر له محذوف لتحول خبرا.

* ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ ﴾ (الاحقاف ١٦) وهو إنشاء كسابقه.

* ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ (محمد ٤) فهذا فى قوة «فاضربوا

الرقاب» ولا يحتاج إلى تقدير فعل الأمر لأن لكل منهما مقامًا يستعمل فيه ليؤدى معنى الأمر.

* ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلًا ﴾ (آل عمران ١٤٥) أى

قضاءً مبرمًا بحسب وقت محدد فهذا أيضا من قبيل الإنشاء الذى يمتنع به الاعتراض والأخذ والرد. . ومثله قوله تعالى:

* ﴿ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (النساء ١٢) وهذا يعنى إنشاء الفرض

والتكليف وكذلك:

* ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (النساء ٢٤)

فهذا أيضا إنشاء تكليف لا يحتمل تقدير واجب الحذف. ومثله :

* ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ (النساء ٢٤) ولا يقولن قائل

إن «فريضة» حال فيذهب ذلك بالمعنى المقصود وهو إنشاء الفرض. ومن هذا الفبيل كل ما ورد فى القرآن الكريم من قوله تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا» أو «وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا» كما فى: النساء ١٢٢ والتوبة ١١١ يونس ٤ والنحل ٣٨ وكذلك قوله تعالى:

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ ﴾

(يونس ٢٣) والمقصود بالمتاع العيش المؤقت فكأنه يهددهم بما معناه: أقيموا مؤقتا فى دنياكم وبعدها ستعودون إلينا. ومنه أيضا قول يوسف لإخوته:

* ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ ﴾ (يوسف ٧٩) لأنك لو

ذهبت تلتمس ما تقدره هنا فإما أن تقدر فعلا من لفظ المصدر فتقول: «أعوذ معاذ الله» وفى هذا ركة وإطتاب لا مبرر له وإما أن تقدر ما يجعله منصوبا على نزع الخافض فتقول: «ألجأ معاذ الله» أى إلى معاذ الله وهذا أكثر ركة وإطتابا وتحويلا للآية عن المعنى المراد.

وليس معنى هذا اننى أنكر القول بالحذف جملة وتفصيلا وإنما ينصب الإنكار على جملة ما سموه واجب الحذف على نحو ما رأينا بل إننى لا أكاد اعترض على القول المأثور عن النحاة: «لولا الحذف والتقدير لفهمت النحو الحمير» فمادام الحذف يعتمد على وجود دليل على المحذوف فإن إدراكه يعد مظهرا من مظاهر قرينة السياق التى سنتكلم عنها فيما بعد . دعنا نسق مثالا يتضح به ما نقول: فقى قوله تعالى:

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ (هود ٨٧) يقوم اختلاف الضمائر بين «تأمرك» و «نترك» دليلا على المحذوف لأن أصل الأمر يتطلب أحد احتمالين:

أ - تأمرك أن تترك (أنت).

ب - تأمرنا أن نترك (نحن).

أما أن يتجه الأمر إلى شعيب ويكون التنفيذ منهم فذلك يحتاج إلى أن يقوم شعيب بعمل ما يؤدى إلى تنفيذهم للأمر وليس فى طوق شعيب أكثر من الدعوة ومن هنا يأتى تقدير الآية هكذا:

«يا شعيب أصلاتك تأمرك (أن تدعونا إلى) أن نترك ما يعبد آباؤنا».

أو «يا شعيب أصلاتك تأمرك (بدعوتنا إلى) أن نترك ما يعبد آباؤنا».

هذا حذف قام عليه الدليل ولا مناص معه من تقدير المحذوف وإلا تعثر الفهم والمعروف كذلك أن أدوات الشرط وهمزة التسوية وهمزة إرادة التعيين والفعل «يستوى» وصيغ المشاركة كل ذلك يقتضى أمرين يستويان أو يعين أحدهما أو يعطف أحدهما على مشاركته أو يجاب عن أحدهما بالآخر فحين يأتى فى القرآن أحد الأمرين دون الآخر فإن الأداة أو همزة أو الفعل هو دليل الحذف. فمن ذلك قوله تعالى:

* ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾ (الحديد ١٠) أى «لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل (ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل) أولئك (الأولون) أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد (ه) الله الحسنى».

* ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨) أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ (الزمر، ٨، ٩) أى أهذا خير أمن هو قانت آناء الليل فالقرينة هنا من جهين:

أ - أن «أم» لا تعطف إلا إثر همز التسوية أو همزة التعيين.

ب - ما يأتى بعد ذلك من قوله تعالى: «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون».

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ (يس ٤٥ ، ٤٦) أى إذا قيل لهم ذلك أعرضوا والقرينة:

أ - أن إذا تفتقر إلى الجواب ولا جواب لها فى الآية.

ب - أن فى قوله تعالى: «إلا كانوا عنها معرضين» ما يشير إلى الجواب المحذوف.

* ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ (هود ٨٨) أى: أرايتم إن كنت على يقين من أمر ربي وكان ربي قد رزقني رزقا حلالا (أكنت فاعلا ما تفعلون مما نهيتكم عنه أو تاركا دعوتكم إلى عبادة الله وترك التطفيف فى الكيل والوزن) إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت.

* ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم ٤٨) أى والسماوات غير السماوات.

فالخذف كما رأينا أمر لا مفر من القول به إذا أردنا أن نفهم الاستعمال اللغوى على وجهه الصحيح لأن للخذف من المبررات أموراً لامناص من الاعتداد بها منها:

- ١- الافتقار فإذا لم يذكر ما تفتقر إليه الكلمة فلا بد من القول بحذفه .
 - ٢- الاختصاص فإذا رأينا اللفظ يدخل على غير ما يختص بالدخول عليه قلنا بالحذف .
 - ٣- الرتبة فإذا وجدنا مثلاً دليلاً على الجواب متقدماً ولم يذكر الجواب متأخراً قيل إن الجواب محذوف فسرّه ما تقدم .
 - ٤- الربط فإذا لم يذكر الربط في أماكن وجوب ذكره قلنا بحذف الربط .
 - ٥- المعنى المعجمي كما لاحظنا منذ قليل في فعل التسوية والمشاركة .
 - ٦- المعنى التركيبي للجملة كأن يذكر المبتدأ ويحذف الخبر أو العكس .
 - ٧- المعنى الدلالي كما رأيناه في الشاهد الخامس فوق هذا الكلام (إبراهيم ٤٨) .
- أما التقدير فهو أوسع من مجرد تقدير العلامة الإعرابية أو تقدير المحذوف إذ قد يكون التقدير بالقول بالزيادة كما في قوله تعالى ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ (٧٥) وإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿ (الواقعة ٧٥ ، ٧٦) أو القول بالفصل كما في قوله تعالى: ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (إبراهيم ١٠) أو القول بإضمار العامل كما في قوله تعالى ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام ١٤٨) أى ولا أشرك أبأؤنا بدليل ما بعده من قوله «ولا حرمانا» أو تقدير المستتر كما في ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ﴾ (يوسف ١٢) ففي الفعل الأول ضمير واجب الاستتار وفي الفعلين الآخرين ضميران جائزا الاستتار، أو تقدير الضمير المحذوف في ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ (الإسراء ٥٧) أى يدعونهم أو تقدير المفسر كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ (الانشقاق ١) أو تقدير التقديم والتأخير كما في ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ (البقرة ٢١٤) أو تقدير اعراب الجملة باعراب المفرد كما في اعراب الجمل ذوات المحل أو تقدير المصدر المؤول بمعنى المصدر الصريح أو تضمين الكلمة معنى أختها أو نيابة

الحرف عن الحرف ونيابة العوض عن المعوض والمصدر عن الفعل وبعض الحروف عن الفعل أيضا كيا النداء وأداة الاستثناء وإغناء الحال عن الخبر والفاعل عنه أيضاً ونيابة مادل على المصدر عن المصدر وتأويل الجامد بالمشتق وتقدير فك المسبوك وسبك المفكوك. كل أولئك داخل في مفهوم التقدير وهو ما قصده النحاة بقولهم: «لولا الحذف والتقدير لفهمت النحو الحمير».

ويخضع الاعراب لمطالب ظواهر موقعية معينة كالتقاء الساكنين في نحو ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ (النساء ١٣٧) حيث أحلت الظاهرة الكسرة على النون محل السكون وكالمناسبة الصوتية عند أمن اللبس في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ﴾ (طه ٦٣) إذ المعروف أن اسم إن يجب أن يليها بلا فاصل إلا أن يكون الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً فيجوز عندئذ أن يفصل الخبر بين إن واسمها ولما كان الخبر في هذه الآية غير ظرف ولا مجرور عرف أن اسم إن هو «هذان» على رغم كونه مرفوعاً وأن ذلك قد جعل بين الاسم والخبر مناسبة صوتية قوامها اشتراكهما في الألف والنون. ومما يخضع له الاعراب من الظواهر الموقعية كراهية توالى الأمثال في نحو قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ (يوسف ١١) إذ ضعفت الحركة عن الفصل بين المثليين المتفرقين فسلك النطق بهما مسلك الدالين في «مد» و «رد» إذ أصلهما «مدد» و «ردد» ولعل الإدغام الكبير في قراءة أبي عمرو هو ذهاب إلى مدى أبعد من ذلك في هذا الاتجاه نفسه. ومن ذلك أيضاً ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور ٥٢) إذ جاء سكون القاف عزوفاً عن توالى خمس حركات تبدأ بفتحة التاء من «يتقه» وتنتهى بضممة الهمزة من «أولئك» هكذا (تَ قِ هِ فَ أ) فذلك من توالى الأمثال الذى تكرهه اللغة العربية وتبأه. وأشهر ما يخضع له الإعراب من الظواهر الموقعية ظاهرة الوقف بالسكون عزوفاً عن التحريك وذلك لما بين الوقف والصمت الذى يليه فى النطق من مجانسة ولما بينه وبين الحركة من تضاد ولأن الحركة قصيرة فالواقف عليها كالذى يجرى ثم يقف فجأة ولذلك

أطيلت الحركات فى القوافى حين كانت الحركة ضرورية لموسيقى الشعر فالشعر كالغناء مسرحه الحركة لا السكون .

ومما يحسن أن نشير إليه بمناسبة الكلام فى قرينة الإعراب ما ذكره النحاة من أن الرتبة فى نحو قولك: «ضرب موسى عيسى» و «لقى هذا ذلك» و «زارت هذه تلك» تغنى عن قرينة الإعراب ومن ثم لا تصح من ضرورات التركيب بل تصح الرتبة بهذا أهم قرائن التركيب وأوضح ما يعتمد عليه فهم المعنى . غير أن ثمة قرائن أخرى يمكن أيضا أن تقوم فى تراكيب أخرى بما قامت الرتبة فى هذا التركيب السابق ومن ذلك :

أ - عدم انتقال الفعل . أو عبارة أخرى علاقات المعانى المفردة لألفاظ الجملة بعضها ببعض فعلى الرغم من أن سلمى والكمثرى مقصوران كما كان موسى وعيسى فى الجملة السابقة نجد بين الجملتين فرقا فى العلاقات بين المفردات ففى المثال السابق يمكن لعيسى أن يضرب موسى كما ضربه موسى فكان الاحتياط دون ورود هذا الفهم باللجوء إلى الرتبة لنعرف أن السابق منهما هو الضارب أما الكمثرى فلا يمكن أن تأكل سلمى ولذلك تحول الفعل بهذه العلاقة إلى فعل غير منتقل فأصبح عدم الانتقال قرينة على المعنى تقدمت الكمثرى أو تأخرت . فاذا وضعنا موسى فى مكان سلمى انضمت قرينة المطابقة إلى عدم انتقال الفعل فاتضح المعنى بقرينتين لا بقرينة واحدة كما يبدو من «ب» التالية :

ب - مطابقة الفعل لفاعله وعدم مطابقته لمفعوله ففى قولنا: «شربت هذا هذه» قامت المطابقة بإيضاح المعنى وعلم منها أن «هذه» هى الفاعل بحكم ما فى الفعل من تاء التأنيث وإن فصل المفعول بين الفعل وفاعله ومن هنا نذكر فى هذا التركيب بالذات قول ابن مالك :

وقد يبيح الفصل ترك التاء فى نحو أتى القاضى بنت الواقف

ونحى هذا العالم الفاضل لإيراده حرف «قد» فى البيت لإفادة أن ذلك لا يطرد دائما وإنما يمكن أن تلزم التاء أحيانا على رغم الفصل على نحو ما نجد فى المثال الذى بين أيدينا أى أن ترك التاء هنا غير مباح على رغم الفصل .

ج - القرينة الخارجية: كأن نشير إلى امرأة تحمل طفلة أو تمشى معها ثم نقول ولدت هذه تلك أو تقول في أَثْنَيْنِ هَاتَانِ ولدت إحداهما الأخرى فيفهم من فارق السن أن الكبرى هي التي ولدت الصغرى وليس العكس، وهكذا يصبح فارق السن قرينة خارجية على معنى نحوى.

د - الإتياع بالنعته أو العطف أو التوكيد أو البيان مع وضوح الإعراب على التابع دون المتبوع نحو ضرب عيسى نفسه موسى. ضربت سلوى الصغيرة سلمى وضرب هذا وأخاه موسى أو ضربت هذه الفتاة تلك المرأة وفى كل ذلك نرى القرائن الأخرى تغنى عن الإعراب مما يدل على أن المعنى النحوى لا يعتمد فى كل أحواله على الإعراب ولا يستغنى فى كل أحواله عنه ولا يقوم إلا فى القليل النادر على قرينة واحدة لا يستغنى عنها وإنما شأنه أن يعتمد على عصبية من القرائن التى تتضافر على بيان المعنى حتى لقد يزيد بعضها عن الضرورى فيكون عرضة للترخص على نحو ما سنرى فيما بعد.

هـ - قرينة السياق: وهى التى تصرف المعنى عن المفعولية إلى التبعية بالنسبة للموصول فى قوله تعالى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا﴾ (طه ٥٢، ٥٣). فلقد فصل الفعل المنفى «ينسى» بين لفظ «ربى» وبعته وهو «الذى» فجعل هذا الموصول من حيث التركيب كأنه مفعول «ينسى»، ولكن قرينة السياق حالت دون هذا الفهم ودون أن يكون «الذى» فى محل نصب. وأكدت كونه نعته للفظ «ربى» فى محل رفع، ومعنى حيلولة قرينة السياق دون فهم المعنى على المفعولية أن المعنى لا يستقيم معها لأن المعنى عند ذلك سيؤول إلى: لا يضل ربى ولا ينسى ذاته.



قرينة البنية فى التركيب القرئى

المقصود بقرينة البنية هو دلالة صورة الكلمة على المعنى النحوى، وكلنا يذكر الشروط النحوية التى تُشترط لصور الكلمات المفردة فى الجملة، كقول النحاة إن الاسم المرفوع لا يكون فاعلا إلا مع سبق الفعل له مبنيا للمعلوم، فإذا بنى الفعل للمجهول صار المرفوع نائبا عن الفاعل ومن شأن المبتدأ أن يكون اسما معرفة، ومن شأن الخبر أن يكون وصفا متحملا للضمير، وإن المصدر المنصوب بعد الفعل لا يكون مفعولا مطلقا إلا إذا كان من مادة الفعل، فإن لم يكن فإن أفاد ما يفيد المفعول المطلق كان نائبا عنه، وإن أفاد غائية كان مفعولا لأجله. وكلنا يعلم أن من شأن الحال أن تكون وصفا مشتقا، وأن حق التمييز أن يكون جامدا، إلخ. فهذه نماذج من الشروط التى إذا تحققت للكلمة المفردة فى حيز الجملة كان تحققها دليلا على المعنى النحوى الذى تؤديه الكلمة فى الجملة. فإذا وضعنا لفظ «قرينة» فى مكان كلمة «دليلا» السابقة عرفنا المقصود بقرينة البنية.

ولكن ما البنية ذاتها؟ البنية إطار ذهنى مجرد للكلمة المفردة، وليست هى الكلمة ذات المعنى المفرد. وربما قرب ذلك للفهم أن نقول إن البنية مفهوم صرفى لا ينطق، وإن الكلمة مفهوم معجمى منطوق بالقوة، وإن اللفظ مفهوم استعمالى تتحقق به الكلمة بالفعل بوساطة النطق أو الكتابة فى محيط الجملة ولربما كان أكثر تقريبا للفهم أن نفرق بالتطبيق العملى بين هذه المفاهيم على النحو التالى.

صيغة فاعل = بنية عامة لعدد عظيم من الكلمات، وهى ذات معنى وظيفى صرفى.

كلمة «كاتب» = عند أفرادها على صفحة المعجم تعد كلمة منطوقة بالقوة لا بالفعل.

هذا كاتب = عند النطق أو الكتابة تعد لفظا منطوقا أو مكتوبا بالفعل .

ولقد درج النحاة العرب على استعمال كلمة «لفظ» استعمالا غير محدد الدلالة، ليقصدوا بها الكلمة حينما والكلام حينما آخر، على ما بين الكلمة والكلام من فارق الأفراد والتركيب، نلاحظ ذلك في قول ابن مالك: «كلامنا لفظ مفيد» وقول الجزولي: «الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع»، إذ نحا كلاهما باللفظ منحى التركيب في مقابل ما شاع من جعل اللفظ مرادفا للكلمة على ألسنة الدارسين. . ومغزى هذا التفريق أننا نفهم معنى البنية أو المبنى. فهُمَّا صرفيا محددان ينأى بهذا المفهوم أن يختلط بالعناصر المعجمية المستعملة بالقوة، إذ تكون صامته على صفحة المعجم أو بالفعل، إذ تكون جارية على اللسان أو على القلم.

ولكن مفردات اللغة ليست جميعا من ذوات الصيغة والأصول الاشتقاقية؛ إذ نصادف من المفردات حروفا وأدوات وضمائر وظروفا جامدة. بعضها على حرف واحد والبعض على حرفين وبعض آخر على ثلاثة أحرف، فما كان منها على حرف واحد اتصل بغيره خطأ ولكنه ما يزال في نظام اللغة يعد كلمة، ويؤدي وظيفة الكلمة، ويصدق ذلك الاتصال في الخط على بعض ما كان على أكثر من حرف أيضا. وإذا عرف النحاة الكلمة بأنها ما دل على معنى مفرد، فإن الطعن الذي يتجه إلى تعريفهم أن هذه الطوائف المذكورة لا تدل على معان مفردة؛ بل إنها لا تدل على معان معجمية؛ وإنما تدل على معان صرفية ونحوية لا تتحقق إلا من خلال السياق المتصل (أى التركيب)، وتوصف على حد تعبير النحاة بأنها معان عامة، وزادوا على ذلك عبارة تقول: إن هذه المعاني «حقها أن تؤدي بالحرف»، أى أنها إذا عبر عن أحدها عنصر غير الحرف لحقة الشبه المعنوي، فكان ذلك سببا في بنائه. ومن المعاني العامة المذكورة معاني حروف الجر، كالظرفية والملاصقة وابتداء الغاية، ومعاني حروف العطف كمطلق الجمع والترتيب والتعقيب، ومعاني إن وأخواتها، كالتأكيد والتشبيه والتمنى والترجي، ومعاني الضمائر، كالأفراد والتثنية والجمع والتكلم والخطاب والغيبة والتذكير والتأنيث، ومعاني الإشارات كالتذكير والتأنيث والقرب والبعد، ومعاني الموصولات كالتذكير والتأنيث والأفراد والتثنية والجمع والعامل وغير العامل، ومعاني الظروف كالزمان والمكان، إلخ. . فكل أولئك معان

صرفية ونحوية تختلف من حيث طابعها عن المعاني المعجمية المفردة المنسوبة إلى المشتقات ذوات الصيغ.

لقد رأينا منذ قليل أن بنية الكلمة المشتقة تتمثل في صيغتها الصرفية ونشير الآن إلى أنه إذا كان للكلمة المشتقة معنى مفرد يمكن الإطلاع عليه في المعجم، فإن هذا المعنى المعجمي يقوم على ركيزتين من المعاني الصرفية العامة: إحداهما معنى الأصول الثلاثة من حيث إنها تلخص علاقات اشتقاقية بين طائفة من الكلمات، فهذا التلخيص هو معناها، والركيزة الثانية ماينسب إلى الصيغة الصرفية من معنى عام كالطلب والمطاوعة والاتخاذ والتدرج، إلخ. . . وكلتا الركيزتين معنى عام.

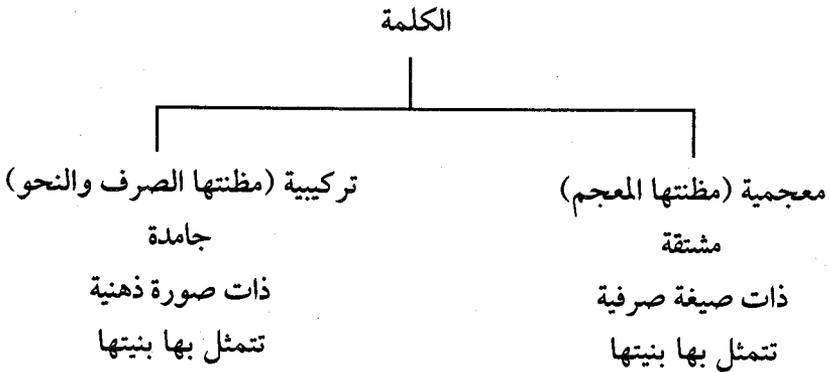
يبرز الآن سؤال مهم يوضع على النحو التالي: لقد عرفنا أن مبنى الكلمة المشتقة هو صيغتها الصرفية، وأن لهذه الصيغة معنى وظيفيا صرفيا ونحويا، فكيف يمكننا أن نحدد مبنى الكلمة الجامدة التي ليست لها صيغة صرفية؟ والجواب على ذلك أن مباني الجوامد هي صورها الذهنية، حتى ليتمكن إذا استرشدنا بما قدمناه من بيان بشأن الكلمة المشتقة أن نقول:

الصورة الذهنية = بنية

الجامد المفرد = على صفحات المتون والشروح كلمة (انظر معنى الليب مثلا).

الجامد في التركيب = لفظ منطوق أو مكتوب.

نخرج من ذلك بأن كلمات اللغة تقع في نوعين على النحو التالي:



ومعنى البنية بنوعيه المذكورين هنا معنى وظيفى عام يختلف عن المعنى المعجمى
المفرد الذى يرصد للكلمة فى المعاجم؛ ويحدد المعنى الوظيفى المذكور وظيفة بنية
الكلمة وعلاقتها بما يجاورها من المباني فى السياق.

* * *

هكذا نجد أن صور العناصر التركيبية (سواء صور الكلمات المعجمية المعروفة باسم
الصيغ أو الصور الذهنية للكلمات التركيبية) تعد إحدى القرائن التى يتضح بها
المعنى النحوى. ولكننا بنظرة إحصائية سريعة ندرك أن هذه المباني محدودة العدد
وتتضح هذه المحدودية إذا أحصينا الصيغ (مجردها ومزيدها)، وأحصينا الكلمات
التركيبية (وقد كفانا معنى الليب لابن هشام وكذلك الجنى الدانى للمرادى وغيرهما
عناء إحصائها). فإذا وضعنا أعداد الصيغ والكلمات التركيبية (أو على الأصح
صورها الذهنية) بإزاء المعانى أو الوظائف الصرفية والنحوية فى اللغة، أدركنا قلة
المباني وكثرة المعانى التى وضعناها بإزائها، فإذا أريد لهذه القلة أن تعبر عن تلك
الكثرة، فلا بد أن ننسب لكل من أفراد القلة عددا من أفراد الكثرة، أو بعبارة أخرى
أن يكون لكل واحد من المباني عدد من المعانى الوظيفية. وهكذا نصل إلى ما وضعناه
فى المقدمة تحت عنوان «تعدد المعنى» يقول المرادى: (١). «ذكر بعض النحويين أن
جملة حروف المعانى ثلاثة وسبعون حرفا، وزاد غيره على ذلك حروفاً آخر مختلفا
فى حرفية أكثرها، وذكر بعضهم نيفا وتسعين حرفا»، فإذا أضفنا إلى هذه الحروف
ثلاثة عشر ضميرا من ضمائر الأشخاص فى حالة الرفع (حسب تكرار الضمير «هما»
للمذكر مرة وللمؤنث أخرى)، وبضعة ضمائر للإشارة، وعشرة ضمائر موصولة،
وسبعة ظروف مبنية على التقريب، وطائفة من الصيغ الصرفية للمشتقات، أدركنا
إلى أى حد يبدو سلوك اللغة سلوكا اقتصاديا يوظف القليل من الوسائل للوصول
إلى الكثير من الغايات. ولاعجب فكلنا يعلم أن عدد الوحدات الصوتية (الحروف
الهجائية) فى اللغة ثمانية وعشرون حرفا، وقد كانت كافية لأداء كل أنواع النشاط
اللغوى شعرا ونثرا وتخطابا عاديا، إلخ.

دعنا إذن نلق نظرة على آيات الكتاب العزيز، لنرى من خلال هذه النظرة كيف

(١) المرجع الدانى ٢٨.

تتعدد المعانى الوظيفية للمبنى الواحد أيا كان نوع ذلك المبنى . ولو ضربنا «ال» مثلا لتعدد المعنى الوظيفى بين الجنس والعهد والربط والموصولية، فلربما وجدناها تدل على الجنس فى كل آية قرآنية ورد فيها لفظ الإنسان والإنس، ويترد ذلك لها فى كل اسم جنس جمعى لا واحد له من لفظه، كالنساء والإبل والناس ونحوها، ولوجدناها تدل على العهد فى كل ما هو معروف معرفة تشيع بين المتكلم والسامع، إما لسبق ذكره من لدن المتكلم وسبق سماعه من لدن السامع، وإما لارتباطه فى الذهن باهتمام خاص، بحيث إذا اقترن بأل تحدد لدى السامع قصد المتكلم إياه دون غيره. وقد نجد دلالة «ال» تتنوع فى الآية الواحدة بين العهد والجنس، كما فى قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾

(المائدة ٤٨)، فالكتاب الأول معهود وهو القرآن بقرينة قوله: «إليك» وأما الكتاب الثانى فالمقصود به كل كتاب سابق على القرآن الكريم، وقد تدل «ال» على هذا المعنى تارة وعلى المعنى الآخر تارة أخرى، ولكن هذه الدلالة يكشفها أو يخملها ما يحيط بها من وصف؛ لأن ما جاء به الوصف من الإيضاح جعل دلالة «ال» أقل شانا مما كانت، كما فى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (النساء ١٣٦)، فالكتاب الأول هو القرآن بقرينة الوصف لأن الوصف قلل من الاعتماد على دلالة «ال»، والكتاب الثانى هو كل الكتب المنزلة قبل القرآن، وذلك بقرينة الوصف أيضا.

أما دلالة «ال» على الموصولية فتتحقق عند اقترانها بالوصف، لأن الوصف مشتق (ولكن ذلك يعد من قبيل النقل، وهو شعبة خاصة من تعدد المعنى)، فإذا اقترن الوصف بأل صلح أن يحل محله الذى أو التى ومع كل منهما فعل من مادة الوصف المقترن بأل، فالمؤمن هو الذى آمن والكافر هو الذى كفر، والمقتول هو الذى قُتل (مبنيًا للمجهول)، والكريم هو الذى كُرم وهكذا ويبقى لها فى هذه الحالة عموم الدلالة الذى تتسم به الموصولات فتقرب بالموصولية من معنى الجنس، أى أن المؤمن كل من آمن والكافر كل من كفر، أو خصوص الدلالة الذى فى الوصف فتقرب بها

من معنى العهد، إذ يكون المؤمن أحياناً هو الذى ذكر منذ قليل أو هو المعهود بين المتكلم سبحانه وبين السامع. فمن عموم دلالتها قوله تعالى: أ (البقرة ٢٨٥)، وقوله ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (آل عمران ١٦٠)، أى كل المؤمنين فى جميع العصور، ومن خصوص دلالتها قوله جل شأنه ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (الأنفال ٧٤) فالمؤمنون هنا هم من شارك فى غزوة بدر من المهاجرين والأنصار، فكأن الآية تقول: «المؤمنون المهاجرون المجاهدون فى سبيل الله ومعهم الأنصار هم المؤمنون حقاً».

وقد تدل «ال» على الربط فتكون قريبة من الضمير فى المعنى، لأن الضمير يصلح أن يحل محلها عندئذ، وقد يقربها ذلك من معنى العهد، وإن لم تكن دلالتها خالصة له. انظر إلى وقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴾ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿ (النازعات ٣٧ - ٤١) فالمعنى فى الحالتين «هى مأواه» بإحلال الضمير محل «ال». وتأتى فكرة قربها من العهد من احتمال المعنى أن يكون «هى المأوى الذى تعرفونه»، لأن الذهن يجعل الجحيم عقوبة العصيان ويجعل الجنة جزاء التقوى ولايسمح العقل بعكس ذلك.

ولقد سبقت الإشارة فى المقدمة إلى تعدد معانى «إن» مكسورة الهمزة إذ كنا بصدد الكلام عن قرينة السياق. وفى القرآن الكريم ترد «إن» بأحد معانيها تارة، وبالمعنى الآخر تارة أخرى؛ فمن شواهد دلالتها على النفى قوله تعالى: ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا ﴾ (النساء ١١٧) وقرينة دلالتها على النفى أمران هما الإعراب والتضام: أما الإعراب فذلك لشبوت النون، وأما التضام فهو لورود «إلا» مصاحبة لها. ومثله

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ (الأنعام ٢٦). ومن شواهد دلالتها على النفي أيضًا ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ (إبراهيم ٤٦). وقرينة دلالتها على النفي كسر اللام في «لتزول» وذلك يعنى أنها لام الجحود التي تأتي بعد كون منفي، ولو فتحت هذه اللام لكانت «إن» معها مخففة من الثقلة، ولتغير المعنى العام من النفي إلى تأكيد الخير كالذي نجد في قوله تعالى: ﴿ إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا ﴾ (الفرقان ٤٢)، وكذلك ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾ (القلم ٥١)، وكذلك ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ (البقرة ١٤٣)، وكذلك ﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ (يوسف ٣). أما دلالتها على الشرط فذلك معظم ما تكونه في القرآن الكريم، وقرينتها دائما الجواب مذكورا كان أم مفسرا بما سبفها، وكذلك يدل عليها الرابط (إذا أو الإشارة أو الفاء) حين لا يصلح جوابها أن يكون شرطا لها. ومن شواهد إن الشرطية قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة ٩٤).

فقرينة شرطيتها الجواب ثم اقترانه بالفاء الرابطة، ومثله ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾ (البقرة ٢٣)، وكذلك ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ﴾ (البقرة ١٣٧). وقد يحذف جوابها اتكالا على دلالة جواب القسم الذي أغنى عنه، وذلك عندما يتقدم عليها ما يدل على القسم نحو قوله تعالى: ﴿ لَنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾، وكذلك ﴿ لَنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَنْ نَّصُرَهُمْ لِيُوَلِّنَ الْأُتْرَاقَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴾ (الحشر ١٢).

* - ويتعدد معنى «ما» بين النفى والاستفهام والمصدرية والشرطية والزيادة وغير ذلك . فمن شواهد دلالتها على النفى قوله تعالى : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ (الكهف ٨٢) وقرينة ذلك السياق الذى وردت به، وقوله جل شأنه ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَتَّبِعُونَ ﴾ (الأنبياء ٦٥) لأن الأصنام لاتنطق، أما فى قوله تعالى : ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴾ (الشعراء ٢٠٧) فالأولى نافية والثانية مصدرية . ولما كان المصدر فارغا من معنى الزمن فقد جاءت «كان» لإضافة هذا المعنى إليه . فلو سبكتا المصدر من «ما» وما بعدها للزمن أن نقابل «كان» بلفظ المصدر «سَبَقَ» وأن نقول إن تأويل المصدر «ما أغنى عنهم سبق تمتعهم» . وهى دالة على الاستفهام فى آيات كريمة مثل ﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ (طه ١٧) بقرينة الجواب الذى يلى ذلك مباشرة، وقوله تعالى : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتُمْ ﴾ (النساء ١٤٧) وقوله تبارك اسمه : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ (المائدة ٨٤) أى ما الذى يبرر لنا ذلك ونحن فى هذه الحال، وذلك أولى من جعلها نافية مع تقدير «أن» محذوفة، بمعنى «وليس لنا ألا نؤمن» لأن ما لايحتاج إلى تقدير أولى، ويقال مثل ذلك فى ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ (يس ٢٢) . ومن شواهد دلالتها على المصدرية قاله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ (يوسف ٣) أى بواسطة إيحائنا إليك، وكذلك ﴿ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ (يوسف ٨٠) وهى هنا تحتل الزيادة للتأكيد أيضا ولكن المصدرية أوضح . ومن ذلك أيضا ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ (الرعد ٨) وقرينة المصدرية فى الأولى أن الثانية والثالثة لا تصلحان لغيرها فيكون طرد المعنى فى الثلاث أولى . ومن ذلك ﴿ قَالَ لَا

تَوَاخَذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴿ (الكهف ٧٣) وكذلك ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿ (الحجر ٣٩) أى بسبب إغوائك إياي، ومنه ﴿ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ (يس ٦٤) أى سبب سبق كفركم، ومن شواهد دلالتها على الشرطية ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴿ (سبا ٣٩)، وكذلك ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴿ (الشورى ١٠) وقوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴿ (البقرة ١٠٦) وقرينة ذلك هو الجواب والرابط فى الشاهدين الأولين وجزم فعلى الشرط والجواب فى الشاهد الثالث. أما زيادة «ما» فى القرآن فيكثر فيها أن تقترن ما الزائدة بأن الشرطية نحو ﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿ (الرعد ٤٠) وكذلك ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴿ (فصلت ٣٦) وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا نَذَبْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿ (الزخرف ٤١)، ويبقى بعد ذلك دلالة «ما» على الموصولية، ولكن ذلك شعبة خاصة من تعدد المعنى تسمى شعبة «النقل» لأنها تخرج عندئذ من الحرفية إلى الموصولية كما خرجت «ال» فى حديثنا عنها منذ قليل.

* - وتتعدد معانى «لا» من النفى إلى الدعاء إلى النهى إلى الزيادة، وقد يكون النفى بها نفى جنس فتختص بالاسم النكرة الدال على الجنس فيبنى معها على الفتح نحو ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿ (الشعراء ٥٠) ويرفع اسمها إذا تكررت نحو ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿ (الصفات ٤٧) أو نفت المفرد، وقد تكون حرف جواب فتغنى عن جملة الجواب، أو تقترن بها، معطوفة على «ما» نحو ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ﴿ (يونس ١٦) ومكانها فى هذه الآية رائع، لأن تكرار «ما» سيجعل الجملة المعطوفة ملبسة لتشابهها مع التعجب.. إذ تصبح الجملة مع التكرار «وما أدراكم به»، ومن عطفها على «ما»: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ

يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴿ آل عمران ٦٧ ﴾، فإذا جاء بعدها الفعل الماضي دلت على الدعاء نحو ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ (البلد ١١) على أحد الفهمين، إلا إذا تكررت معه فإنها عندئذ تصلح أيضا للنفي المحض نحو ﴿ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ (القيامة ٣١ - ٣٢). أما دلالتها على النهي فعند اقترانها بالمضارع المجزوم نحو ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ (الضحى ٩ - ١٠)، وكذلك ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (البقرة ٢٢٤). وزيادتها على ضروريات التركيب النحوى دون المعنى المقصود ثابتة وواردة فى القرآن. وحين نقول إنها زائد لانقول إنها زائدة على نص القرآن (حاشا لله)، وإنما تنسب زيادتها إلى النحو الذى لا بد من رعايته فى تحليل النص القرآنى. وقد قامت القرائن على زيادتها، كما فى نحو ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (الواقعة ٧٥ - ٧٦) إذ لو لم تكن «لا» زائد لأصبحت نافية ولوقع التناقض من عبارة «وإنه لقسم». ومن ذلك أيضا ﴿ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (الحديد ٢٩) وإنما عددنا كل ماسبق من قبيل تعدد المعنى لامن قبيل النقل لأن «لا» فى دلالتها على كل واحد من هذه المعانى ظلت باقية على حرفيتها فى حيز قسمها من أقسام الكلم ولم تنقل إلى غيره.

ومما لاجدال فى أنه زيادة للتأكيد ما فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ (فاطر ١٩ - ٢٢) والثلاث الزوائد هنا هن الداخلات على النور والحرور والأموات لأن المعنى بغير الزيادة هنا يمكن أن يكتفى بواو العطف المجردة، وكذلك: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ (فصلت ٣٤). وفرق بين قرينة القول

زيادة اللام هنا وقرينة القول بزيادة الواو فى قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾ (هود ٢٤) إذ تتضح زيادة الواو هنا بقوله تعالى بعد ذلك: ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ ولولا ذلك لجاز القول بأصالتها كما يتضح لو وضعنا المعنى فى جملة من مبتدأ وخبر، فيجوز أن تقول: زيد أعمى أصم أو زيد أعمى وأصم، وكذلك: عمرو بصير سميع، وعمرو بصير وسميع والفرق بين العطف فى آيات فاطر وبينه فى آية هود أن الأول عطف لمفاهيم مستقاة، والثانى عطف لصفات قد تجتمع فى شخص واحد، ولا اعتراض لوقلنا زيد لابصير ولا سميع، ولكن الاعتراض بدعوى الزيادة يرد على قولنا: لم يعقد نكاح زيد ولا هند ولا بكر ولا سعاد. أى نكاح زيد وهند ونكاح بكر وسعاد، والفرق بين الأمرين فرق ما بين عطف الذوات وعطف الصفات.

* - أما وقد ذكرنا الواو فإننا نود أن نشير أيضا إلى تعدد معناها الوظيفى . . إذ تكون للاستئناف أو عاطفة لمطلق الجمع أو للمعية أو المصاحبة أو الحالية أو القسم أو الزيادة، إلخ . . فأما الاستئناف فنحو قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٤٤) وقرينة دلالتها على الاستئناف أنها مسبوقه بالخبر متلوة بالطلب لأن قبلها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة ٢٤٣)، وتدل على عطف المفرد نحو ﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَوَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ (البقرة ١٥٨) والجملة الخبرية على الجملة الخبرية نحو ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَاوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ (البقرة ١٦٠) وجملة الإنشاء على جملة الإنشاء نحو ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ﴾ (البقرة ١٦٨) والإنشاء على الخبر نحو ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾ (البقرة ١٨٥)*، ودلالتها على المعية كقوله تعالى:

(*) هناك احتمال آخر هو كون اللام فى «لتكملوا» مصدرية (أى أن تكملوا) لوقوعها بعد فعل الإرادة (يريد الله) على مثال «يريد الله ليبين لكم» وعندئذ يكون العطف على لفظ «اليسر».

﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ ﴾ (الأعراف ١٢٧) وقوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ (المدثر ١١) وكذلك ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ (يونس ٧١)، ويحتمل المصاحبة كما يحتمل العطف نحو قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتْلِفَنَّ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (يونس ٧٨) والفرق بين المعنيين أن كون الكبرياء لهما هو على العطف علة المجيء، وعلى المصاحبة مصاحب للفتهم عن آلهتهم. وأما الحالية فنحو ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ (النساء ٤٣) وقوله تعالى: ﴿ لِيُؤَسِّفُوا وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عَصَبَةٌ ﴾ (يوسف ٨) أى أن حبه لهما وهما أثنان أشد من حبه لنا ونحن جماعة. وهذا هو الذى كان فى رأيهم ضلالا مبينا وكذلك ﴿ وَلَمْ يَصِرُوا عَلَيَّ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران ١٣٥) وأيضا ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ (الصفوات ١٢). وأما دلالتها على القسم فوجدتها فى فواتح كثير من قصار السور كالفجر وكالشمس وضحاها والسماء والطارق والقلم وما يسطرون والتين والزيتون وهذا البلد الأمين والضحى والليل، إلخ. ومن زيادتها ما فى قوله تعالى: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ (آل عمران ١٤٠) أى أن علة مداولة الأيام بين الناس إرادة الله أن يعلم الذين آمنوا ويتخذ من المؤمنين شهداء، وليمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين، فتقدير الكلام ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا لِيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾ وكذلك ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (آل عمران ١٥٤) أى لبرزوا ليبتلنى وليمحص، وأيضا قوله: ﴿ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام ٥٥) أى نفصلها لتستبين، ومن ذلك ﴿ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤَقِّينَ ﴿ (الأنعام ٧٥)، ومنه: ﴿ وَكَذَلِكَ نُنصِرُ الْآيَاتِ وَيَقُولُوا
 دَرَسْتَ ﴾ (الأنعام ١٠٥) وقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾
 (الأعراف ١٧٤) ، وأيضا: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا
 جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (الزمر ٧٣) ولا مفر من تقدير زيادة إحدى الواوين فى
 قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴾
 (يوسف ١٥) فيما أن يكون المعنى «فلما ذهبوا أجمعوا وأحينا» وإما أن يكون «فلما
 ذهبوا وأجمعوا أوحينا» ومثله " ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ
 (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا ﴾ (الصفات ١٠٣ - ١٠٥) وأيضا ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ
 وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ ﴾ (آل عمران ١٥٢)، وكذلك ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ
 الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ
 عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ (التوبة ١١٨) وقد يفهم ذلك على زيادة «ثم» لا الواو ونظير ذلك ما
 سنشير إليه فى معرض الكلام عن الحذف من ضرورة تقدير الفاء العاطفة فى أحد
 موضعين من قوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا
 أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا ﴾ (التوبة ٩٢) فيما أن يكون المعنى «إذا ما أتوك فقلت تولوا» وإما
 أن يكون «إذا ما أتوك قلت فتولوا» أى أن العطف هنا إما أن يكون على الشرط أو
 على الجواب.

* - أجدنى عند هذه النقطة قد عنيت بتعدد معانى الحروف فقط وقد ذكرت منها
 معانى ال وإن وما ولا والواو، وحسب ذلك أن يسد حاجة الموضوع إلى الإيضاح
 بالنسبة للحروف. وأرانى الآن مدفوعا إلى بيان مماثل لتعدد المعانى بالنسبة للضمائر،
 وأقصد بها ضمائر الأشخاص والموصولات والإشارات. فأما ضمير الشخص فقد
 يكون لمجرد الكناية عن الإسم أو الوصف وشرط الإضمار هنا أن تتحقق المطابقة
 لفظا ومعنى، وإذا لم تتحقق فى أحد الجانبين أو كليهما امتنع الإضمار، فإذا

تحققت المطابقة فيهما، فذلك نحو قوله تعالى: ﴿وظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ (ص ٢٤) أى فتنا داود المذكور، وإذا تمت المطابقة فى المعنى دون اللفظ وجب الإظهار نحو: ﴿وَإِنْ نَكُنُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ (التوبة ١٢) أى فقاتلوهم، وكذلك إذا تمت المطابقة فى اللفظ دون القصد، كما فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ (آل عمران ١٧٣)، فالناس الأولون غير الناس الآخرين. ولكن الموضع المناسب لتطبيق ظاهرة الإضمار إنما يأتى تحت عنوان الربط فيما بعد. أما الآن نحسبنا أن نعدد معانى ضمير الشخص، فمن ذلك أن يكون الضمير للشأن فيتقدم على جملته التى هى مرجعه فيعود على متأخر لفظا ورتبة وربما طابق فى التذكير والتأنيث ما تشتمل عليه الجملة من اسم ولكنه يأتى للمفرد كقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس ١٧) وقوله جل شأنه ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ (الحج ٤٦)، إذ جاء الضمير فى الآية الأولى مذكرا لمطابقة المجرمين وفى الثانية مؤنثا لمطابقة الأبصار. وقد يكون الضمير فصلا يساق أحيانا لرفع لیس ممكن وأحيانا أخرى لتأكيد الإسناد فمن سوجه لأمن اللبس قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة ٢٥٤) فلولا وجود الضمير بين «الكافرون» وخبرها لصلح لفظ «الكافرون» أن يكون معطوفاً على «يوم» ليكون المعنى «من قبل أن يأتى يوم ويأتى الكافرون الظالمون، ولاشك أن الكافرين الظالمين سيأتون هذا الإتيان مع حلول يوم القيامة، وهكذا يأتى الضمير بحيث يمكن أن يفوم التركيب فلا وظيفة له ولا معنى إلا أن يكون مؤكداً كما فى (التوبة ١٠٤) ونحو: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة ٣٢)، وكذلك ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة ٣٧)، وأيضاً ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ﴾ (القصص ٤٩). وقد يتطلب المعنى من التأكيد ما يدعو إلى تكرار الضمير فى جملة واحدة كما فى قوله جل شأنه ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (النمل ٣) إذ يتم

التركيب مع حذف الضميرين معا لوقيل ﴿ وَبِالْآخِرَةِ يُؤْفُونَ ﴾ أما فى قوله بعد ذلك ﴿ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ (النمل ٥) فحاجة التركيب إلى الضمير الثانى أشد من حاجته إلى الأول، إذ إن عبارة «وبالآخرة هم الأخسرون» أقوى نحويا من عبارة «وهم بالآخرة الأخسرون» لما فى العبارة الأخيرة من فصل بالجار والمجرور بين المبتدأ والخبر ولا فصل بينهما فى الأولى.

أما الموصول فدلالته دائما على الغيبة سواء أكان مختصا أم مشتركا من الناحية العددية أى سواء أكان دالا على الأفراد أم الثنية أم الجمع ومع كل من ذلك على التذكير أم على التأنيث، أم مشتركا من حيث العدد والنوع، ولكنه مختص من حيث العاقل وعدمه. ومع دلالة الدائمة على الغيبة يساق فى ابتداء الجملة لإفادة العموم وتفادى التخصيص نحو ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة ٣٩)، وقد يتقدم جملة الخبر فينزع عنها الخبرية ويجعلها صلة له نحو ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ ﴾ (البقرة ١٦)، وقد يتقدم جملة الحال ليصير بواسطتها نعتا لما قبله ويجعلها صلة له أيضا كما فى قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ (الأعراف ١٥٧). إذ نرى جملة يجدونه لوحذف الموصول قبلها لكانت جملة حالية (أو خبرية وهو غير مراد) غير أن إيراد الموصول قوى المعنى لأن وصف الرسول بأنه مكتوب فى التوراة فعلا أقوى من دعوى ملاسة وجوده مكتوبا لاتباعهم إياه وارتھانه بهذا الاتباع.

وقد يدل الموصول فى ابتداء الجملة على توقف الخبر على المبتدأ فيكون خبره من الأحكام النحوية ما لجواب الشرط، وهذا هو الذى يسميه النحاة «الإخبار بالذى والألف واللام» فتقترن الفاء بالخبر فى مواضع اقترانها بجواب الشرط تعبيرا عن قوة الشبه بين هذا الموصول وبين «من» الشرطية لما بين معنى التوقف الذى فى الموصول ومعنى التوقف الذى فى الشرط من قوة الشبه، وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ

الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ ﴿ (النساء ١٥) وقوله ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ (النور ٣٣) فالاستشهاد فى آية النساء متوقف على إتيان الفاحشة وفى آية النور متوقف على طلب المكاتبه، والتوقف هو عطاء الضمير الموصول الذى أعطاه لمعنى الجملة، أما ضمير الإشارة فمعناه الدائم هو الحضور، ولكن دلالاته تختلف تذكيرا وتأنيثا، كما تضيف إليه اللام وعدمها معنى القرب والبعد وتحتل بنيته تقدم «ها» التنبيه عليه لا صقة به أو منفصلة عنه بضمير الشخص فيقال هانذا وهأت ذى وهأتماذان وهأتتم أولاء، كما يقال هذا وهذى وهذان وهؤلاء وقد تصرف التركيب القرآنى فى ذلك بعض التصرف وبخاصة فى «هأتتم أولاء» إذا أعطى «ها» التنبيه من تباين الرتبة ومن الإثبات والحذف ما يتضح فى الآيات الآتية:

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (آل عمران ٦٦).

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (النساء ١٠٩).

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ (آل عمران ١١٩).

﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (البقرة ٨٥).

﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَىٰ أَتْرَىٰ ﴾ (طه ٨٤).

وكل ذلك يعد تصرفا أسلوبيا فى النمط التركيبى (ها + ضمير الشخص + الإشارة) الذى يعد بدوره فرعا على نمط آخر هو (ها + ضمير الإشارة) وهو يعد صورة مؤكدة من الإشارة المجردة، وذلك بإضافة «ها» التنبيه إليها، ومن المعانى التى تنسب إلى الإشارة الربط بين عناصر الجملة، كما فى قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الإعراف ٢٦) وقوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (البقرة ٣٩)، وكذل ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ (البقرة ١٦١). ليس هذا فحسب. وإنما يستعمل ضمير الإشارة استعمال ضمير الشأن

فيدخل على جملة تامة التركيب يتضح بها المضمون الذى أشير إليه بضمير الإشارة، فكأن الإشارة للشأن تشير إلى متأخر لفظا ورتبة كما يعود الضمير على متأخر، وإليك الآيات الآتية:

﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ ﴾ (فصلت ٢٨).

﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا ﴾ (الكهف ١٠٦).

﴿ ذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴾ (فصلت ٢٣).

﴿ ذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ (الشورى ١٠).

﴿ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ﴾ (فاطر ١٣).

﴿ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (الزمر ٦).

﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ (يونس ٣٢).

﴿ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام ١٠٢).

﴿ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ (يونس ٣).

﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ (ص ٦٤).

ولو أنك وضعت «إنه» فى موضع الإشارة فى كل ماسبق لتحقق المعنى نفسه بواسطة ضمير الشخص الدال على الشأن ولا فرق عندى بين ذلك وبين تراكيب أخرى تشبهه يستعمل فيها ضمير الشخص مثل:

﴿ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾ (البقرية ٨٥).

﴿ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ

يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ (لقمان ١٦).

﴿ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ (طه ٧٤).

عندما قسمت الكلم فى كتابى «اللغة العربية: معناها ومبناها»* الذى صدر لأول مرة عام ١٩٧٣ جعلت الظروف قسما قائما بذاته من أقسام الكلم وفرقت بين الظروف الأصلية والظروف المنقولة إلى الطرفية من أقسام أخرى من الكلم. وعددت من الظروف الأصلية إذ وإذا ولما وأيا ومتى للزمان وجعلت للمكان أين وأنى وحيث. وهذه الظروف جميعا غير متصرفة ولا مشتقة وإنما هى جوامد راسخة القدم فى حقلى الافتقار والرتبة المحفوظة، ومن ثم هى كلمات تركيبية ذوات معانٍ وظيفية غير معجمية. أما ماعداها مما يؤدى وظيفة الطرفية، فإنه يؤديها بواسطة النقل من أقسام الكلم الأخرى، فإذا نظرنا إلى تعدد المعانى الوظيفية لهذه الظروف وجدنا ظروف الزمان تختلف فى دلالتها على الزمن الماضى والمستقبل والمطلق ووجدنا «إذ» تدل على الغائية (أى التعليل)، كما فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (البقرة ١٣٠، ١٣١)، وقوله: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَسْقُوقُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ (الأحقاف ١١) على أن التركيب القرآنى استعمل «إذ» للاستفتاح المشرب بالتأكيد فأعطاهم موضوع «ألا» الاستفتاحية ومعنى «لَقَدْ» المؤكدة وقد صادفتها كذلك فى أكثر من ثلاثين موضعا فى القرآن فهى ليست ظرفية ولا متعلقة بمشتق على نحو ما تتعلق الظروف ولا وظيفة لها إلا الاستفتاح والتأكيد نحو ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة ٣٠) ونحو ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ (البقرة ٩٣) وقوله ﴿ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ (البقرة ١٢٤) وكذلك ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا ﴾ (البقرة ١٢٥) وكذلك ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (البقرة ١٢٦)، وأيضا ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾

(*) ص ٨٦ وما بعدها من ذلك الكتاب..

(البقرة ١٢٧)، وكذلك ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِزْ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾ (الأنعام ٧٤) وقوله ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم ٧) وقوله ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ (الإسراء ٦١) فلو وضعت «لقد» موضع «إذ» فى كل آية مما سبق لوجدت المعنى هو المطلوب ولا حاجة بنا إلى فعل محذوف وجوبا تقديره «اذكروا» لنعلق به «إذ» فى أى من هذه الآيات. لأن ما دخلت عليه «إذ» فى هذه الآيات لا يقع فى مجال التذکر، كما نرى فى قوله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم أو إنى جاعل فى الأرض خليفة وأقوال إبراهيم وأفعاله إلخ. لأن المخاطبين لم يكونوا شهودا فى هذه المناسبات ولا رأوا هذه الأحداث حتى يطالبوا بالتذکر وسرى عند الكلام فى ظاهرة «النقل» أن أغلب الظروف المذكورة ينقل إلى قسم الحرف ليكون أدوات للشرط أو الاستفهام مع استصحاب صورته كما فى متى وأيان أو إلحاق ما الشرطية بها، كما فى إذ ما، وحيثما إلخ، كما نلاحظ أن «إذا» قد تتمحض للظرفية، كما فى قوله تعالى: ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ (التوبة ٩٤) أى «عند رجوعكم» وليس المعنى «بشرط رجوعكم» كما تكون رابطة ومعناها المفاجأة، كما فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (يونس ٢٣) وقد اجتمعت الظرفية والرابطة فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضِرَاءٍ مَّسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾ (يونس ٢١).

وقد تنون «إذا» فىكون لها أحد معنيين إما الجوابية كما فى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَن تَبْتَأَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ (٧٤) إِذَا لَأَذُقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ (الإسراء ٧٤، ٧٥) أى ولو ركنت إليهم إذا لا ذقناك. وإما الظرفية فىكون معناها «عند ذلك» كما فى قوله تعالى ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام ٥٦). وقد تنون «إذ» تنوين عوض عن الجملة التى تفتقر إليها

«إِذْ» وتكون «إِذْ» فى هذه الحالة مضافة إلى ظرف زمان قبلها كحين وعند ويوم وساعة إلخ. ويكسر آخرها مع التنوين للفرق بينها وبين «إِذَا» ولا بد عندئذ من دليل الحذف، كما فى قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ (الواقعة ٨٣) أى وأنتم (حين إذ بلغت الحلقوم) تنظرون. فدليل الحذف هو جملة «بلغت الحلقوم» المذكورة فى الآية. وأما متى فقد ورد عن بعض العرب استعمالها حرف جر على معنى ابتداء الغاية، ولكنها لم ترد كذلك فى القرآن الكريم.

وتتعدد كذلك معانى الصيغ الصرفية سواء أكانت هذه الصيغ ثلاثية أم أكثر من ثلاثة. فأما الثلاثية غير الفعلية فإنها شركة بين الأسماء والصفات، ولو أننا تجاهلنا الإعراب الذى يطرأ على صفة «فاعل» لقلنا إن بعض صيغ الصفات مشتركة بينها وبين الأفعال، كما فى نحو «قاتل» للفاعل ولفعل الأمر، بل إنها فى بعض صورها لا يحدّد معناها إلا إعراب كلمة أخرى فى حيزها كما فى «قاتلوا زيداً» و«قاتلو زيد» فلا يدرى معنى «قاتلو» منطوقاً بإفراده ولا يستبين إلا بإعراب زيد بعده، فإن كان زيد منصوباً، فالذى قبله فعل أمر وإن جر فالذى قبله جمع مذكر سالم مضاف. ومن ذلك تعدد معانى «استفعل» بين الطلب نحو ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ (نوح ١٠) والضرورة نحو ﴿ وَلَقَدْ رَأَوْدَتْهُ عَنِ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ ﴾ (يوسف ٣٢) واعتقاد الشيء على صفة نحو ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴾ (إبراهيم ٣) أى يفضلونها ويرونها أجدر بالحب من الآخرة، والمطاوعة نحو ﴿ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ (الجن ١٦) وقوة العيب نحو ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف ١٣٣) ومن ذلك تعدد معانى صيغة «فعال» بكسر الفاء بحيث تكون اسماً حيناً نحو «سراج» كما فى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ (الفرقان ٦١) ومصدراً حيناً آخر نحو ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾ (البقرة ٢١٦) وقد يصلح اللفظ للمعنيين فلا يتعين معناه إلا بالقرينة نحو: ﴿ يَا بَنِي

آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴿
 (الأعراف ٢٦) فاللباس الأول اسم يدل على الكسوة بقريئة مواراة السواة واللباس
 الثانى مصدر يدل على الملابس والمخالطة والارتباط بقريئة أن التقوى ليس لها
 ملابس خاصة بها وهذا أيضا معنى قوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ
 لَّهُنَّ ﴾ (البقرة ١٨٧) وكذلك ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ (النحل ١١٢) وهذا
 شبيه باختلاف المعنى واتحاد اللفظ فى قوله تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ
 إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ (التوبة ٩٥) أى لتكفوا أيديكم عنهم
 فقاطعوهم، ومثل هذا من حيث عدم تعين المعنى إلا بالقريئة لفظ «الكتاب» الذى قد
 يقصد به النص المكتوب نحو ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة ٢) وكذلك
 ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ (البقرة ٤٤) وقد
 يقصد به الكتابة بالقلم نحو ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾
 (البقرة ٧٨) وقوله: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ (النبا ٢٩) أى كتابة وقد يقصد به
 مكاتبة العبد على مال يحصل به على الحرية نحو ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا
 مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ (النور ٣٣) فقريئة الآية الثانية من
 البقرة الإشارة والرابعة والأربعين التلاوة والثامنة والسبعين الأمية وقريئة آية النور قوله
 «فكاتبوهم». وأما صيغة «فَاعَلَّ» بالبناء على الفتح فقد يكون معناها «أَفْعَلَّ» بالبناء
 على الفتح أيضا نحو ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (آل عمران ١٣٣) وقد تكون
 بمعنى المشاركة نحو ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ (الصفافات ١٤١) ونحو ﴿ وَلَا تَجَادِلُوا
 أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت ٤٦) وقد يكون بمعنى «فَعَلَّ» بالبناء على
 الفتح نحو ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ ﴾ (سبا ١٧) وأما صيغة (أَفْعَلَّ) معربة فقد تكون

للظرفية نحو ﴿ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ (الأنفال ٤٢) وقد تكون صفة مشبهة نحو ﴿ إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ (الكوثر ٣) ونحو ﴿ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (الأعلى ١) وصيغة فعيل قد تكون اسما نحو ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (فاطر ٣٣) وقد تكون صفة مبالغة نحو ﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ (الأعراف ١٠٥) وقد تكون صفة مشبهة نحو ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الصف ١) وقد تكون مصدرا نحو ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء ١٠٢) ويتعدد كذلك معنى صيغة «فاعل» الدالة على الوصف فتكون اسم فاعل حينما كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ (يونس ١٢) فالمعنى هنا على الحدوث والتجدد لأن الإنسان لا يتكىء دائما ولا يقعد ولا يجلس إلا ريثما يتحول عن هيئته ووضعه.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَنِعْمَةَ كَانُوا فِيهَا فَآكِهِنَّ ﴾ (الدخان ٢٧) وقوله ﴿ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ (الأحقاف ٢٤) وكذلك ﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴾ (٥٤) ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ (الواقعة ٥٤، ٥٥) ونحو ﴿ وَلَيَكْتُبَنَّكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ (البقرة ٢٨٢). وتكون صفة مشبهة إذا دلت على الدوام والثبوت كما في قوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (٦٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿ (الجن ٢٦، ٢٧) وقوله ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ (الأنعام ٦١) وقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ (الأنعام ٩٥) وكذلك ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ (الأنعام ٩٦) ولكنها قد تكون كذلك اسما بواسطة النقل نحو ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ (الأنعام ٣٨) ومن هذا القبيل الأخير كل ما كان على وزن «فاعل» من أسماء الله الحسنى. وصيغة «فعل» بسكون العين يتعدد معناها ما بين المصدر كلفظ «الحمد» في قوله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (فاتحة الكتاب) والصفة المشبهة كما فى لفظ «رب» فى هذه الآية نفسها، والاسم نحو ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا﴾ (غافر ٣٦). فأنت ترى من ذلك أنه قل أن تجد فى اللغة مبنى لا يتعدد معناه الوظيفى بحسب الوضع لأن هذا التعدد لا مفر منه إذا أريد للغة أن تفى بمطالب التعبير عما لا حصر له من المعانى.

* * *

لقد ذكرنا أن ما سبق من تعدد المعنى الوظيفى قد جاء بحسب الوضع. ولكن هناك تعدداً آخر يأتى بحسب «النقل»، وظاهرة النقل أوسع فى اللغة مما قد يظن البعض، لقد اعترف النحاة بالنقل تحت أسماء مختلفة فعرفوه باسم «النقل» فى بعض المواضع وباسم «التحويل» فى مواضع أخرى وباسم «النيابة» فى مواضع تختلف عما تقدم وربما أدخلوا بعض ظواهره تحت أسماء غير ذلك، اعترف النحاة بظاهرة النقل بكلامهم عن العلم المنقول واسم الفاعل أو الحال اللذين أغنيا عن الخبر وفى «يا» النداء التى سدّت مسد أدعو وفى الظروف المتصرفه التى قالوا إنها تخرج عن الظرفية إلى معانٍ أخرى وفى نيابة بعض الحروف عن بعض ونيابة كل وبعض ونحوهما عن المفعول المطلق وفى «ما» التعجبية التى قولوا إنها هى الاستفهامية غير أنها أشربت معنى التعجب بل إنهم تخطوا نقل المبانى إلى القول فى نفس المعانى فقالوا بالنيابة عن الفاعل وبالتحويل التمييز من الفاعل أو من المفعول ثم قالوا بتحويل التركيب إلى مبنى بعينه حين قالوا بالمصدر المؤول اتكالا على خلو هذا التركيب (كخلو المصدر) من فكرتى الوقوع والزمن إذ يدل كلاهما على حدث بلا وقوع ولا زمن، وربما حال بين النحاة وبين جمع أطراف هذه الظاهرة تحت عنوان واحد أنّ تقسيمهم للكلم لم يكن يسمح بغير ما فعلوا إذ كان تقسيماً ثلاثياً جمع تحت عباءة كل قسم منه طوائف من الكلمات تختلف معنى ومبنى فجعل الصفات والضمائر والظروف وبعض الخوالف من قبيل الأسماء وجعل تراكيب المدح والذم والتعجب والنواسخ الخالية من معنى الحدث من قبيل الأفعال وترك كل ما عدا ذلك ليكون من الحروف، فإذا علمنا أن فكرة النقل تعنى بالضرورة انسلاخ اللفظ من معنى القسم الذى ينتمى إليه إلى

معنى قسم آخر أدركنا أن هذا الانسلاخ لا يمكن ضبطه مع ضيق المجال الذى يتمثل فى هذا التقسيم فكان لابد أن تفرض الظاهرة نفسها على انتباه النحاة ولكن كان لابد أيضا أن يضعوا تطبيقاتها تحت عناوين مختلفة وأن يفلت بعض هذه التطبيقات من قدرتهم العظيمة على الملاحظة وتشقيق المعانى. أما فى ظل تقسيم سباعى كالذى اشتمل عليه كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها^(*))، أو ثمانى يفرد المصدر بقسم خاص (ويفرق بينه وبين بقية الأسماء بصلاحيته للتعدى إلى مفعول والإضافة إلى فاعل أو مفعول وتحمله للزمن بضميمة الظرف)، فإنه يسهل أن تتضح الظاهرة فى سلوك الكلمات فى الجمل وأن يدرك أولو القدرة على الملاحظة أن تطبيقاتها على رغم اختلافها هى من قبيل واحد، هو قبيل «النقل» الوظيفى، وأن يضعوا هذا النقل الوظيفى بإزاء نقل آخر معجمى يسمى المجاز إذ إن تعريف المجاز يجعله «نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر لم يكن له بأصل الوضع وذلك لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي»، وقد سبق أن لاحظنا أن ظاهرة «النقل» الوظيفى إنما هى فرع على تعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد.

دع تقسيم الكلم إذاً يكن إلى اسم - ومصدر^(*) - ووصف - وفعل - وضمير - وظرف - وخالفة وأداة، وارجع فى طلب تبرير هذا التقسيم إلى كتاب (اللغة العربية - معناها ومبناها^(*))، ثم دعنا نركبف يتم النقل من القسم من هذه الأقسام إلى معنى القسم الآخر، وليكن المقصود بالاسم مادل على مسمى معين أو جنس أو بؤدى بالميم دالا على زمان أو مكان أو آلة أو كان من المبهمات كأن يدل على عدد أو وزن أو كيل أو جهة أو وقت أو يكنى به عن شئ مما تقدم وليكن المقصود بالمصدر المصدر الصريح والميمى ومادل على مرة أو هيئة وما يعرف باسم المصدر الصناعى ثم ليكن المقصود بالوصف وصف الفاعل والمفعول والتفضيل والمبالغة والصفة المشبهة ثم إن الفعل ماض ومضارع وأمر والضمير شخصى وموصول وإشارة والظرف ما بنى لزمان أو مكان ولم يكن مشتقا ولا معربا والخالفة ما صيغ للدلالة على

(*) ص ٨٦ وما بعدها.

(*) ص ٨٦ وما بعدها.

(*) جاء المصدر قسما بذاته فى رسالة للدكتوراه تحت إشرافى تقدم بها الطالب العراقى فاضل الساقى بكلية دار العلوم بالقاهرة.

إفصاح إنشائي غير دال على حدث أو زمن كصيغ المدح والذم والتعجب وما يعرف بأسماء الأفعال والأصوات، والأداة مادل على الربط بين أجزاء الجملة إلى جانب دلالات فردية لكل أداة على معنى عام حقه أن يؤدي بالحرف، وذلك كدلالة «من» على ابتداء الغاية و«إلى» على انتهائها و«إلا» على الإخراج والواو على العطف ومطلق الجمع والفاء مثلاً على ربط الجواب بالشرط و«بل» على الإضراب و«أم» على عطف البديل أو ثاني الخيارين إلخ.

فإذ ارتضينا هذا التقسيم تطلعنا إلى معرفة صور مختارة من نقل اللفظ من قسم إلى قسم لنرى كيف يتعدد المعنى الوظيفي للمبنى من خلال النقل. وإليك صوراً مختارة من ذلك:

١ - **نقل الاسم:** من ماثورات النحاة قولهم (وما أصدقهم) إن الخبر وصف للمبتدأ في المعنى والحال وصف لصاحب الحال، ومعنى هذا أن الأصل في الخبر أن يكون أحد الأوصاف الخمسة التي عددناها في الفقرة السابقة حين قسمنا الكلم، ذلك بأن الوصف يحمل جرثومة الحدث بدلالته على موصوف بالحدث وهذا الحدث هو الصالح أن يكون مسنداً بعكس مادل على مسمى لأن المسمى، لايشتمل على الحدث ولا يصلح أن يكون مسنداً، والسبب الثاني أن الوصف يتحمل الضمير ولا يتحملة الاسم. ومع ذلك نرى من الممكن إما عن طريق النقل وإما عن طريق التشبيه البليغ أن الاسم ينقل إلى الوصفية فيتحمل الضمير كما يتحملة الوصف وذلك حين نقول: «زيد رجل» و«زيد رأس القبيلة أو عماد قومه» وقد قبل النحاة ذلك بطريق التأويل بالوصف فقالوا: أي متصف بالرجولة وقالوا أيضاً أي شبيه بالرأس أو بالعماد. ولو قرر النحاة في مثل ذلك أنه نقل للاسم إلى الوصفية ما احتاجوا إلى تأويل، وما قرأنا لهم عبارة مثل قول ابن مالك: «المفرد الجامد فارغ». ومن قبيل نقل الاسم إلى الوصفية في القرآن الكريم ﴿ قَالُوا أَأَتْنِكَ لَأَنْتَ يُونُسُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾ (يوسف ٩٠) ومثله أيضاً قول إخوة يوسف ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ (يوسف ٨) وقول لوط لقومه ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي ﴾ (هود ٧٨) وقول اليهود والنصارى ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ ﴾ (المائدة ١٨) وقوله تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ (البقرة ١٣٤) وقوله جل شأنه

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ (النبا ٣٩) وقوله ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ (المائدة ١١٩).

وكما ينقل الاسم إلى الوصفية ينقل إلى الظرفية فيسمى ظرفا متصرفا وبخاصة ما كان من الأسماء دالاً باشتقاقه على زمان أو مكان كأسماء الزمان والمكان أو دالا من المبهمات بمعناه المفرد على وقت أو جهة كساعة ويوم وعام وسنة وصباح ومساء أو ما أضيف إلى ذلك كعند ولدى وحيال وإزاء وأمام ووراء وجانب وكقبل وبعد ونحوهما حين إضافات إلى الأسماء المبهمة ولست أحصى حالات نقل الأسماء في القرآن إلى الظرفية لكثرتها ولكنني سأقدم إن شاء الله بعض الشواهد على هذا النقل: لقد نظرت في نحو أربعين آية من أوائل سورة البقرة فوجدت الكثير من الأسماء المبهمة، وبخاصة قبل وبعد مجرورا بالحرف، فلم استشهد به على ما نقل إلى الظرفية ولكنني وجدت إلى جانب ذلك شواهد كثيرة منها:

* ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ (البقرة ٨٠).

* ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ (البقرة ٥٨).

* ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ (البقرة ٩١).

* ﴿يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (البقرة ٩٦).

* ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (البقرة ١١٢).

* ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (البقرة ١١٣).

* ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (البقرة ١١٥).

* ﴿وَلَنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

نصير﴾ (البقرة ١٢٠).

وينقل الاسم العلم إلى الوصفية أحيانا كقولنا لمن نمدحه بالفصاحة «أنت سبحان القرن الحاضر» ولكننى لم أعثر على هذا النوع من النقل فى القرآن.

٢ - نقل المصدر: المصدر اسم الحدث حين يبرأ الحدث من الزمن وهذا التعريف فى نظرى أدق من قوله ابن مالك:

المصدر اسم ماسوى الزمان من مدلولى الفعل كأمن من أمن

لأن المصدر له صيغته الخاصة التى تجعله مختلف الصورة والبنية عن ذلك الجزء من معنى الفعل الذى لا صيغة له إلا صيغة الفعل، فعلى الرغم من أن أحد مدلولى الفعل يسمى الحدث فإنه حدث ملابس للزمن وبذلك لا يستقل مفهومه عن الفعل ولا الزمن أما المصدر الذى نعرفه فله مبان خاصة ثم إنه يضاف إلى فاعله ويتعدى إلى مفعوله وله معنى مستقل عن الزمن فلو أردنا إضافة معنى الزمن إليه لكتابحاجة إلى إضافة مايدل على الزمن كالظرف كما فى قولنا «العفو عند المقدرة» وينقل المصدر من الدلالة على الحديث إلى الدلالة على عدة معان أخرى أولها ما أشار إليه النحاة من نقله إلى اسم العلم كفضل وأمل وسعد وحنان وجمال وعتاب وزيد ونحن نجد المصدر المنقول إلى العلمية فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ (الأحزاب ٣٧) ولكن القرآن لم يشتمل على العدد الوفير من أسماء الأعلام من غير أسماء الأنبياء وكلها أعجمى إلا صالحاً ومحمداً وغير أسماء بعض الأماكن كمصر وسيناء ومكة ويثرب وبابل ونحوها وغير أسماء مركبة تركيباً إضافياً كأبى لهب وذى الكفل ومن هنا لا ينبغى أن نطمع فى العثور على شواهد أخرى فى القرآن لنقل المصدر إلى العلمية، وينقل المصدر كذلك إلى الوصفية، ولقد مر بنا قول النحاة إن الحال وصف لصاحب الحال فى المعنى وهذا يجعل الأصل فى الحال أن تكون وصفاً (أى أحد الأوصاف الخمسة التى هى قسم من الكلم متميز) ولكن النحاة جعلوا ذلك هو الغالب فيه ولم يجعلوه الأصل وذلك كما يتضح من قول ابن مالك:

وكونه منتقلاً مشتقاً يغلب لكن ليس مستحقاً

وإذا صح لنا أن نفسر «يغلب» بأنه عكس «يندر» فإننا نستطيع أن نلجأ إلى قولهم «النادر لا حكم له» وأن نجعل الاشتقاق وهو حكم الغالب هو أصل الحال، وإذا كان الأصل في الحال أن يكون وصفاً فإن من غير الأصل أن يكون مصدراً فإذا جاء مصدراً فقد تم نقل هذا المصدر إلى الوصفية حتى يصلح لأن يكون حالاً، ففي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ (البقرة ٢٦٠) التقدير «يأتينك ساعيات» وفي قوله جل شأنه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْاُدْبَارَ ﴾ (الأنفال ١٥) التقدير «لقيتموهم زاحفين» وفي قوله ﴿ وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (الكهف ٧٩) أى غاصبا وينقل المصدر إلى الظرفية كما نقلت الأسماء المبهمة فيكون كما كانت في عرف النحاة ظرفاً متصرفاً وذلك كقوله تعالى (على أحد احتمالين) ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ (الأنعام ٣١) أما الاحتمال الآخر فهو أن تكون «بغته» على معنى الحال أى مباغته ويعززه أن بعض الآيات الأخرى يشتمل على قرينة إرادة الحالية كما في قوله تعالى: ﴿ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (الشعراء ٢٠٢) فكأن قوله «وهم لا يشعرون» وهو جملة حالية تفسير لقوله «بغته» وقرينة على معنى الحال فيها ويقبل في القرآن - فيما أعلم - أن يأتى المصدر على معنى الظرفية ولكن ذلك كثير في غير القرآن ومن نقله إلى الظرف ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ (الطور ٤٩) وينقل المصدر أيضاً إلى معنى الإنشاء سواء أكان الإنشاء طلبياً أم غير طلبى وسواء أكان المصدر مفرداً كقوله تعالى: ﴿ فَبَعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون ٤٤) وقوله ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد ٨) وقوله جل شأنه ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُّقْرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ (الفرقان ١٣) أو مضافاً نحو ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا

فَضْرَبَ الرَّقَابَ ﴿ (محمد ٤) ، وقى قوله تعالى ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ (هود ٦٩)
كان السلام الأول إنشاء للتحية، والثاني جواباً من إبراهيم بردها.

٣ - نقل الوصف: الأصل في الوصف أن يدل على موصوف بالحدث على طريق الفاعلية أو المفعولية أو المبالغة أو التفضيل أو الثبوت والدوام، والأوصاف جميعاً من المشتقات ذوات الصيغ الصرفية المحددة.

ولكن كل وصف من هذه صالح أن ينقل إلى العلمية كباسم وقاسم وخالد ووائل ومحمود ومنصور وباسم وبسام وعلّام وأشرف وأكرم وكريم وجميل إلخ.

قال تعالى: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (الصف ٦) وقال ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ (آل عمران ١٤٤) وكذلك ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء ١٤٢) وينقل الوصف إلى الإسناد إلى فاعل فإن كان مبتدأ في جملة أغنى فاعله عن الخبر نحو ﴿ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ (مريم ٤٦) وإن كان خبراً كان الفاعل ضميراً يعود على المبتدأ نحو ﴿ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ (البلد ٢) وكذلك ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب ٦) وكذلك ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ (ق ٤٥) فإن وقع الوصف موقع الفاعل كان مسنداً ومنسداً إليه في وقت واحد نحو ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (المعارج ١) فلفظ «سائل» فاعل للفعل «سأل» فهو مسند إليه ثم إنه تحمل ضميراً فاعلاً مستتراً فهو مسند إلى هذا الضمير وليس في أقسام الكلم ما يكون كذلك إلا الوصف. وينقل الوصف إلى أن يكون عند اتصاله «بأل» «موصولاً» وصلة في الوقت نفسه فإذا عاد الضمير في هذه الحالة كان عوده على الصلة والموصول لا على الموصول فقط نحو «العظيم خلقه هو محمد عليه السلام» وذلك أيضاً مما اختص به الوصف من بين أقسام الكلم في مجال «النقل».

٤ - **نقل الفعل**: الأصل فى دلالة الفعل أن يدل على حدث وزمن فيؤخذ الحدث من الثلاثة الأصول ويؤخذ الزمن من الصيغة الصرفية وللفعل دلالة ثالثة على فاعله تؤخذ من تجرده أو زيادته فى نطاق جدول إسناده إلى الضمائر فتتضح حدود الفاعل أفراداً أو تثنية أو جمعاً وتكلماً أو خطاباً أو غيبة وتذكيراً أو تأنيثاً وله أيضاً دلالة رابعة على الفاعل أو نائبه، من خلال بنائه للمعلوم أو المجهول، ولكن هذا الفعل قد ينقل إلى العلمية كما يتضح فى أعلام مثل يزيد ويعيش ويشكر وينبع وتدمر وكما فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (نوح ٢٣) وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ (الأحزاب ١٣) وقد ينقل الفعل إلى أداة ناسخة فيسقط عنه معنى الحدث ولا يبقى إلا الزمن كما فى كان الناقصة وأخواتها أو مجرد التأكيد كما فى كان الناقضة فقط أو معنى آخر من معانى الجهة كالمقاربة أو الشروع أو نحوها. ذلك هو المعنى أو المعانى التى نقلت إليها كان وأخواتها أو كاد وأخواتها. وفى قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ (الكهف ٨٢) تحقق الإسناد فى الحالتين بما فيه من معنى الحدث بقوله «تحت كنز» وقوله «أبوهما صالحاً» ولكن خلو هذا الإسناد من معنى الزمن جعله بحاجة إلى ما يضيف ذلك إلى الجملة فجاءت كان لتدل على الزمن فقط، هى مفرغة تماماً من معنى الحدث وذلك نقل لها عن معنى «كان التامة» التى تدل على حدث وزمن، وفى قوله تعالى ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ (الإسراء ٦٧) سقط المعنيان كلاهما (الحدث والزمن) عن كَان ونقلت إلى أداة توكيد لأن الإنسان مازال وسيظل كفوراً بطبعه.

ومثله ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء ٨١) وكذلك ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ (الإسراء ١٠٠) وقوله ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُبًّا كَبِيرًا ﴾ (النساء ٢) وقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء ١١) ويقال مثل ذلك فى «كاد» وأخواتها إلا أن المعانى التى

تضيفها هذه الأدوات المنقولة فوق ما تقدم فى كان وأخواتها هى المقاربة والشروع والرجاء وهى جهات لفهم الحدث الذى فى الخبر فإذا قلنا «كاد زيد يقوم» فالمقاربة التى عبرت عنها «كاد» تعد بالإضافة إلى إفادة الزمن جهة لفهم القيام الذى أسند إلى زيد وليست المقاربة حدثا أسند إلى زيد وكذلك الحال فى البقية وموقع هذه المقاربة ونحوها من الحدث موقع الاستمرار والانقطاع والتجدد والقرب والبعد من معنى الزمن فإذا كان ذلك قصارى ماتدل عليه هذه الألفاظ التى على صورة الأفعال فإنها ليست باقية على فعليتها وإنما اعتراضها النقصان أى أنها نقلت فجعلت أدوات تدخل على جمل اكتملت لها أركان الإسناد، ومن شواهد كاد وأخواتها فى القرآن الكريم ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ (الإسراء ٧٣) فالإسناد واقع بين اسم كاد وهو الواو التى فى «كادوا» والمضارع الذى بعدها والمشتمل على واو هى ضمير يعود على اسم كاد (واو تعود على واو) والمعنى الاسنادى تقديره «هم يفتنونك» ولما كان هذا الإسناد لم يقع بالفعل وإنما قارب الوقوع فقد جاءت «كادوا» على صورة الماضى لتدل على هذه المقاربة وهى خالية تماما من معنى الحدث وقل مثل ذلك فى بقية أخواتها وإن كان المعنى المستفاد من أخواتها شروعا أو رجاء.

٥ - نقل الضمير: تقدم أن الضمائر كما اشتمل عليها التقسيم المعتمد فى هذا البحث ثلاثة أنواع: ضمائر الأشخاص وضمائر الموصولات وضمائر الإشارات، فأما ضمائر الأشخاص فتختلف مبانيها تكلما وخطابا وغيبة ثم أفرادا وثنية وجمعا ثم تذكيرا وتأنينا ثم اتصالا وانفصالا ومع كل ذلك وبالإضافة إليه تختلف بحسب المحل الإعرابى رفعا ونصبا وجرا، فلها كل هذه المعانى الوظيفية التى تشتمل عليها وظيفه كبرى هى كناية الضمير عن الاسم الظاهر. ولكن ضمير الشخص قد ينقل عن هذه الدلالة الكبرى ليكون ضمير شأن فلا يبنى به عن الاسم الظاهر وإنما يبنى به عن مضمون الجملة التى بعده ولهذا يقال فيه إنه عاد على متأخر لفظا ورتبة ومن شواهد ذلك فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الأنعام ٢١) وقوله ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف ٩٠) وكذلك

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيَّ صَخْرَةً أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ (لِقْمَانَ ١٦) وقوله ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ (الكهف ٣٨) وقوله ﴿ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (النمل ٩) وقوله ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ (طه ٧٤). وقد يخرج الضمير عن الكناية عن الاسم الظاهر إلى مجرد الفصل بين المبتدأ والخبر لتوكيد إسناد الخبر إلى المبتدأ نحو قوله تعالى: ﴿ فَرَجِعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الأنبياء ٦٤) وقوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأنعام ١١٩) وقد يكون لرفع لبس ممكن كما فى نحو قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (المائدة ٧٦) وفى قوله تعالى: ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ (الشورى ٩) ولو لم يكن «هو» مذكوراً فى الموضوعين لكانت العبارة «فالله الولي يحيى الموتى» ولكان المعنى غير المعنى مما يدل على وظيفة الضمير فى أمن اللبس، وتنقل ضمائر الخطاب إلى الحرفية مع الإشارات فيسمى كل منها حرف خطاب، والظاهر أنها منقولة إلى الحرفية أيضا فى نحو «أرأيتك» وذلك لإستقامة المعنى مع حذفها كما يحدث لها مع الإشارات:

وأما ضمائر الموصولات فهى قسمان: قسم مختص وقسم مشترك وينقل المشترك من الموصولية إلى الشرط والاستفهام، ففى الشرطة تزداد «ما» الشرطية التى نقلت من الموصولية بعد «أى» فيقال فيها «أيما» كما زيدت على بعض الظروف عند نقلها إلى الشرط مثل «إذ ما» و«متى ما» و«إنما» الخ، والموصولات المشتركة هى من وما وأى والشواهد على نقلها للشرط كثيرة كقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾ (الأنبياء ٩٤) وقوله جل ثناؤه ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (فصلت ٤٦) وكذلك ﴿ وَمَنْ يَقْتُمْ مِّنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ (الأحزاب ٣١) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ

يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴿ (البقرة ١٩٧) وكذلك ﴿ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿
 (البقرة ٢١٥) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴿
 (الحشر ٧) وكذلك ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا
 آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿ (الروم ٣٩).

أما في الاستفهام فأكثر ما ترد «من» في القرآن ورودها على صورة «منذا» ولكنها
 وردت على صورتها المجردة في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴿ (آل عمران ١٣٥)
 وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴿ (التوبة ١١١) فكان تجردها ارتبط
 بالاستفهام الإنكارى أما تركيبها مع «ذا» فنحو قوله جل شأنه ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ
 اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴿ (البقرة ٢٤٥) وكذلك ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي
 يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿ (البقرة ٢٥٥) وأما «ما» المنقولة إلى الاستفهام فإنها تأتي
 مشبعة المدد أحيانا نحو ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿ (المدثر ٤٢) وقوله ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا
 الْمُرْسَلُونَ ﴿ (الحجر ٥٧) وقد يختزل مدها إذا سبقها حرف الجر فيقال بم وعلام
 وإلام وحتام ومم وعم وهكذا نحو قوله تعالى: ﴿ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿
 (آل عمران ٩٩) وقوله: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿ (النبا ١).

ولما كانت الموصولات المختصة مثل الذى والذى لا تنتقل إلى الشرط كما
 تنتقل الموصولات المشتركة ولكنها تشاركها فى الموصولية أعطيت عند الإخبار بها
 بعض ما تعطاه الموصولات التى انتقلت إلى الشرط وذلك فى مجال الربط فإذا
 أخبرت بالذى أو التى أو الألف واللام فإن الخبر يقترب بالربط فى المواضع التى
 يلزم فيها الربط جواب الشرط فيما إذا وضعت «من» أو «ما» موضع «الذى» أو
 «التى» إذ إن الربط يلزم الجواب إذا لم يصلح الجواب أن يكون شرطا فكما تقول
 «من يأتى فله درهم» تقول أيضا «الذى يأتينى فله درهم» فيقترب الخبر بالفاء لما بين
 «الذى» و«من» من شركة فى أصل الموصولية والإبهام وذلك حين توقف وقوع ثانى

عنصرى الكلام بعدها على أولهما، أى توقف وقوع الجواب على وقوع الشرط وتوقف وقوع خبر الذى على وقوع صلتها، وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴾ (محمد ٨) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران ٢١) وقوله جل شأنه ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (النور ٢) وكذلك ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ (النور ٦٠) وقد تنقل الموصلات بنوعها إلى وظيفة الربط لأنها ضمائر من الضمائر ولسنوق عددا من الشواهد القرآنية على هذه الظاهرة تحت عنوان «الربط» إن شاء الله ونكتفى هنا بقليل من الشواهد: قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾ (العنكبوت ٣٢) أى أعلم به وبغيره من أهلها وقال ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأنعام ٧) أى لقالوا وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ (آل عمران ٣٦) أى أعلم بها أى بهذه الأنثى وكذلك ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ (النحل ١٠١) أى أعلم بها أى بهذه الآية، وهكذا نرى الموصلات بنوعها تستعمل للربط وإن احتفظت بافتقارها إلى صلة وبرتية التقدم على هذه الصلة وبرجوع ضمير إليها من هذه الصلة وهى الشروط التركيبية التى تتحقق بها الموصولية.

أما الإشارات فمنها ما ينقل إلى الظرفية المكانية نحو «هنا» و«هناك» كما أن «هناك» تصلح للنقل إلى المكان وإلى الزمان، فأما دلالتها على المكان فكما فى قوله تعالى: ﴿ جُندًا مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ (ص ١١) وأما دلالتها على الزمان

فحو ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ (آل عمران ٣٨) فلفظ «هنالك» فى الآية الأولى لموقع غزوة بدر وفى الثانية لوقت رؤية زكريا لفضل الله على مريم، وقد أشرنا من قبل عند الكلام عن ضمير الإشارة إلى أن الإشارات تستعمل أيضا للربط وجعلنا ذلك من أدلة كونها من الضمائر وتستعمل أيضا للشأن وأوردنا عددا من الشواهد على ذلك.

٦ - نقل الظرف: تنقل الظروف (غير المتصرفة) من الظرفية إلى استعمال الأدوات فساق للدلالة على الاستفهام وعلى الشرط ويحلو للنحاة عندئذ أن يقولوا لها معنى الظرفية فيعلقوها فى جملة الاستفهام بجملة الاستفهام وفى جملة الشرط بجواب الشرط وكان المنطقى أن ينسوا ظرفيتها بعد النقل كما نسوا موصولية من وما فى الشرط فجعلوا ما بعدهما شرطا ولم يجعلوه صلة ولو أننا قارنا معنى متى ومعنى ما تدخل عليه فى الجمل الآتية:

متى يقوم زيد

أقوم متى يقوم زيد

متى يقوم زيد أقم

لوجدنا جملة يقوم زيد فى الجملة الأولى أصلية وفى الجملة الثانية فرعية وهى فى الجمل الثلاث محفوظة الرتبة بالنسبة لما ي صاحبها فلو تأخر الفعل «أقوم» فى الجملة الثانية لجزم ولو تصدر «أقم» فى الثالثة لرفع أما «يقوم زيد متى؟» فهو أسلوب حوار قلما يقبل إلا مع القرائن الخارجية فى الحوار، إذ يغلب أن يكون «يقوم زيد» فى هذه الجملة ترديداً للكلام سمعه المتكلم وأنكره فى نفسه أو عجب له فردده ثم أراد السؤال عنه فوصله بالجملة السابقة وجعل ما قبل متى دليلا على المحذوف بعدها. وعند نقل الظروف إلى الشرط تلحق بها «ما» الشرطية وهذا شبيه باتصال ما الاستفهامية بحرف الجر عند إرادة الاستفهام نحو ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ (البقرة ١٤٨) وقوله: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (البقرة ١٤٤) وينقل بعض الظروف إلى الحرفية كما فى «إذ» حين تدل على التعليل كما فى قوله

تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة ١٣٠ ، ١٣١) وقوله ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ (الأحقاف ١١) أى لأنه قال أسلمت، ولأنهم لم يهتدوا به. وقد عد النحاة «إذ ما» المكونة من (إذ + ما) الشرط حرفا من حروف الشرط مثلها مثل إن الشرطية وحكموا لغيرها من أخواتها بالظرفية.

٧ - نقل الأدوات: قلنا إن النحاة عرفوا ظاهرة النقل تحت عنوانات متعددة منها

«النيابة»؛ ومن مآثور النحاة أن الحروف ينوب بعضها عن بعض وقد اشتهر عنهم الكلام فى نيابة حروف الجر بعضها عن بعض كنيابة «عن» عن «من» فى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ (التوبة ١٠٤) ولكن «عن» حين عبرت عن معنى «من» لم يغير قسمها من أقسام الكلم أى أنها مازالت فى قسم الأداة ومن ثم يكون أولى بتعبيرها عن معنى ابتداء الغاية أن يعد من قبيل تعدد المعنى الوظيفى بحسب الأصل لا بحسب النقل لأن «عن» مازالت باقية على أصلها الحرفى. إن معظم ما تجده من تعدد وظائف الأدوات فى كتب مثل «رصف المباني» للمالقي أو «الجنى الدانى» للمرادى أو «مغنى اللبيب» لابن هشام إنما هو من قبيل التعدد بحسب الأصل وأقله تعدد بحسب النقل، وعندى أن ما يسميه النحاة أفعالا غير متصرفة من مثل «عسى» و«ليس» يخلو خلوا تاما من مقومات الفعلية، إذ لا يدل بسبب الجمود على حدث ولا يدل مع عدم الصيغة على زمن فلم يبق إلا أن نعهما من الأدوات وقد عدتا بين النواسخ، ولما كان معظم النواسخ أفعالا منقولة إلى النسخ لافتقادهما معنى الحدث مال النحاة إلى أن يعدوا عسى وليس بين هذه الأفعال المنقولة لمجرد اتصال الضمائر بهما مع بعد ذلك عن الأصول المعتبرة.

أما نقل الأدوات إلى قسم الأسم، فمثاله نقل الكاف إلى الاسمى لتكون بمعنى «مثل» فتكون ذات محل من الإعراب ويعود عليها الضمير وقد عاد عليها فى قوله

تعالى: ﴿ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ ﴾ (آل عمران ٤٩) إذ تعود الهاء من «فيه» على الكاف التي بمعنى «مثل». ومثل ذلك في النقل «كأين» التي لا تعود إلى أصل اشتقاقى ولا يمكن عندى أن يقال إنها مركبة من كافة التشبيه وأى الاستفهامية أو الموصولة لأنها لا تحمل جرثومة أى معنى من معانى هذه العناصر المزعومة. فلم يبق لها إلا أن تكون أداة فى الأصل نقلت إلى استعمال الأسماء المبهمة فصارت مثل «كم» و«كيف» ونحوهما. وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا إِيَّاكُمْ ﴾ (العنكبوت ٦٠) أى «وكم من دابة..» وألحظ أن لَمَّا حرف جزم يدخل على المضارع فهى أخت لم ولكنها قد تدخل على الماضى فتنقل إلى الظرفية وتصبح بمعنى «حين» أو بمعنى «إذ»: مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهَلْنَا الضَّرَّ ﴾ (يوسف ٨٨) وقوله ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (يوسف ٢٢) وقوله ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ﴾ (يوسف ٣١) وتنقل «ها» التنيبه إلى معنى الخالفة (النحاة يسمونها اسم فعل) فيكون معناها «خذ» وتلحقها حروف الخطاب فيقال فيها «هاكم» و«هاؤم» كما فى قوله تعالى: ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ ﴾ (الحاقة ١٩)، وتنقل «وى» التى للتعجب إلى معنى الخالفة فتلحقها كاف الخطاب فتصير «ويك» ثم يليها «أن» منزوعة الخافض وهو اللام متصلة بضمير الشأن فيصير التركيب «ويكأنه» أى «ويك لأنه». قال تعالى: ﴿ وَيَكَّأَنَّهُ لَإِيفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (القصص ٨٢).

ويبقى بعد ذلك أمور ينبغى أن نشير إليها

الأول أن الخوالب لا تنقل وإنما ينقل غيرها إليها كتنقل أفعال التفضيل إلى التعجب وصيغة «فَعُلَّ» بضم العين إلى المدح والذم ونقل الفعل الماضى «حب» إلى

المدح مثبتا وإلى الذم منفيا نحو: حَبذا زيد ولا حبذا عمرو.

الثانى أن تعدد المعنى مع بقاء المبني فى قسم من أقسام الكلم «تعدد بحسب الأصل» أما مع تغيير قسمه فهو «تعدد بحسب النقل» وكلا الأمرين يدخل تحت تعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد.

الثالث هناك نوع من أنواع النقل يسمى «التضمين» أجد له طبيعة أسلوبية أكثر منها تركيبية ومن ثم سأرجىء القول فيه إلى القسم الثانى من هذا الكتاب.

قرينة الرتبة في التركيب القرآني

وهي قرينة نحوية ووسيلة أسلوبية: أي أنها في النحو قرينة على المعنى وفي الأسلوب مؤشر أسلوبى ووسيلة إبداع وتقليب عبارة واستجلاب معنى أدبى. والرتبة النحوية نوعان: محفوظة وغير محفوظة. وقد يقول قائل قد فهمنا أن نسمى المحفوظة منها رتبة، لأنها يتحتم بها أن تأتى إحدى الكلمتين أولا والأخرى ثانيا ولاعكس. فما بالنأ بكلمات يمكن لإحداها أن تتقدم حيناً وتتأخر حيناً آخر ندعى أن بينها رتبة غير محفوظة والجواب أن الرتبة المحفوظة رتبة فى نظام اللغة وفى الاستعمال فى الوقت نفسه أما غير المحفوظة، فهى رتبة فى النظام فقط وقد يحكم الاستعمال بوجود عكسها، كما فى تقديم المفعول على الفاعل فى نحو «حياك الله» أو بالمحافظة عليها نحو «هذا أخى» وإنما يكون هذا أو ذاك عند خوف اللبس أو اتقاء مخالفة القاعدة أو الأصل أو اختلاف المعنى. ومعنى أن الرتبة قرينة من قرائن المعنى أن موقع الكلمة من الكلمة قد يدل على وظيفتها النحوية. فالفرق بين «قام زيد» و«زيد قام» فرق فى موقع الاسم المرفوع من الفعل وقد ترتب على اختلاف هذا الموقع أن جعل زيد فى الجملة الأولى فاعلا وفى الثانية مبتدأ على حين لم يتغير أى شىء فيما عدا الرتبة بين العناصر المنطوقة من الجملتين.

والواقع أن كون الرتبة هى القرينة أوضح فى الرتبة المحفوظة منه فى غير المحفوظة سواء أكان حفظ الرتبة بحسب الأصل أم كان لعارض من خوف اللبس أم لرعاية القاعدة، كما رأينا فى الأمثلة السابقة. ذلك بأنك إذا استدلت على الفرق بين الفاعل والمبتدأ الذى خبره جملة ذات ضمير يعود على المبتدأ وكان الفرق هو تقدم المرفوع أو تأخره، فإن هذا الفارق يصبح دليلا على المعنى النحوى.

وإذا قلنا «جاء زيد يركب الحصان الذى يزهبه»، فقد علمنا من رتبة «الذى»

أنها صفة للحصان لالزيد، وأن صلة الموصول هي «يزهو به» وليس «يركب الحصان» أي أننا بعبارة أخرى عرفنا أن الجملة لا يمكن فهمها على نحو مانفهم «جاء زيد الذى يركب الحصان يزهو به» لأن الرتبة هنا كانت قرينة على المعنى المراد من حيث إن الصلة لا تتقدم على الموصول أبداً. ومادام نظام اللغة يجعل «لو» فى رتبة التقدم على شرطها وجوابها، فإننا إذا سمعنا حواراً مثل:

- ألا تسامح زيدا ولو ندم على خطئه؟

- ولو!

علمنا أن المحذوف هنا يقدر بعد «ولو» ولا يقدر قبلها وأن جوابها إن كان يتصيد مما قبلها، فإن تقديره لا يكون إلا بعدها والتقدير: ولو ندم على خطئه ما سامحته. هكذا تكون الرتبة دليلاً على المعنى.

عرفنا أن الرتبة إما محفوظة أو غير محفوظة. ومن المحفوظة رتبة بعض الأدوات ذوات الصدارة فى الجملة حتى إن مابعدا لا يعمل فيما قبلها (على حد ما يقوله النحاة)، لأنه لو عمل فيه لانتحت فكرة الصدارة، ولأصبح موقعها فى الجملة بعد ما ينبغى أن يكون متأخراً عنها، فإذا قلت «من يعرف هذا؟» فلا يجوز أن تقدم «هذا» وأن تقوم مستفهما «هذا من يعرف» على زعم أن «هذا» مفعول مقدم لأن التركيب عندئذ (بسبب اعتماد معناه على الرتبة) سيفهم منه معنى آخر لا يمت إلى المعنى الأول بصلة، ومن هنا تحملت هذه الأدوات التى لها الصدارة فى الجملة بعض عبء «الربط» وبخاصة فى الجمل ذوات الأجوبة ذلك بأن الأداة إذا علم موقعها من الكلام كانت معلما من معالم الطريق فى السياق، وعرف بها أين تبدأ الجملة وعلى أى صورة تقع هذه الجملة؛ هل تتطلب جواباً؟ ومن أى نوع من الأجوبة؟

ومن قبيل الرتبة المحفوظة رتبة الأدوات الداخلة على المفردات كحروف الجر والمعية والاستثناء، والعطف وإنما حفظت رتبها، لأنها تكشف عن علاقة ما بعدها بالعناصر الأخرى فى الجملة التى هى فيها، فرتبة حروف الجر من مدخولها محفوظة، وإن لم تحفظ رتبة مجموع الجار والمجرور ببقية أجزاء الجملة، ففى قولك: «توكلنا على الله» و«على الله توكلنا» يظل حرف الجر سابقاً على لفظ الجلالة سواء تأخر مجموعهما فى الجملة أم تقدم. وهنا تحضرنى مشكلة أود أن أشير إليها

لخطورتها في فهم المعنى، لم أعلم أن واحدا من النحاة يبيح تقدم جملة الحال على عاملها، ولكنهم أجازوا تقدم الحال المفردة على عاملها المتصرف فقط. غير أن شواهد من القرآن تكاد تجزم بتقدم جملة الحال، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ (هود ٣٨) وقوله ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ (هود ٤٢) فإذا كان معنى الحال الملابس، فإن إحدى طرق التعبير عن الملابس أن يقال: «بينا يحدث كذا حدث كذا» وهذا التقدير صالح هنا لليتين، إذ (بينا نوح يصنع الفلك سخر منه قومه كلما مر عليه ملاء منهم)، وكذلك (بينا تجرى السفينة بهم في موج كالجبال نادى نوح ابنه)، أما الواو التي قبل «كلما» والتي قبل «نادى» فموضعهما في الجملتين المقدرتين قبل «بينا». وقد ورد مثل ذلك في الشعر أيضا إذ يقول الشاعر:

وأطلس عسال وما كان صاحباً دعوت لنارى موهنا فأتانى

أى (دعوته أو أتانى وما كان صاحباً) ومع ذلك إذا أرتضينا قول النحاه البصريين إن القليل لا يعتد به، فلربما جعلنا هذه الشواهد القليلة من قبيل الترخُّص في قرينة الرتبة نظراً لأمن اللبس، وذلك ما سنشرحه في موضعه من هذه الدراسة إن شاء الله.

أما الرتبة غير المحفوظة، فهي رتبة في نظام اللغة لافى استعمالها لأنها في الاستعمال معرضة للقواعد النحوية من حيث عود الضمير، ثم للاختيارات الأسلوبية من حيث التقديم والتأخير. ومن أمثلة الرتبة غير المحفوظة رتبة المفعول من الفعل ورتبته من الفاعل ورتبة المبتدأ والخبر ورتبة الظرف والجار والمجرور مما تعلقا به وأبواب نحوية أخرى. فإذا قضت القاعدة النحوية بحفظ هذه الرتبة اتقاء اللبس أو اتقاء مخالفة القاعدة حفظت هذه الرتبة كما في «ضرب موسى عيسى» و«أخى صديقى» وكما في «رأيتك» و«مارأيت إلا إياك»، فإذا لم يقع اللبس كما في «أكلت الكمثرى سلمى» أو «إن فى بيتى صديقى»، أمكن للمتكلم أن يلجأ إلى التقديم والتأخير، وقد يدعو المعنى أو القاعدة إلى وجوب عكس الرتبة، كما فى قوله

تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة ٥) وقوله جل شأنه ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام ١٥٨) إذ يجب تقدم المفعول به «نفسا» على الفاعل «إيمانها» لأن الفاعل لو تقدم لعاد الضمير الذى فيه على متأخر لفظ ورتبة. . والحق إن الفاعل فى هذه الآية وضع فى موضع لا يمكن له معه تقديم أو تأخير مع فصل بين المفعول به وصفته، أما عدم إمكان التقديم فلما مرّ من عود الضمير على متأخر، وأما التأخير مع الفصل الذى يأتى الفاعل بحسبه بعد انقضاء صفة المفعول به «نفسا» فإنه سيجعل الفاصل بين الفعل «ينفع» وفاعله «إيمانها» من الطول بحيث تضعف العلاقة الإسنادية والسياقية بين الفعل والفاعل. تأمل ما يؤل إليه التركيب عندئذ إذ يكون على الصورة الآتية:

«يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا لم تكن امنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا إيمانها» وهكذا يضعف ارتباط الفعل بفاعله، ومن ثم يمكن القول إنه لا يمكن أن يتغير ترتيب الكلام فى هذه الآية على رغم ما فيها من الفصل بين الموصوف وصفته - وما أحسنه وما أوجه! ثم انظر إلى حسن عكس الرتبة بإيراد المفعول لأجله أولا ثم المفعول به الموصوف بشبه الجملة ثم الفعل وفاعله فى قوله تعالى: ﴿أَتُنْفِكُوا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (الصفافات ٨٦) فالآية كما تعلم استفهام إنكارى ومادام معناها الإنكار فإن ترتيب الفاظها ينبغى أن يكون بحسب الأولوية فى استحقاق الإنكار. وأولى الألفاظ بالإنكار لفظ «إفكا» لأن الكفر قد يكون ميراثا عن الآباء ولكنه قد يكون انحرافا عن الحق متعمدا لا ينفع معه الدليل على فساده فذلك هو الإفك ثم يلى فى الإنكار أن ينصب الإفك على إشراك آلهة مع الله فإذا كانت الآلهة دون الله لا معه فهذا أو غل فى الشرك ويضاعف من سوء ذلك كله أن يكون ذلك بإرادتهم واختيارهم، ولو أن سياق الكلام كان على صورة أخرى مثل: «أتريدون آلهة دون الله إفكا» لانظفاً كل ما فى الكلام من حرارة الإنكار ولبدا الكلام وكأنه سؤال لهم عما يفضلونه من أنواع الشرك.

وفى الكلام رتب أخرى غير الرتبة النحوية أستطيع القارىء عذرا أن أشير إليها

بعض الإشارة وأكثر ذلك من قبيل الرتبة الزمانية إذ يحكم العقل لأحد الأمرين بالتقدم ثم لا يتوقف المعنى على تقديمه فى الكلام وإنما يؤمن اللبس على رغم انعكاس رتبة الأشياء. من ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ (الأنبياء ٩٠) فالمعروف من سياق الآيات أن امرأة زكريا كانت عقيماً وأن حملها بغلام لا يتم إلا بعد صلاح حالها وإزالة عقمها بإرادة الله فالمعقول أن يتم إصلاحها أو لا ثم يترتب على ذلك أن يأتى الغلام هبة من الله لوالده ولما كان هذا المعنى لا يغيره أو يخفيه عكس ترتيب ذكر الأحداث جاءت الآية وهى تقدم ذكر الهبة لأنها هى المظهر الأوضح للاستجابة. وليس يساوى ذلك فى الحسن أن يقال: «فاستجبنا له فأصلحنا زوجه ووهبنا له يحيى» لأن دعاءه لم ينصب على إصلاح الزوج، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ﴾ (مريم ٢٣) والمعروف أن «النسى المنسى» هو الشيء التافه الذى لا يعتد به وتلك صفة لا يوصف بها الأموات وإنما يوصف بها المغمورون الخاملون من الناس ومالا خطر له من الأشياء والأحياء. فلم يكن مراد مريم حينئذ أن تقول: «ياليتنى مت وكنت شيئاً لا يعتد به» وإنما كان مرادها والله أعلم «ياليتنى كنت غير معروفة عند أحد ومت ميتة المغمورين الذين لا يهتم لموتهم إنسان» ومما يتضح فيه عكس الترتيب لأمن اللبس قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ فَانظَرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (النمل ٢٨) أى انظر بهم يجيبون ثم انصرف عنهم وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ (النجم ٨) أى ثم تدلى فدنا، ثم انظر إلى ترتيب ذكر الرسل فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء ١٦٣، ١٦٤).

تجد ترتيب ذكر الرسل يناسب ترتيب وجودهم في الحياة حتى وصلت الآية إلى الأسباط فجاءت بعدهم مباشرة بعيسى الذى ليس بينه وبين نبينا عليهما الصلاة والسلام وهو خاتم الأنبياء إلا فترة من الرسل لم يوجد فيها رسول واحد ثم تلا عيسى فى الذكر من هو أقدم منه وجودا على غير ترتيب حتى ختمت الآية بموسى عليه السلام، ولقد جاء تجاهل الترتيب التاريخى نتيجة لشهرته وعدم الحاجة إلى رعايته فى الكلام. ولست أزعج لهذا النوع من الترتيب الزمانى علاقة بالنحو ولا لتشويشه علاقة بالرتبة غير المحفوظة وإذا كان لى أن أربط بينه وبين قضايا النحو فإن ذلك يتم عن طريق العطف بالواو إذ لا تفيد الواو ترتيبا ولا تعقبا وقد تم العطف فى كل ما سبق ذكره من الآيات بواسطة الواو وانصبت الملاحظة فى جميع ذلك على أن المتعاطفات قد خالفت فى الذكر ترتيبها فى الرمان.

ومن ذلك أيضا تشويش اللف والنشر كما فى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (الروم ٢٣) إذ من الواضح إن الله جعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ (يونس ٦٧) ومثله فى النمل وغافر ٦١ والنبأ ١٠، ١١. ومن هنا كان مافى الآية من «منام» خاصا بالليل وما فيها من «ابتغاء» خاصا بالنهار وأن ترتيب المعنى إنما يكون على هذه الصورة. «ومن آياته منامكم بالليل وابتغائكم من فضله بالنهار» ولما كان هذا التوزيع لوظيفتى الليل والنهار توزيعا بحسب العادة وكان من الممكن أن تتخلف العادة فينام بعض الناس بالنهار وابتغوا من فضل الله بالليل لم تحصر الآية على الترتيب المعتاد وجاء اللف والنشر مشوشا دون أن يتأثر وضوح المعنى ويشبه ذلك قوله تعالى فى السورة نفسها: ﴿ فَيَسْطُطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ (الروم ٤٨) فلما كان «اليسط» نوعا واحدا كان من حق الفهم أن ينصرف إلى أن عبارة «كيف يشاء» تشمل بسط السحاب فى السماء وجعله مركوما على هيئة الكسف ويترتب على ذلك أن تكون

الواو في «ويجعله» بمعنى «أو» وبهذا يكون تقدير الكلام: «فييسطه في السماء أو يجعله كسفا يشاء» ولكن جعله كسفا لا ينتهي عند هذا الحد وإنما يرتبط به أمر آخر مسبب عنه هو خروج الودق من خلاله فلو فَصَلَّتْ عبارة «كيف يشاء» بين الكسف ورؤية الودق لصح أن تكون رؤية الودق سبباً للبسط والکسف سواء بسواء وليس هذا ما يرمى إليه معنى الآية ولو تأخرت عبارة «كيف يشاء» فجاءت بعد رؤية الودق من خلاله لكان الضمير الذي في الفعل «يشاء» راجعا إلى الودق لا إلى الله تعالى ومن هنا كان تشويش اللف والنشر أمرا لا غنى عنه.

وثمة نوع آخر من عدم حفظ الرتبة لإيفاء مطالب أسلوبية من رعاية فاصلة أو غير ذلك في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (الأحزاب ٢٦) إذا إن ما يتوقعه السامع للتقسيم والتفصيل عند سماعه «فريقا تقتلون» هو «وفريقا تأسرون» ولكن رعاية الفاصلة أثرت حفظ الرتبة في النهاية بعد أن لم تحفظها في البداية - ويلاحظ مثل ذلك أيضا حتى مع تباعد المواقع في النص القرآني: إذ نجد في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة ٨٨) ثم نجد في سورة النساء قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء ٤٦) وكذلك: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء ٤١) ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ (النحل ٨٩). ولا غمك إلا أن نرى رعاية الفاصلة سببا في الفرق بين الرتبة هنا والرتبة هناك.

وقد يأتي بعض ذلك كسرا للرتابة في الأسلوب وإتقاء ما يسببه ذلك من الإملال كما في تحوير التركيب بين الجملتين الاسمية والفعلية في قوله «يريد الله» في آيات سورة النساء من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُننَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿ (النساء ٢٦ ، ٢٨).

وهناك صورة أخرى من صور الترتيب يمكن أن نسميها ترتيب الأشباه، ويكون ذلك عند توالى النعوت والأحوال والأخبار والمتعاطفات فالمقصود بالأشباه أفراد كل طائفة من هذه الطوائف حين تتوالى فى الكلام فتثور قضية ترتيبها والنظر إلى أيها أولى بالتقدير من سواه. ولقد اختار الأسلوب القرآنى أن يبنى التقديم والتأخير على مبدأ القصر والطول فما كان من أفراد الطائفة قصيرا كان أولى بالتقديم مما هو أطول منه. وحافظ الأسلوب القرآنى على هذا المبدأ فجعل الكلمة المفردة أولى بالتقديم من المركب وجعل المركب أولى بذلك من شبه الجملة وجعل شبه الجملة مقدما على الجملة التامة التكوين لا يصرفه عن ذلك إلا أمن لبس أو تمام معنى فمن شواهد هذا الترتيب فى أجلى صورته ما فى الآيات الآتية:

١ - ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (غافر ٢٨) جاء بثلاث صفات للرجل رتبها بحسب القصر والطول فجعل الصفة الأولى «مؤمن» أولا لافرادها وأردفها بشبه الجملة فالجملة.

٢ - ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ (المؤمنون ١١٧) وصف الإله بالمفرد ثم بالجملة المنفية بلا النافية للجنس.

٣ - ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ ﴾ (البقرة ١٩) وصف الصيب بشبه جملة ثم بجملة وعطف على الظلمات كلمتين يساويانها طولاً.

٤ - ﴿ وَيَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ (البقرة ٢٥) رتب صلة الذين فجعل اللازم قبل المتعدى ثم وصف الجنات بجملة هى أقصر من التى تليها.

٥ - ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا ﴾

(البقرة ٦٨) وصف البقرة بمفرد بعده مفرد معطوف عليه وبعدهما موصوف بشبه جملة.

٦ - ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة ٨٩)
وصف الكتاب بشبه جملة بعده وصف فى حيزه شبه جملة فى طيه موصول وصلته الجملة.

٧ - ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ (البقرة ٢٦٥) جاء بمفعولين لا جلهما أولهما مركب إضافى عطف عليه الثانى وفى حيزه شبه جملة ثم وصف الجنة بشبه جملة بعده جملة تامة.

٨ - ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ ﴾ (البقرة ٦٩)
وصف البقرة بالمفرد فبصفة ذات فاعل فجملة تامة.

٩ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صدورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ (آل عمران ١١٨)
وصف البطانة بشبه جملة بعدها جملة منفية ثم جملة مثبتة أقصر منها هى تفسير لإرادتهم الخبال ومن ثم كان اتصال المفسر بالمفسر أولى من مجرد رعاية الترتيب وأخيرا جاءت جملة مؤكدة بالحرف «قد» وهى أطول من كل ما سبق مجتمعا.

١٠ - ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (البقرة ٣٠) وَصَلَّ «من» بجملة فعلها لازم وعطف عليه فعلا متعديا وأخبر عن «نحن» بفاعلين لازمين بكل منهما جار ومجرور.

١١ - ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

رَاجِعُونَ ﴿ (البقرة ١٥٥ - ١٥٦) جاء بموصول حرفي «ال» ووصله بصفة «صابرين»
ثم وصفه بموصول صلته جملة شرطية.

١٢ - ﴿ وَقَلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿ (البقرة ٣٦) جعل المبتدأ المؤخر الأولى «مستقر» مفرداً وجعل الثانى فى حيزه شبه جملة.

١٣ - ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴿ (البقرة ١٠٢) جعل المعطوف عليه مفرداً وجعل المعطوف موصولاً ذا صلة معطولة.

١٤ - ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿ (البقرة ١٥٥) عطف على المفرد «الخوف» مفرداً مثله ثم مفرداً آخر فى حيزه شبه جملة.

١٥ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ (البقرة ١٦١) جعل صلة «الذين» جملة فعلها لازم وعطف عليه لازماً آخر فى حيزه جملة حالية وكذلك جعل لفظ الجلالة مضافاً إليه فى قوله «لعنة الله» ثم عطف الملائكة وعطف عليهما اسماً مؤكداً بلفظ «أجمعين».

١٦ - ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ (البقرة ١٦٤)

بدأت الآية بظاهرتين كونيتين وانتهت بواحدة وجعلت بين ذلك ظاهرتين تفعيتين ورتبت كلا من الطائفتين فالظواهر الكونية هى الخلق والاختلاف والتصريف

والظاهرتان النفعتان هما جرى الفلك وإنزال الماء ويلاحظ أن «ما» فى «ما أنزل» مصدرية لا موصولة وذلك لأن المصادر تحذف بها من أمامها وورائها وربما كان ورود الظواهر الكونية قبل الظواهر النفعية وبعدها محيطة بها بدءاً وختاماً لأنها أقوى فى الإقناع والدلالة على القدرة.

١٧ - ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾

(البقرة ١٧٣) عطف على المفرد مفرداً فمركباً إضافياً فموصولاً وصلته الجملة.

١٨ - ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾

(آل عمران ١٧) عطف على الموصول الحرفى وصلته الصفة أمثال ذلك وعلق بأخر المعطوفات جاراً ومجروراً وهناك ملاحظة أخرى هى أنه جاء بالصفات الثلاث الأولى من الثلاثى المجرد والرابعة من المزيد بالهمزة والخامسة من المزيد بالسين والتاء فجعل التالى هو الأكثر عدد حروف.

١٩ - ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطِ فِي الْحَدِيدِ وَمُطَهَّرِكُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (آل عمران ٥٥).

عطف على المركب الإضافى «متوفيك» مركباً مثله فى حيزه شبه جملة هو حرف جر وضمير ثم عطف عليهما مثلهما وفى حيزه شبه جملة هو حرف جر وموصول صلته جملة ثم عطف على ذلك مثله أطول منه ثم عطف آخر الأمر جملة هى «إلى مرجعكم» لها ما يترتب عليها وهو الحكم بينهم وذلك أطول من كل ما سبق.

٢٠ - ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران ٩٦)

جاء بالحال المفردة «مباركاً» وعطف عليها أطول منها.

٢١ - ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنْ

النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿آل عمران ١٠٣﴾
 عطف «ولا تفرقوا» على الأمر بالاعتصام من قبيل تأكيد الأمر بالنهي عن ضده
 فكان ذلك كأنه جملة واحدة. وكذلك كان عطف جملتين بواسطة الفاء على «كنتم
 أعداء» لأن الفاء رتبت كل جملة من الثلاث على سابقتها فأصبحن جميعا جملة
 واحدة. ويقال ما يشبه ذلك فى العلاقة بين «كنتم على شفا حفرة» وما عطف عليها
 من قوله «فأنقذكم منها» لأن الجملة الثانية جاءت فى موقع الطباق مع الأولى
 والعدول عن نتيجتها المنطقية فإذا ترابطت جمل الآية فى ثلاثة مجموعات ظهرت
 مطابقة ترتيبها للمبدأ المذكور آنفا.

٢٢ - ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ
 قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ (آل عمران ١١٩) لدينا أولا
 جملة مثبتة فاعلها الوار ومفعولها الضمير عطف عليها جملة منفية فى مثل طولها ثم
 مثبتة أطول منهما ثم شرطيتان ثانيتهما أطول من أولهما فكان كل جملة أطول من
 سابقتها.

٢٣ - ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ
 النَّاسِ﴾ (البقرة ٢٢٤) لدينا مصادر مؤولة منزوعة الخافض أولها «أن تبروا» وجاء
 العطف على ذلك فعلا مساويا فى الطول «وتتقوا» ثم جاء فعل آخر فى حيزه شبه
 جملة.

٢٤ - ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
 (البقرة ١٨٦) جاء خبر إن الأول مفردا ثم تلاه خبر آخر وقع منه موقع اللازم من
 اللزوم أى «من القرب بحيث أجيب» والخبر الثانى أطول من الأول.
 وثمة حالات أخرى لا يحسن فيها إيراد الأقصر أولا لأسباب مختلفة سنذكرها مع
 كل شاهد مما يلى:

٢٥ - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قِيمًا لِّبُنْدٍ

بِأَسَا شَدِيداً مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ﴿٢﴾
 مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَداً ﴿٣﴾ وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً ﴿٤﴾ (الكهف ١ - ٤) جاءت الآية
 بحالين من الكتاب أولاهما «ولم يجعل له عوجا» والثانية «قيما» وجاءت الثانية
 أقصر من الأولى ولكنها متأخرة عنها لتتصل بما يفسر معنى «قيما» من إنذار البأس
 وتبشير المؤمنين بالأجر الحسن وإنذار من ادعوا لله تعالى ولدأ، فالكتاب قيم بمعنى
 أن له هذه الوظائف، ولو تقدمت الحال الثانية على الأولى لبدأ أن الكتاب قد أنيطت
 به هذه المهام لأنه لأعوج فيه وعندئذ لا يبدو أن هناك علاقة بين السبب والمسبب لأن
 مجرد كونه غير ذى عوج لا يؤهله لهذه الوظائف فلا بد أن تكون له القوامة ليقوم بها
 أو تقوم به فالسبب سبب للقوامة لا للاستقامة.

٢٦ - ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
 خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
 الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ (الفرقان ٥٨ - ٥٩)

وصفت الآية الأولى الذات العلية بصفتين أولاهما مفردة «الحي» والثانية موصول
 وصلته «الذى لا يموت» وعادت الآية الثانية لتصفه تعالى بموصول صلته أطول مما
 سبق لاشتمالها على معطوفين على المفعول المفرد أولهما مفرد والثانى موصول صلته
 شبه جملة ثم جاءت الصفة الأخيرة مفردة فكانت أقصر مما سبقها لأن كلمة
 «الرحمن» هى الوحيدة بين الصفات المذكورة فى الآيتين مما يقع تحت الخبرة المباشرة
 فكلنا يتمتع برحمة الرحمن ويعرفها فلما كانت خاتمة الآية «فاسأل به خبيرا» ناسب
 أن تكون الصفة التى تخضع للخبرة أقرب الصفات إلى الخاتمة.

٢٧ - ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَّا
 شِيَةَ فِيهَا ﴿٧١﴾ (البقرة ٧١)

هذه صفات ثلاث أقصرها أوسطها. وسبب ذلك أن الصفة الأولى «ذلول»
 وجدت تفسيرا لها فى «ثثير الأرض» فدخلت جملة «ثثير الأرض» فى حيز النفى

وكان المعنى: «لاذلول فتثير الأرض» ودخولها فى حيز النفى هو الذى يبرر أن يعطف عليها «ولا تسقى الحرث» فكأنه يقول: «لا تثير الأرض ولا تسقى الحرث» ثم جاءت الصفة الثالثة، «مسلمة» ومعها شرحها متصلا بها فكأنه يقول «مسلمة أى لا شية فيها» فارتباط إحدى الصفات بمفسرها والأخرى بشرحها جعل من الضرورى أن يتصل كل منهما بما يلزمه وجاءت الصفة الوسطى قصيرة فى موقعها لمشاركتها إثارة الأرض فى وصف البقرة بأنها ذلول فناسب أن يتلو السقى إثارة الأرض مباشرة.

٢٨ - ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا ﴾ (البقرة ١٢٥) جاءت الصفة الثانية أقصر من الأولى لأنها تتطلب أن يقدر معها جار ومجرور كالذى مع الأولى فتكون مساوية لها فى الطول والتقدير «مثابة للناس وأمنا للناس» ويلاحظ مثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿ هَذَا مُعْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (ص ٤٢) أى «وشراب بارد» وقوله ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ ﴾ (غافر ٧١) أى و«السلام فى أعناقهم».

٢٩ - ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ (البقرة ١٢٩).

وصف الرسول بشبه جملة «منهم» بعده جملة فعلية ذات فاعل مستتر وشبه جملة ومفعول به مضاف بعدها جملة أخرى معطوفة عليها ذات فاعل مستتر ومفعول به ومعطوف على هذا المفعول وأخيرا تأتى صفة قوامها فعل وضمير مستتر وضمير غيبة، وهى أقصر من سابقتها وأرى أن السبب فى ذلك أن التزكية تتم بالتعليم لا بمجرد التلاوة ولذلك جاءت بعد تعليم الكتاب والحكمة (أى السنة).

٣٠ - ﴿ قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران ١٥)

أعطى الله المتقين ثلاث عطايا أطولها الأولى وأقصرها الوسطى وقد جاءت بعد

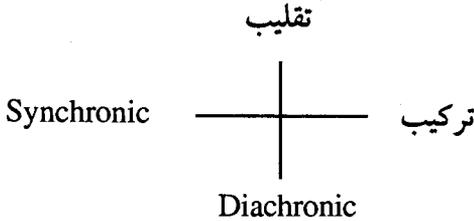
الجنات مباشرة لأنها لا تتحقق إلا فيها أما الثالثة فهي أهم منها وأعم لأنها تشمل كل خير فجاءت أخيراً لتكون وعداً بعباياها لم تذكر في الآية.

٣١ - ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ (يوسف ١٠٩)

لما كان وصف الرجال بنزول الوحي أهم من كونهم من أهل القرى تقدم الوصف الأهم ليكون الصق بالرجال وأدل عليهم.

قريئة (التضام) في التركيب (القرائى)

لا جديد تحت الشمس . هكذا قالوا وهكذا يصدق النحاة العرب هذا القول . لقد ظهرت مناهج حديثة لدراسة اللغة يفخر بها أصحابها ويرى كل صاحب مذهب أنه جاء بما لم يأت به الأوائل جاء البنيويون بمذهبهم فما لبثوا أن أعلنوه حلا غير مسبوق لتفسير كل أنظمة اللغة، ثم جاء التوليديون فشهرّوا باغراق البنيويين الأمريكيين فى تجاهل المعنى وتوجيه العناية كلها إلى المبنى وأنشأوا لأنفسهم مذهباً يفرقون به بين بنية عميقة لا تصلح أن توضع فى كلمات لأنها فكرية منطقية خالصة وبنية أخرى سطحية هى واحدة من إمكانيات التعبير عن البنية العميقة بعناصر لغوية . وفى النحو العربى كثير من هذا وكثير من ذلك وما بقى بعد هذين الكثيرين فهو من مميزات النحو العربى التى يعتز بها ويفخر، ولإيضاح هذا الكلام نسوق فكر البنيويين فيما يختص بالمحورين الشهيرين: المحور الرأسى Diachronic أو محور التقلب والمحور الأفقى Synchronic أو محور التركيب ونرسمهما متقاطعين هكذا .



والمقصود بهذين المحورين أن العلاقات فى داخل نظام اللغة لها أهميتها الخاصة وأننا لو طبقنا فكرة نوعى العلاقة وهى العلاقة التقلبية والعلاقة التركيبية على عناصر اللغة لوجدنا أن العلاقة التركيبية مثلا تحكم الترابط بين مفردات الجملة

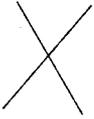
وعناصر النص وأن العلاقة التقليلية مثلا أيضا تكشف عن التنوع في داخل المصنوفة أو الجدول، ولكن طبيعة العلاقتين أعقد بكثير من هذا التبسيط الذى يكاد يكون مخلا، وأشهر ما طبق البنيويون عليه لايضاح هاتين العلاقتين هو أصول الأصوات (الفونيمات Phonemes وفروعها) (الألوفونات allaphanes) والمعروف أن أصول الأصوات وحدات صوتية معقولة وأن فروعها عمليات حركية منطوقة ففى اللغة العربية للنون أصل واحد نعتد به ونكتبه بصورة واحدة كما لو كنا نطقه بطريقة واحدة ولكنك إذا راقبت نفسك وأنت تنطق كلمات مثل ينفع - ينظر - من رأى - من لام - ينشأ - ينصح - ينجح - ينكر - ينقل - فسوف ترى نطق النون فى كل كلمة من هذه يختلف عن نطقها فى كل كلمة أخرى ويتضح ذلك فى اختلاف مخرج النون فى كل كلمة عنه فى غيرها وهذه النونات جميعا تعد فروعاً للوحدة الصوتية المعقولة التى نسميها النون ونعدها واحدة من ثمانية وعشرين حرفاً.

والمعروف أننا إذا استبدلنا شيئاً بشيء على سبيل المعاقبة فالعلاقة بين الشئيين علاقة تقليدية لا تركيبية. لقد جعل البنيويون الفرق بين الأصل والفرع أى بين الحكم على صوت ما بأنه أصل أو فرع مرتبطاً بصلاحه للاستبدال أو عدم صلاحيته. فقالوا: إذا حل صوت محل صوت آخر فى بيئة صوتية معينة ثم تغير المعنى بحلوله فالصوتان من أصلين مختلفين. فإذا تصورنا بيئة صوتية مكونة من: صوت فى صدارة الكلمة + ألف المد + ل

ثم جئنا بكلمات على غرارها مثل قال - نال - صال - عال - غال - كال - مال وكلها أفعال ثلاثية ماضية جوفاء حكمنا من خلال اختلاف معنى كل كلمة عن اختها بأن كل صوت فى صدر كلمة ما يختلف فى أصله عن كل صوت آخر مما يقع فى الصدر من إحدى هذه الكلمات والقاعدة الأخرى أو الوجه الآخر للقاعدة السابقة أن الصوت إذا لم يصلح للحلول محل صوت آخر فهما من أصل صوتى واحد، فالنون فى ينفع مثلا تنطق باتصال الشفه السفلى بالأسنان العليا فهى شفوية أسنانية وهذا النطق الشفوى الأسنانى لا يصلح فى كلمة مثل ينقل لأن «ينقل» تنطق نونها فى مخرج القاف وهو اللهاة وما أبعد الشقة بين المخرجين ولو أنك تكلفت نطق «ينقل» بنون «ينفع» لرد ذلك عليك مرفوضاً لأنه نطق غير عربى أى لا تعترف به القواعد

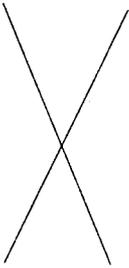
الصوتية للغة العربية فالخلاصة أن تغير المعنى عند المعاقبة يدل على اختلاف الأصلين وامتناع المعاقبة يدل على وحدة الأصل.

وربما كان من المجدى أن نسوق مثالا آخر للعلاقة التقلبية Diachronic ما يكون بين مفردات الجدول الإسنادى الواحد من علاقة رأسية بسبب تقليب الأصل على مختلف الصور وذلك على النحو التالى:



أضرب	ضربتُ	أنا
نضرب	ضربنا	نحن

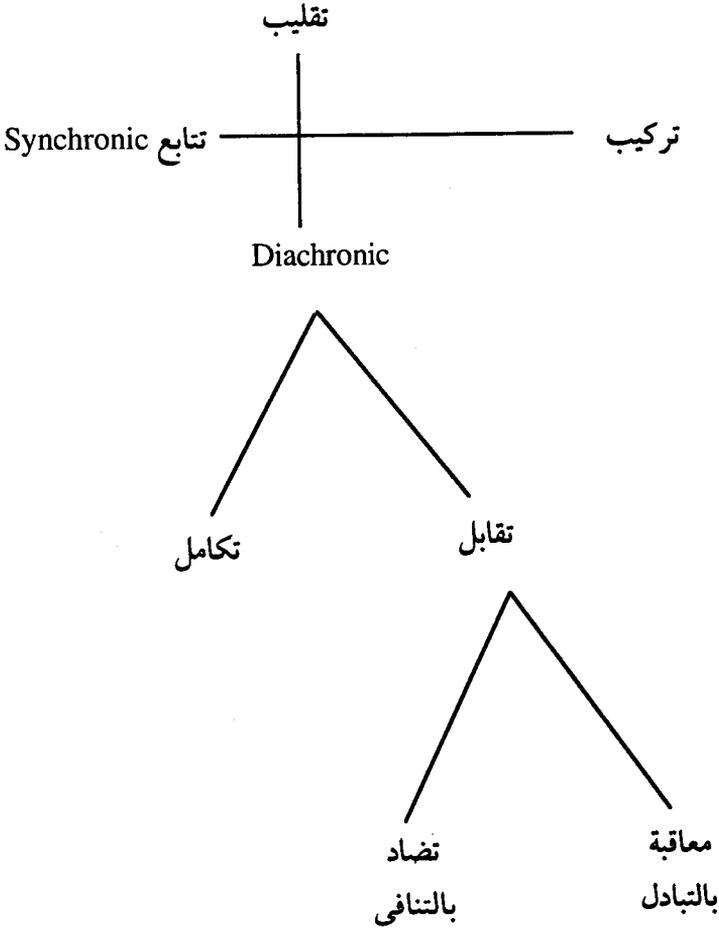
أضربُ	تضربُ	ضربتَ	أنتَ
أضربى	تضربين	ضربتِ	أنتِ
أضربا	تضربان	ضربتما	أنتما
أضربا	تضربان	ضربتما	أنتما
أضربوا	تضربون	ضربتم	أنتم
أضربن	تضربن	ضربتن	أنتن



يضربُ	ضربَ	هو
تضربُ	ضربتِ	هى
يضربان	ضربا	هما
تضربان	ضربتا	هما
يضربون	ضربوا	هم
يضربن	ضربن	هن

فالعلاقة بين كل ماض وماض أو بين كل مضارع ومضارع أو بين كل أمر وأمر هى علاقة رأسية قوامها تقليب الفعل على حالات الإسناد إلى الضمائر وهذه العلاقة التقلبية لا تسمح لأى اثنتين من هذه الصيغ أن تتواليا على السطر لينشأ عنهما تركيب أو جملة ويقال مثل ذلك فى مشتقات المادة الواحدة وفى مفردات كل جدول على الإطلاق.

أما العلاقة الأخرى التركيبية Synchronic فهي علاقة أفقية بين مفردات الجملة كعلاقة الإسناد أو التعدية أو الغائية أو المعية إلخ وحين حاولت الكشف عن هاتين العلاقتين في النحو العربي وجدت نظام النحو ينمى في داخله العلاقة التقليدية ويثريها حتى يصبح الشكل الإيضاحي السابق بحاجة إلى التعديل على النحو التالي:



وكل واحدة من المعاقة والتضاد والتكامل فروع على العلاقة التقليدية وجميع ذلك يقف بإزاء التابع الذي هو مظهر العلاقة التركيبية والمقصود بالمعاقة التبادل وهو صلاحية العنصرين اللغويين أن يحل أحدهما محل الآخر. والمقصود بالتضاد التنافى وهو علاقة عنادية بين مفهومين إذا تحقق أحدهما امتنع الآخر. والمقصود بالتكامل أن

يتكون من مجموع الوحدات المتكاملة مجموعة يتمثل بها نظام فرعى من أنظمة اللغة كما رأينا فى الجدول الإسنادى السابق الذى تمكنا بواسطته من التعبير عن تقليب الصيغ المسندة إلى الضمائر بحيث اتضح من تجاورها فى الجدول أنها تقع فى منظومة فرعية متكاملة لكل من عناصرها موقعه فى الجدول وهذا الجدول أحد الأنظمة الفرعية فى اللغة.

أما وقد وصلنا إلى هذه النقطة التى حاولنا بالوصول إليها أن نقدم بيانا نظريا للتقليب والتركيب فإننا ننطلق الآن إلى الكشف عن مجالات المعاقبة والتضاد والتكامل والتتابع فى النحو العربى على النحو التالى:

أ - المعاقبة: عندما نسمع أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض يكون معنى ذلك أن بعضها يعاقب بعضا أى يقع موقعه ويؤدى وظيفته، هذا هو معنى المعاقبة وهو ما نلمحه فى مفهومات مثل الإغناء ومعاقبة الوصف للفعل ومعاقبة الجملة ذات المحل للمفرد والمصدر المؤول للمصدر الصريح ومعاقبة المفعول معه للفعل المضارع المنصوب بعد وأو المعية ومعاقبة المفعول لأجله للمضارع المنصوب بعد اللام ومعاقبة أن وما دخلت عليه لمفعولى ظن ومعاقبة ذكر الخافض لنزع الخافض ومعاقبة الإظهار للإضمار والذكر للحذف والحقيقة للمجاز وهلم جرا وواضح أن المعاقبة تقليب لا تركيب.

ب - التضاد - ويتضح التضاد فى التقسيمات الثنائية كالتخبر والإنشاء + وكالجملة الأسمية والجملة الفعلية والعلاقة الإعرابية والمحل الإعرابى وكالإعمال والإهمال وكالعمدة والفضلة وكالجمود والاشتقاق وكالتمام والنقص والخفة والثقل والراجع والمرجوح وكالأولى وغير الأولى وكالإفادة والإحالة وكاللبس وأمنه الخ، وكل عنصر فى هذه الأزواج إذا تحقق ارتفع قرينه والعلاقة بينهما من قبيل التقليب لا التركيب.

ج - التكامل: التكامل يكون بين أفراد كل مجموعة من المباني كمشتقات المادة ومفردات جدول الإسناد ومفردات جدول التصريف (التي تبين من خلالها صلاحية اللفظ لمختلف أنواع الزوائد الدالة على المعانى كالتثنية والجمع والتعريف والتنكير الخ) والضمائر ومبنيات الظروف ومجموعات الحروف (كحروف الجر وحروف

العطف الخ) والقرائن اللفظية والنظم الفرعية التي يتكون منها النظام الأكبر للغة وكل أنواع التقسيمات ومحاور المطابقات وحقول المعجم الخ وكل ذلك متكامل مفرداته ولا تتابع فالعلاقة من قبيل التقليل لا التركيب.

د - التتابع: ويفهم هذا في العلاقات التي تقوم على السطر بين عناصر أنماط الجمل والمركبات وبين التابع والمتبوع والمفسر والمفسر والتميز والمميز والضمير ومرجعه وتحمل الضمير وعدمه والمطابقة بين العنصرين والرتبة بينهما والفصل والوصل والافتقار والاختصاص والاقتران والعامل والمعمول وتقدير الجملة والتركيب الخ. فالعلاقة في كل موقع من هذه المواقع إنما تقوم بين عنصرين من عناصر النص أفقيا على السطر لا رأسيا في الجدول.

هذا عن العناصر البنيوية في النحو العربي أما العناصر التوليدية التحويلية فحسبنا أن نرى دعوى النحاة أن اللغة سليقة وأن بعض حالات الحذف لا يقدر المحذوف فيها إلا في ضوء فهم معين أقرب ما يكون إلى البنية العميقة وأن بعض البنى السطحية نحو ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران ١٠٢) ليس معناها في الحقيقة نهيا عن الموت وإنما هو أمر بالتمسك بالإسلام حتى الموت وكون البنية السطحية نهيا لا يطعن في أن معناها الأمر وانظر أيضا إلى قولهم إن مفعولى ظن والثاني والثالث من مفاعيل أعلم وأرى أصلها المبتدأ والخبر وأن مفعولى أعطى ليس أصلهما المبتدأ والخبر وأول هذين المفعولين هو الآخذ ولو كانت رتبته التأخير وثانيهما هو المأخوذ ولو تقدم نحو ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (البقرة ٢٦٩)

وقولهم إن التمييز قد يحول عن الفاعل أو عن المفعول الخ مما يقترب كثيرا من أفكار التوليديين.

والعلاقتان التقليلية والتركيبية كلتاهما ذواتا صلة وثيقة بقريئة التضام التي نعرف من خلالها إمكان التوارد والمعاقبة والتنافي أو التضاد والتكامل الذى يظهر بوضوح أن العنصرين المتكاملين لا يتعاقبان، أما التتابع فهو المسرح الأصيل لقريئة التضام فى السياق.

فلا يكاد باب من أبواب النحو العربي يخلو من ظاهرة التضام إما في صورتها الإيجابية كالافتقار والاختصاص والتوارد، وإما في صورتها السلبية كالتنافي أو التنافر. والمعروف أن الافتقار والاختصاص والتنافي من ظواهر استعمال العناصر التركيبية وأن التوارد والتنافر من ظواهر استعمال الكلمات المعجمية، فأما الافتقار فإما أن يكون للفظ بحسب أصل الوضع وعندئذ يسمى متأصلا وإما أن يكون للباب بحسب التركيب فيسمى غير متأصل. فالافتقار المتأصل هو افتقار العناصر التي لا يصح إفرادها في الاستعمال وإن صح ذلك عند إرادة الدراسة والتحليل مثال ذلك افتقار حرف الجر إلى المجرور وحرف العطف إلى المعطوف وحرف الاستثناء إلى مستثنى إن حذف وجب تقديره كما في «ليس إلا» وواو الحال إلى جملة الحال والضمير إلى مرجعه والموصول إلى صلته وبعض الظروف إلى مضاف إليه إما مفرد وإما جملة وغير المتأصل كافتقار المضاف إلى مضاف إليه والحال إلى حدث تلاسه وفعل التعجب إلى تمييزه والابتداء إلى خبره وإنما سمي غير متأصل لأن الافتقار هنا غير منسوب إلى الكلمة فحين تقع الكلمة موقعها للتعبير عن الباب لا يكون الافتقار للكلمة لأنها غير مفتقرة بحسب الأصل وإنما يكون الافتقار للباب فكل كلمة تقع هذا الموقع يفرض عليها الباب هذا النوع من الافتقار.

وأما الاختصاص فهو من صفات الحروف والأدوات لأن الأداة إما أن تدخل على نوع معين من الكلمات لا تتعداه إلى غيره فتسمى مختصة كاختصاص إن وأخواتها بالدخول على الأسماء واختصاص حروف الجر بذلك أيضا واختصاص الجوازم بالدخول على المضارع، وإما أن تصلح الأداة للدخول على مختلف أنواع الكلمات مثل «ما» النافية وأدوات الاستفهام وحروف العطف فتكون غير مختصة وقد انتفع النحاة بهذه الظاهرة في تنظيرهم للإعراب فكان من أصولهم: «لا يعمل الحرف إلا إذا كان مختصا».

والتنافي أيضا من ظواهر العناصر التركيبية ولو أن العنصر المنفى قد يكون بابا من الأبواب وقواعد ذلك عند النحاة قواعد سلبية لا تخلو من «لا» النافية كقولهم:

«لا يدخل الحرف على الحرف»

«الضمير لا يوصف ولا يضاف»

«لا تدخل حروف الجر على الأفعال»

«لا تدخل الجوازم على الأسماء»

«لا تجر حتى إلا ما كان آخر أو متصلا بالآخر»

فإذا وضعنا هذه القواعد السلبية جنبا إلى جنب مع القواعد الإيجابية للافتقار والاختصاص عرفنا موقف النحو من طوائف الكلمات التركيبية وهى أهم وسائل تركيب الكلام وأكثر الكلمات دورانا فى الجمل.

أما التوارد والتنافر فمن ظواهر المفردات المعجمية «وقد سبق أن ذكرنا الفرق بين الكلمات التركيبية والكلمات المعجمية».

ويرجع ذلك إلى أن مفردات المعجم تنتظم فى طوائف يتوارد بعضها مع بعض ويتنافر مع بعض آخر. فالأفعال طوائف تتوارد كل طائفة منها مع طائفة من الأسماء وتتنافر مع الأسماء الأخرى «وهذا هو معنى قول البلاغيين»: «إسناد الفعل إلى من هو له أو إلى غير من هو له» والمبتدآت والموصوفات وأصحاب الأحوال طوائف يتوارد كل منها مع كلمات دون أخرى لتكون خبرا عنها ونعتا لها وحالا منها. فمن غير المقبول أن يقال: «فهم الحجر المسألة» لأن الفعل «فهم» يتطلب فاعلا عاقلا ولا أن يقال «انكسر الخيط» لأن فى الخيط من المرونة ما يحول بينه وبين الوصف بالكسر، ولا أن يقال: «دهنت الهواء بزید» لأن الهواء لا يدهن وليس زيد دهانا. فهذه التراكيب تشتمل على كلمات متنافرة ومن ثم تفتقد عنصر الإفادة وإن تحققت لها صحة التركيب النحوى بحيث يمكن إعرابها. ومعنى هذا أن الجمل المذكورة تتسم بالإحالة:

وللنحو شروط تضبط توارد طائفة مع أخرى لا يكاد يخلو منها باب من أبواب النحو وإليك بعض هذه الشروط المعجمية.

١ - يشترط للمفعول المطلق أن يشارك فعله فى مادة اشتقاقه.

٢ - لا يكون التوكيد لفظيا إلا مع تكرار اللفظ.

٣ - إذا أفاد الفعل مشاركة أو تسوية أو مخالفة أو نحوها وجب أن يكون فاعله

مثنى أو جمعا أو معطوفا عليه.

٤ - لا يضاف اللفظ إلى ما فى معناه .

٥ - لا تكون الحال من مادة الفعل الذى نصبت به إلا مع تخصيص الحال نحو سعى ساعيا إلى حتفه .

٦ - لا تأتى الحال من المضاف إليه إلا بشرطين أحدهما معجمى والآخر نحوى يقول ابن مالك: «ولا تجز حالا من المضاف له . . . إلخ» .

٧ - لا حذف إلا بدليل يدل على المحذوف .

٨ - لا تبنى النكرة على الضم فى النداء إلا مع القصد .

٩ - يلزم الربط بإعادة اللفظ إذا خيف اللبس .

١٠ - لا تدخل «أن» المصدرية على فعل لا مصدر له كعسى وليس ونعم وبئس

الخ .

١١ - لا يأتى المطاوع إلا من فعل يمكن لمفعوله أن يتأبى على قبول الحدث فلا

يجوز «انقتل» أو «انضرب» .

١٢ - تعتمد المطابقة أحيانا على اختلاف الاعتبار كما نقول: العرب أمة . فيؤنث

فعلها وهى شعب فيذكر الفعل فيقال: قال العرب وقالت العرب .

١٣ - المناسبة المعجمية ضرورية بين اللفظين فلا يجوز أن يقال «صعد إلى أسفل

الجبلى» أبدا ولا اشترت الطمأنينة بالحيلة إلا على سبيل المجاز .

١٤ - على الرغم من وصف الفعل فقط بالتعدى واللزوم حتى ليوحى ذلك بأن

التعدى واللزوم نحويان فقط تمتد الظاهرة إلى مشتقات المادة من الأوصاف كوصف

الفاعل والمفعول والمبالغة وإلى المصدر أيضا فالظاهرة معجمية فى أساسها .

ومما يقع فى حيز القول فى ظاهرة التضام الحذف والزيادة والفصل والاعتراض

وإدخال اللفظ على غير مدخوله ومنه التضمين وإغناء أحد العنصرين عن الآخر

والشروط التركيبية الضرورية لتأليف ألفاظ السياق .

فالحذف لا يكون إلا بدليل من بنية معهودة أو نمط معروف أو قرينة قائمة أو

معنى فى السياق لا يستقيم إلا مع تقدير الحذف . فمن حذف جزء من البنية

المعهودة، ما نراه بكثرة في الأسلوب القرآني من حذف ياء المنقوص لغير التقاء السكانين كما في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة ١٨٦).

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ (الرعد ٩)

﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفِ فِيهِ

وَالْبَادِ ﴾ (الحج ٢٥)

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الحج ٥٤)

﴿ وَجِفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ (سبأ ١٢)

﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ (غافر ١٥)

﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ (غافر ٣٢)

﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (الشورى ٣٢)

﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (ق ٤١)

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴾ (القمر ٦)

وهذا النوع من الحذف لا يعد من قبيل ظاهرة التضام لأنه مقصور على الكلمة المفردة.

أما حذف الأداة فقد يكون للأداة الداخلة على الجملة أو الداخلة على المفرد أو لأحد عنصرى الجملة أو للعنصرين مع ذكر الأداة الداخلة عليهما نحو «ولو..». و«ماذا» و«لم». فمن حذف الأداة الداخلة على الجملة حذف همزة الاستفهام فى قوله تعالى:

﴿ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة ١٢٤)

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الشعراء ٢٢)

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرِ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (محمد ١٥)

أى أمثل الجنة كمن هو خالد فى النار.

ومن حذف الأدوات الداخلة على المفردات ما يسمى بنزع الخافض نحو:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام ١١٧).

﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (القصص ٨٥)

ومن حذف الواو الداخلة مع جملة الحال «ومعها قد» ما رصده النحاة من قوله تعالى: ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ﴾ (النساء ٩٠) وكذلك:

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص ٢١)

﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَيَّ وَجْهٌ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾ (الحج ١١)

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ (المجادلة ٦)

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾

(العنكبوت ٤١)

ومن حذف «قد» الداخلة على الماضى فى جملة الحال مع بقاء الواو قوله تعالى:

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ ﴾ (البقرة ١٦٦) أى وقدر أو

العذاب.

﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ (آل عمران ١٦٨) أى وقد
قعدوا ﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَآذَا تَفْقِدُونَ ﴾ (يوسف ٧١) أى وقد أقبلوا

وحذف حرف العطف كثير فى القرآن حين يتلوه فعل ماض من مادة القول نحو:

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا

مَنْسِيًّا ﴾ (مريم ٢٣)

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّمَاهُكُونُ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا هَلَّهَا كَانُوا

ظَالِمِينَ قَالَ إِنْ لَوْطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾ (العنكبوت ٣١ - ٣٢)

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ

لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ﴾ (يوسف ٤ ، ٥)

﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ

مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾ (يوسف ١٧)

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ (ص ٢٢)

﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ

تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (التوبة ٩٢)

وعلى الرغم من أن فاء العطف فى الشاهد الأخير تصلح أن تلحق «تولوا» كما

تصلح أن تدخل على «قلت» أجدنى أكثر ميلا إلى تقديرها قبل «قلت» حسبما جرى

عليه التقدير فى الشواهد التى سبقت ويكون المعنى .

«إذا ما أتوك فقلت تولوا» .

وقد رأينا كثرة الحذف قبل فعل القول بالذات . أما قبل غيره فسنراه عند الكلام فى

الفصل البلاغى .

وفيما يلي صور أخرى من حذف الحرف:

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ (الأعراف ١٣٨) أى كما أن لهم آلهة.

* ﴿ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ ﴾ (الأنبياء ١٣) أى وإلى مساكنكم

وذلك كان شأن حذف الحرف سواء أكان من حروف المباني كما سبق فى الكلام عن ياء المنقوص أو من حروف المعانى كالذى تلا ذلك حتى هذه اللحظة. ولكن الضمير أيضا قد يحذف سواء أكان متصلا أم منفصلا فمن قبيل حذف الضمير حذف ياء المتكلم سواء أكانت فى مواقع المفعول به أم كانت فى موقع المضاف إليه كما فى الشواهد التالية:

* ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ (هود ٦٣ وكذلك ٨٨)

* ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ ﴾ (يوسف ١٠١)

* ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (الرعد ٣٢)

* ﴿ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَّآبِ ﴾ (الرعد ٣٦)

* ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ (ابراهيم ٤٠)

* ﴿ قَالَ إِنْ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ (الحجر ٦٨)

* ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ (الحجر ٦٩)

* ﴿ فَايَايَ فَارْهَبُونَ ﴾ (النحل ٥١)

* ﴿ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ (الكهف ٦٦)

* ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ (طه ٩٢، ٩٣)

ومن قبيل حذف الضمير أيضا حذف العائد الذى به يتم الربط وذلك عند وضوح

المعنى وأمن اللبس وذلك كما فى الشواهد التالية:

* ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ (البقرة ٤٨) أى لا تجزى فيه

* ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف ٣٣) أى تعلمونه

* ﴿ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص ٦) أى

يحذرونه

* ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا

فَرَضْتُمْ ﴾ (البقرة ٢٣٧) أى فنصف ما فرضتموه

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾

(آل عمران ١٥٢) أى تحبونوه

وقد يكون المحذوف كلمة مفردة أيا كان موقعها من الأعراب فيستدل على حذفها

إما بأصل التركيب كحين يحذف المبتدأ أو الخبر وإما بوجود الحرف دون مدخوله

فيقال إن المدخول محذوف وإما بقرينة السياق ومعناه العالم كما يبدو فى الشواهد

الآتية:

* ﴿ وَإِنَّ كَلَّامًا لِّيُوقِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالُهُمْ ﴾ (هود ١١١) أى لما يوفوا أعمالهم

* ﴿ كَهَيْعَتِ ۝١ ذِكْرٌ رَّحِمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾

(مريم ١ - ٣) أى هذا ذكر...

* ﴿ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴾ (سبا ١٥) أى بلدتكم بلدة طيبة وربكم رب غفور.

* ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ (محمد ٢١) أى أجدر بهم

* ﴿ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾

(البقرة ١٧٨) فحقيق به اتباع

* ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة ١٨٤) أى

فأفطر فكفارته عدة..

* ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ (البقرة ٢٨٣) أى

فضمانتكم رهان

* ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ (البقرة ٢٨٠) أى فأجله نظرة... .

ولقد درج النحاة على تقدير ما أطلقوا عليه «واجب الحذف» قبل كل مصدر منصوب لم يسبق ذكر فعله ولكن هذه المصادر ينصب بعضها على معنى الإنشاء فلو قدرنا لها فعلا ناصبا لتحول معناها إلى الخبر.

انظر مثلا إلى المصادر المنصوبة التالية.

* - ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (مريم ٣٤) فقوله

«قَوْلَ الْحَقِّ» فى موقع الاعتراض والمعنى «ذلك عيس بن مريم الذى فى يمترون» وليس معنى الاعتراض «أقول الحق» لأن ذلك يجعله خبرا لا إنشاء ومعناه فى الإنشاء قريب من معنى القسم أو التأكيد بلفظ «حقا».

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ

اللَّهُ حَقًّا ﴾ (لقمان ٨ ، ٩) إنشاء وعد ملزم

* ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ

الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ ﴾ (الأحقاف ١٦) إنشاء وعد أيضا

* ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ (النساء ٢٤) إنشاء فرض

الإيتاء

* ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (النساء ٣٦) إنشاء أمر بالإحسان

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ

اللَّهِ ﴾ (التوبة ١١١) إنشاء تعهد بدليل قوله ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ ﴾ (يونس ٢٣) إنشاء الوعيد أى تمتعوا بواسطة استعمال المصدر بمعنى الأمر أى عيشوا حياتكم القصيرة فى الدنيا ثم إلينا تعودون فى الآخرة مثل ﴿وَلَيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت ٦٦).

* ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ (محمد ٤) إنشاء الأمر بالضرب ولكن هناك منصوبات تدعو إلى تقدير واجد الحذف كما قال النحاة لأن معناها على غير المعانى السابقة فلا هى وعد ولاعهد ولا وعيد ولا إغراء ولا تحذير ولا معنى آخر من معانى الإنشاء ومن ذلك قوله تعالى:

* ﴿ سَنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِّن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ (الإسراء ٧٧) أى سنننا

* ﴿ سَنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (الإحزاب ٣٨) أى سنننا

وقد يكون اللفظ المفرد المحذوف صفة أو موصوفا أو مضافا أو مضافا إليه أو مفعولا به أو غير ذلك. مثال حذف الصفة قوله تعالى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (الكهف ٧٩) أى سفينة غير معيبة بدليل «فأردت أن أعيبها» وقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوُّوْا وُجُوهُكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الإسراء ٧) أى المسجد الاقصى وقوله: ﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان ٤٤) أى الانعام الضالة بدليل «بل هم أضل»

ومن حذف الموصوف قوله تعالى: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (آل عمران ٧)

أى وآيات أخرى متشابهات وكذلك ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّوَّابِينَ فِئَةٌ تَقَاتَلُ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴿ (آل عمران ١٣) أى وفئة أخرى وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ ﴾ (النساء ٣) أى فامرأة واحدة وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (النساء ٨٦) أى بتحية أحسن منها وكذلك ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الأعراف ١٨٩) أى غلاما صالحا. وقوله: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ﴾ (التوبة ١٠١) أى أعراب منافقون.

أما حذف المضاف (وهو يعرف فى البلاغة بمجاز الحذف) فأشهر شواهدة ﴿ واسأل القرية التى كنا فيها والعرير التى أقبلنا فيها ﴾ (يوسف ٨٢٢) أى أهل القرية وأصحاب العير والقرينة على الحذف عقلية لعدم صحة سؤال البيوت والإبل. ومثل ذلك أيضا ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾ (الرعد ١٧) أى يضرب مثل الحق ومثل الباطل.

وقوله ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبْ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾ (الحج ١١) أى خير الدنيا وخير الآخرة.

وقوله: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ ﴾ (الزمر ٩) أى يحذر عذاب الآخرة وحذف المضاف إليه مشهور فى الاستعمال مع التعويض عنه بتنوين العوض إذ يلحق بلفظ «كل» و«إذ» حين تضاف «إذ» إلى الحين أو ما فى معناه ويستعاض عنه بالبناء على الضم للفظى قبل وبعد حين يقطعان عن الأضافة وربما كانت «إذاً» أحيانا هى «إذا» الظرفية لحقها تنوين العوض لحذف جملة الإضافة وفيما يلى شواهد على حذف المضاف إليه:

* ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (النساء ٧٨) أى كل ذلك

* ﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا ﴾ (البقرة ١٤٨) أى لكل واحد

* ﴿ كُلٌّ آمِنٌ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (البقرة ٢٨٥) أى كل واحد منهم

* ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾ (النساء ٤٢)
أى يوم إذ نأتى من كل أمة بشهيد

* ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ (الأنفال ١٦) أى يوم إذ تلقونهم زحفا

* ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ (إبراهيم ٤٩) أى يوم إذ تبدل الأرض غير الأرض

* ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ (البقرة ٢٥) أى من قبل ذلك

* ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ (آل عمران ٤) أى من قبل الكتاب الذى نزله عليك

* ﴿ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ ﴾ (إبراهيم ٤٤) أى من قبل يوم العذاب هذا

* ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴾ (يوسف ٧٩) أى إنا إذا أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده لظالمون

والقول بحذف المفعول به إنما يكون مع اختصاص الفعل بمفعول معين بحيث إذا ذكر الفعل دون مفعوله عرف المفعول ويكون هذا الاختصاص بسبب من الدلالة المعجمية للفعل أو من دلالة الجملة فى عمومها. فمن الحذف الذى يدل عليه المعنى المفرد للفعل قوله تعالى:

* ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (البقرة ٢٨٥) أى سمعنا قولك وأطعنا أمرك

* ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ (الحج ٥٢) أى إلا إذا تمنى شيئا ألقى الشيطان الوسوسة فى أمنيته أى إذا تلا ألقى الشيطان فى تلاوته.

* ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ﴿
(القصص ٢٣ ، ٢٤) فالسقى والإصدار لا تكون إلا للأنعام هذا ما تدل عليه الأفعال
يَسْقُونَ - تزدودان - نسقى - يصدر

* ﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (الطور ٢٩) أى فذكر
قومك

* ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ (الحشر ٧) أى ما أفاء الله من غنيمة.

* ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٧٥)
فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ ﴿ (التوبة ٧٥ - ٧٦)

أما المفعول الذى يدل عليه سياق الكلام فمن شواهد ما يلى :

* ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا
حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) فَاَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ
وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿ (آل عمران ١٧٣ - ١٧٥) أى إنما ذلكم الشيطان يخوفكم
أولياؤه فلا تخافوهم.

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿
(الأعراف ١٥٢)، أى اتخذوا العجل إليها.

* ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ (الأعراف ١١٥) أى
إما أن تلقى عصاك وإما أن نكون نحن الملقين حبالنا وعصينا.

* ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (الأنفال ١٧) أى وما رميت المشركين
إذ رميتهم ولكن الله رماهم.

* ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (التوبة ١٩) أى أجعلتم من يتولى سقاية الحاج.

* ﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ (يونس ٧٧) أى أتقولون للحق لما جاءكم «هذا سحر» أسحر هذا؟

* ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ (الرعد ١٤) أى والذين يدعونهم

* ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ (الإسراء ٥٧) أى الذين يدعونهم وهم الشركاء المزعومون.

* ﴿ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ (النور ٤٣) أى وينزل من السماء بردا من جبال فيها من برد.

* ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (سبأ) أى ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات مغفرة ورزقا كريما.

* ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ (العاديات ٩ - ١١) أى أفلا يعلم أن ربهم خبير إذا بعث ما فى القبور...

* ﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ (النساء ٩) أى خافوا عليهم جور الأوصياء.

فدليل الحذف فى كل ذلك ليس فى المعنى المفرد للفظ الفعل وإنما يؤخذ من سياق الكلام المعروف أن الشيطان فى الشاهد الأول كان يخوف المؤمنين من أوليائه وأن المقابلة فى الشاهد الثانى بين سب الهتهم وسبهم لله تعالى وأن الفعل «اتخذ» فى الشاهد الثالث يتطلب مفعولا ثانيا وأوضح النص أنهم اتخذوه إلهها وهكذا فى بقية الشواهد.

وقد يكون المحذوف عنصرا غير نحوى ولكنه تقتضيه استقامة النص وقد يكون كلمة واحدة كفعل القول مثلا أو كلاما أطول من ذلك لربط سياق النص فيكون من الوضوح بدرجة تجعل ذكره إطنابا لا مبرر له. من ذلك مثلا قوله تعالى:

* ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأنعام ٣٥) أى إن استطعت فافعل

* ﴿ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ائْتِنَا ﴾ (الأنعام ٧١) أى قائلين له أئتنا
* ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ (الأنعام ٩٣) أى قائلين لهم أخرجوا

* ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ (الأنعام ١٢٨)
أى يقول يا معشر الجن

* ﴿ قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (الأعراف ٨٨) أى كارهين أن نعود فى ملكتم.
* ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (هود ٧٤) أى جعل يجادلنا.

* ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ (هود ٨٨) أى إن كنت على بئنة من ربى أكفر به.
* ﴿ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ (الرعد ٣٣) أى أفمن هو قاذم على كل نفس بما كسبت يُنسب إليه شركاء.

* ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ (إبراهيم ٤٨) أى والسموات غير السموات.

* ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن

يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿ (الإسراء ٥٠ - ٥١) أى كونوا كذلك فلا بد من إعادتكم وبعثكم.

* ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿ (مريم ٢٩) أى أشارت إليه أن كلموه أو أسألوه.

* ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ﴿ (طه ١٠) أى انست نارا وسأذهب إليها لعلى أتیکم منها بقبس.

* ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿ (طه ٩٢ - ٩٣) أى قال وقد أخذ بلحية أخيه ورأسه يجره إليه ياهرون مامنعك.....

* ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴿ (الفرقان ٢٠) أى لنعلم أتصبرون أم لا.

* ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لِأَعَذَّبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴿ (النمل ٢٠ - ٢٢) أى وجاء الهدهد فعلم بما قاله سليمان فخاف العقوبة فمكث غير بعيد.

* ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿ (النمل ٢٨ - ٢٨) أى فذهب الهدهد بالكتاب فألقاه إليهم فلما وقع فى يدها قالت يا أيها الملأ.....

* ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴿ (لقمان ٢٧) أى وسخر ذلك لكتابة كلمات الله ما نفذت كلمات الله.

* ﴿الْم ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴿٣﴾ (السجدة ١ - ٣) أى أيصدقون ذلك أم يقولون افتراه.

* ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلُوبًا تَمَتَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (٨) ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو ﴿٩﴾﴾ (الزمر ٨ - ٩) أى أهذا خير أم هو قانت .

* ﴿أَنْدَادًا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (ق ٣) أى أنذامتنا نبعث مرة أخرى

ومن ظواهر التضام أيضا الزيادة ، والقول بالزيادة ينسب إلى النحو ولا ينسب للقران . . ذلك أن الزائد إنما هو زائد على أصل النمط أى على أصل وضع الجملة ، فَلِلْجُمْلَةِ أركانها وفضلاتها من المنصوبات ، والمجرورات ، فإذا ورد فيها غير ذلك فهو زائد على مطالب الصحة والإفادة وما دامت زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، فإن فى زيادة المبنى تأكيدا للمعنى وهذا ما اعترف به البلاغيون وطبقه الأدباء من كل الطوائف وما دمنا نعترف بأن النص القرآنى يشتمل على تأكيد للمعنى ، فإن الزيادة إحدى وسائل التوكيد لامشاحة فى ذلك . وهكذا يجب أن ندخل إلى القضية وألا ننسب القائلين بالزيادة إلى التزيد على النص القرآنى لأن الزيادة نحوية لا قرآنية ، إذ ليس المقصود أن القرآن نزل بدون هذه الزوائد ، ثم زيدت هذه عليه (حاشا لله) ، كما أن القول بالحذف منذ قليل لا يعنى أننا ذهبنا إلى أن بعض الفاظ القرآن أهدر وبقى البعض الآخر والعياذ بالله . فإذا علمنا أن كل زيادة إنما جىء بها لتأكيد المعنى أصبح من المستحسن أن نشير إلى أن الزيادة إنما تكون عادة فى الحروف وبعض الضمائر . وفيما يلى طائفة من الشواهد على ذلك فمن زيادة حرف الجر قوله تعالى :

* ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ (البقر ٢٦٧).

* ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (هود ٢٩).

* ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء ١١٤).

* ﴿أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ (الشعراء ١٤٦) أى أتتركون ههنا .

* ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت ٤٦).

ومن زيادة «لا» قوله تعالى:

* ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام ١٠٩) أى إذا جاءت يؤمنون.

* ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ (الأعراف ١٢) أى مامنعك أن تسجد.

* ﴿ قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ (طه ٩٢) أى مامنعك أن

تتبعنى.

* ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ (فاطر ١٩ - ٢٢) أى وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور وما يستوى الأحياء والأموات.

* ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ (فصلت ٣٤) أى الحسنة والسيئة.

* ﴿ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (الحديد ٢٩) أى ليعلم.

* ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ (المعارج ٤٠) أى فأقسم.

* ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ (البلد ١) أى أقسم.

ومن زيادة حرف العطف قوله تعالى:

* ﴿ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (آل عمران ١٤٠) أى نداولها ليعلم.

* ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (آل عمران ١٥٤) أى لبرزو البيتلى .

* ﴿ وَكَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتبينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام ٥٥) أى نفصل لتستبين ويكثر فى القرآن بدء الجملة بلفظ الإشارة، ثم زيادة الواو قبل التعليل، كما حدث فى الآية السابقة، ومن ذلك (الأنعام ٧٥) - (الأنعام ٩٢) - (الأنعام ١٠٥) - (الأعراف ١٧٤) - (يوسف ٢١) وغير ذلك .

* ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ (الأنعام ١١٢ - ١١٣) أى ذرهم وما يفترون لتصغى .

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ (آل عمران ١٥٢) أى حتى إذا فشلتم تنازعتم ثم صرفكم عنهم .

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ (التوبة ١١٨) أى حتى إذا ضاقت عليهم الأرض ظنوا .

* ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (يوسف ١٥) أى فلماذا هبوا وأجمعوا أوحينا .

* ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ (طه ٣٩) أى ألقى لتصنع .

* ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ (الصافات ١٠٣ ، ١٠٤) أى فلما أسلما وتله نادينا .

* ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (الزمر ٧٣) أى حتى إذا جاءها وفتحت .

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (الحج ٢٥) أى:
إن الذين كفروا يصدون.

وقد تزداد «ما» بعد «إن» فيتحول بها التوكيد الذى فى إن إلى حصر والحصر أقوى، كما فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾ (المائدة ٣٣) أو تزداد بعد حرف الجر كما سبق فى قوله تعالى: ﴿ أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمَنِينَ ﴾ (الشعراء ١٤٦) وقوله: ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ (نوح ٢٥) وقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران ١٥٩). أما زيادة الضمير فأجدنى شديد الميل إلى رؤية ما أطلق عليه النحاة ضمير الشأن ضميرا زائدا عن مطلب صحة الكلام وإفادته بقصد التوكيد لأن المضمون الذى يراد التعبير عنه، إنما تعبر عنه الجملة التى بعد ضمير الشأن، وبخاصة عندما رأوا هذا الضمير مبتدأ، أما إذا دخلت عليها «إن» أو إحدى أخواتها فزيادة الضمير بعدها كزيادة «ما» فى «إنما». وهكذا أرى الفرق بين قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص ١) وقولنا «إنما لا يفلح المجرمون»، فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (يونس ١٧)، وكذلك ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ﴾ (فصلت ٢٨) لأن ضمير الإشارة عندى يصلح للشأن، وقد يزداد الضمير للتأكيد فى مواطن أخرى كما فى قوله تعالى:

١ - * ﴿ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾

(النمل ٣) أى وهم بالآخرة يوقنون

٢ - * ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ (النمل ٥)

أى وهم فى الآخرة الأخسرون أو وفى الآخرة هم الأخسرون.

ومن ظواهر التضام ظاهرة الفصل. والفصل نوعان فصل بالمعنى النحوى وفصل

بالمعنى البلاغى، وكان من الأفضل أن يستعمل أحد الفريقين لفظ «الفصل» ويستعمل الآخر لفظا آخر يحول دون الخلط فى الفهم، ولكن الخلط الناتج عن هذا المصطلح المستعمل فى فرعين من فروع دراسة اللغة أيسر مما يأتى من مصطلح آخر لمصطلح «المفرد» الذى يتعدد معناه فى حدود مادة واحدة هى النحو. فالمفرد.

أ - غير المثنى والجمع

ب - غير الجملة وشبه الجملة

ج - غير المضاف والشبيه بالمضاف

نعود من هذا الاستطراد إلى موضوع الفصل بقسميه فنبداً الكلام فى الفصل النحوى. حين وضع النحاة للجملة النحوية نمطا جعلوا للمفردات فى داخل الجملة درجات متفاوتة من الارتباط وجعلوا أقوى الروابط بين الكلمتين رابطة التلازم، ثم جعلوا لمفردات الجملة ميزة انتمائها إلى الجملة، وجعلوا كل مالا ينتمى إلى الجملة أجنيا عنها وكرهوا الفصل بين المتلازمين بأجنبى، وإن لم يكرهوا الفصل بينهما بالجملة المعترضة لمالها من استقلال فى الفهم يحول دون نسبتها إلى مجرى الكلام. فالقضية كما ترى هى قضية الحفاظ على قرينة التضام أن يحيط بالكلام لبس بسبب الترخص فى تطبيقها.

ومما يوصف بلفظ «المتلازمين» الأداة ومدخولها والفعل والفاعل والمضاف والمضاف إليه والمنعوت ونعته، أو قل إن شئت المتبوع وتابعه بصورة عامة وما أشبه ذلك. دعنا الآن نأت ببعض الشواهد القرآنية على ظاهرة الفصل.

١ - قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا

مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ﴾ (النساء ٤٣) فلو بحثنا عن التوازن بين غايتى النهى لبدت الصورة على النحو التالى.

أ - وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون

ب - ولا جنبا حتى تغتسلوا

ثم جاء تركيب الاستثناء ففصل بين المعطوف وغايته .

٢ - * ﴿ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا

فِيهَا ﴾ (الأعراف ١٣٧) فصل بين الموصوف وصفته بما عطف عليه إذ المقصود والله أعلم: مشارق الأرض التي باركنا فيها ومغاربها .

٣ - * ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (هود ٦٠) فصل بالمفعول

الثانى بين المتعاطفين ولا يقال فصل بين نائب الفاعل والمفعول الثانى، لأن الفعل من أخوات أعطى ومفعولاها ليسا متلازمين، لأنهما ليس بينهما علاقة إسناد ملحوظة، كالتى بين مفعولى ظن .

٤ - * ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد ٤٣)

أى كفى بالله ومن عنده علم الكتاب للشهادة بينى وبينكم ففصل بالتمييز وما تعلق به من ظرفية بين المتعاطفين .

٥ - * ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ (سبا ٣) أى قل بلى وربى عالم

الغيب لتأتينكم ففصل بالجواب بين الموصوف وصفته لضرورة تأخير الصفة بسبب ما يتعلق بها مما يأتى بعدها مباشرة، وهو قوله تعالى:

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ مما يعد تفسيرا لقوله «عالم الغيب» .

٦ - * ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾

(الجمعة ١) فصل بالجارو والمجرور بين الفعل والفاعل لإفادة تقييد التسبح بالجار والمجرور، ثم بالفاعل بين المجرور وصفائه لثلاثا تطول الشقة بين ركنى الجملة بما ليس من أركانها .

٧ - * ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ

كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ (الأنعام ١٥٨) فصل بالمفعول بين الفعل وفاعله لثلاثا يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة، ثم فصل بين المفعول وصفته بالفاعل لثلاثا تطول الشقة بين ركنى الجملة بواسطة ما ليس من أركانها أى بالفضلة .

٨ - * ﴿ قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ (الكهف ٩٦) فصل بين فعل الأمر «آتوا» ومفعوله «قطراً» بجواب الأمر. وإنما جعلنا ذلك فصلاً مع أن الفاصل جملة تامة التكوين، لأنها على رغم تمام تكوينها لم تستوف شروط الجملة المعترضة، وبخاصة شرط كونها أجنبية عن السياق ولا محل لها من الإعراب ومن الواضح أن الفعل «أفرغ» مجزوم في جواب الأمر، ومن ثم يكون جواباً لا اعتراضاً. ويجوز في الجملة أيضاً أن تكون من قبيل التنازع، ولكن التقدير الأول أوضح ولا يحتاج إلى القول بالحذف.

٩ - * ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾ (التوبة ١٠١)، والمعنى أن ثمة منافقين مردوا على النفاق ممن حولكم من الأعراب، ومن أهل المدينة. فصل بالمعطوف على الخبر المقدم أى بقوله «ومن أهل المدينة» بين المبتدأ المؤخر «منافقون» وبين صفته «مردوا على النفاق»، لأنه لو اتصل الخبر المقدم بالمعطوف فقليل: وممن حولكم من الأعراب، ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق، فلربما ظن السامع أن أهل المدينة داخلون في مفهوم «حولكم» وأن مثلهم في هذه الظرفية مثل الأعراب. وواضح أن أهل المدينة بينهم وليسوا حولهم، لأنهم يساكنونهم ويخالطونهم.

١٠ - * ﴿ قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (إبراهيم ١٠) فصل بين الموصوف وهو لفظ الجلالة وبين صفته «فاطر» بالمبتدأ المؤخر، لأن الفصل بالصفة المركبة من الإضافة والعطف بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر ليصير الكلام: أفى الله فاطر السموات والأرض شك هذا الفصل يضعف ما بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر من رابطة ويجعل التركيب قلقاً.

١١ - * ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (النساء ٣٦) فصل بين المتعاطفين وهما الوالدان، وذو القربى بالمصدر المنصوب على معنى الأمر، لأن المصدر لو تقدم فقليل «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَإِحْسَانًا بِالْوَالِدَيْنِ...» لظنه السامع معطوفاً على لفظ «شيئاً» ولا

تشاركوا به إحسانا بالوالدين، أى لا ينبغي لبر الوالدين أن يكون على حساب عبادة الله وحده. ولو تأخر المصدر المنصوب «إحسانا» عن قوله: ﴿وما ملكت إيمانكم﴾ لضع ما يحمله من معنى الأمر وضعفت الرابطة بينه وبين بقية الكلام.

هذا الذى تقدم هو الفصل النحوى الذى قوامه الفصل بين المتلازمين بفاصل هو دون الجملة، إلا أن تكون الجملة ذات محل إعرابى كما فى رقم ٨ السابق، فإنها تعد كالمفرد، لأنها حلت محله واتخذت لنفسها إعرابه، فالفصل بها كالفصل بالمفرد. أما إذا كانت الجملة أجنبية على التركيب ولا محل لها من الإعراب، وكانت مستقلة بإفادتها، فإن الفصل بها يسمى الاعتراض، كما سنرى فيما بعد.

والفصل البلاغى وإن كانت وسيلته نحوية يختلف عن الفصل النحوى، ولعل إيراده فى هذا المكان وتقديم القول فيه عن موضعه فى الدراسة الأسلوبية، إنما هو هذه الوسيلة النحوية وهى حذف حرف العطف. ولقد كان يمكن أن ندرسه فى معرض دراسة حذف الحرف، التى تقدم القول فيها لو لا أن للفصل البلاغى من خصوصية المقام ما يجعله شيئاً آخر غير مجرد الحذف النحوى. ذلك بأن الفصل البلاغى ينم دائماً عن موقف انفعال قد يكون خوفاً أو غضباً أو استعجالاً أو استغراباً أو تعجباً، وغير ذلك من هذا النوع من المواقف الجديدة. وسنرى ذلك واضحاً وضوحاً تاماً فيما نورد من الشواهد التالية إن شاء الله: قال تعالى:

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ ﴾ (البقرة ٦٠) الموقف موقف تعجب للمعجزة. وتفسير الأنفجار بإرادة الشرب.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (المائدة ٦٤) الموقف موقف غضب لقولهم الشنيع وتنزيه لله سبحانه وتعالى. وإضراب عن دعواهم إلى عكسها.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ (المائدة ١٠٥) الموقف موقف تشجيع وحث.

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْيِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴿ (المائدة ١١٦ - ١١٧) الموقف موقف التبرؤ مما نسب إليه .

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴿ (المائدة ١١٩ - ١٢٠) الموقف موقف فصل القضاء .

﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦) قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (٥٧) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴿ (الأنعام ٥٦ - ٥٨) الموقف موقف نزاع وتحذّر .

﴿ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (الأعراف ٨٩) الموقف موقف التبرؤ والرفض .

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبِيًّا كَأَنْ لَمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبِيًّا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف ٩٢) الموقف تشديد النكير عليهم . (لاحظ أيضاً التكرار بإعادة اللفظ) .

* ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ﴿

(يونس ١٥ ، ١٦) الموقف موقف رفض الانصياع للإغواء (لاحظ استعمال «ولا أدراكم» بدلاً من «وما أدراكم» لاتقاء التباس النفي بالتعجب).

* ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ (يونس ٦٨ - ٧٠) الموقف موقف الاستبشاع لما قالوا.

* ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةٌ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (يوسف ٣٠) هذا موقف الغيبة ونشر الشائعة وشهوة استباحة العرض مع الهمس والتخفى.

* ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْتَ أُتْمَرٌ قَوْمٌ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ (يوسف ٣٧ - ٤٠) هذا موقف تبليغ الرسالة وهو الموقف الوحيد الذي يبدو فيه يوسف نبياً يبلغ رسالة. فيما عدا إشارة إلى ذلك في سورة غافر ٣٤.

* ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ (القصص ٦٣) وهذا موقف فزع وتمحل أعدار.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ (سبأ - ٤٠ - ٤١) وهذا موقف تبرؤ من المشركين يوم الحشر.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ (٥٢) سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ (فصلت ٥٢ - ٥٤). وهذا موقف تسفيه وتهديد.

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ ﴾ (الحشر ١٤ - ١٦) هذا موقف دم غاضب.

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الحشر ٢٢ - ٢٤) وهذا موقف تسبيح وتنزيه قصد به الرد على الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَاتْلُهمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (المنافقون ٤) وهذا موقف دم غاضب ودعاء وتهديد.

نصل الآن إلى قضية الاعتراض. والمقصود اعتراض مجرى النمط التركيبي بما يحول دون اتصال عناصر الجملة بعضها ببعض اتصالا تتحقق به مطالب التضام

النحوى فيما بينها والجملة المعترضة فى كل أحوالها أجنبية عن مجرى السياق النحوى فلا صلة لها بغيرها ولا محل لها من الاعراب وإنما هى تعبير عن خاطر طارئ من دعاء أو قسم أو قيد بشرط أو نفى أو وعد أو أمر أو نهى أو تنبيه إلى ما يريد المتكلم أن يلفت إليه انتباه السامع . وفيما يلى طائفة من الشواهد تشتمل على أنواع من الاعتراض الذى يوصل به إلى هذه الأغراض قال تعالى :

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة . ١٠)

فى الآية اعتراض للدعاء على مرضى القلوب المذكورين .

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (البقرة ٢٤)

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبَهُمُ فِيْنَ قَلْبِهِمْ خَائِبِينَ ﴾ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (آل عمران ١٢٧ - ١٢٨)

وفى هذه الآية اعتراض بالجملة المنفية لتنبية النبى عليه السلام إلى أن النصر والهزيمة كليهما بأمر الله الذى له الاختيار وحده فيما يريد .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (الأنعام ٨٤)

جاء الاعتراض للدلالة على أن الله هدى أصولاً لإبراهيم كما هدى فروعه ليكون إبراهيم أو غل فى الهداية أو لما بين إبراهيم ونوح من شبه فى التعرض للهلاك ثم النجاة أثناء الدعوة .

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام ١٠٦)

الاعتراض لاعلان التوحيد والتنزيه .

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ (الأعراف ٨٨)

الاعتراض بالنداء ليكون التهديد بالاعتراف أكثر توجهاً إلى شعيب وإن شاركه أتباعه في تلقي التهديد.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس ٥٠)

جاء الاعتراض بالشرط بين عناصر مفسر الجواب إذ لو كان «ماذا يستعجل» هو جواب الشرط لاقترن الجواب بالغاء لكون الجواب يبدأ بـ «ما» والتقدير.

قل أرايتم الوعد ماذا يستعجل منه المجرمون إن أتاكم عذابه بيانا أو نهاراً

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ (هود ٨١) أى أسر بأهلك إلا امراتك والاعتراض للتحذير.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (يوسف ٧٣) أى تالله ما جئنا لنفسد والاعتراض لإثبات علم المخاطبين بضمون جواب القسم.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) أو يأخذهم في ثقلهم فما هم بمعجزين (٤٦) أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ (النحل ٤٥ - ٤٧).

جاء الاعتراض للتنبيه إلى قدرته تعالى عليهم ولرعاية الفاصلة.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٣١) وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم ٣٠، ٣٢) أى جعلني مباركا أينما كنت وبراً بوالدتي وجاء الاعتراض بجمله تشتمل على التكليف وقد سبقتها ولحقت بها نعم الله عليه.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (مريم ٣٤) أى ذلك عيسى ابن مريم الذى فيه يمترون وجاء الاعتراض لتأكيد أنه كذلك.

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ (النور ٣٥) أى فيها
مصباح يوقد من شجرة مباركة والاعتراض لبيان أحوال إضافية للمصباح تكشف عن
قوة إضاءته .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (يس ٣١) أى
ألم يروا أنهم لا يرجعون . وجاء الاعتراض لبيان كثرة الأجيال الهالكة .

﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (ص ٣٩) أى هذا عطاؤنا بغير
حساب وجاء الإعتراض ليمنحه حرية التصرف فيما أعطاه الله .

﴿ هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ (ص ٥٧) أى هذا حميم وغساق فليذوقوه،
واعترض بجملة الأمر لبيان استحاقهم أن يذوقوه .

﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَّوْرُهُمْ فَتُصَيِّبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ
بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴾ (الفتح ٢٥) أى ولولا أن تطأوا بغير علم رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم
تعلموهم فلو تزيّلوا لأصابتكم منهم معرة لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما
واعترض بقوله «ليدخل الله فى رحمته من يشاء» ليدل على أن عدم دخول المسلمين
مكة فى هذه الغزوة كان رحمة بهؤلاء المؤمنين المستخفين . وإنما لم نعد قوله :
«فتصيبكم منهم معرة» اعتراضا بين «أن تطأوهم» و«بغير علم» لأنه معطوف بالفاء
على «أن تطأوهم» .

﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (الطور ٢٩) اعتراض بجملة
القسم ليؤكد نفى الصفتين عنه .

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (الواقعة ٧٦) اعتراض بجملة الشرطة المحذوفة
الجواب لتعظيم هذا القسم وتفخيمه ثم لبيان جهلهم بهذه الحقيقة .

﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ (القلم ٢) اعترض بجملته القسم لتأكيد نفى ما اتهموه به باطلا من الجنون.

ومن ظواهر التضام إدخال اللفظ على غير مدخوله. وقد عرفت هذه الظاهرة في النحو العربي بأسماء متعددة منها حذف المدخول الأصلي ومنها نيابة الحرف عن الحرف ومنها التضمين فمن حذف المدخول الأصلي وإدخال اللفظ على غير هذا المحذوف قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ كَلَّمَا لْيُؤَقِّنَهُمُ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (هود ١١١) إذ المعلوم أن «لما» حرف جزم يدخل على المضارع ونعلم أيضا أن من قواعد النحاة قولهم «لا يدخل الحرف على الحرف» ولكن «لما» بدلا من أن تدخل على الفعل المضارع دخلت على اللام الموطئة للقسم وقد أول النحاة ذلك على حذف مضارع مجزوم بـ «لما» والتقدير:

وإن كلا لما يؤفوا أعمالهم ثم الاستئناف بجملته «ليؤقنهم» ولذلك تأويل آخر نسوقه فيما يلي: إن اللام تكررت للتأكيد وعزز معناها بزيادة «ما» بين اللامين كما حدث في قوله الشاعر:

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى

تفاديا لتوالى اللامين في الآية وتوالى حرفي النداء في البيت. وليس ذلك هو المكان الوحيد لزيادة «ما» بعد اللام وإنما هو موجود في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الزخرف ٣٥) ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس ٣٢) ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (الطارق ٣٢) والفارق الوحيد هو عدم تكرار اللام في هذه الآيات الأخيرة. ومن ذلك أيضا:

﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴾

(الإسراء ١٠٠) إذ دخلت «لو» على الضمير وحققها أن تدخل على الفعل الماضي وربما أول النحاة ذلك بحذف «كان» وانفصال الضمير بعد الحذف والأصل «لو كنتم تملكون» نقول ذلك استرشادا بصنيعهم في قول الشاعر: أما أنت ذا نقر» إذا أولوا ذلك على نزع الخافض وحذف كان ونيابة ما عنها. . وانفصال الضمير وقدروا

العبارة: «لأن كنت ذانفر» والمعروف أن نزع الخافض يطرّد في «أَنَّ» و«أَنَّ» ولم يقولوا بزيادة ما لأن الحذف والزيادة لو اجتمعا في موقع واحد من الجملة لكان عبثا. وفي رأى أن الرواية تحتمل كسر همزة «إما» بتقدير «إن» الشرطية وما النائية عن «كان» أو أن تقدير فتح اللام في «لأن كنت» على معنى القسم الذى جوابه مقدر أى لنحن أكثر عددا أولى من كسرهما وعندئذ تكون الفاء سببيه تشرح سبب كثرة عددهم وإما نيابة الحرف عن الحرف فمصدرها المبدأ الذى يسمح للمبنى الوظيفى أن تتعدد معانيه وإنك لورجعت إلى معانى حروف الجر مثلا فى أى من متون النحو لوجدت المعنى الواحد ربما عبر عنه عدد من الحروف وحسبنا أن نقتبس شطرة واحدة من ألفية ابن مالك لنستدل بها على ما نقول وهى قوله:

«على للاستعلاء ومعنى فى وعن»

فلم يجعل معنى «على» الاستعلاء فقط وحين أراد أن يعد معانيها الأخرى لم يقل «والظرفية والمجاوزه» وإنما قال «ومعنى فى وعن» مما يدل صراحة على نيابة «على» عن «فى» و«عن». ولو قرأنا قوله تعالى: ﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢)﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴿ (الحج ٢٢ - ٢٤) لصادفنا «من» الجارة تتكرر عدة مرات بمعان مختلفة على النحو التالى:

- ١ - منها = ابتداء الغاية
- ٢ - من غم = السببية (أى معنى اللام)
- ٢ - من تحتها = زائدة للتأكيد
- ٤ - من أساور = معنى الباء
- ٥ - من ذهب = البيان وهو (معنى التمييز) أى أساور ذهب
- ٦ - من القول = البعضية

فهذه ست معان عبرت عنها «من» نابت في أحدها عن اللام وفي غيره عن الباء، وقد تأتي «من» بمعنى «دون» كما في قوله تعالى:

* - ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾ (الإسراء ١١١) أى دون الذل.

* - ﴿إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ﴾ (المؤمنون ٦٥) أى دوننا.

* - ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم ٢٨) أى دون الحق.

وقد تأتي «من» للمجازة «أى بمعنى عن» كقوله تعالى: ﴿أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ

وَأَمَّنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش ٤) وتنب اللام عن «على» نحو ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾

(يونس ١٢) وعن «عن» ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (يس ٤٧) وتأتى بمعنى

السببية نحو ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه ١٤) والظرفية نحو ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

الشمس ﴿(الإسراء ٧٨) وتنب «عن» عن اللام نحو ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ

قَوْلِكَ﴾ (هود ٥٣) وكذلك تأتي «على» للاستعلاء نحو ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ

مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ (الحج ٢٨) وتأتى بمعنى المعية نحو ﴿وَأَنَّ

رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ (الرعد ٦) ونحو ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَسَّنِيَ

الْكِبَرِ﴾ (الحجر ٥٤) وبمعنى «أمام» نحو ﴿وَلَتُصَنِّعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ (طه ٣٩) وتنب

«فى» عن «على» نحو ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ (طه ٧١) وقد تأتي «بل»

للتأكيد نحو ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ (ص ٢) وأيضا ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ

مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾ (ص ٨) وقد تأتي «اذ» للسببية نحو ﴿وَإِذْ لَمْ

يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَّقُولُونَ هَذَا إِفْكَ قَدِيمٍ﴾ (الأحقاف ١١) وقوله ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ

فَأَوْلَيْتكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النور ١٣) وقد تأتي «أو» نائبة عن همزة التسوية

و«أم» التى تعطف بعدها كما فى قوله تعالى:

١ - ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾
(الإسراء ٥٠ - ٥١) أى سواء أكنتم حجارة أم حديدا أم خلقا فلا بد من البعث.

٢ - ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ﴾ (الإسراء ١٠٧)

٣ - ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ (الإسراء ١١٠)

٤ - ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ﴾ (الطور ١٦)

٥ - ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ ﴾ (الملك ١٣)

ومعنى التسوية هذا يؤديه تكرر «إما» أيضا نحو

﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا

وَأَضَعْفُ جُنْدًا ﴾ (مريم ٥٧) أى سواء أكان المرئى العذاب أم كان الساعة.

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان ٣) أى سواء أكان شاكراً أم

كان كفورا وليست النيابة خاصة بالحروف فقط فقد ينوب المصدر عن فعل الأمر وقد تنوب عناصر بعينها عن المفعول المطلق وقد ينوب المفعول عن الفاعل وقد تنوب الفتحة عن الكسرة وقد ينوب العوض عن المعوض وقد ينوب جواب القسم عن جواب الشرط والعكس صحيح وقد تنوب صيغة «فعل» بضم العين عن «نعم وبئس» وقد ينوب الفاعل عن الخبر إذا كان المبتدأ وصفا وقد تنوب الحال عن الخبر أيضا وقد تنوب صيغة صرفية عن صيغة أخرى كالذى تقدم من نيابة المصدر عن فعل الأمر ونيابة وصف «فاعل» المنون عن المضارع المفيد للحال أو الاستقبال وهلم جرا.

ومن صور النيابة التضمين وإن كان لفظ التضمين يعنى معانى أخرى فى فروع أخرى بلاغية ونقدية فهو فى الشعر تعلق قافية بيت بالبيت الذى يليه، وفى البديع أن يأخذ الشاعر أو الناشر آية أو حديثا أو بيتا أو شطرا من بيت أو عبارة من كلام غيره دون أن يغير لفظا منه أو معنى، والتضمين فى البيان أن تعدى الفعل بغير حرفه أما فى النحو فهو إشارات كلمة معنى كلمة لتقع موقعها وتتبوأ بيتها فى الكل

وتؤدى وظيفتها النحوية، وقد رأينا نموذجا من ذلك فى نيابة الحرف منذ قليل ولكن ظاهرة التضمين النحوى أوسع مدى من إقليم الحروف كما يبدو من الشواهد التالية: قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾ (هود ٧٠) ضمن «تصل» معنى «تمتد» لأن الأيدي لم تمتد حتى تصل أو تقصر دون الوصول.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ (النحل ٩٢) ضمن «نقض» معنى «جعل» أو «صير» فانصب به مفعولان أصلهما المبتدأ والخبر، ولا يمكن إبقاء «نقض» على معناه الأسمى وإعراب «أنكاثا» حالا لأن ذلك يقتضى أن الغزل كان أنكاثا حال النقص أى نقضت غزلها وهو أنكاث وهذا غير المقصود لكون النقص عند ذلك يصبح تحصيل حاصل لما بين الحال والفعل الناصب لها من ملابسة فى الزمن والوقوع.

﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا ﴾ (النور ١٧) ضمن «يعظلكم» معنى «ينهاكم» على أن يعرب ما بعدها وهو المصدر المؤول منصوبا على نزع الخافض أى ينهاكم عن العود لمثله وذلك لأن «وعظ» يتعدى بالباء كأن يقال «وعظه بالحكم» ولو قدرنا الباء فى مكان «عن» لتغير المعنى.

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان ٣٠) ضمن «اتخذ» معنى «جعل» أو «صير» لأن هناك فرقا فى المعنى بين الاتخاذ والتحويل وأن المفعول الثانى للاتخاذ ينتسب إلى الفاعل بعلاقة الانتقاء والاصطفاء إذ تقول اتخذت زيدا صديقا أى انتقيته لهذه النسبة والناس لايتخذون الشئ مهجورا وإنما يجعلونه كذلك.

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ (النمل ١٩) ضمن «ضاحكا» معنى «عاجبا» أى «متعجبا» لأن المعنى الحرفى لتعدية الضحك بواسطة «من» هو السخرية والمعروف أن سليمان لم يسخر من النملة التى قالت هذا الكلام وإنما تعجب لما للنمل من حسن التدبير والاعتراف لبعض أفرادها بالقيادة والإرشاد ووجوب الطاعة.

﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ (ص ٣٢) ضمن «أحب» معنى «فضل» فعدى الفعل بـ «على» وهو يصل إلى مفعوله بنفسه .

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ (فصلت ١٧) ضمن «استحبوا» معنى «فضلوا» وسلط الفعل على المفضل عليه بواسطة «على» كما يحدث مع الفعل «فضلوا» مع العلم أن «استحب» يتعدى بنفسه لا بالحرف ولا يتطلب لمفعوله مفاضلة ويكفى أن يقال إن الدعاء وقت الشدة «مستحب» دون أن نقول إنه مستحب على عدمه .

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (فصلت ٢٢) ضمن «تسترون» معنى «تتجشون» أو «تتجبنون» أو «تتقون» وإنما عبر بالاستتار لأن شهادة الجلود تعنى أنها لم تكن مستورة عند المعصية .

وأما إغناء أحد العنصرين عن الآخر فيبدو في عدة ظواهر في النحو العربى ومن ذلك :

١ - إغناء الحركة عن الحركة كإغناء الفتحة عن الكسرة فى إعراب مالا ينصرف وعكسه فى جمع المؤنث السالم .

٢ - إغناء «يا» النداء عن الفعل «أدعو» بدليل أن ما بعدها إما منصوب أو فى محل نصب .

٣ - إغناء فاعل الوصف عن خبره عندما يكون الوصف مبتدأ .

٤ - إغناء الحال عن الخبر عندما يكون المبتدأ مصدرا أو تفضيلا .

٥ - إغناء «أن» وما بعدها عن نصب مفعولى ظن .

٦ - إغناء المتقدم عن المتأخر من جوابى الشرط والقسم عند اجتماعهما .

٧ - إغناء العوض عن المعوض فى كل صور التعويض .

وأمر أخرى مشهورة فى النحو العربى وكلها مستعمل فى تراكيب القرآن لا يفتقر فى شهرته إلى الاستشهاد على وجوده .

يبقى مما عددناه من مظاهر التضام ما أشرنا إليه باسم الشروط التركيبية التي تتضح بتحققها خصوصية السياق ومعناه التركيبي ومن ذلك :

١ - أن «أن» إذا سبقها علمٌ أو نحوه كانت مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوفاً فإذا وقع المضارع بعدها جاء مرفوعاً نحو ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾ (المزمل ٢٠)

٢ - إذا كانت الجملة المفسرة لضمير الشأن مشتملة على مؤنث ظاهر غير فضلة وفعل لحقت به علامة التأنيث رجح تأنيث الضمير للقصة على تذكيره للشأن وذلك كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ (الحج ٤٦)

٣ - إذا أضيفت «أى» وحذف صدر صلتها بنيت على الضم نحو ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ (مريم ٦٩) وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (الإسراء ٥٧)

٤ - إذا لم يعتمد المبتدأ الوصف على نفي أو استفهام أو مبتدأ أو موصوف ضعف عند بعض النحاة ولكنه لا يمتنع في الكلام كقوله تعالى: ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف ١٣٩)

٥ - إذا لم تكن جملة الخبر عين المبتدأ في المعنى وجب اشتمالها على رابط يعود على المبتدأ نحو ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء ٢٧) وقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ (النساء ٩٩)

٦ - قد يقترن الخبر بالفاء إذا كان المبتدأ موصولاً نحو ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَظْلَلْ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد ٨)

- ٧ - شرط نقصان «دام» أن تقترب بـ «ما» المصدرية الظرفية .
- ٨ - أشهرُ ما تزداد كان في الكلام وهي بلفظ الماضي .
- ٩ - إذا انتقض النفي بإلامتنعت الباء الزائدة .
- ١٠ - يندر في خبر فعل كاد وأخواتها أن يكون غير الفعل المضارع .
- ١١ - إذا أهملت «إن» المخففة لزمت اللام الخبر لتكون فارقة بين التأكيد والنفي .
- ١٢ - إذا استعملت «ضرب» في المثل نصبت مفعولين نحو ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾ (النحل ١١٢)
- ١٣ - يطرد نزع الخافض قبل أنْ وأنْ .
- ١٤ - لا يجوز حذف عامل المصدر المؤكد .
- ١٥ - يعد الظرف متصرفا إذا صح أن يخبر عنه أو يضاف إليه .
- ١٦ - قد توصف النكر بالموصول إذا كان الموصول مسبوqa بصفة أخرى مفردة نكرة نحو ﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾ (الهمزة ٢ ، ٢)
- ١٧ - إذا صدرت جملة جواب القسم بفعل ماض متصرف مثبت فحقها أن تقترب باللام وقد أو باللام وبما نحو ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ (يوسف ٩١)
- ١٨ - لا يتعلق بفعل ظاهر من حروف القسم إلا الباء .
- ١٩ - المبهم لا يتضح معناه إلا بالإضافة أو الوصف أو التمييز .
- ٢٠ - بعض الظروف ملازمة للإضافة .
- وهكذا نجد الشروط التركيبية من هذا النوع تعبيرا صادقا عن طرق التركيب والتضام بين الكلمات وهكذا تعد الشروط المذكورة جزءا لا يتجزأ من قرينة النظام .

قريظة الربط في التركيب القرآني

ذكرنا من قبل أن للجملـة العربية نمطاً وأن نمط الجملـة الاسمية يتكون من مبتدأ وخبر ونمط الجملـة الفعلية من فعل ومرفوعه ونود أن نضيف هنا أن شرط الجملـة العربية أن تكون مفيدة لان السعى إلى الإفادة هو سبب الاتصال اللغوي وحصول الفائدة نتیجته. من هنا كان من الضروري لنمط الجملـة أن يشتمل على قرائن تؤدي إلى الحفاظ على المعنى. ولو أن الجملـة العربية قنعت بالاشتغال على ركنيها دون غيرها من الفضلات لهان الأمر ولكان يكفي أن نعلم أن الكلام يدور حول المبتدأ بواسطة الخبر أو حول المرفوع بعد الفعل بالفعل الذي بنى له. ولكن الجملـة قد تطول أحياناً وقد يعطف عليها مثلها أو أمثالها فيكون بين أول الكلام وآخره شقة بعيدة لا تعي الذاكرة معها ما الذي ينتمى إلى هذا وما الذي ينتمى إلى ذلك وهكذا تتفكك أواصر الكلام ويدخل المعنى في غيابات الغموض أو في متاهات اللبس وكلا الغموض واللبس آفة من آفات الاتصال والتفاهم. هب أنك قرأت رتلاً من الألفاظ مثل: «فحمد في الناس خطيباً عليه وأثنى قال الله زيد ثم قام» فأول ما يخطر ببالك أن هذا القول لا معنى له. فإذا وضعت هذه المفردات نفسها مرتبة ترتيباً آخر معنا اتضح أنها تدل على معنى وذلك إذا قلت: «قام زيد في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال» فما سبب تحقق الإفادة في المثال الثاني وانعدامها في المثال الأول؟ السبب مع النظر إلى المثال الأول كما يلي:

١ - تشويش رتبة «زيد» و«قام» والفصل بينهما بحرف العطف «ثم» في المثال الأول وتصحيح ذلك في الثاني.

٢ - تقدم الجار والمجرور «في الناس» عن متعلقه «قام» وملاحقته للفعل «حمد»

حتى لقد يظن القارىء أن الجار والمجرور متعلق بالفعل «حمد» وذلك لا معنى له لأن الضمير المستتر فى «حمد» ليس له مرجع فهو غير واضح الدلالة.

٣ - أن لفظ «خطيبا» يبدو كما لو كان مفعولا به للفعل «حمد» وهذا غير معناه فى الجملة المفيدة التى فى المثال الثانى.

٤ - أن الجار والمجرور «عليه» بدا كما لو كان متعلقا بلفظ «خطيبا» وهو غير مراد.

٥ - أن الفعل «أثنى» وإن رآه القارىء معطوفا على «حمد» ما يزال يتحمل ضميرا مستترا غامض المرجع.

٦ - أن «قال» ربما ظُنَّ بدلا من «أثنى» وهو غير ذلك.

٧ - يبدو لفظ الجلالة كما لو كان فاعل «قال» مع أن القائل هو زيد.

٨ - لا وجه لرفع زيد بعد لفظ الجلالة فى المثال الأول.

٩ - جاءت «ثم» لتعطف قام ولكن لا يدرى ما المعطوف عليه.

١٠ - ما تزال قام تحمل ضميرا بلا مرجع شأنها شأن بقية أفعال المثال.

فإذا نظرنا إلى المثال الثانى وجدنا المفردات قد رتبنا بحسب الأصول المرعية فى تركيب النمط ووجدنا هذه المفردات مترابطة واضحة الانتماء بحيث نعلم الفاعل لأى فعل هو الجار والمجرور لأى متعلق والضمير لأى مرجع وهكذا، مما يعبر عنه بعبارة «العلاقة السياقية». هذه العلاقات معروفة محصورة العدد لأنها ذات أسماء تدل عليها كالإسناد والتعدية والغائية والمصاحبة والأخراج والتفسير والتبعية والملابسة إلخ، وهى التى إما أن تتحقق فى السياق وإما أن يقع السياق فى الفوضى التى رأيناها فى المثال الأول.

من هذه العلاقات علاقة الربط ووظيفتها إنعاش الذاكرة لاستعادة مذکور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التى تعين على الوصول إلى هذه الغاية والأصل فى الربط أن يكون بإعادة اللفظ لأنها أدعى للتذكير وأقوى ضمانا للوصول إليه. ويحدث فى الكثير من الربط فى القرآن الكريم أن يكون بإعادة اللفظ كما فى الشواهد التالية:

١ - ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٦٧) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ﴿ (التوبة ٦٧ ، ٦٨) لاحظ تكرار «المنافقين والمنافقات» بعد طول الشقة بدلا من أن يقول «وعدمهم» .

٢ - ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴿ (التوبة ٧١ ، ٧٢) لاحظ أيضا تكرار «المؤمنين والمؤمنات» بعد طول الشقة بدلا من وعدمهم ثم تكرار لفظ الجلالة لتأكيد الربط .

٣ - ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (النحل ١١٦)
ذكر الكذب ثلاث مرات بدلا من «لتفتروه» و«بفترونة» .

٤ - ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ (طه ١٠)
تكرر ذكر النار بدلا من «عليها» .

٥ - ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ (٦٦) أَفَلِكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ (الأنبياء ٦٦ ، ٦٧) تكرر ذكر لفظ الجلالة بدلا من أن يقول «من دونه» .

٦ - ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴾ (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ

لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴿ (الفرقان ٢١ ، ٢٢) تكرر ذكر الملائكة بدلا من «يوم يرونهم».

٧ - ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ (العنكبوت ١٩ ، ٢٠) أعيد ذكر لفظ الجلالة بدلا من «ثم هو». و«إنه».

٨ - ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ (الأنبياء ٦٦ ، ٦٧) أعيد قوله: «تعبدون من دون الله».

٩ - ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿ (الزمر ٥١) أعيد ذكر «سيئات ما كسبوا».

١٠ - ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَخْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (فصلت ٢٦ ، ٢٧) أعيد لفظ «الذين كفروا»

وقد تكون اعادة الذكر لسبب فرعى يضاف إلى الربط كإرادة تأكيد الربط كما فى قوله تعالى:

١١ - ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ (آل عمران ٧٨) لاحظ تكرر الكتاب ولفظ الجلالة مع تقارب المسافة وإمكان استعمال الضمير.

١٢ - ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتُخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿ (يونس ٤٩) أعيد لفظ الأجل لتأكيد الربط.

١٣ - ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (الإسراء ١٠٥) أعيد ذكر الحق .

١٤ - ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا

يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الروم ٥٦) لاحظ تكرار «يوم البعث» .

١٥ ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ

حَرْجٌ ﴾ (الفتح ١٧) أعيد ذكر الحرج وكان يمكن حذفه أو الاضمار له .

وقد يكون ذلك لأن اللبس كما فى قوله تعالى :

١٦ - ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴾ (المائدة ٣٨) فلو أن ضميراً وضع موضع ثانى لفظى الجلالة لبدا أن الجملة حالية ولكان المعنى أن كسبهما النكال ارتبط بحال عزة الله وحكمته تعالى الله عن تغير الأحوال .

١٧ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ

تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال ٣٦) فلو قيل وهم إلى جهنم يحشرون لكان كونهم مغلوبين ملابساً لحشرهم إلى جهنم على معنى الحال .

١٨ - ﴿ وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ (المجادلة ١) فلو قيل وهو

يسمح تحاور كما كانت حالا ولكن معنى الاستئناف فى الآية أوضح وأنسب لتنزيه الله تعالى عن التلبس باللحظة .

وقد تكون إعادة الذكر لاختلاف مدلول المذكور الأول عن الثانى كما فى قوله

تعالى :

١٩ - ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ

مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران ٢٦)

فالملك الأول معطى والثانى منزوع والثالث ملكوت الله فلو أُضمر لأحدها ما عاد الضمير على ما سبق وكذلك تختلف دلالة «من تشاء» بين مَلِكٍ متسلط ومملك مخلوع وبين عزيز وذليل .

٢٠ - ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

بِخَلْقِهِمْ ﴾ (التوبة ٦٩).

الخلاقان الأول والثالث غير الخلاق الثانی.

وقد يغنى عن إعادة اللفظ إعادة المعنى، وذلك واضح فى باب المبتدأ والخبر، كما

فى قوله تعالى: ﴿ دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُ دَعَوَاهُمْ أَنْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (يونس ١٠) وكذلك قوله: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ

تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ (إبراهيم ٢٣) وقوله: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾

(الأحزاب ٤٤)، وإنما صلح ذلك لربط الخبر بالمبتدأ لأن الخبر هو عين المبتدأ فى

المعنى فلما كان السلام هو التحية وكانت التحية هى السلام عد ذلك قريبا فى أهميته من إعادة الذكر فصلح لربط الخبر بالمبتدأ.

وثمة نوع من إعادة الذكر لانعاش الذاكرة أيضا وهو ما يعرف بالتركرار أو إعادة

ذكر صدر الكلام بعد أن حال بينه وبين ما يتعلق به فاصل طويل من الكلام جعله

مظنة النسيان أو ضعف العلاقة بما يتبعه من خبر أو فاعل أو جواب، فإذا أعيد صدر

الكلام إلى الذاكرة اتضحت العلاقة بما يليه وينتمى إليه. ومن شواهد هذا التكرار بنية الربط قوله تعالى:

١ - ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ

عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة ٨٩)

حين طال الفاصل بين «لما جاءهم» وجوابها تكررت لتقوية الارتباط بالجواب.

٢ - ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ

اٰخْتَلَفُوْا فَمِنْهُمْ مَنْ اٰمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اٰقْتَسَلُوْا وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يَرِيْدُ ﴿٢٥٣﴾
(البقرة ٢٥٣) تكررت عبارة «ولو شاء الله» لسببين:

أ - لتوقى توالى استدراكين بـ «لكن» لايدرى ارتباط ثانيهما بعناصر الجملة.

ب - لإرادة التذكير بصدر الآية بعد أن بعد به العهد فى الكلام.

٣ - ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (الأعراف ١٤٨) لو عطف قوله: «وكانوا» ظالمين على «اتخذ» التى فى صدر الآية ما أدرك السامع ولا القارئ العلاقة بين المتعاطفين، وبخاصة بعد الجملة المعترضة «ألم يروا».

٤ - ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (يونس ٥٩) لاحظ تكرار «قل» ضمانا لإفهام أن ما بعد «الأمر» الثانى مطلوب قوله وبخاصة لعدم اشتمال هذا الجزء من الآية على ضمير يعود على ما قبل الفعل ليربط الجزئين كأن يقال مثلا: «الله أذن لكم به» وهكذا أغنى التكرار عن الضمير الرابط.

٥ - ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل ١١٠) لاحظ تكرار «إن ربك» وكذلك إعادة عبارة «من بعدما فتنوا» على صورة «من بعدها» أى بعد الفتنة وقد جاء التكرار لطول الفاصل بين إن وخبرها المقترن باللام. ومثله فى السورة نفسها قوله تعالى:

٦ - ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل ١١٩) أى بعد الجهالة.

٧ - ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾ (النور ٣٦ ، ٣٧)

تكرر حرف الجر «في» ومجروره ثلاث مرات هي: في بيوت - يذكر فيها - يسبح له فيها. وتظهر ضرورة التكرار عند تصور عدمه لأن الرابطة تضعف عندئذ بين عناصر الكلام.

٨ - ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ

لِلرَّحْمَنِ ﴾ (الفرقان ٢٥، ٢٦) تكرر لفظ اليوم مضافا إلى «إذ» فاصلا بين مبتدأ الجملة الأخيرة وخبرها ولولا تكراره ماوضح الربط بين عناصر الكلام.

٩ - ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ

نَفْسِي فَاعْفُرْ لِي فَعَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ (القصص ١٥ - ١٧) لاحظ تكرر الفعل «قال» لسببين:

أ - اختلاف مناجاته لنفسه وخطابه لربه جعل «قال» الثانية ضرورية لأن الانتقال من هذا إلى ذلك لا يصلح لأن يفسر بالالتفاق ولا بغيره وإذ لم يكن بد من نداء ربه قبل خطابه فلو لم تأت «قال» الثانية لجعل ما قبلها من كلام كأنه خطاب لله وليس نجوى للنفس.

ب - ثم فصلت جملتان معترضتان بين ندائه لربه أولا وندائه له ثانيا وهما «عففر

له إنه هو الغفور الرحيم فأصبح تكرر قال الثالثة أمرا ضروريا لاستقامة الكلام.

١٠ - ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ

إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴾ (الواقعة ٨٣ - ٨٧) تكررت «لولا» المفيدة للتخصيص لطول الشقة بينها وبين مدخلولها لأن أصل التركيب «لولا ترجعونها» ثم فصلت بين لولا ومدخلولها

جملتان شرطيتان محذوفتا الأجوبة لدلالة مدخول لولا على جوابيهما الأولى هي

التي تبدأ بـ «إذا» والثانية هي التي تبدأ بـ «إن» ولما كانت «إن» أقرب إلى مدخول

«لولا» الأولى وهو «ترجعونها» من «لولا» نفسها لزم تكرر «لولا» لثلا يظن أن

«ترجعونها» جواب «إن» الذى يحسن رفعه بعد الماضى «وبعد ماض رفعك الجزاء حسن» فلو قام هذا الظن لظلت «لولا» الأولى بلا مدخول وفسد الكلام.

١١ - ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢)﴾
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ (الحشر ٢٢ - ٢٤) تكرر الضمير
«هو» خمس مرات. ثلاث منها متبوعة بلفظ الجلالة واثنان من هذه الثلاث يأتى
فيهما التهليل بعد لفظ الجلالة بعبارة «لا إله إلا هو». ولولا التكرار المذكور لتوالت
الأسماء الثلاثة عشر دون فاصل بينها مع ما فى ذلك من إملال هو أبعد ما يكون
عن أسلوب القرآن الذى لا يَخْلُق ولا يَمِل. بل إن هذا التكرار لم يكن كافياً
فأضافت إليه الآيات تهليلاً وتسييحاً وثناءً بنسبة الأسماء الحسنى إلى ذاته سبحانه.

وقد يكون التكرار لأمن اللبس كما رأينا فى رقم ١٠ وكالذى نراه فى قوله تعالى:

١٢ - ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١)﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي
أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿ (النمل ٢٩ - ٣٢) فلو لم يتكرر الفعل
«قالت» لظن أن عبارة «أفتونى فى أمرى» من كتاب سليمان وأن كلامها هو الذى
يأتى على سبيل الاستئناف بعد ذلك بقولها: «ما كنت قاطعة أمراً...»

وقد يكون التكرار مع غير طول الفاصل لإرادة التوكيد كما فى قوله تعالى:

١٣ - ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿ (النساء ١٥١)﴾

١٤ - ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿ (الحجر ٢٤)﴾

١٥ ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (يوسف ٤)﴾

* ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴿ (الإسراء ١٠٥)﴾

١٦ - ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْسِينَ ﴾ (الروم ٤٩)

وقد يكون التكرار لإرادة التوكيد واقعا بإشارة أو ظرف نحو:

١٧ - ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ (يونس ٥٨)

١٨ - ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (الجاثية ٢٧)

١٩ - ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴾ (ق ٤٢)

٢٠ - ﴿ يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (طه ١٠٢)

٢١ - ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الفرقان ٢٢)

٢٢ - ﴿ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِتُّونَ ﴾ (الروم ١٤)

٢٣ - ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات ١٤ ، ١٥)

٢٤ - ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ (الأنفطار ١٩)

كان ذلك شأن الربط بإعادة الذكر في صورها المختلفة. ولكن الربط بإعادة الذكر يتعدأ أحيانا يَقْبَحُ أحيانا أخرى فلا يكون ثمة مفر من اللجوء إلى غيره من طرق الربط. ومن الشواهد على تعذر الربط بإعادة الذكر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب ٣٥) تصور أن النص وضع في مكان الضمير في «لهم» كل الطوائف المذكورة في الآية فهل ترى ذلك مستساغا؟ إن الربط بإعادة الذكر يصل في مثل هذه الآية إلى درجة التعذر. أما شواهد قبح الربط بإعادة الذكر فمنها: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ ﴾ (الأحزاب ٥٠) أضف لفظ «أجور» إلى مرجع الضمير وهو «أزواجك» وسوف ترى أن جملة الصلة

لم تشتمل على ضمير رابط واشتملت في مكانه على أسم ظاهر لايعنى فى ربط الصلة بالموصول وفى ذلك قبح لإعادة الذكر.

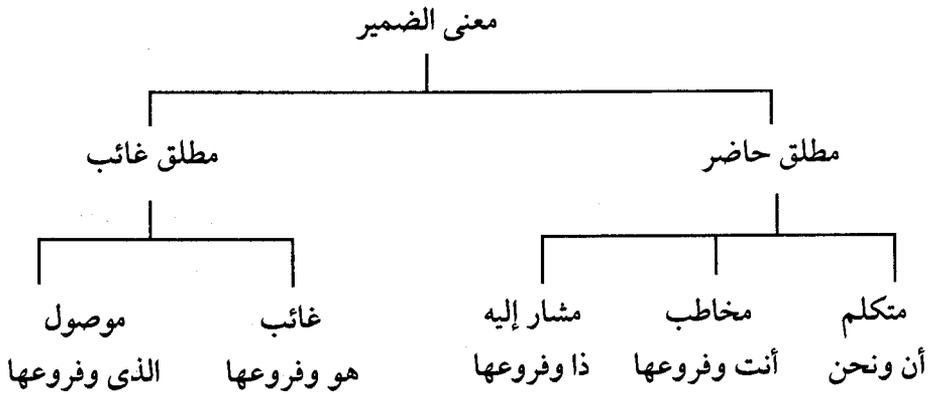
ومن أهم ما يعنى عن إعادة الذكر الضمائر بأنواعها الثلاثة:

- ضمائر الأشخاص

- الضمائر الموصولة

- ضمائر الإشارة

وهذه الأنواع الثلاثة تشترك فى طابع واحد هو الدلالة إما على مطلق غائب أو مطلق حاضر وهذا الإطلاق فى المعنى هو الذى جعل المعنى عاما من قبيل ما وصفه النحاة بقولهم: «حقه أن يؤدى بالحرف» ومن ثم كانت إفادة الضمائر لهذا المعنى العام شبةا معنويا فكان فى رأى النحاة علة فى بناء الضمائر. وفيما يلى تخطيط لصلة هذه الأنواع بالغيبة المطلقة والحضور المطلق:



والضمائر بصورة عامة راسخة القدم فى حقل الافتقار والرتبة. وسنرى فيما يلى إن شاء الله بيانا للربط بكل واحد من هذه الأنواع الثلاثة:

الربط بضمائر الأشخاص: يكتنى بالضمير عن الظاهر ومن ثم كان الربط بالضمير بديلاً لإعادة الذكر أيسر فى الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار، بل إن الضمير إذا اتصل فلربما أضاف إلى الخفة والاختصار عنصراً ثالثاً هو الاختصار، وهذه العناصر الثلاثة هى من مطالب الاستعمال اللغوى والمعروف أن ضمائر المتكلم

تفتقر إلى متكلم وضمائر الخطاب تفتقر إلى مخاطب فيكون المتكلم بمثابة المرجع لضميره ويكون المخاطب كذلك أما ضمير الغيبة فيفتقر في العادة إلى مذكور يعد مرجعا له فلا يتضح معنى الضمير إلا بواسطة ذلك المرجع. وشرط الإضمائر أن يكون بين الضمير ومرجعه مطابقة في اللفظ والقصد بحيث لو عدنا بالإضمار إلى الإظهار لحصلنا على اللفظ نفسه وعلى المدلول نفسه. أى أننا إذا كان لدينا جملة مثل: «ذهب زيد إلى بيته» فسأل سائل: «بيت من؟» كان الجواب: «بيت زيد المذكور» فحل «زيد المذكور» محل الضمير دالا على ما دل عليه الضمير. وإذا قرأنا آية مثل قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ (ص ٢٤) فهمنا أن الفتنة وقعت على داود وأن الضمير حل محل داود لقبح الإظهار ولما فيه من إطالة لامبررلها، ولنا أن نقارن الجمل الثلاث الآتية:

١ - نفس عصام سودت عصاما.

٢ - سودت نفس عصام عصاما.

٣ - إن عصاما سود عصاما.

سنرى أن الكلام في الجملتين الأولى والثانية يدور حول «النفس» وأن عصاما حل في موقع المضاف إليه فمحصول الكلام في النهاية: «سودت النفسُ عصاما» بالنسبة للجملتين المذكورتين ومن هنا لا يتسرب القبح إلى إعادة ذكر عصام لأنه جاء أول الأمر لمطلب تركيبى صرف هو الحاجة إلى الإضافة، أما في الجملة الثالثة فإن «عصاما» هو مدار الكلام فتكراره يوحي بأن المفعول به شخص آخر يسمى «عصاما» أيضا. وهكذا يقبح الإظهار وإعادة الذكر هنا لأن الاستعمال عودنا على أحد خيارين.

أ - إما أن يكون المفعول به هو الفاعل فندل عليه بالضمير المضاف إلي النفس: «نفسه».

ب - وإما أن يكون المفعول غير الفاعل فيأتى على صورة الاسم الظاهر. والاختيار الأول هو الذى جعلنا ننسب الجملة الثالثة إلى القبح وكذلك إعادة لفظ داود في الآية.

ولعلنا حين ننظر إلى «نفس عصام» في الجملتين الأوليين نجدها ظلا للضمير المضاف إلى النفس «نفسه» وجاء الإظهار لأن الضمير في هذا الموضع سيعود على متأخر لفظا ورتبة فوجب إظهار عصام في الإضافة، ولو تأخر لحسن الإضمار وكانت الجملة على صورة «سودت عصاما نفسه». هذا هو الشرط الضروري لتحقيق الإضمار ولدلالة الضمير على الربط.

دعنا الآن نختبر احتمال عدم المطابقة في القصد ثم عدم المطابقة في اللفظ ثم ننظر فيما يترتب على كل منهما في مجال الربط. لقد أوردنا عند الكلام عن الربط بإعادة الذكر شاهدا على أن الإعادة قد تكون لأمن اللبس وقلنا إن هذا الشاهد هو قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران ٢٦) إن تكرار لفظ الملك قد حقق المطابقة في اللفظ فقط أما القصد فقد اختلف لأن الملك الأول سلطة معطاة والملك الثاني سلطة غيرها مسلوبة والملك الثالث هو ملكوت الله تعالى فلا يطابق أحدها الآخر في القصد وإن تطابقت الألفاظ. ومثله: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ (البقرة ٤٨) لأن النفس الأولى غير الثانية، ومن ثم يمتنع الإضمار وإلا فانظر إلى اختلاف المعنى، فيما إذا وضعت ضمير الغائب في محل لفظ الملك أو النفس لأنك حينئذ ستفهم أن ملكا واحدا كان نهبا بين سعيد ممنوح وشقى محروم، وأنه عاد في النهاية إلى رب قادر، وهذا غير المعنى المراد وأن النفس لا تجزى عن نفسها وهو غير مقصود أيضا والله أعلم.

وقد يتحد القصد ولكن يوجد معنى إضافي يستحق أن يتضح كإعادة وصف المرجع مثلا فعندئذ لا يمكن أن تتحقق هذه الزيادة في المعنى دون وسيلة أخرى قد تكون إشارة إلى المرجع أو موصولا يعود عليه أو وصفا متصلا بأل الموصولة أو اسما واصفا للمرجع وسنرى شواهد على استعمال كل واحدة من هذه الوسائل وسنرى أيضا أن دليل الربط بكل واحدة منها هو صحة حلول الضمير الرابط محلها دون أن يتغير المعنى. وفيما يلي بيان ذلك:

يكثر الربط بالإشارة في القرآن الكريم، وينبغي أن نشير إلى أنه على الرغم من

دلالة الإشارة على الحضور وإشارتها إلى مذكور سابق نرى أنه يطرد إمكان استبدال ضمير الغائب بها فى كل موقع تربط فيه بين عناصر الجملة. وإليك الشواهد الآتية:

١ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ (النساء ١٥٠ - ١٥١) جاء الربط بالإشارة وبعدها ضمير الفصل ولولا ضمير الفصل لصح أن تضع ضمير الغيبة موضع الإشارة.

٢ - ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (المائدة ٨٦) يصلح الضمير «هم» أن يحمل محل الإشارة دون أن يتغير المعنى.

٣ - ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف ٢٦) مرة أخرى يصلح الضمير «هو» أن يحل محل الإشارة.

﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (الرعد ٢٥) أى هم الذين لهم اللعنة.

٤ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (المؤمنون ٥٨ - ٦١)

٥ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (النور ٦٢)

٦ - ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ

سَبِيلًا ﴾ (الفرقان ٣٤)

٧ - ﴿ مَنْ عَمِلَ سِئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر ٤٠)

٨ - ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ
وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ (غافر ٦٤)

٩ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَسْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ
لِلتَّقْوَى ﴾ (الحجرات ٣)

١٠ - ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبئْسَ
الْمَصِيرُ ﴾ (التغابن ١٠)

١١ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة ٧)

وقد يكون الربط بالموصول عند إرادة وصف المرجع بصفة تدل على مدحه أو ذمه
ودليل صحة الربط بالموصول أيضا أن يصح لضمير الغيبة أن يعاقبه في موقعه وهذه
المعاقبة هي التي دعت البلاغين إلى تسمية هذه الظاهرة: «الإظهار في موطن
الإضمار»

ولكن المسألة كما يتضح ليست مسألة إظهار ولا اسم ظاهر وإنما هي اختيار ضمير
موصول ليحل في موقع ضمير شخصي بسبب مطابقة القصد وإختلاف اللفظ، وكلا
الضميرين في النهاية عوض عن إعادة الذكر التي ذكرنا أنها الأصل في الربط وفيما
يلى شواهد على الربط بضمير الموصول:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأنعام ٧) أى لقالوا:

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ
يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنعام ٢٥) أى يقولون:

ولكن العدول عن الضمير المتصل إلى ضمير الموصول كأن لارادة ذمهم بالكفر.

٢ - ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (الأنعام ٢٢) أى نقول لهم.

٣ - ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ (الأنعام ١٢٤) أى سيصيبهم.

٤ - ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (التوبة ٩٠) أى «وقعدوا» فحل الموصول محل واو الجماعة.

٥ - ﴿ وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ (يونس ١٥) أى «قالوا».

٦ - ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (يونس ٤٥) أى قد خسروا.

٧ - ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنْكَرَةٌ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٢٢) لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين ﴿ (النحل ٢٢، ٢٣) أى يعلم إنكارهم واستكبارهم فلا يحبهم.

٨ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (الكهف ٣٠) أى أجرهم.

٩ - ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الحج ٥٤) أى «لهاديبهم».

١٠ - ﴿ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴾

(الحج ٧٢) أى فى وجوههم .

١١ - ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ

ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (الفرقان ٣ ، ٤) أى

«وقالوا» .

١٢ - ﴿ قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾ (العنكبوت ٣٢) أى «نحن

أعلم به» .

١٣ ﴿ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ

يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سبأ ٤٣) أى «وقالوا إن هذا إلا سحر مبين» .

١٤ - ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تَنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ (الزمر ١٩) أى

«تنقذه» .

١٥ - ﴿ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ

مُبِينٌ ﴾ (الأحقاف ٧) أى «قالوا» وقد يتم الربط بالصفة التى دخلت عليها «ال» الموصولة لتؤدى الغاية التى من أجلها استعمل ضمير الموصول فى الشواهد السابقة وذلك كقوله تعالى :

١ - ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾

(البقرة ٩٨) أى لهم» .

٢ - ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ

عَنْكَ صُدُودًا ﴾ (النساء ٦١) أى رأيتهم» .

٣ - ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام ٣٣) أى «ولكنهم».

٤ - ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة ٢٦) أى «جزاؤهم».

٥ - ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ (إبراهيم ١٣) أى «لنهلكهم أى الذين كفروا».

٦ - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الحجر ١٠ - ١٢) أى «فى قلوبهم».

٧ - ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِلَّذِينَ اتَّقَوْا خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (النحل ٣٠) أى «نعم دارهم».

٨ - ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ (الإسراء ٤٧) أى «إذ يقولون».

٩ - ﴿ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ (الكهف ٤٨ ، ٤٩) أى «فتراهم».

١٠ - ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ (الفرقان ٢٢) أى «لا بشرى يومئذ لهم».

١١ - ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾ (الشعراء ١٧٣) أى «فساء مطرهم».

١٢ ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾

(القصص ٤٠) أى عاقبتهم.

١٣ - ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ

مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (الزمر ٣٢) أى «مَثْوًى لهم».

١٤ ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَنَّكَ الْمَبْطُلُونَ ﴾

(العنكبوت ٤٨) أى «إذًا لا رتابوا».

وقد يؤدى عدم المطابقة فى اللفظ إلى الربط بلفظ فيه مدح أو ذم ولكنه لا يعد

من الصفات المشتقة وذلك كلفظ قوم وأئمة ونحو ذلك مما سنرى فى الشواهد الآتية:

١ - ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلَهُ ﴾ (آل عمران ١٤٠) أى «فقد

مسهم».

٢ - ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ

فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء ٧٦) أى «فقاتلوهم».

٣ - ﴿ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ

عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (النساء ٧٨)

أى «فمالهم».

٤ - ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ

غَيْرِهِ وَإِمَّا يَنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام ٦٨)

أى «فلا تقعد معهم».

٥ - ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ

إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (التوبة ١٢) أى «فقاتلوهم».

٦ - ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة ١٤) أى «ويشف صدوركم».

٧ - ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة ٣٧) أى «والله لا يهديهم».

٨ - ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذِرُونَ ﴾ (الأنبياء ٤٥) أى «ولا يسمعون الدعاء» إن قلت لهم ذلك.

٩ - ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف ٤٧) أى «لا تجعلنا معهم».

١٠ - ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (الأعراف ٩٣) أى «كيف آسى عليكم».

١١ - ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُنَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (المؤمنون ٤١) أى «فبعدا لهم».

١٢ - ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص ٢٥) أى «نجوت منهم».

١٣ - ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصف ٥) أى «والله لا يهديهم».

وقد يكون الربط فى بعض الحالات بواسطة «ال» التى للتعريف، ولبيان المقصود بهذا القيد نعرض البيان التالى لأنواع «ال» لفرق بين صور الربط بها ودلالة كل نوع من أنواعها:

ال

للتعريف

موصولة

وذلك إذا اتصلت بها صفة صريحة
وقد سبق القول في الربط بذلك
منذ قليل.

للعهد

للجنس

نسي

مطلق

يعرف بها الجنس والمقصود
إما عام للجنس كله أو خاص
لأحد أفرادها فهي فى قوة
الضمير عموماً
نَهَى النَّفْسَ = نَهَى نَفْسَهُ عَنِ
هواها

يعرف بها الجنس مع إيهام
كل فرد من أفرادها فهي فى
قوة «أى» نحو الرجل أقوى
من المرأة
ومعناها = أى رجل أقوى من
أى امرأة

للعهد الحضورى

يعرف بها حاضر يراه
المتكلم والسامع فهي أيضا
فى قوة ضمير الإشارة
نحو:
من الرجل؟ = من هذا
الرجل

للعهد الذهنى

تعرف مفهوما مشتركا بين المتكلم
والسامع إذا ذكر انصرف الذهن إليه
فهي فى قوة ضمير الإشارة
نحو: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ
مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب ٦)
= هذا النبى الذى تعرفونه

للعهد الذكري

تعرف مذكورا سابقا
وتكون فى قوة ضمير الغائب نحو:
رأيت رجلا فسلمت على
الرجل = فسلمت عليه
ونحو: ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ
فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾

(النور ٣٥)

يتضح من هذا البيان أن «ال» تربط إذا كانت موصولة أو للجنس النسبى أو للعهد الذكري ولكنها لا تربط إذا كانت للجنس المطلق أو المعهد الحضورى أو الذهنى لإشارتها فى هذه الأنواع الثلاثة الأخيرة إلى حقيقة لا تشير إلى كيان آخر ولا إلى ما سبق ذكره، أما الأنواع الثلاثة التى يربط بها فى السياق فجميعها فى قوة ضمير الغائب كما اتضح فى التعقيب على شواهد الموصولة التى صلتها صفة صريحة وفى شرح الجنس النسبى والعهد الذكري فى البيان الموضح فوق هذا الكلام.

أحس عند هذه النقطة أن تقسيم الجنس إلى مطلق ونسبى تقسيم غير تقليدى ومن ثم يظل بحاجة إلى فضل إيضاح: كلا النوعين ينتمى إلى الكليات المنطقية دون شك فالرجل يصدق على كل رجل كما أن النفس تصدق على كل نفس ولكن النفس تنتمى إلى قسم من الأجناس لا يستقل بالوجود المطلق وإنما يكون فهمه بالإضافة إلى ذى نفس أما الرَّجُل فمفهوم غير إضافى بمعنى أنه إن صح أن نقول «نفس فلان» فلا يصح أن نقول «رَجُل فلان» إلا على التأويل بلفظ «خادم» أو «تابع» أو نحوهما من الألفاظ التى تتسم بالإضافة والنسبية. والنسبية إحدى العلاقات العقلية التى تفهم الألفاظ فى إطارها فإذا قلت «أب» فذلك يفهم بالنسبة إلى «ابن» ويفهم «الزوج» بالنسبة إلى «الزوجة» و«العقل» بالنسبة إلى «العاقل» و«العين» بالنسبة إلى «ذى العين» و«الطول» بالنسبة إلى «من هو أقصر منه» وهكذا فإذا دل المفهوم النسبى على الجنس صح أن تلحقه اللام الرابطة وفيما يلى شواهد على الربط بأنواع «ال»:

١ - ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ (النساء ٩١ أى «أرحامكم».

٢ - ﴿ وَيَنْهَاهَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ (الأعراف ٤٦) أى «على أعرافه» أى على أعراف الحجاب وهو السور الفاصل بين الجنة والنار والأعراف هى الزوائد الرأسية المبنية فى أعلى السور كما يلاحظ فى مبانى الحصون سميت بذلك تشبيها لها بأعراف الديكة.

٣ - ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (الأنفال ١٢) أى «فوق أعناقهم».

٤ - ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
(يوسف ٥٣) أى إن «نفسى لأماراة بالسوء» وإنما عدلت عن الإضافة إلى التعريف
بآل لتجعل السوء طبيعة جنس النفوس التى منها نفسها فيبدو ذنبها أخف مما لو
أضافت النفس إلى ضميرها هى .

٥ - ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ
الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴾ (الأحزاب ١٠) أى «زاغت أبصاركم وبلغت قلوبكم
حناجركم» .

٦ - ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾
(النازعات ٣٧ - ٣٩) أى «مأواه» .

٧ - ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى الْمَأْوَى ﴾ (النازعات ٤٠)
أى «نهى نفسه عن هواها» .

٨ - ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (النازعات ٤١) أى «مأواه» .

كان هذا بيانا للربط بالضمير عوضا عن إعادة الذكر ثم للربط بما يحل محل
الضمير عند عدم المطابقة بينه وبين المرجع فى اللفظ أو فى القصد وبقى من القول
فى الربط بالضمير أن نتكلم عن قضيتين مهمتين هما:

رتبة الضمير والمرجع — قرب المرجع وبعده

هنا يرد على المسألة سؤال مهم جدا عما إذا كان من الضرورى أن يذكر المرجع
فى الكلام وللإجابة على ذلك نشير إلى ما تعودته النحاة من إرجاع الضمير إلى
مصدر متصيد من الفعل أى غير مذكور فى الجملة نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَخَفُوا
وَتَوَتَّوَاهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (البقرة ٢٧١) أى «فإخفاؤها وإيتاؤها الفقراء خير
لكم» وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرٌ مُعْجِزِي

اللَّهُ ﴿ (التوبة ٣) أي «فتوبتكم خير لكم» وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (النحل ١٢٦) أي «لصبركم خير لكم» وقوله ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ (الحج ٣٠) أي «فتعظيمه خير» وقوله ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الجمعة ٩) أي «ذلكم السعي والترك» وهكذا نرى المصدر المتصيد يعود عليه ضمير الغائب في الآيات السابقة إلا في آية الجمعة فقد أشير إليه بضمير الإشارة وفي كل ذلك لم يذكر صراحة وهو مرجع ضمير الغائب ولم يذكر صراحة وهو مشار إليه، وفوق ذلك يمكن أن نورد الآيات التالية التي لا دليل على مرجع بعض الضمائر فيها إلا قرينة السياق والمعنى الدلالي للجملة: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفُقِ الْمِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذَهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ (التكوير ١٥ - ٢٨).

لقد تكرر ضمير الغائب في هذه الآيات في قوله إنه - رآه - وما هو - إن هو دون أن يتقدم عليه مرجعه وإنما دل السياق على المرجع إما بإشارة إليه بعد الضمير كما في قوله «مجنون» أو «بالأفق» أو «ضنين» أو «قول» أو «ذكر» فكل كلمة من هذه تشير إلى المقصود بالضمير، والنتيجة التي يؤدي إليها هذا الكلام. أن الضمير قد يكون له مرجع صريح وقد يكون له مرجع متصيد من الفعل وقد تدل عليه قرينة السياق العام للكلام كما في آيات التكوير السابقة وقد لا يظهر مرجعه كما في ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا ﴾ (النور ٤٠) إذ لا تجد قبله ما يصلح مرجعا إلا لفظ الظمان، والظمان لا يقصد البحر اللجي ليشرب منه.

هل يتحتم عند ذكر المرجع أن يتقدم المرجع؟ هناك عاملان يتحكمان في رتبة

الضمير والمرجع، ذاك هما اللفظ وأصل الرتبة، والأصل أن يتأخر الضمير ويتقدم المرجع لفظاً ورتبة كما فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (القصص ٧٦) فهناك ضمير فى «كان» يعود على قارون وفى «عليهم» يعود على قوم موسى وفى «آتيناه» يعود على قارون وفى «مفاتيحه» يعود على «ما» وفى «تنوء» يعود على المفاتيح وفى «قومه» يعود على قارون وكل المراجع فى هذه الآية تقدمت لفظاً ورتبة وتأخر الضمير، ولكن ضمير الشأن من بين كل ما عداه إنما يعود على متأخر لفظاً ورتبة ولا يتقدم مرجعه أبداً لأن مرجعه جملة مفسرة له ولا يتقدم المفسر «بكسر السين» على المفسر (بفتحها). أما ما عدا ذلك فيجوز لكل ضمير أن يعود إلى مرجع تأخر عنه إما فى اللفظ فقط وإما فى الرتبة دون اللفظ، وتعلق اللغة العربية على رتبة الضمير والمرجع أكبر اهتمام لارتباط هذا الأمر بأمن اللبس، غير أن الأساليب العربية التى تترجم عن لغات أجنبية بدأت فى يومنا هذا تمارس إعادة الضمير على متأخر فى اللفظ والرتبة كقولهم: «فى مؤتمره الصحفى بالأمس قال الوزير كذا» وربما سهل ذلك لهم أن رتبة الجار والمجرور من الفعل والفاعل غير محفوظة وإن كانت فى أصلها متأخرة عنهما.

وهل يتحتم أن يعود الضمير إلى أقرب مذكور؟. ربما بدأت الإجابة على هذا السؤال بتقرير مبدأ عام يشمل جميع العلاقات النحوية، ذلك أن العلاقات إذا اتضحت ولم يحط بها اللبس فإنه يمكن للمتكلم أن يمارس فى شأنها قدراً من الحرية يباعد به بين طرفى العلاقة. يصدق ذلك على علاقة المبتدأ وخبره وعلاقة الصفة وموصوفها وعلاقة الحال وصاحبها وعلاقة المتعاطفين وعلاقة الجار والمجرور ومتعلقه وعلاقة الضمير ومرجعه إلخ.

لقد رأينا شراح المتون كيف يباعدون بين المبتدأ والخبر لأن شرح المبتدأ أو التعليق عليه استغرق صفحة كاملة أو صفحتين فإذا جاء الخبر علم القارىء أن كل ما مر بعد ذلك المبتدأ لا يعد فاصلاً نحويًا بينه وبين الخبر وإنما هو فاصل فى نوع آخر غريب على الجملة المكونة منهما - أما الصفة فقد يفصل بينها وبين موصوفها كما فى قوله

تعالى: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ (سبأ ٣) إذ فصل جواب القسم بين الصفة وموصوفها. وأما فصل الحال عن صاحبها وإن كان بحال أخرى أطول منها فنحو ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ﴿١﴾ قِيمًا ﴾ (الكهف ١، ٢) وأما تباعد المعطوف والمعطوف عليه فنحو قوله تعالى:

١ - ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا

دُمْتُ حَيًّا ۖ ﴿٣١﴾ وَبِرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ (مريم ٣١، ٣٢) أى «وجعلنى برأ بوالدتى».

٢ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرِ

نَاطِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينِينَ لِحَدِيثِ ﴿ (الأحزاب ٥٣) أى «غير ناظرين ولا مستأنسين» ولكن الاعتراض طال بين المتعاطفين.

وأما البعد بين الجار والمجرور ومتعلقه فنحو ﴿ لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الرعد ١١) أى له معقبات من أمر الله يحفظونه. إذ لا

يصح أن نعلق الجار والمجرور بالفعل «يحفظونه» لأنه لا يمكن لشيء أن يحول دون

أمر الله. مثل هذا هو المقصود بقريئة السياق، وأما عود الضمير إلى أبعد مذكور

فمثل ما فى قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۖ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا

لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ (يوسف ٧، ٨) فالضمير فى «قالوا»

للإخوة بقريئة قولهم «أبيناً» مع أن السائلين أقرب إلى الضمير من الإخوة وكذلك

﴿ وَتَرَكْنَا يُونُسَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ ﴾ (يوسف ١٧) فالضمير ليوسف وليس

للمتاع لأن الذئب لا يأكل المتاع. ونجمل القول إنه إذا اتضح المعنى عاد الضمير إلى

مرجعه دون اشتراط قربه أما إذا خيف اللبس فإن الضمير يجب أن يعود إلى أقرب

مذكور أو بعبارة أخرى وجب على المتكلم أن يجعل المرجع أقرب شيء إلى

الضمير.

وكل أداة داخله على جملة لإفادة معنى الجملة فهى رابطة تقوى بها الصلة بين كل

المفردات الداخلة فى حيزها يصدق ذلك على النفى وعلى الأمر باللام والنهى

والاستفهام والشرط والقسم والتعجب الخ. فأما فى النفى فإن حرف النفى ينفى كل ما فى حيزه فإذا نفيت بـ «لا» مثلا فقد نفيت إسناد خبرها إلى اسمها فكانت «لا» بهذا النفى رابطة مفيدة لسلب الإسناد ففى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة ١٩٧) نجد أن «لا» نفت حل كل واحد من هذه الثلاثة أثناء الحج نفيا قاطعا يرقى إلى مستوى الأمر بالاجتناب أى إلى مستوى النهى مما يجعل الأسلوب الخبرى هنا خبريا فى الشكل إنشائيا فى المضمون والأمر باللام والمضارع تركيب تربط فيه اللام بين عنصري الإسناد وهذا واضح ولكن ربطها كذلك يتناول حتى ما يعرف باسم جواب الأمر إذا لو حذف اللام من المضارع لضاعت الرابطة بين الأمر وجواب الأمر فإذا قلت: «فليعرف كل كل امرئ واجبه يحمد» ثم حذف لام الأمر عرفت المقصود بالملاحظة السابقة ويقال الشيء نفسه عن «لا» الناهية كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّيَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾ (المدثر ٦) فلو حذف «لا» لارتفع المضارعان ولأصبح ثانيهما حالا لا جوابا ويربط حرف الاستفهام بين عناصر الجملة التى دخل عليها حتى ليصبح كل ما فى حيزه مشمولا بالمعنى العام الذى عبر عنه الحرف. فهناك فرق بين «ما كان هذا؟» و«أين كان هذا؟» و«متى كان هذا؟» بحيث يكون الاستفهام الأول عن الماهية والثانى عن المكان والثالث عن الزمان ويصبح هذا هو معنى الجملة ولا يأتى معنى «كان» و«هذا» إلا فى المرتبة الثانية. لأنهما يقيان لو حذف أداة الاستفهام فلا يتغير شكلهما وإن تغير بعد الحذف مضمونهما. أو بعبارة أخرى تغير نوع ارتباطهما إلى ما سنعرفه عند تناولنا للربط بالمطابقة بعد قليل.

ثم تأمل ارتباط الشرط بجوابه بواسطة أداة الشرط فى قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ﴾ (محمد ٧) فلولا الأداة لارتفع الفعلان وأصبح ثانيهما حالا كما حدث فى شاهد النهى من قبل. وفى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ (الأنعام ١٠٧) لو لم تكن الأداة موجودة لتحولت «ما» إلى معنى المصدرية ولأصبح المعنى والعياذ بالله: «شاء الله إشراكهم». إلى هذا الحد ربطت «لو» بين عناصر الجملة ففرضت على الجملة معنى الشرط والجواب. وأداة القسم أيضا تربط بين القسم وجوابه ولا يكون القسم إلا على زعم تأكيد صحة قضية هى التى تسمى

الجواب أى أنه لا قسم إلا وله جواب ففى قوله جل شأنه: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ (الذاريات ٢٣) لو لم تكن أداة القسم لأصبح الضمير فى «إنه» عائدا إلى رب السموات والأرض لا إلى ما سبق ذكره من آيات الله فى الأرض والأنفس والأرزاق التى فى السماء. وبهذا يتغير المعنى مما يدل على ارتباط الجملة والجواب بأداة القسم. وأداة التعجب تربط عناصر الجملة. بدليل اعتماد المعنى عليها فلو رفعت من موقعها لتغير المعنى، فإذا قلنا: «ما أوسع شهرة زيد» فالمعنى على التعجب فلو حذفنا «ما» لتغير المعنى ولكان علينا أن نبحث لضمير الفاعل المستتر فى «أوسع» عن مرجع يلائمه ولتحول الكلام من الإنشاء الإفصاحى إلى الخبر. ويقال ذلك أيضا عن العجب فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ (القارعة ١٠).

وهناك أيضا الأدوات الداخلة على الأجوبة ولها وظيفتان أساسيتان: الأولى هى الربط وإيضاح أن الكلام يأخذ بعضه بحجز بعض (كما يقول عبد القاهر) والثانية أمن اللبس بجعل الأداة الداخلة على الجواب قرينة على أن ما بعدها جوابٌ وليس شيئا آخر. ولتوضيح هاتين الوظيفتين نسوق الإيضاح التالى: أولا إذا نظرنا إلى تركيب أسلوب الشرط وجدناه مركبا من عنصرين أولهما الشرط والثانى الجواب وكل من العنصرين جملة وإن تعودنا أن نركز النظرة من الشرط على فعل الشرط لأن الأثر الإعرابى لأداة الشرط يظهر فى الفعل بالذات لا فى جملة الشرط كلها ومن هنا لا يرد على ألسنتنا التعبير بعبارة «جملة الشرط» وإنما نتكلم عادة عن «فعل الشرط». أما بالنسبة إلى الجواب فقد تعودنا أن نراه جملة تامة إن صلح قعلها للجزم جزم وإلا فالجملة جميعها فى محل جزم. أما من حيث دخول الرابط على جملة الجواب فقاعدة ذلك تدخل تحت مبدأ المعاقبة، فإما أن يصلح الجواب للحلول محل الشرط ودخول أداة الشرط عليه وإما ألا يصلح أو بعبارة أخرى: إما أن يكون الجواب صالحا أن يعاقب الشرط وإما ألا يكون. فإن كان فلا حاجة له إلى رابط يتضح به أنه الجواب. ففى قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ (محمد ٧) يمكن للجواب أن يكون شرطا بدليل ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ (آل عمران ١٦٠)

ولو نظرنا إلى هذا الشاهد الأخير لوجدنا جواب الشرط جملة أسمية منسوخة بلا النافية للجنس ليست تصلح لمعاقبة الشرط ومن هنا اقترن جواب الشرط بالفاء الرابطة لاحتمال ورود اللبس عليها فلولا الفاء لصلحت جملة الجواب أن تكون حالا من ضمير المخاطبين الذى فى «ينصركم» ولظل السامع ينتظر الجواب الذى لا دليل على حذفه. ويقال هذا أيضا فى نحو ﴿ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ ﴾ (البقرة ٢٧٢) ونحو ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (فصلت ٤٦) لأن الفاء منعت الجار والمجرور أن يتعلّق بفعل الشرط. وإذا كان الطرد علة من علل النحو فإنه يكفى أن يرد اللبس على بعض الحالات للقول بطرد اتصال الرابط بالجواب إذا لم يصلح لمعاقبة الشرط ويذكرنا هذا بقول الفقهاء «ما أسكر كثيره فقليله حرام» وإن اختلفت الحالتان قلة وكثرة.

ثانيا إذا نظرنا إلى مثال مثل: «لولا زيد كثر مال أبيه ما أجزل العطاء» أدركنا أن فى الكلام لبسا لأن المعنى يصلح لاحتمالين: الأول أن تكون جملة «كثر مال أبيه» جواب «لولا» وأن تكون الجملة التى بعد ذلك تعجبية تعجب من تكرم زيد بمال أبيه إلى الدرجة التى منعت هذا المال أن يكثر وهذا التقدير موافق لرأى القائلين بأن شرط «لولا» كون عام محذوف دائماً. أما الاحتمال الثانى فهو أن تكون عبارة «كثر مال أبيه» خيرا لزيد والجواب «ما أجزل العطاء» إذ تكون «ما» نافية لا تعجبية ولنا فى تفسير هذا التركيب أن نقول بتقدير «أنّ» محذوفة بعد لولا أو نرتضى أن يكون خبر زيد كونا خاصا على نمط قول المعرى: «فلولا الفمد يمسه لسالا». ولكن قول المعرى واضح بسبب إيقاع اللام الرابطة موقعها الذى يتضح به الكلام. أما فى مثالنا السابق فإن اللام تصلح لأحد موقعين لو وضعت فى أى منهما لاتضح المعنى. ذانك الاحتمالان هما:

أ - لولا زيد لكثير مال أبيه. ما أجزل العطاء؛ (أى عطاءه)

ب - لولا زيد كثر مال أبيه. لما أجزل العطاء

هكذا نرى أثر الرابط فى إيضاح الأجوبة

وليس الربط لجواب القسم بأقل خطرا، فإذا تأملت جملة مثل «بالله لأهتدين إلى الخير» وجدت اللام رابطة لجواب القسم وقد ترتب على وجودها تأكيد المضارع بالنون فلو حذفت اللام لحقت بها النون. وفي هذه الحالة تصبح الجملة: «بالله أهتدى إلى الخير» ولا تعود الجملة قسما كما كانت وإنما يتعلق المجرور بالفعل «أهتدى» وليس بفعل متقدم محذوف تقديره «أقسم».

لاحظ أيضا مكان الفاء مما يلي:

أ - أما الزاهد في الخير فغير زاهد

ب - أما الزاهد ففي الخير غير زاهد

ثم قارن بذلك عبارة

أما الزاهد في الخير غير زاهد.

وسترى إن فعلت أن الربط بالفاء قد حدد معالم الجواب وأنقذ الكلام من برائن اللبس. أقول من برائن اللبس لأن اللبس يتربص بأعماط اللغة فإذا لم يكن المتكلم على وعى بمواقع كلماته فلربما قال مالا يريد أن يقوم أما إذا احتاط للمعنى برصد القرائن هنا وهناك فإنه لا يقع في اللبس: انظر إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَاكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ (المائدة ٤) تجد الواو تصلح من الناحية النحوية البحتة للعطف على الطيبات كما تصلح للأستئناف وعلى الأول تكون «ما» موصولة وعلى الثاني شرطية جوابها «فاكلوا» والقرينة على إرادة المعنى الثاني «الشرط» أن الجوارح لا يحل أكلها شرعا سواء علمت أم لم تعلم ومع أن الفاء رابطة لم تغن عن هذه القرينة لأن الفاء نفسها تصلح للاستئناف عند إرادة المعنى الأول.

وأخيرا تأتي الحروف الداخلة على المفردات إذ نجد لكل نوع منها اتجاهه الخاص في الربط بين مدخوله وعناصر الجملة الأخرى. وأول ما نذكر من ذلك حرف الجر الذي يعد رابطة بين المجرور والمتعلق فيجعل الأول من تنمة معنى الثاني على أحد المعاني المذكورة في باب حروف الجر. ومعنى أدائه وظيفة الربط بين العنصرين

المذكورين أنه إذا تعددت المشتقات في الجملة فأولها بتعليق الجار والمجرور ما استقام معه المعنى أودلت عليه القرينة وقد رأينا ذلك من قبل عند الكلام في تعليق الجار والمجرور من قوله تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الرعد ١١) إذ علقنا الجار والمجرور (من أمر الله) بنعت مقدر للمعقبات فجعلنا المعقبات من أمر الله ومنعنا التعليق بالفعل «يحفظونه» وهو أقرب شيء إلى المجرور لأنه لا يمكن لشيء أن يحفظ غيره من أمر الله. ومثله ما في قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾ (يونس ٢٤) إذ من الواضح أن الجار والمجرور متعلق بـ «قادرين» والمعنى وظن أهلها أنهم مسيطرون، عليها مَالِكُونَ لأمرها فهذا التركيب المثلث يأتي عند النفي شبيها بقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ (النحل ٧٥) أى لا يملك شيئاً فكأن أهل الأرض يظنون أنهم يملكونها فيكون ذلك من أشراف الساعة.

وحرف العطف يربط بين المتعاطفين من جهة التشريك أو الترتيب والتعقيب أو التراخي أو الإضراب أو الاستدراك أو التسوية. فبعض هذه المعاني كما ترى ربط بالإيجاب وبعضها ربط بالسلب (أى إيجاب حكم الأول للثاني أو سلبه منه) ومعنى أدائها لو وظيفة الربط يتضح حين تتعدد احتمالات العطف ولكن القرينة تحكم بأحقية واحد منها دون غيره كما في قوله تعالى: ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ (الأنعام ٩٩) إذ يصلح الينع من الناحية التركيبية الصرف أن يعطف على الثمر كما يصلح أن يعطف على ما أضيف إليه الثمر وهو ضمير الغائب. ثم تأتي القرينة من الاستعمال اللغوي إذ يقال للثمر إنه يانع ولا يقال ذلك للشجر. بذلك نعلم أن العطف على الثمر وأن الواو ربطت بين الثمر والينع.

ولكل معنى من معاني العطف حرف يختص بالدلالة عليه ولكنه لا يحول بين الحروف الأخرى وبين الدلالة على هذا المعنى بواسطة النقل فقد تدل «إلا» على الاستدراك نحو ﴿ طه ١ ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿ ٢ ﴾ إِلَّا تَذَكَّرَ

لَمَنْ يَخْشَى ﴿ (طه ١ ، ٢) أى «لكن تذكرة» إذ لا وجه للاستثناء وكدلالة «أو» على التسوية نحو ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (التوبة ٨٠) وكدلالة «أم» على الإضراب فى قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ ﴾ (البقرة ٢١٤) أى بل ظننتم أنكم ستدخلون الجنة قبل أن تمروا بتجارب الجهاد كما مر الذين من قبلكم من أتباع الرسل فلقد مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الخ.

وتربط واو المعية صاحبا بمصحوب لا يستقيم عطفه على الأول لعدم صحة المشاركة فى الحدث فإذا قلت «سرت والنيل» فإن النيل لا يصح منه السير وإذا قلت: «صحوت وشروق الشمس» فإن الشروق لا يصحو كما يصحو الإنسان فإذا تأرجح المعنى بين العطف والمعية فالعطف أولى إلا أن تقوم قرينة على العكس فإذا سمعت من يقول: «أَحْبَبْتُ الزَّهْرَ وَحَلُولَ الرَّبِيعِ» فليست تعلم من مجرد التركيب ما إذا كان حلول الربيع محبوبا أو مصحوبا إلا أن تدل قرينة على ذلك فإذا لم تدل فالعطف أولى والخيار غير واقع بسبب وضوح المعنى بالقرينة فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة ٢١) فالواو عطف على الضمير فى «خلقكم» إذ لا يصلح «الذين من قبلكم» أن يكون مصحوبا للناس أو على الأصح الواو فى «اعبدوا» لأن الموتى لا يخاطبون ولا مصحوبا للضمير فى «خلقكم» لجواز العطف وهو أولى من المعية. ولو لا أن السنة حثت على طاعة أولى الأمر لقلت إن أولى الأمر مفعول معه فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء ٥٩) أى وليطعه معكم أولو الأمر منكم، ولكن المعية هى المعنى المقصود فى قوله تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ (يونس ٧١) ما دام الشركاء لا يكونون موضع إجماع فلا يعطفون على الأمر وإنما يكونون شركاء فى الإجماع فينصبون على المعية.

ويربط حرف الاستثناء بين المستثنى منه على سبيل إخراج المستثنى من حكم المستثنى منه ويربط الظرف بين ما أضيف إليه وبين متعلقه سواء أكان المضاف إليه مفرداً أم جملة كما فى قوله تعالى: ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ (البقرة ١٩٨) إذ ربطت «عند» بين المشعر ومعنى الحدث الذى فى «اذكروا» فجعلت الذكر فى جوار المشعر وكما فى قوله تعالى: ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ ﴾ (الأنفال ٢٦) حيث ربطت «إذ» بين سبق القلة فى العدد وبين الذكر الذى هو جزء من معنى «اذكروا» وإنما ذكرت الظروف المضافة بين الروابط هنا لازدواج علاقتها فهى متعلقة بما قبلها مضافة إلى ما بعدها فلا بد أن يكون موقعها موقع ربط ومالنا نذهب بعيدا ومن حروف الجر ما يفيد «الظرفية» ويربط فى الوقت نفسه بين المجرور والمتعلق كما رأينا من قبل.

ومن وسائل الربط المطابقة وإنما كانت وسيلة للربط لأن فى اشتراك العنصرين اللغويين فى محور واحد من محاورها نوعا من التصنيف يحمل فى طيه دعوى ضمنية بانتماء كليهما إلى صنف واحد وارتباط أحدهما بالآخر بواسطة هذه الشركة. والمقصود بالمحاور أن المطابقة إنما تكون فى أمور معينة دون غيرها وهذه الأمور معان نحوية عامة إذا تقاطع أحدهما مع الآخر كما تتقاطع مربعات الجدول نشأ من هذا التقاطع عنصر لغوى ما كالضمير وحروف المضارعة وعلامات التثنية والجمع وعلامات التأنيث والتعريف الخ. وتبدو صورة التقاطع على النحو التالى:

الشخص		العدد		مفرد		مثنى		جمع	
		مؤنث	مذكر	مؤنث	مذكر	مؤنث	مذكر	مؤنث	مذكر
متكلم		أنا	أنا	نحن	نحن	نحن	نحن	نحن	نحن
مخاطب		أنت	أنت	أنتما	أنتما	أنتم	أنتم	أنتم	أنتم
غائب	معرفة	هو	هى	هما	هما	هما	هما	هم	هن
	نكرة	اسم ظاهر							

هذا ويعرف القارئ أين يضع حروف المضارعة وعلامات التثنية والجمع والتأنيث والتعريف فى هذا الجدول وفائدة هذه العلامات أن الاسم الظاهر وإن كان فى قوة ضمير الغائب يمكن أن يخبر به عن ضمائر التكلم والخطاب كما يخبر به عن الغيبة فى حالة الأفراد فإذا لحقت به العلامات المذكورة اتسع نطاق الإخبار به فشمّل بقية الضمائر، أى أن الضمائر ثابتة الدلالة ولكن فى الاسم الظاهر مرونة بسبب ما يلحق به من هذه العلامات وفائدة هذه المرونة الوصول إلى المطابقة التى تعد وسيلة من وسائل الربط فى الكلام. دعنا نختبر قيمة المطابقة فى جملة مثل:

هذان الغلامان الذكيان يقرآن.

هناك مطابقة بين الإشارة والبدل والنعته فى التذكير والتثنية والرفع والتعريف يضاف إلى ذلك ما بين النعت والمنعوت والمضارع من مطابقة فى الغيبة وبين فاعل المضارعة وكل ما تقدمه مطابقة فى التثنية أيضا فلما تحققت المطابقة فى جميع هذه النواحي اتضح انتماء كل من كلمات الجملة إلى أخواتها وأصبحت الجملة مفيدة بإحكام الربط.

انظر كيف يقوم الظاهر حين تلحقه العلامات بالوفاء بحاجات الضمائر من مختلف الأنواع من حيث المطابقة:

أنا قائم	أنتَ قائم	هو قائم
نحن قائمان	أنت قائمة	هى قائمة
نحن قائمون	أنتما قائمان	هما قائمان
	أنتما قائمتان	هما قائمتان
	أنتم قائمون	هم قائمون
	أنتن قائمات	هن قائمات

فإذا لم يلحق شئ من ذلك بالظاهر فهو فى قوة ضمير الغائب فقط، ويمكن لعلامة التعريف عندئذ أن تلحق كل ظاهر دون أن تغير فيه طابع الغيبة.

غير أن محاور المطابقة لا تعبر عنها الضمائر والعلامات اللاحقة بالكلمات فقط إذ

يمكن لأحد المحاور أن يكون نتيجة للمعنى المعجمي للكلمة وهو ما يسمى المعنى المفرد الذى يكشف عنه فى المعجم والمعروف أن لفظ «عصبة» مثلا مفرد من الناحية النحوية إذ يثنى فتلحقه العلامة فيصير «عصبتان ويجمع فيصير «عصَبٌ» و«عصبات» ولكن هذا المفرد يدل بمعناه المعجمى على جماعة من الناس يصحب بعضهم بعضا ولكونهم جماعة جاز أن يخبر بلفظ عصبة عن ضمير المتكلمين فجاء «نحن عصبة» فى قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ (يوسف ٨) وانظر كذلك إلى قيمة المطابقة بالمعنى المعجمى فى الآيات الكريمة الآتية:

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشَرِذْمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ (الشعراء ٥٤).

﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (القصص ١٨).

﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ (يس ١٥).

﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾ (الأنفال ٢٦).

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرُونَ ﴾ (القمر ٤٤).

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (التغابن ١٥) المصدر لا يجمع بحسب الأصل

ومن هنا صح الإخبار به عن الجمع.

وقد يصلح اللفظ للمطابقة باعتبارين: لفظه ومعناه كما فى قوله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾

(القصص ٧٨) فالضمير المفرد «هو» عاد على «من» باعتبار لفظها أما معناها فيشمل

كثيرا من القرون الهالكة. وقد يصلح مذكوران سابقان لمطابقة اللفظ فيختار أحدهما

كقول المتنبي:

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى كان يمكن أن يقول «أدبه» ليطابق «الذى» ولكنه

قال «أدبى» ليطابق ضمير المتكلم «أنا» فأصبح الأسم الموصول زائداً على مطالب

النحو حتى إنه ليتم المعنى النحوى بدونه ولكن قيمته فى الكلام إيقاعية فحسب.

قرينة السياق في التركيب القرآني

أشرنا من قبل إلى أن النمط التركيبي قد يتعدد معناه. ونحب أن نذكر هنا بعض الأسباب التي من أجلها يتعدد معنى النمط فمن ذلك:

١ - تعدد معنى الأداة ذات الصدارة في الجملة كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ (القارعة ١٠) إذ تصلح «ما» للاستفهام كما تصلح للتعجب.

٢ - تعدد معنى الصيغة كما في قوله تعالى: ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ (النمل ٣٩) إذ يصلح لفظ «آتيك» أن يكون مضارعاً ناصباً لمحل الكاف وأن يكون اسم فاعل مضافاً إلى الكاف.

٣ - تعدد احتمالات العلاقة النحوية كأن يصلح المعطوف أن يعطف على هذا اللفظ أو ذاك وكاحتمال تعلق الظرف أو الجار والمجرور الخ كما في قوله تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الرعد ١١) إذ يصلح الجار والمجرور «من أمر الله» أن يكون صفة للمعقبات أو أن يتعلق بالفعل «يحفظونه».

٤ - تعدد احتمالات المعنى الوظيفي للكلمة المفردة كما في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ (النور ٣٣) إذ يصلح «الكتاب» أن يكون بمعنى الصحيفة وأن يكون مصدراً بمبنى المكاتب.

٥ - تعدد احتمالات الذكر والحذف كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام ١٠٨) إذ يحتمل التركيب

أن يكون فيه الحذف والأي يكون، أي أن المنهى عن سبهم هل هم «الذين يدعون» أو «الذين يدعونهم» أي هل هم المشركون أو الشركاء؟.

٦ - تعدد احتمالات تمام الجملة أو افتقارها إلى ما بعدها كما في قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (يونس ٦٥) فهل تمت الجملة عند لفظ «قولهم» أو يكون ما بعد ذلك مقولا للقول. وذلك ما نجده أيضا في تعاقب الوقف في نحو: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة ٢).

٧ - تعدد احتمالات المعنى المعجمي للكلمة المفردة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي

أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ (الانفال ٤٨) إذ لا يدرى من مجرد الكلمة ما إذا كان المقصود رؤية بصرية أو ظنية أو رؤيا منامية.

٨ - احتمالات الدلالة اللفظية أو الفوقية كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران ١٠٢) فاللفظ نهى عن الموت والمعنى الفوقى أمر بالتمسك بالإسلام حتى الموت.

تلك نماذج للأسباب التي يتعدد من أجلها معنى النمط التركيبي للجملة فيصبح النمط بحاجة إلى قرينة يتبين بها المعنى المراد. ولما كان تعدد المعنى يكشف عن عدم كفاية القرائن النحوية الدالة على الأبواب المقررة كان معنى ذلك أن النمط التركيبي أصبح بحاجة إلى قرينة من خارج الجملة تعرف غالبا باسم «قرينة السياق». وقرينة السياق هذه هي كبرى القرائن النحوية لأنها قد تعتمد على شيء من هذه القرائن النحوية المفردة أو تتجاوزها إلى أمور دلالية من العقل أو من المقام المحيط بالجملة، حتى إن تخطيط الأسس التي يمكن أن تقوم عليها هذه القرينة تبدو على النحو التالي:

فمن القرينة المبنوية (أي المتعلقة بالمبنى اللفظي) ما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يَكَادُ

الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾ (القلم ٥١) فالدليل على أن «إن» مخففة من الثقيلة وأن معنى السياق هو التأكيد وليس الشرط كون الفعل «يكاد»

مرفوعا غير مجزوم، ثم وجود اللام في خبر إن المخففة وعدم وجود ما يصلح للشرط، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٨٠) إذ يقوم عدم الجواب قرينة سياقية على أن «لو» للتمنى وليست للشرط. ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ (الكهف ٣٨) إذ المعروف أن «هو» التي هي ضمير فصل إنما تتوسط بين اسم لكن وخبرها ولا تلي لكن مقدمة عليهما معافدل ذلك على إرادة التأكيد بقرينة مبنوية إما على أن السياق المقصود «لكن ربي هو الله». أو على أن الضمير للشأن أي «لكنه الله ربي» وانفصل الضمير لزيادة التوكيد.

ومن اعتماد القرينة السياقية على قرينة نحوية علاقية ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَّ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ (الكهف ٥٨) إذ يأذن التركيب أن يكون خبر المبتدأ إما «الغفور» وإما «ذو الرحمة» على زعم أن الغفور صفة للمبتدأ، وإما أن يكون الخبر جملة «لو يؤاخذهم» على زعم ما قبلها صفتين للمبتدأ وتأتي القرينة السياقية من الإضراب عن تعجيل العذاب إلى ضرب موعد مقبل لهم والدليل قوله تعالى: بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً فدل ذلك على أن الخبر قوله تعالى: «لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب» وقد جاءت القرينة السياقية الدالة على ذلك من علاقة الإضراب المعبر عنها بحرف الإضراب «بل». ومثل ذلك ما في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء ١١٢). فليس الخبر في هذه الآية هو «الرحمن» وإنما هو «المستعان» لأن المقام مقام استعانة بالله ويدل على ذلك قوله قبل ذلك بقليل: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ (الأنبياء ١٠٩) فالموقف موقف مواجهة بينه وبينهم، فليس المقصود أن يطعمهم في الرحمة وإنما المقصود أن يستعين عليهم بالله. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل ٥، ٦) فالجار والمجرور في

قوله «لكم» الأولى يمتنع تعليقهما بالفعل «خلقها» بسبب علاقة التوازي بين مافى الآيتين بواسطة العطف هكذا:

أ - لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون

ب - ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون

مما يجعل الجار والمجرور خبرا مقدما فى الحالتين وهكذا تكون جملة «والأنعام خلقها» جملة مستقلة، ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران ١٨) فالقرينة السياقية التى تحول دون عطف الملائكة على الضمير هى علاقة الملاسة بين الحال المفردة وفعل الشهادة إذ قال «قائما» ولم يقل «قائمين» وكذلك تكرار جملة «لا إله إلا هو» مما يدل على أن المعنى «شهد الله وشهد الملائكة وأولو العلم»، وكذلك: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ (النساء ١٠٣) فليس المقصود «فاذكروا الله بواسطة القيام» وإنما المقصود اذكروه حالة كونكم «قائمين» بدليل علاقة العطف إذ عطف قوله «وعلى جنوبكم» فدل على أن المقصود ذكر أوضاع أجسامهم عند ذكر الله، والفرق بين القيام وبين القائمين واضح.

ومن اعتماد قرينة السياق على المعجم ما نجده من ضرورة تقدير الحذف فى قوله تعالى: ﴿ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسْحَرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ (يونس ٧٧) أى أتقولون للحق لما جاءكم هذا سحر؟ أسحر هذا؟ وتأتى ضرورة التقدير من أن القول يفتقر إلى مقول ولا تصلح جملة «أسحر هذا» أن تكون هى المقول لأنها استفهام والاستفهام يدل على التردد وعدم الجزم وهم فى كفرهم أبعدما يكونون عن التردد وعدم الجزم. من هنا يقدر المحذوف خبرا مثبتا بحيث ينسجم مع اتهامهم للحق ودعواهم أنه سحر. وأساس كل ذلك أن المعنى المعجمى للفظ القول يقتضى مقولا مقدرا إن لم يكن هذا المقول مذكورا. ومن ذلك ما يبدو من الفارق بين المعنيين اللذين يفهمان من لفظ «يعدلون» ويختلفان بحسب ما يصحب الفعل من

«الذين كفروا» أو «أمة يهدون بالحق» فى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام ١) أى يجعلون لربهم عديلا وشريكا، وقوله: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٨١) أى يقسطون، فاللفظ المصاحب للفعل كان مرتكزا لدلالة السياق. على أحد المعنيين ولنسبة المعنى الذى دل عليه السياق إلى الفعل. ولعل إدراك المعنى عند الجناس أو التورية فى كثير من الحالات يعتمد على مثل هذه القرينة (قرينة السياق). ومنه أيضا ما نراه فى قوله تعالى: ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يس ٣٥) فلقد أعرب بعضهم «ما»؛ اسما موصولا ولكن إيراد قوله «أفلا يشكرون» تعقيبا على «وما عملته أيديهم» يجعل «ما» نافية لأن أكلهم من ثمر لم تعمله أيديهم يستوجب الشكر أكثر من أكلهم من الذى عملته أيديهم وهكذا يعتمد اعراب «ما» على عنصر معجمى فى السياق فتعتمد قرينة السياق على هذا المعنى المعجمى.

ومن اعتماد قرينة السياق على المناسبة المعجمية (والمقصود هنا ما بين عناصر الكلام من مناسبة أو مفارقة فى المعنى) قوله تعالى: ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ (الأنعام ٩٩) إذ نجد بين أيدينا فى الآية الكريمة «نبات كل شىء» وثمر هذا النبات ولدينا بعد ذلك ضمير متصل مضاف إليه فى «ينعه» يصلح أن يعود من حيث التركيب على النبات كما يصلح أن يعود على الثمر. ولكن استجلاء العلاقة المعجمية بين الألفاظ يكشف لنا عن المناسبة بين الينع والثمر فيقال «ثمرة يانعة» وعن المفارقة بين الينع والنبات فلا يقال «نبات يانع» وهكذا تحكم قرينة السياق بأعادة الضمير على الثمر دون النبات. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ (آل عمران ١٩٨) إذ إن وضع لفظ الخير بإزاء لفظ الأبرار يحكم بأن «ما» التى فى صدر الجملة موصولة ويمتنع فيها أن تكون نافية وذلك لما بين البر والخير من مناسبة معجمية لا يمكن معها أن يتنافى أحدهما مع الآخر. ومن ذلك أن الآية ١٩٦ من سورة البقرة نصت على جمع العديدين فى قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴿ فدل الجمع على أن «إذا» خالصة للظرفية مبرأة من الشرطية فالمعنى «وسبعة عند رجوعكم» وليس المعنى: «إذا كنتم في الحج فصوموا ثلاثة وأما إذا رجعتم فإن الثلاثة تتحول إلى سبعة» فلما جاءت جملة «تلك عشرة كاملة» نفت معنى الشرط عن «إذا» وجعلتها خالصة للظرفية أى بمعنى «عند» والمعنى «وأضيفوا إلى الثلاثة سبعة عن رجوعكم» ومن ذلك أيضا ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (ص ٣٩) إذ يصلح الجار والمجرور بحكم التركيب أن يتعلق بالعطاء أو بالفعلين «امنن أو امسك» ولكن قوة المناسبة بين العطاء ونفى الحساب وضعف المناسبة بين الامساك وعدم الحساب مكنت قرينة السياق من أو توضح تعلق الجار والمجرور «بغير حساب» بلفظ «عطاؤنا» أضف إلى ذلك أن العطاء رزق والله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب ولكنه لا يأمر بالامساك بغير حساب. وهكذا يكون الفعلان معا فى موقع الاعتراض بين أجزاء جملة واحدة هى «هذا عطاؤنا بغير حساب».

نصل عند هذه النقطة إلى قيام قرينة السياق على أساس من المنطق أى من علاقات المعانى بعضها ببعض وليأذن القارئ ببيان ذلك أولا بواسطة بيت من الشعر قبل أن نورد الآيات التى تشهد على ذلك قال الشاعر:

أنا ابن آية الضيم من آل مالك وإن مالك كانت كرام المعادن
فإذا تأملنا «إن» من قوله: «وإن مالك كانت...» وجدناها تصلح:

أ - نافية فيكون المعنى: ولم تكن مالك كرام المعادن

ب - شرطية فيكون المعنى: حتى إن كان مالك كرام المعادن

ج - مخففة من الثقيلة فيكون المعنى: وإن مالكا كانت كرام المعادن

والشاعر يفخر بينوته لأبوة الضيم من آل مالك فلو جعلنا المعنى على النفى لوقع البيت فى التناقض من حيث لا يجتمع الفخر بهم ونفى كرم المعادن عنهم ولو جعلناه على الشرط لأصبح الفخر بالبنوة والتقيد باشتراط الكرم من قبيل تحصيل

الحاصل بواسطة القيد وهو معنى فاسد فالمرء لا يقول: «أنا عريق النسب وإن كنت كريم المعدن». فلم يبق إذأ إلا أن تكون «إن» مخففة من الثقيلة والمعنى تأكيد كرم المعدن مما ينسجم به أول البيت مع آخره. ويعلم القارىء أن التناقض وتحصيل الحاصل من العلاقات العقلية بين المعانى. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ (هود ٢٤) فعلى الرغم من أن فى الآية أربعة ألفاظ عطف لاحقتها على سابقتها نرى الفارق العلقى بين الاثنين (المثلة فى الفريقين ويستويان» وبين الأربعة (المثلة فى الألفاظ المتعاطفة) يحكم بأن العطف من قبيل عطف الصفات لا عطف الأفراد ويجعل المعنى: مثل الفريقين كالأعمى الأصم والبصير السميع أى أن ثمة شخصين أحدهما أعمى أصم والثانى بصير سميع وهما لا يستويان مثلا وبذلك نحكم بزيادة الواوین اللتين قبل الأصم والسميع أضف إلى ذلك الطباق الذى بين السلب الذى يتمثل فى الأعمى الأصم وبين الإيجاب ممثلا فى السميع البصير ولا شك أن السلب والإيجاب من الأمور العقلية أيضا. وينتهى الأمر بانشاء تقابل ثنائى لا رباعى تقضى به قرينة السياق. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ (النمل ٤٩) فالملاحظ أن الفعل «تقاسموا» يصلح لأن يكون ماضيا ولأن يكون أمراً وهو على الماضى فى موضع البدل من «قالوا» وعلى الأمر جزء من مقول القول. ولكن العلاقة بين الفعل وما يتلوه من قوله «ثم لنقولن» تدل على جو المكيدة والتربص لأن المعنى: «لنفعلن ثم لننكرن أننا فعلنا» وهذا بالضبط ما يقضى به منطق العقل عند قراءة الآية وهكذا تقضى قرينة السياق بأن «تقاسموا» فعل أمر وليس فعلا ماضيا ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ (الأنعام ٣٤) فقوله «حتى أتاهم نصرنا» غاية تصلح أن تكون للفعل «صبروا» كما تصلح أن تكون للفعل «أودوا» ولكن تعليق «حتى» بالفعل «أودوا» لا يحمل فى طيه أى عزاء أو تشجيع

للنبي صلى الله عليه وسلم أما إذا تعلقت «حتى» بالفعل «صبروا» فإن في ذلك من العزاء والتشجيع ما فيه لأن المعنى عندئذ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الاحقاف ٣٥) وهكذا تكون «ما» في «ما كذبوا وأوذوا» مصدرية أى على التكذيب والإيذاء الواقعين عليهم. وهكذا تستند قرينة السياق إلى العلاقات العقلية الدلالية. ومنه ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ (هود ٨٧) فالمنطق يقضى بأن يكون «أن نعمل» مفعولا به للفعل «نترك» وليس للفعل «تأمرك» فالمصدر المؤول معطوف عليه «ما يعبد أبائنا» والاستفهام انكار لطلب ترك الأمرين كليهما.

والأمر في الكلام العادى أوضح من كل ذلك فقد تفوتك صلاة الجماعة ثم تدخل المسجد فترى رجلا تتوسم أنه لم يصل فتطمع أن تنضم إليه في الصلاة طلبا لصلاة الجماعة فتسأله: «صليت»؟ بدون الهمزة ولكن مع نغمة السؤال هنا تكون النغمة هي القرينة الوحيدة للمعنى السياقى ولو لم تكن نغمة الاستفهام لكانت هذه الجملة اثباتا. وقد تسأل شخصا تلقاه بقوله: «أنت فلان»؟ بدون الهمزة ولكن مع نغمة السؤال فيجيبك بالاثبات أو النفي. وهكذا يكون التنغيم مستندا لقرينة السياق.

وأما الظروف الحسية والنفسية المحيطة بالنص فأمثلتها في القرآن كثيرة منها ما فى قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأعراف ٤٨) فهؤلاء الرجال الذين خاطبهم أصحاب الأعراف عهدت لهم سيما الغنى والكبرياء فى الدنيا وكان ذلك من المدركات الحسية فلما كان نصيبهم فى الآخرة العذاب والهوان سألهم أصحاب الاعراف على سبيل السخرية والتهكم عما إذا كان غناهم وكبرياؤهم قد أغنيا عنهم من الله شيئا وانتفى بقرينة السياق هكذا أن يكون المعنى على النفى أى «لم يغن عنكم جمعكم» بدليل ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ لأن مضمون النفى معلوم سلفا لهؤلاء الرجال فلا حاجة إلى إيضاحه فضل ايضاح ثم بدليل مواصلة السؤال فى الآية التى بعد ذلك:

﴿ أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ (الأعراف ٤٩) ومنه أيضا:
﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذَاهُمْ ﴾ (الأحزاب ٤٨) إذا يصلح التركيب لجعل
الأذى منهم له أو منه لهم. ولكن الظروف الحسية التي يعرفها النبي صلى الله عليه
وسلم أن الأذى واقع منهم عليه وليس منه عليهم فأصبح المعنى «ولا تجزع لإيذائهم
إياك وهذا شبيهه بقول العزيز ليوسف» «يوسف أعرض عن هذا» (يوسف ٢٩) أى
تجاهل ما حدث وليس المقصود لا تعد إلى ذلك مرة أخرى وكذلك: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ
أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا
حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ ﴾ (البقرة ٢١٤) إذ يحتمل التركيب
أحد معنيين: «متى نصر الله» و«متى ينصرنا الله» ولكن الذين آمنوا ينصرون الله
بحكم إيمانهم ويلقون العنت والعذاب لهذا السبب ويدركون ذلك إدراكاً حسياً ومن
ثم يكون المعنى: «متى ينصرنا الله» ويؤيد ذلك ما تلا ذلك من وعد الله لهم
بالنصر بقوله: ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ وأما الظروف النفسية كالحب والكرهية
والغضب والرضا والطمع والقناعة فظاهرة في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ
قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا
كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ (النساء ١٢٧) فالتركيب صالح لمعنى «وترغبون
في أن تنكحوهن» وكذلك «وترغبون عن أن تنكحوهن» وقد حذف حرف الجر قصداً
ليعم التركيب حالتى الرغبة فيهن والرغبة عنهن لأن اليتيمة ذات المال إما أن تكون
جميلة فيرغب وليها فى أن ينكحها استشارا بمالها وجمالها وإما أن تكون قبيحة
فيعضلها رغبة عنها وطمعاً فى مالها وهكذا تكون الظروف النفسية متكاً لقرينة السياق
دالة على أن حذف حرف الجر مقصود ليشمل التركيب الحالتين كليهما حالة الرغبة
فيهن وحالة العزوف عنهن مع استبقائهن من أجل مالهن فى الحالتين.

وأما المحيط الاجتماعى حين يكون متكاً لقرينة السياق فمنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنِ

سَبِيلِ اللَّهِ ﴿ (التوبة ٣٤) إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه معه يعلمون من المحيط الاجتماعى الذى يحيط بهم ما المقصود بهذا الكلام وبالأخبار والرهبان فالسياق بالنسة إليهم ترتكز دلالاته على الظروف الاجتماعية ويدل على المعنى بمعونة هذه الظروف أما نحن الآن فإننا بحاجة إلى معرفة سبب نزول الآية حتى نتضح لنا دلالة السياق على هذا الخبر أو ذاك الراهب الذى دل عليه لفظ «كثير». وكذلك الحال فى معرفة الحالفين من قوله تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ (التوبة ٥٦) والذى آذى النبي من قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ (التوبة ٦١) والمعاهد فى قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنِ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (التوبة ٧٥) والمعذرون فى قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ (التوبة ٩٠) والمعوقون فى قوله تعالى. ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الأحزاب ١٨) والذى نهر والديه فى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُي أَفٍ لِّكُمَا أَتَعَدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ﴾ (الأحقاف ١٧) كل ذلك كان فى المحيط الاجتماعى الذى يعيش فيه النبي وأصحابه فكان معنى السياق واضحا لهم كل الوضوح على حين نحتاج نحن الآن إلى معرفة أسباب النزول. أى أنهم عرفوا المعنى من حاضرهم ونحن نعرفه الآن من التراث.

وقد ترتكز قرينة السياق على العادات والتقاليد كما فى قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ (المائدة ١٠٣) إذ كان الذين كفروا يفترون على الله الكذب ويجعلون هذه الأنواع من الإبل من تقاليد عبادتهم للطاغوت. ومثله: ﴿ وَلَا تَعْضَلُوهُمْ لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُمْ ﴾ (النساء ١٩) وكذلك: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (النور ٣٣) وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ

كَرَهَا ﴿ (النساء ١٩) ومنه أيضا ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً
وَتَصَدِيَةً ﴿ (الأنفال ٣٥) وكذلك ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴿
(الأحزاب ٥) وكذلك: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴿ (الأحزاب ٣٣).

كل أولئك إشارات إلى عادات وتقاليد كانت للعرب يفترق فهم النص إلى
معرفتها أى أن هذه المعرفة هى المتكأ الذى لا بد منه لقرينة السياق .

وقد تكون هناك إشارات إلى المآثورات والتاريخ أيضا فيفتقر فهم النص إلى معرفة
ذلك كما فى قوله تعالى: ﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿ (آل عمران ١١)
وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ
إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا عَشَى ﴿
(النجم ٥٠ - ٥٤) وكذلك: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبَعِّ كُلُّ كَذَّبِ الرَّسُلِ فَحَقَّ
وَعِيدٌ ﴿ (ق ١٢ - ١٤) ومن ذلك أيضا ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى
عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴿
(البقرة ٢٥٩) ومن هذا القبيل كل ما فى القرآن من خبر الأولين وقصص الأنبياء .

وهكذا تمتد قرينة السياق على مساحة واسعة من الركائر تبدأ باللغة من حيث
مبانيها الصرفية وعلاقتها النحوية ومفرداتها المعجمية وتشمل الدلالات بأنواعها من
عرفية إلى عقلية إلى طبيعية كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر حسية ونفسية
 واجتماعية كالعادات والتقاليد ومآثورات التراث وكذلك العناصر الجغرافية والتاريخية
 مما يجعل قرينة السياق كبرى القرائن بحق لأن الفرق بين الاستدلال بها على المعنى
 وبين الاستدلال بالقرائن اللفظية النحوية كالبنية والإعراب والربط والرتبة والتضام
 الخ هو فرق ما بين الاعتداد بحرفية النص والاعتداد بروح النص . وقرينة السياق هى
 التى يحكم بواسطتها على ما إذا كان المعنى المقصود هو الأصلى أو المجازى وهى

التي تقضى بأن في الكلام كناية أو تورية أو جناسا الخ وهي التي تدل عند غياب القرينة اللفظية على أن المقصود هذا المعنى دون ذلك إذ يكون كلاهما محتملا، وسنرى في فصل لاحق كيف حالت قرينة السياق في القرآن دون تطرق اللبس إلى المعنى عندما يسمح التركيب بورود الاحتمالات المتعددة للمعنى.

تأملات في القيم الصوتية في القرآن الكريم

نعنى بالقيم الصوتية تلك الخصائص التي تميز بواسطتها الأصوات ويتعلق بها نوع من المعانى يسمى المعانى الطبيعية، التي لا توصف آثارها بأنها عرفية ولا ذهنية لأنها فى الواقع مؤثرات سمعية انطباعية ذات وقع على الوجدان «تدركها المعرفة ولا تحيط بها الصفة»، فمثل تأثيرها فى وجدان السامع مثل النغمة الموسيقية تطرب لها ثم لاتستطيع أن تقول لم طربت. ونستطيع أن ننسب إلى الأسلوب القرآنى من هذه القيم عددا نأمل أن نتناوله بالدراسة منه الإيقاع والفاصلة والحكاية والمناسبة وحسن التأليف وستناول - إن شاء الله - كل واحدة من هذه الظواهر على حدة فى الفقرات التالية:

أولاً - الإيقاع:

لقد جعلنا من عادتنا العقلية أن نُحْكِمَ الربط بين مصطلح «الإيقاع» والشعر الموزون فنقول: «إيقاع الشعر» ونحن نعنى «وزن الشعر»، ولم تعرف تقاليدنا الفكرية إدراك الرابطة التي تربط الإيقاع بصور التعبير الأخرى بل إننا كلما تمثلت ظاهرة الإيقاع لإدراكنا غلفناها بطائفة من الصور المجازية فى التعبير عنها. وقد بدأ هذا التغليف بالمجاز منذ قال القائل: «إن له حلاوة وإن عليه لطلاوة... إلخ» فأين الحلاوة والطلاوة (وهما من حس اللسان والنظر) من الإيقاع (وهو مما تحسه الأذن)؟ أما هنا فنحن نحاول أن نكشف عن الظاهرة كشفا علميا وأن نخضعها لنوع من الوصف يجعل الكلام عنها من قبيل الحقيقة وليس من قبيل المجاز. إن المدخل إلى دراسة الإيقاع لا يكون إلا من خلال معرفة المقاطع اللغوية العربية المختلفة الكميات وما يتصل بذلك من قواعد النثر فى الكلام. وحين حاول العروضيون أن يصلوا إلى

دراسة تقلبات أجزاء التفعيلات حددوا الأسباب والأوتاد وصاغوا لها عبارتهم المشهورة «لم أر على ظهر جبل سمكة» ولكنهم لم يحددوا مقاطع اللغة العربية لأن أغلب ألفاظ هذه العبارة مكون من أكثر من مقطع واحد. ولو حاولنا أن نقطع هذه العبارة بحسب مقاطع اللغة لبدت على النحو التالي:

لَمْ - أ - ر - ع - لَأ - ظَهْ - رِ - جَ - بَ - لِنُ - سَ - مَ - كَ - تَنُ، ذلك أن دراسة المقاطع في العربية لها شروطها التي لا تتحقق إلا برعايتها ومنها ما يلي:

- ١ - كل حرف متحرك فهو بداية مقطع.
 - ٢ - كل صوت ساكن بعد حركة أو مد فهو نهاية مقطع، وقد يشدد هذا الساكن عند الوقف.
 - ٣ - هناك مقطع بحسب الأصل ومقطع بحسب الاستعمال ويتصل هذا التفريق في الغالب بهمزة الوصل.
 - ٤ - نحن معنيون في هذه الدراسة بالمقاطع الاستعملية لا التنظيمية لأن موضوعنا هو الإيقاع وهو ظاهرة استعمالية.
- قد يكون رقم ٣ السابق بحاجة إلى فضل إيضاح لأننا لم نحدد طبيعة اتصال التفريق بين موضوعنا وبين نوعي المقاطع تحديدا واضحا. ولهذا نسوق مايلي:
- أ - يعترف نظام اللغة العربية بإمكان افتتاح الكلمة العربية بحرف ساكن ولكنه لا يجيز الابتداء به فإذا قلنا: «انطلقوا» فإن أول حرف من حروف الكلمة هو النون الساكنة أما الألف فليست أكثر من (وسيلة كتابية) تشير إلى موقع «الوصل»، فهي ليست من بنية الكلمة ومثلها كمثل الألف التي جاءت بعد واو الجماعة من كلمة «انطلقوا» السابقة لتدل على أن الواو للجماعة، وليست للجمع وتظهر فائدة هذه الأخيرة في التفريق بين «قاتلوا زيدا» و«قاتلو زيدا» مثلا. إذ تشير بوجودها إلى أن الواو في العبارة الأولى للجماعة (أي أنها ضمير) كما يشير غيابها من المركب الإضافي في العبارة الثانية إلى أن الواو للجمع (أي أنها حرف). ولما كانت كلمة

«انطلقوا» فى حال نطقها بحاجة إلى همزة وصل يتوصل بها إلى نطق أول الكلمة، أصبحت المقاطع الاستعمالية (أى الصوتية) للكلمة على النحو التالى:

ء ن - ط - ل - قو

وكو وقعت الكلمة فى الوسط فلم يبدأ بها السياق لكان على الحرف الذى قبل النون الساكنة أن يحمل الحركة التى كانت للهمزة التى بدىء بها الكلام من قبل، وأن يكون هذا الحرف مع النون مقطعا واحداً. فإذا نظرنا إلى هذه الكلمة نفسها فى قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ (القلم ٢٣) وجدنا المقطع الأول على صورة «قن» أى أن الفاء حلت محل همزة الوصل التى فى المقطع (ء ن) السابق.

ب - هذا الفهم لاغبار عليه عند النظر إلى الاستعمال الذى يأتينا بمقاطع صوتية بل إن المقاطع الصوتية هى طلبتنا فى هذه الدراسة. لكن ماذا عن التأصيل النظرى بحسب نظام اللغة وبخاصة فى ضوء الشرط الثانى الذى يجعل كل صوت ساكن بعد حركة نهايةً لمقطع. النون فى كلمة «انطلقوا» ساكنة. فالنون إذاً نهاية مقطع ولكن أين بداية هذا المقطع بحسب أصول اللغة؟ إنه لا بداية له من حيث التأصيل وإن كانت له بداية فى الاستعمال «نخلص من ذلك إلى أن النون فى «انطلقوا» مقطع تأصيلى بذاته، به بدأ المقطع وبه انتهى، ويحسن أن يسمى مقطع الوصل لأنه تأصيلى لا يوجد إلا فى الذهن بواسطة التجريد العقلى ولا يوجد فى الاستعمال.

ج - يأتى هذا المقطع ذو الوجهين (مقطع الوصل) فى أسماء بعينها وفى أداة التعريف وفى ماضى الخماسى والسداسى وأمرهما ومصدرهما وأمر الفعل الثلاثى. ولنا أن نذكر قول ابن مالك «أل حرف تعريف أو اللام فقط» لئرى أن اللام فقط مقطع تأصيلى مستقل.

بهذا نصل إلى نقطة يحسن عندها أن نعرض صور المقاطع الاستعمالية الصوتية للغة العربية وسنرى أنها كما يلي:

المقطع الأول: صوت متحرك وليس بعد حركته صوت ساكن مثل المقاطع

الثلاثة فى لفظ «ضربَ» مبنيا على الفتح، فكل مقطع منها صوت متحرك ليس بعده سكون هكذا: ضَ - رَ - بَ - ويرمز لهذا المقطع بالرمز «ص ح».

المقطع الثانى: صوت متحرك بعد حركته صوت ساكن، ومثال ذلك المقاطع التى تتكون منها عبارة «لَمْ يَكْتُبْ». فاللام فى «لم» متحركة بعدها ميم ساكنة ومثلها الياء فى «يَكْ» وكذلك التاء فى «تُب» فهما متحركتان بعد كل منهما صوت ساكن أيضا، ويرمز لهذا المقطع بالرمز «ص ح ص».

المقطع الثالث: صوت صحيح يتلوه مدّ وليس بعد المدسكون: «وَأَفَانِي» فكل من الواو والفاء والنون جاء بعده مدّ وليس بعد المدسكون، والرمز الدال على هذا المقطع هو «ص م».

المقطع الرابع: صوت يتلوه المد وبعد المد سكون كما فى «ضالين» و«طامة» و«صاخة» فالمقطعان فى كل من هذه الكلمات كما يلى: ضَالٌ - لِينٌ، طَامٌ - مَهٌ، صَاخٌ - خَهٌ، أى أن المقطع الأول من كل هذه الكلمات من هذا النوع (ضالٌ - طامٌ - صاخٌ) ويرمز له بالرمز «ص م ص».

المقطع الخامس: صوت متحرك وبعد الحركة صوتان ساكنان كما فى الوقف على «قَبْلٌ» و«بَعْدٌ» وكما فى المقطع الثانى من مقاطع «دويبة» (دُ - وَيْبٌ - بَهٌ) تصغير «دابة» و«صويخة» (صُ - وَيْخٌ - خَهٌ) تصغير «صاخة» ويرمز له بالرمز التالى: «ص ح ص ص».

المقطع السادس: صوت يتلوه مد وبعد المد صوتان ساكنان ولايرد هذا المقطع إلا عند الوقف على ألفاظ مثل «حاجٌ» و«تامٌ» و«خاصٌ» و«ضالٌ» فهو مقطع مرهون بموقع معين ويرمز إليه بالرمز «ص م ص ص» وربما حسن أن يسمى مقطع الوقف.

والمقطع الأول يسمى اختصارا بالمقطع القصير والثانى متوسط مقفل والثالث متوسط مفتوح والرابع طويل المد والخامس طويل التسكين أما السادس فيسمى مقطع الوقف كما قلنا، وهكذا يمكن تلخيص بنية المقاطع الصوتية فى اللغة العربية على النحو التالى:

- ١ - القصير ورمزه ص ح
- ٢ - المتوسط المقفل ورمزه ص ح ص
- ٣ - المتوسط المفتوح ورمزه ص م
- ٤ - طويل المد ورمزه ص م ص
- ٥ - طويل التسكين ورمزه ص ح ص ص
- ٦ - مقطع الوقف ورمزه ص م ص ص

وليس مما يقع فى اهتمام دراسة الإيقاع أن نتكلم عن المقطع التأصيلى المجرى تجريدا ذهنيا (مقطع الوصل) الذى لا يتحقق فى الاستعمال، وإنما ننظر إليه حين يتحقق فى صورة المتوسط المقفل «ص ح ص» بعد أن تجلب همزة الوصل وحركتها أو آخر حرف من الكلمة السابقة وحركته، فيكون الساكن الموصول بالهمزة خاتمة المقطع الصوتى المذكور هكذا:

ص = همزة الوصل أو آخر حرف من الكلمة السابقة.
ح = الحركة.

ص = الساكن الذى توصلنا إلى النطق به بواسطة الهمزة.. أو آخر الكلمة السابقة.

دعنا بعد ذلك نلق نظرة على النبر: ما معناه وما قواعده لنستطيع بعد ذلك أن نتكلم عن الإيقاع. إذا سمع أحدنا شخصا غيره، يتكلم فسوف يلاحظ أن الكلام لايجرى على طبقة صوتية واحدة بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره، وذلك ما يعرف باسم «التنغيم» وبه يرتبط معنى الجملة إثباتا أو تأكيدا أو استفهاما أو إنكاراً أو غير ذلك. أما المتكلم نفسه فسوف يرى أن الصوت، الذى يتم عنده الانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة صوتية أخرى يتطلب قدرا من ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين يزداد به مقدار النفس المطلوب لإحداث الصوت فعندما يسلط هذا القدر الزائد على الأوتار الصوتية يعلو الصوت عما جاوره فيحظى

فى السمع بوضوح أكبر من وضوح ما يحيط به من الأصوات. هذا الوضوح النسبى يسمى النبر. حاول أن تنطق الصيغ الصرفية التالية ثم لاحظ الاختلاف بينها من حيث موقع الوضوح السمعى:

فِعِل - فاعِل - فعِيل

فأوضح الأصوات فى الصيغ الأولى (وكل ما يأتى على مثالها بالطبع) إنما هو فتحة الفاء وفى الثانية ألف المد وفى الثالثة ياء المد (لا حظ اختلاف البنية المقطعية لكل صيغة عنها فى الأخرى). فالنبر فى الصيغتين الأولىين على المقطع الأول وفى الثالثة على المقطع الثانى. فإذا ثبتت فقلت: فَعْلان وفاعِلان وفعِيلان انتقل النبر فى جميع ذلك إلى المقطع الأخير (أى إلى ألف الثنية) مما يدل على أن مواقع النبر فى الكلمات تخضع للتبديل بحسب التجرد والزيادة واختلاف البنية المقطعية للكلمة، وسنرى من بعد أن النبر فى السياق ربما اختلف عن النبر فى الأفراد فتحكمه مطالب أخرى هى مطالب «الإيقاع» فى السياق المتصل.

وللنبر فى اللغة العربية قواعد مطردة، بل إن اطرادها ربما كان أثبت من اطراد قواعد النحو، ثم إن قواعد النبر قليلة لأنها تدور حول احتمالات توالى العدد القليل من المقاطع فى الكلمة أو فى السياق، وهى لقلتها يسهل تذكرها والتطبيق عليها وتناولها بالدرس ثم استنباط ما يأتى عن هذا الدرس من نتائج. وهذه القواعد كما يلى:

١ - يقع النبر على المقطع الأخير من الكلمة المفردة (أو الصيغة التى عليها الكلمة إن شئت) إذا كان هذا المقطع الأخير طويلاً، سواء أكان من النوع الرابع (ص م ص) أو الخامس (ص ح ص ص) أو السادس (ص م ص ص) من الأنواع الستة السابقة. مثال ذلك ما تلاحظه من موقع النبر فى نحو:

مَفْعُولٌ - يَفْعَلَانُ - فَعَلْتُ - البارُّ

يأسكان الآخر فى كل ذلك.

٢ - ويقع فى الكلمات ذات المقطع الواحد على هذا المقطع الواحد أيا كانت كميته

نحو:

ق - قم - ما - قال - قل - حاج

٣ - يقع النبر على المقطع الذى قبل الأخير فى الحالات التالية:

أ - إذا كان ما قبل الأخير قصيرا والأخير متوسطا أو قصيرا فى كلمة ذات مقطعين أو مبدوءة بهمزة وصل قبلهما كما فى:

كُتِبَ - صُورَ - انطلقَ - اخرجى - ارعَوِ

ب - إذا كان ما قبل الآخر متوسطا وكان الآخر متوسطا أو قصيرا كما فى:

عَلِمَ - قاتلَ - معلّمٌ - مُقاتِلٌ - استوثقَ - استلقِ - حذارِ

ج - إذا كان ما قبل الآخر طويلا واغترف فيه التقاء الساكنين والآخر غير طويل

كما فى:

ضالّةٌ - طامّةٌ - دويّةٌ - حويّةٌ

٤ - يقع النبر على المقطع الذى يسبق ما قبل الآخر إذا كان هذا المقطع قصيرا أو

متوسطا بعده قصيران أو قصير ومتوسط نحو:

عَلِمَكَ - عَلِمَكُمْ - بَيْنَكُمْ - بَيْتَكَ - نظرةٌ - ابتسامَةٌ

٥ - يقع النبر على الثالث مما قبل الآخر إذا كان الآخر قصيرا أو متوسطا قبله

ثلاثة قصار نحو:

ضربَكَ - بقرَةٌ - يرئِئى - تعدُّهُمُ - وجدَكَ - نكرَهُمُ

٦ - لا يقع النبر على مقطع قبل ذلك المذكور أخيراً.

هذا هو نبر الكلمة المفردة (والإفراد هنا بالمعنى الإملائى وإن كانت مركبة بالمعنى النحوى بواسطة وصل الضمائر والحروف الزائدة). ولكن الاستعمال اللغوى لا يتم من خلال إفراد الكلمات لأن الكلمة المفردة ذات معنى مفرد والمعنى المفرد لا يتصف بالإفادة. فإذا كانت الإفادة هى مطلب الاتصال اللغوى فأولى بهذه الاتصال أن يتم من خلال سياق لغوى مركب ذى علاقات نحوية ومعان دلالية وقرائن من كل نوع يتوصل بها إلى الإفهام والفهم. وحين تتجاوز الكلمات فى السياق اللغوى ينشأ من

تجاورها ظروف جديدة تفرض على النبر أن يقع فى مواقع من الكلمات لم تكن له فى حالة الأفراد. وهذه الظروف الجديدة هى مقتضيات الإيقاع الذى ينسب إلى السياق ولا ينسب إلى المفردات.

غير أن الكلمة المفردة إذا تعددت مقاطعها حتى صارت من حيث مطلق حركاتها وسكناتها بوزان كلمتين قصيرتين لم تقنع بنيتها بالنبر الذى شرحنا قواعده منذ قليل، وإنما تضع على موقع مما يسبق هذا النبر نبرا آخر أقل قوة من ذلك يسمى النبر الثانوى. انظر مثلا إلى الكلمات التالية تجد كلا منها بوزان كلمتين قصيرتين:

صاَقَات = «قال» ساكنة اللام مرتين

مستقيم = جَاءَ أَمْسُ

يَسْتَبِقُونَ = لَيْسَ يَهُونَ

هنا يأتى النبر الثانوى قبل النبر الأوّلى لوجود توازنا بين أجزاء الكلمة. وهذا النبر أيضا يخضع لعدد من القواعد أقل مما سبق يمكن تلخيصها على النحو التالى:

١ - يقع النبر الثانوى على المقطع السابق للنبر الأوّلى مباشرة إذا كان هذا السابق طويلا نحو:

الصفات - الضالّين - اتحاجونى

٢ - ويقع على المقطع الثانى مما يسبق النبر الأوّلى إذا كان هذا الثانى متوسطا والذى بينه وبين النبر الأوّلى قصيرا أو متوسطا نحو:

مستبين - مستقيم - مستعدّ - يستخفون - عاشرناهم - قاتلوهم

٣ - ويقع النبر الثانوى على المقطع الثالث مما قبل النبر الأوّلى فيما يلى:

أ - إذا كان هذا الثالث قصيرا بينه وبين النبر الأوّلى قصيران نحو:

بقرتان - كَتَبَتَاه - كَلِمَتَان

ب - أو كان متوسطا بينه وبين النبر الأوّلى قصيران نحو:

يَسْتَبِقُونَ - مُحْتَرَمَان - مُنْطَلِقَات

أو قصيراً فمتوسطاً نحو:

يَسْتَقِيمُونَ - مُسْتَطِيلَان - مُسْتَطِيعَات

ذلك النبر الثانوى يوضح من مقاطع الكلمة مالولاه لطفى فى السمع، ويوجد من التوازن بين جزئى الكلمة مايجعلها أكثر قبولاً فى الذوق وإراحة للأذن وإن كان هذا القبول وتلك الإراحة ما يزالان على مستوى الكلمة المفردة لا على مستوى السياق. فماذا عن النبر فى السياق؟

إذا تأملنا النص المتصل (السياق) لاحظنا أنه يشتمل على كلمات تختلف طولاً وقصراً بين أن تكون على حرف واحد كباء الجر ولامه، وبين أن تكون على عدد أكبر، حتى إن الكلمة قد تكون فعلاً من ستة أحرف أسند إلى ضمير متصل ذى حرفين نحو «يستخرجون» و«يستغفرون» فإذا عطف هذا الفعل بالفاء زاد على حروفه حرفاً نحو «فيستغفرون» بل قد يزيد عدد الحروف على ذلك كما فى: «فيسكفيكهم»، إذ تحف باللفظ عناصر الزيادة فى أوله عطفًا وتنفيسًا والضمائر المتصلة فى آخره: خطاباً وغيبية: فإذا علمنا أن هذه العناصر التركيبية الجامدة كالحروف والضمائر قد تقل حروفها حتى لا تصلح للإفراد، أدركنا أنها قلما يصدق عليها ما تقدم إيضاحه من نبر الكلمة المفردة ولكنها مع ذلك جزء من السياق لا يمكن تجاهله فى الاستعمال، أى عند الأداء الفعلى للكلام. وهكذا نجد تدخل هذه العناصر فى مجرى السياق يفرض على السياق توزيعاً جديداً للنبر يقسم أصوات السياق إلى دفعات، كل دفعة منها بوزان كلمة عربية حتى إن امتدت هذه الدفعة على نهاية كلمة وبداية ما بعدها، مزجت نهاية السابقة وبداية اللاحقة فى خفقة واحدة من خفقات النفس عند التكلم - إن توالى هذه الدفعات (أو الخفقات) غير المرتبطة بحدود الكلمات المفردة بدءاً ونهاية هو ما نعرفه باسم الإيقاع فى الكلام.

مثل ذلك أن الفعل «سارعوا» فى حال الإفراد يشتمل على نبر أولى على ألف المد من مقطعه الأول ولكنه إذا عطف بالواو فصار: «وسَارِعُوا» تغيرت خطة النبر فيه فاشتمل على نبر ثانوى على حركة الواو ونبر أولى على حركة الراء، فصار كأنه

كلمتان إحداهما «وَسَاءً» والثانية «رِعْوًا» وكتاهما تشبه الفعل «رَمَى» من حيث مطلق الحركات والسكنات فتستحق من النبر ما يستحق الفعل «رَمَى». ويصدق ذلك على قوله تعالى: ﴿وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (آل عمران ٢٠٠).

وإذا تأملنا كلاما متصلا لاحظنا تشابه المسافات بين نبر ونبر أو تقارب الشبه بينهما، فقد يكون بين النبرين مقطع واحد أو مقطعان أو ثلاثة على أكثر تقدير، دون أن يقع النبر على أحد هذه الثلاثة. ثم إن النبرين المتوالين قد يكونان من قبيل النبر الأولي وقد يكون أحدهما ثانويا. وهذا التشابه أو قرب الشبه بين كميات المسافات يمنح الأذن إحساسا بالإيقاع. ولكن اللغات تختلف في تحديد مواقع النبر حتى إن لكل لغة إيقاعاً خاصاً تمتاز به بين لغات البشر. فالقواعد التي أوردناها ونسبناها إلى النبر في اللغة العربية لاتصدق على لغة أخرى غيرها، بل حتى على اللهجات العامية المعاصرة في العالم العربي. فهذه اللهجات تختلف عن العربية الفصحى في تحديد مواقع النبر كما تختلف كل واحدة منها عن الأخرى في هذا المجال.

وفي طوق منشيء النص أن يمنحه من رشاقة الإيقاع ما لا يستطيعه المتكلم العادي، حتى إذا ما قرأت هذا النص المنشور أحسست له خفة على اللسان وراحة في الأذن. قولاً في النفس يقترب بك مما تجده من ذلك لوزن الشعر، وبهذا يمتاز نص عن نص. وإن بعض الأساليب النثرية ليستحق عن جدارة أن ينسب إلى الإيقاع أو ينسب إليه الإيقاع فيوصف بأنه ذو أسلوب موسيقى موقع أو رشيق دون أن يلجأ منشئه إلى المحسنات اللفظية من أي نوع أنظر مثلاً إلى أسلوب الجاحظ أو إلى أسلوب أبي حيان التوحيدى أو أسلوب طه حسين أو أسلوب الزيات ثم تأمل هذه الخاصة الإيقاعية وستجدها حقيقة واقعة تحس بها ولا تستطيع وصفها لأنها «تحيط بها المعرفة ولا تدركها الصفة» كما قال الموصلى.

وحين أحس الشهاب الخفاجى بالإيقاع القرآنى لم يستطع الإشارة إليه على علته وإنما انتقى من العبارات القرآنية ما أمكن أن يطوعه للوزن الشعري. أما الإيقاع الذى

يستعصى على الوزن فلم يكن فى طوق الخفاجى أن يكشف عنه أو أن يشير إليه .
لقد بنى الخفاجى منظومته الشعرية التى ضبط بها كميات البحور وتفعيلاتها على هذه
العبارات القرآنية المذكورة ليسهل على المتعلم تذكر المنظومة . وحسبنا أن نورد أمثلة
من هذه المنظومة توضح موقف الخفاجى الذى أشرنا إليه :

١ - قال فى تحديد كمية بحر الطويل :

أطال عزولى فىك كفرانه الهوى
فعلن مفاعيلن فعولن مفاعلن
وآمنت ياذا الظبى فأنس ولا تنفر
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
٢ - وقال فى البسيط :

إنى بسطت يدى أذعو على فئة
مستعلن فاعلن مستعلن فعلن
لاموا عليك عسى تخلو أماكنهم
فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم
٣ - وقال فى المديد :

يا مديد الهجر هل من كتاب
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن
فيه آيات الشفا للسقيم
تلك آيات الكتاب الحكيم
٤ - وقال فى المتقارب :

تقارب وهات استقنى كأس راح
فعلن فعولن فعولن فعولن
وباعد وشاتك بعد السماء
وإن يستغيثوا يغاثوا بماء

١ - أن هناك فروقا بين النبر الأوّلى والنبر الثانوى يمكن تلخيصها فى النقاط
التالية :

أ - أن النبر الأوّلى مطلب صرفى مسرحه الكلمة المفردة، ولكن النبر الثانوى
مطلب إيقاعى يتحقق فى إحدى بيئتين، أولاهما الكلمة التى طالت بنيتها حتى
احتاج النطق بها إلى إيجاد توازن صوتى بين أجزائها، والثانية بيئة السياق الذى

تدعو الحاجة فيه إلى الإيقاع بسبب ما يعرض له من إرباك نبر الكلمات بسبب اللواحق والحروف والأدوات التي تعرض في السياق.

ب - أن النبر الأوّلى يحسب بواسطة التراجع من نقطة انتهاء الكلمة، وإن الثانوى يحسب بالتراجع من نقطة وقوع النبر الأوّلى.

ج - أن المسافة بين النبر الثانوى والأوّلى الذى بعده إذا نظرت إلى مطلق الحركات والسكنات فيها وجدتها فى وزان كلمة عربية. وهكذا إذا نظرنا إلى كلمة مثل: «يستعينون» وجدنا بها نبرا أولياً على المقطع الأخير «نُونٌ» ونبراً ثانوياً على المقطع الأول (يَسَ) أى أن كمية ما قبل النبر الأوّلى هى بمقدار كلمة عربية، أى أن ما قبل النبر الأوّلى هو «يَسْتَعِي» وهو فى الكمية يساوى «يرتقى» أو «يستقى» أو «جاهدوا» أو أية كلمة لها هذه الكمية. ولكن هذه الكمية لما كانت جزء كلمة ولم تكن كلمة تامة صالحة للإفراد، وقع النبر عليها ثانوياً لا أولياً، على حين تستحق الكلمات الأخرى التى على وزنها: (يرتقى.. إلخ) نبراً أولياً على أول مقطع فى كل منها بسبب استقلالها وصلاحتها للإفراد.

د - أن النبر الثانوى أضعف جهد من النبر الأوّلى لأن ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين عند إيقاعه أضعف منه عند إيقاع النبر الأوّلى.

٢ - لو اتحدت كميات الكلمات العربية فتشابهت فى بنيتها لوقع النبر فيها على صورة واحدة وكان النبر فى اللغة العربية صرفياً كله، أو لجاأ إيقاع اللغة متساوى المسافات رتبياً عملاً كوقع خطوات المشى كما فى عبارة «من تأنى نال مائتى» إذ يقع النبر فيها على كلّ مقطع بعد مقطع بانتظام، ولكن اختلاف الكلمات طولاً وقصرها وتجرداً وزيادة واتصالاً وانفصالاً حال دون هذه الرتبة وذلك المثلل وجعل للغة إيقاعاً لا مجرد وقع. ولكن الإيقاع المقصود هو إيقاع فى نطاق التوازن لا فى نطاق الوزن. فالوزن فى العربية للشعر والتوازن فى الإيقاع للنثر. والذى فى القرآن متوازن لا موزون.

٣ - أن الوزن والتوازن كليهما من صور الإيقاع وهما أيضا من القيم الصوتية التي تصلح أن تكون مجالاً للفن والجمال. أما الوزن فبحسبك أن تتأمل ما يمنحه من الجمال للشعر والموسيقى ونحوهما، وأما التوازن فيكفى أن تنصت إلى صوت قارئ مجيد يرتل القرآن الكريم (ولا أقصد ترتيل التطريب بل الترتيل بدون تطريب) وسترى عندئذ أن ما في القرآن من جمال التوازن قد يجاوز أحيانا جمال الوزن. وانظر كذلك إلى الكثير من أساليب الترتيل - وبخاصة ما بنى منها على قصار الجمل - وسوف ترى لها جاذبية خاصة تجذب إليها انتباهك، وتمنح أذنك من المتعة ونفسك من الارتياح مالا تجده في بعض الشعر والغناء.

وكلما تقاربت أعداد المقاطع بين النبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حسنَ إيقاعها والعكس صحيح، بمعنى أن هذه الكميات بين نبر وآخر إذا تباينت ولم تقارب أحس السامع كأن المتكلم يتعثر في مشيئه، بل أن المتكلم نفسه لا بد أن يحس هذا الإحساس. أما هذا التقارب وذاك الانتظام فهو الذي نجده في إيقاع الأسلوب القرآني كما يتضح مما يلي من الشواهد وقد تم اختيار هذا النماذج اعتباطاً، فيصدق على غيرها من آيات القرآن ما يصدق عليها:

١ - ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة ١٩).

٢ - ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ (البقرة ٢٢).

٣ - ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ ﴾ (آل عمران ١٤).

٤ - ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (النساء ٢٠).

٥ - ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا ﴾ (المائدة ٤٥).

٦ - ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (الأنعام ٥٩).

٧ - ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف ٨٥).

٨ - ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة ٩٤).

٩ - ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (يوسف ٢٥).

١٠ - ﴿ وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ (الكهف ١٦).

دعنا نجرب تقطيع الآية الأولى إلى دفعات النبر فيها لنرى كيف يحدث الإيقاع

من تقارب الأطوال بين المسافات بين كل نبر وآخر أو انتظام ائتلاف المقاطع فى مجموعات فارقة بين مواقع النبر:

أوك - صيب - من الس - ماء - فيه ظل - مات و - رعد و - برق - يجع - لون -
أصا - بعهم - فى آ - ذانهم - من الص - واعق - حذرأل - موت و آل - لأهم - حيط
بالكا - فرين .

بين النبر الأول والثانى مقطّع واحد هو (ك) وبين الثانى والثالث اثنان هما (يب)
وبين هذا والذى بعده اثنان هما (ن الس) وبعد النبر التالى مقطع واحد هو (ء)
وهكذا يستمر الفارق فى هذه الحدود فيكون الإيقاع . حاول مثل هذا التقطيع فى بقية
الآيات السابقة وستعلم عندئذ أن المقصود بالإيقاع ليس هو الوزن المحكم وإنما هو
التوازن الناشئ عن تقارب الشبه بين المسافات الفاصلة بين كل نبر ونبر ثم ترى من
بعد أن هذا التوازن هو مصدر رشاقة الأسلوب وسبب قوى من أسباب ارتياح النفس
له واحتفائها به .

لقد رتل الله القرآن ترتيلا (الفرقان ٣٢) وأمر رسوله أن يرتل القرآن ترتيلا
(المزمل ٤) والمعروف أن الترتيل مصدر رتل يرتل وأنه وضع المجموعات فى أرتال
كل رتل منها طائفة مجتمعه مجتمعه وبين كل رتل ومايليه انقطاع مؤقت . فأما
الترتيل بالنسبة لله تعالى فذلك أنه أنزل القرآن منجما حسب الوقائع وأسباب النزول
فإذا أنزل آية أو آيات عد رتلا قائما بذاته بعده فترة انقطاع الوحي ثم يعود الوحي
برتل آخر من الآيات وهكذا وهذا المعنى لايمس موضوعنا (وهو الإيقاع) مساً مباشراً .
أما الترتيل بالنسبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فهو طريقة من طرق الأداء
والقراءة . فتجويد القرآن يشتمل إلى جانب إعطاء الأصوات حفها على أمور أخرى
منها المد بأنواعه والغنة والسكت وما إلى ذلك مما يعد من قبيل الانقطاع المؤقت
لتوالى الأصوات التى تتكون منها الألفاظ . فالمد كالسكون والسكون كالسكوت
وانقطاع الكلام، وقل ذلك عن الغنة لأنها «مد» بالنون، وقل ذلك أيضاً عن السكت
وهكذا . فإذا قرأ القارئ مع الترتيل أتى بكل رتل وآخر وبينهما فترة انقطاع هى إما

مد أو غنة أو سكت ألخ . . هذا النوع من الترتيل يضيف إلى إيقاع القرآن الكامن في نضه إيقاعاً آخر طارئاً عليه من خلال الأداء والقراءة فإذا اجتمع الإيقاع الصوتي وذلك الإيقاع الترتيلي لم يكن للأذن إلا أن تستمع وتنصت وتستمتع بالجمال وسبحان الله تعالى إذ يقول لعباده المؤمنين: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف ٢٠٤).

ثانياً - الفاصلة:

حين سمع كفار قريش تلاوة القرآن لأول نزوله حاروا في أمر نظمه. فلقد كانوا يعرفون من ضروب الكلام العربي لأيامهم الشعر والخطابة والسحر وسجع الكهان ولم يكن القرآن في تراكيبه ولا في أسلوبه يشبه واحداً من هذه الأضرب. ولكنهم لم يؤمنوا بأن هذا الطراز الفريد من النظم من وحى السماء فنسبوه إلى البشر منكرين مصدره الألهى فكان عليهم وقد أنكروا ذلك أن يلحقوه بنوع من أنواع الكلام التي تقدم ذكرها. فنظروا في خصائص تراكيبه وفي أسلوبه وفكروا في أمره فلم يستطيعوا أن ينسبوه إلى الخطابة لاختلاف بينه وبينها في الأسلوب والوظيفة ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم بينهم خطيباً بما أنزل عليه من القرآن، ولم ينسبوه إلى سجع الكهان لوضوح مقاصده وغموض السجع ولأنه ليس مسجوعاً ولا يلتزم ذلك في أسلوبه. بقى من أنواع الكلام في عهدهم السحر والشعر. ولم يترددوا في اتهام القرآن بنسبته إلى أحد هذين النوعين. أما السحر فقد راعهم أن القرآن حين هدى الله به من هدى من المؤمنين نأى بعضهم بدينه عن أهله وذويه وخاصم أهله وذويه تمسكاً بدينه فرأى المشركون أن القرآن وقد فرق بين المرء وأهله لا بد أن يكون سحراً لأن ذلك شأن السحر: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ (المدثر ١٨ - ٢٥) كان هذا كيد الوليد بن المغيرة. أما كيد غيره من مشركي قريش فقد جاء بنسبة القرآن إلى الشعر لقد رأوا للقرآن

فواصل تنهى بها آياته كما رأوا فيه مدحا ووعدا ووعيدا وشيئا من الأغراض التى يرمى إليها الشعر فَعَرَّهْمُ ذلك عما فى القرآن من أمور لا تكون فى الشعر كعدم الوزن وكطلب الهداية والدعوة إلى دين الله وما فى القرآن من تشريع ونحوه فانزلقوا إلى نسبة القرآن إلى الشعر على الرغم من ذلك وهكذا نسب المشركون القرآن إلى السحر مرة وإلى الشعر مرة أخرى .

كان من اليسير دفع الشبهة الأولى عن القرآن لأن السحر لا يأتى للإصلاح ولا للدعوة ولا يكون بلغة واضحة بله تلك اللغة المعجزة التى نزل بها القرآن ثم إن السحر يفرق ولكن القرآن يوحد والسحر يهدم ولكن القرآن أنشأ عقيدة وشريعة وأقام خير أمة أخرجت للناس مادامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . كل ذلك كان من أثر القرآن الكريم وقد تم كله فيما لا يتجاوز عمر رجل واحد منهم فقد كان عمر رضى الله عنه أحد من نصبوا أنفسهم لعداء الدعوة أول الأمر وقد كان عمر نفسه هو الذى تمت الفتوح فى عهده شرقا وغربا . لقد علم ذلك عامتهم كما علمه خاصتهم فانطفى عندهم ما زعمه الوليد من أن القرآن سحر . وأما دعواهم أن القرآن شعر فقد كان دفعها يتطلب معرفة بالفروق العديدة بين القرآن والشعر من حيث الصياغة والأسلوب والأغراض وقد كان خاصتهم يعرفونها أكثر مما يعرفها عامتهم ومن هنا نهض النص القرآنى برفض هذه الدعوى من جهة : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ (الحاقة ٤١) ونفى صفة الشاعر عن النبى صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى من خلال ذم بعض سلوك الشعراء : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿ ٢٢٥ ﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿ ٢٢٦ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ (الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٧)

فهم يهيمون فى كل واد يتكسبون بالشعر وهم يقولون مالا يفعلون حين ينسبون إلى أنفسهم مغامرات مع النساء أو بطولات ضد الاعداء لم تقع منهم ولا عرفوا بها ولم يكن هذا من خلق النبى المعصوم صلى الله عليه وسلم وهو الذى عرف طول عمره

بالصادق الأمين بقى أن نعرف الفروق النظرية بين القرآن والشعر وهذا ما نتصدى لبعضه فى الفقرات التالية إن شاء الله .

لقد مر بنا بيان المقصود بالإيقاع المطلق المتوازن غير الموزون . واتضح لنا الفرق بينه وبين الإيقاع الموزون فى الشعر وهذا أحد الفروق المهمة بين الأسلوبين الشعرى والقرآنى . ونود الآن أن نذكر الفرق بين الفاصلة القرآنية والقافية الشعرية . لقد تعود العربى أن ينظر إلى شطرات قصيدته فيجعلها أزواجاً كل زوج منها بيت . والبيت عند العربى فى الحقيقة خباء أو خيمة . فكأن القصيدة كانت فى نظر الشاعر أشبه بمضرب من مضارب الخيام . وإذا كان للخيمة عمود فلابد لبيت الشعر أن يقوم على عمود ولكن العمود نسب إلى الجنس ليعم كل أفراده فقول: «عمود الشعر» وكما تسقط الخيمة بإزالة عمودها ينهار البيت أو القصيدة عند عدم رعاية عمود الشعر . ولعل من أشهر ما يعد من عمود الشعر الوزن والقافية . أما الوزن فقد مضى القول فى الفرق بينه وبين الإيقاع القرآنى وأما القافية فهنا مجال التفريق بينها وبين الفاصلة .

إن تقفية الشعر تعنى تطابق خواتيم الأبيات من الناحية الصوتية . وقد جعل الالتزام بالقافية جزءاً من عمود الشعر الذى لا يكون الشعر شعراً إلا به - وفى القرآن من الفواصل ما يشابه جرسه فى الأذن ولا يتطابق بالضرورة فى الحرف . فحين سمع المشركون هذه الفواصل ولمحوا تشابه أجراسها غرتهم عن ملكاتهم وأذواقهم فربطوا بينها بالباطل وبين تقفية الشعر ثم ادعوا لأدنى ملابسة أن القرآن قوله شاعر ومن هنا جاء الرد القرآنى عليهم ليقول لهم: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ (الحاقة ٤١) إن من يتأمل الفاصلة القرآنية ليجد الفارق كبيراً بينها وبين قوافى الشعر . ولقد يمكن تلخيص الفوارق بينهما على النحو التالى:

١ - تتطلب القافية التطابق التام بين عدد من الحروف فى آخر كل بيت من القصيدة . فإذا قرأت مثلاً قصيدة شوقى:

سلوا قلبى غداة سلاو تابا لعل على الجمال له عتابا

وجدت التقفية تحتم أن تنتهى أواخر أبيات القصيدة بألف بعدها باء بعدها ألف،

وألقيت ذلك ملتزما في نهاية كل بيت من القصيدة بل إن ذلك التزم أيضا في شطري مطلع القصيدة على نية «التصريح».

وكذلك الحال إذا قرأت أية قصيدة جاهلية أو إسلامية جارية على شروط عمود الشعر. بل إن محاولات التجديد في الشعر حين ثارت على الإطراد المطلق للقافية لم تطرحها اطراحا تاما ولو فعلت لخرج ما أتى به هذا التجديد عن حدود الشعر وهكذا منح التجديد التفقية (أو اضطر إلى منحها) اطرادا مقيدا كما في الموشحات الأندلسية ونحوها. وحين بالغ أصحاب الحداثة من جيلنا هذا فعمدوا إلى أن يطرحوا القافية افتتانا بما رأوا من تقاليد الآداب الأخرى رمونا بالخنثى المشكل من القول فلم نجد لهم شعرا ولم نجد لهم نثرا وانتهوا بنا إلى بلية الدعوة إلى الغموض فباءوا بالتخليط والهدايات. ذلك أن لكل أمة ذوقها وقد تمسك الذوق العربي بعمود الشعر حتى يومنا هذا وما هو بمزحرجه عن عمود الشعر أن يتلى بتخليط قوم أو هذيانهم. لم يكن عمود الشعر إذاً اجتهادا نظريا من العلماء وإنما كان من قبل ذلك في ضمير كل شاعر عربي سواء فطن الشاعر إلى ذلك أم لم يظن. كان عمود الشعر اكتشافاً للعلماء ولم يكن اختراعا أي أنه ينسب إلى التطبيق ولا ينسب إلى النظر.

أما الفاصلة فلا تلتزم شيئا من ذلك إذ تراها تجرى في عدد من آيات السورة على نمط ولكنها سرعان ما تتحول عنه إلى نمط آخر. وفي خلال جريها على نمط واحد قد يكون ما يقدم عليه النمط مقصورا على حرف مد فقط كما في قوله تعالى:

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٧)

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿ (البقرة ٧ - ٨) فلا

تصلح إحدى الفاصلتين أن تقفو الأخرى في شعر. وقد يقوم النمط على صفة من صفات حرف في الفاصلة كصفة الضيق مثلا (والمقصود ضيق الفم بتقريب جزء من جسم اللسان من الحنك الأعلى أثناء النطق) وهي الصفة التي يشترك فيها الواو والياء كما في قوله تعالى بعد الآيتين السابقتين: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ

إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿البقرة ٩﴾ فهل يصلح للتقفية أن تقوم على توالى ثلاث
كلمات مثل التي انتهت بها الآيات الثلاث (عظيم - مؤمنين - يشعرون)؟!

٢ - فى كثير من سور القرآن لا يلتزم شىء بعد الحرف الضيق (الواو أو الياء)
كما فى سورة الحج فاذا قرأت هذه السورة مثلا وجدت فواصل الآيات لا تحمل شبيها
أى شبه بالتقفية لأن فواصل الآيات تجرى على النحو التالى:

عظيم - شديد - مريد - السعير - بهيج - قدير - القبور - منير - الحريق - للعبيد -
المبين - البعيد - العشير - ما يريد - ما يغيظ - من يريد - شهيد ثم يترك الحرف
الضيق إلى الألف فيأتى لفظ «ما يشاء» ثم تعود الفاصلة إلى الحرف الضيق مرة
أخرى فتقرأ: الحميم - الجلود - جديد - الحريق - حرير - الحميد - أليم - السجود -
عميق - الفقير - العتيق - الزور - سحيق - القلوب - العتيق - المختين - ينفقون -
تشكرون - المحسنين - كفور - قدير - عزيز - الأمور - ثمود - لوط - نكير - مشيد -
الصدور - تعدون - المصير - مبین - كريم - الجحيم - حكيم - بعيد - مستقيم - عقيم -
النعيم - مهين - الرازقين - حلیم - غفور - بصير - كبير - خبير - حميد - رحيم -
كفور - مستقيم - تعملون - تختلفون - يسير - نصير - المصير - المطلوب - عزيز -
بصير - الأمور - تفلحون - النصير .

وهكذا جاءت نهايات الآيات على النحو التالى:

أ = ء = ١ يد = ١٢ يم = ١٢ يز = ٢

وب = ٢ ور = ٨ ون = ٦ و ط = ١

بيج = ١ ير = ١٧ ين = ٦

ود = ٣ يق = ٦ يظ = ١ المجموع = ٧٨

وقد جاءت الياء فى سبع وخمسين فاصلة وجاءت الواو فى عشرين والألف فى
فاصلة واحدة ولم يلتزم حرف من الحروف بعد الياء ولا بعد الواو.

وانظر بعد ذلك إن شئت فى فواصل سورة الرعد تجد الواو والنون قد ختمت
الآيات الخمس الأولى ثم عدلت الفواصل التالية عن ذلك فلم تلتزم إلا ألف المدع

قطع النظر عما يتلوها من الحروف التي تختتم بها الآيات. وهكذا تجد الفواصل تتوالى بعد ذلك على النحو التالي:

العقاب - هاد - مقدار - المتعال - النهار - وال - الثقال - المحال - ضلال - الآصال -
- القهار - الأمثال - المهاد - الألباب - الميثاق - الحساب - الدار - باب - الدار - متاع -
- أناب - ثم تأتي الواو فى كلمة «القلوب» ثم تعود الألف مرة أخرى فنجد: مآب -
- متاب - ميعاد - عقاب - هاد - واق - النار - مآب - واق - كتاب - الحساب - الحساب -
- الداء - الكتاب .

ويسود هذا التباين بين الفواصل فى سور كثيرة من القرآن منها:

آل عمران - هود - إبراهيم - مريم - النور - لقمان - فاطر - الصافات - ص -
- الزمر - فصلت - الذاريات - الواقعة - الحشر - المعارج - المدثر - القيامة - المرسلات -
- النازعات - عبس - التكوير - الانفطار - الانشقاق - الطارق - الغاشية - الفجر - البلد -
- الشرح - العلق - وغير ذلك من قصار السور.

ولسنا نجد شيئاً مما التزمته الفواصل القرآنية يصلح أن يكون قافية. فالواو والميم فى الشعر لا تقفو الياء والنون وكذلك لا يكفى للقافية أن تعتمد على المد الضيق دون نظر إلى ما بعده من بيت الشعر فكلمة «أمين» مثلاً لا تقفو كلمة «ادريس» ولو كانت الياء قبل الآخر فى كل منهما ولا يمكن قبول احدى هاتين الكلمتين لتقفو كلمة مثل «نوح» على رغم ضيق المد فى هذه وتلك. وكذلك لا يكفى القافية أن يكون الحرف الأخير ألفاً مطلقة إذا اختلفت حركات ما قبلها وسكناته فلا يعد من التقفية أن تتوالى كلمات مثل: عجبا - همسا - تسليماً - كثيراً - أصيلاً - عزيزاً - كما فى سورة الأحزاب. ومغزى كل ذلك أن مطالب الفاصلة تختلف اختلافاً تاماً عن شروط القافية.

ومع ذلك تأتى الفاصلة فى نهاية الآية لتحقيق للنص جانبا جمالياً لا يخطئه الذوق السليم لأننا مهما يكن من شىء نحس أنها تضيف على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية تعد معالم للوقف والابتداء

وتتضافر مع الإيقاع الذى سبق شرحه فينشأ من تضافرهما أثر جمالى لا يبعد كثيرا عما نحسه من وزن الشعر وقافيته ولكن هذا الأثر يمتاز عن ذلك بالحرية من كل قيد مما تفرضه الصنعة على الوزن والقافية . ولأمر ما كان الوقف على رؤوس الآى سنة إلا أن يفسد به المعنى . ذلك أن الوصول بالقراءة إلى فاصلة الآية يتفق فى الأغلب الأعم مع طاقة النفس الواحد لدى القارىء فيقف القارىء عند الفاصلة ليتزود بزاد نفس جديد وليحس عند الفاصلة بأنه يقف لدى معلم من معالم السياق المتصل تحف به روائق الإيقاع وروائع من كل جانب .

وللفاصلة بتركيب الآية التى ختمت بها إحدى علاقيتين :

١ - فقد تكون الفاصلة جزءا من تركيب الآية مكملا لبينتها فلا يتصور تمام معنى الآية إلا به كما فى قوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٧٤) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿ (الأعراف ٧٤ - ٧٩) فكل آية مما سبق تنتهى بكلام ذى علاقة عضوية سواء من حيث التركيب أو الأسلوب بما سبق من بقية الآية فلا تكاد الآية تستغنى عنه دلاليا لشدة الارتباط بينه وبين بقية أجزائها .

٢ - وقد تأتى الفاصلة بعد تمام المعنى فتكون تذييلا للآية كالتعليق أو التعقيب على محتواها كالذى نجده فى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ

يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿ (آل عمران ١٥٢ - ١٥٥) فقوله تعالى «والله ذو فضل على المؤمنين» وقوله «والله خبير بما تعملون» ثم قوله «والله عليم بذات الصدور وكذلك ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ إنما جاء بعد تمام المعنى فكان في موقع التذييل من الآية فأكسبها على جمالها جمالا وحدد معاملها وميزها عن غيرها وأبرز ما تمتاز به من مضمون خاص. والملاحظ أن هناك انسجاما وتألفا بين مضمون الآية ومضمون التذييل فليس في القرآن آية يدعو مضمونها إلى العقاب وتذييلها إلى المغفرة والرحمة وليس فيه من آية تتضمن رضوانا من الله ينتهي تذييلها بالوعيد وشدة العقاب وهلم جرا.

ولكن الفواصل مع ذلك توقيفية فقد يتحقق في اللفظ تمام المعنى وحروف الفاصلة ولكن مع ذلك لا يعد من الفواصل انظر ما سبق من قوله تعالى: « من بعد ما أراكم ما تحبون » وقوله جل شأنه: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران ٩٢) وكذلك لم تكن عبارة «كيف يشاء» فاصلة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ

كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ (آل عمران ٥ - ٦)، وكذلك عبارة «مَنْ يَشَاءُ» فى الآيه رقم ١٣ وعبارة «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» فى الآيه رقم ١٩. هذا والعكس واقع فى القرآن أيضا، فقد تكون الفاصلة دون تمام المعنى، وقد تحقق لها جرس ما يحيط بها من الفواصل، كالذى فى سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة ٢ - ٥)، فالذين يؤمنون بالغيب صفة للمتقين ومعنى ذلك أن المعنى لم يتم عند الفاصلة الأولى، لأن الصفة تخصص الموصوف، وهو بدونها عام يحتاج إلى هذا التخصيص. فإن قلت إن «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» مبتدأ خبره «أولئك على هدى من ربهم» قلت إن الفاصلة فى الآيتين الثالثة والرابعة جاءت قبل تمام المعنى، لأنهما جاءتا قبل استكمال الخير، فالآيات شاهد على هذه الظاهرة كيفما كان الإعراب. ومعنى هذا كما سبق أن الصلة غير مطردة بين الفاصلة وتمام المعنى.

والفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة مهمة تراعى فى كثير من آيات القرآن، وربما أدت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيره من عناصر الجملة. ولقد يتكلم البلاغيون فى أغراض التقديم والتأخير فيوردون من أسباب ذلك أمورا تدور حول رعاية المعنى، ربما جعلوا «الاهتمام بمدلول اللفظ» عنوانا يندرج تحته الكثير من هذه الأمور. وهذا أمر لا اعتراض عليه. ولكننى لا أعلم واحدا منهم جعل من أغراض التقديم والتأخير الانتفاع بجرس اللفظ، ربما تركوا ذلك لاهتمامات الشعرا أنفسهم عند اختيارهم للقوافى. أما فى القرآن الكريم فإن أحد الأسباب يمكن أن يوصف بأنه «رعاية الفاصلة» قارن من ذلك ما يلى:

رتبة مشوشة من أجل الفاصلة	رتبة أصلية
﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (البقرة ٣)	١ - وينفقون مما رزقناهم
﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة ٤)	٢ - وهم يوقنون بالآخرة

٣ - وكانوا يظلمون أنفسهم ﴿ وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ (الأعراف ١٧٧)

٤ - ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء ٤٦ ، ١٥٥) ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة ٨٨)

لاحظ على وجه الخصوص رقم ٤ فإنك واجد فيه شاهدين من القرآن اشتملا على ألفاظ بعينها اختلفت رتبها في أحدهما عنها في الآخر رعاية للفاصلة . وقد يتجاوز

التقديم والتأخير رتبة الألفاظ إلى رتبة الأحداث التاريخية، فيتم تشويش تتابع الأحداث لرعاية الفاصلة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾

(النساء ١٦٣ - ١٦٤)، فانظر كيف تقدم عيسى على سلفه وتقدم سليمان على داود وكيف تقدما معا على موسى رعاية للفاصلة. بل حتى عند التفصيل المشتمل على شيء من الطباق نجد ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة ٨٧) بدلا من «ففريقا كذبتهم وفريقا قتلتم» وكذلك: ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (النمل ٢٧) بدلا من «أَمْ كَذَّبْتَ» وأيضا: ﴿ قَالَ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (النمل ٤١) بدلا من «أَمْ لَا تَهْتَدِي» أو «أَمْ لَا» كل ذلك يشهد على أن الفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة معينة في القرآن الكريم وهذه الوظيفة جمالية تستحق الرعاية ولو تعارضت رعايتها مع بعض أنماط التراكيب النحوية.

والمعروف أن اللغة العربية أوسع من النحو العربي لأن النحو قواعد أنيط بها تنظيم ما أطرده من اللغة، ثم يبقى بعد ذلك جزء من اللغة لا يخضع لقواعد النحو، بسبب عدم اطراده وهو جزء من اللغة يتساوى مع المطرد في الفصاحة. فمن قواعد الأصول عند النحاة قاعدة تقول: «الشذوذ لا ينافي الفصاحة». ولقد نزل القرآن

بلسان عربى مبين (لا بنحو عربى متين)، وهكذا امتدت تراكيبه على رحابة اللغة، ولم تنحبس فى بوتقة القواعد النحوية، فالقرآن يهيمن على اللغة كلها ما أطرده منها ومالم يطرد. أضف إلى ذلك أن القراءة سنة متبعة، لأن القرآن مروى بلفظه عن النبى صلى الله عليه وسلم، الذى تلقاه عن جبريل عليه السلام. وقد رواه الصحابة والتابعون، ومن تبعهم بالتواتر جمعا عن جمع. وهذا النص المروى ربما تحدى أصول النحاة بالعدول أو تحدى قواعدهم بالترخص، وقد يكون هذا العدول عن الأصل أو ذلك الترخص فى القاعدة لرعاية الفاصلة. فمن المقرر فى القواعد أن الألف تنوب عن التنوين الذى بعد الفتحة عند الوقف، كما سبق فى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء ٤٦ - ١٥٥)، ولأن التنوين الذى نابت عنه الألف لا يجتمع مع أداة التعريف (ال) خلت النصوص العربية من الجمع بينهما حتى فى قوافى الشعر، لأن الألف التى تجامع (ال) فى قوافى الشعر ألف إطلاق وليست ألف إبدال أو تعويض. ومع ذلك تأتى ألف الإبدال فى القرآن فى كلمات اقترنت بأداة التعريف، وكانت الألف فى هذه الحالة لرعاية الفاصلة، كما فى قوله تعالى:

١ - ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (الأحزاب ١٠).

٢ - ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ (الأحزاب ٦٦).

٣ - ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (الأحزاب ٦٧).

ولقد تتوالى الفواصل فى آيات متتابعة ومنعاهما مع تواليها واحد أو متشابه. وإنما توالت على رغم وحدة المعنى لغرض لولاه لأجزاء عن التوالى فاصلة واحدة. من ذلك أن المؤمنين هم بالضرورة موقنون، لأنهم لا يؤمنون إلا مع رسوخ اليقين بما امنوا به وهم بالضرورة يعقلون ما أيقنوا به، لأن يقينهم لا يأتى إلا نتيجة تدبّر ودلالة عقلية، أى «المؤمنون» «يوقنون» و«يعقلون» ومعنى هذه الألفاظ كما يتضح متشابه إلى درجة قرب دلالتها من التوحد، وهذه الألفاظ تتوالى فى موقع الفاصلة فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ

مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبَأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾، ففي هذه الآيات القرآنية ذكر لبعض الآيات الكونية التي تدركها الحواس، ومن ثم كان من شأن إدراكها أن يؤدي إلى الإيمان واليقين والافتناع العقلي، بأن الإبداع لا يكون بلا مبدع. فليس الإدراك الحسى لآيات الكون إلا وسيلة موصلة إلى الحكم العقلي المؤدى إلى اليقين والإيمان. وقد عدت الآيات القرآنية من ذلك ما يلي:

١ - خلق السموات والأرض وهو لضخامته وخفاء مبدعه يدعو إلى الإيمان والتسليم.

٢ - خلق الإنسان والدواب وهو يتم في دقة وروعة قد يخضع للملاحظة التي تؤدي إلى اليقين.

٣ - اختلاف الليل والنهار (أى تعاقبهما) والمطر الذي تحيا به الأرض بعد موتها والرياح التي تهب حيناً وتسكن حيناً.

وهذه أمور تتصل بمصالح الناس، ويجب أن يتفكروا في قوانينها، وأن يعقلوا حدوثها لينتفعوا بها.

ثم يطرح في الآية الأخيرة سؤالاً يقول: أبعده هذه الآيات المذكورة شيء هو ادعى للإيمان؟ وهذا فيما يبدو نوع من الإجمال، ثم التفصيل، لأن خلق السموات والأرض يشتمل على الإنسان والدواب والليل والنهار إلخ.. فأجمله أولاً وجعله موصلاً للإيمان، ثم سأل عنه آخرأ أى شيء ادعى منه للإيمان. وبين الإيمان فى الآية الأولى والإيمان فى الآية الأخيرة جاء اليقين والنظر العقلى ليكونا عنصرين من عناصر هذا الإيمان. وسواء أكان اليقين والنظر العقلى عنصرين من عناصر الإيمان أو قريبي المعنى منه أو مرادفين له لا بد أن يثور فى أذهاننا سؤال عن السبب الذى دعا إلى إيراد هذه الكلمات بهذا التتابع مع شدة الترابط فى المعنى بينها. ولست أرى لذلك جواباً أقرب من رعاية الفاصلة.

ومعنى هذا الذى تقدم أن الفاصلة القرآنية لاتدل بالضرورة على تمام المعنى، ومن ثم تصبح وظيفتها فى القرآن غير نحوية ولا دلالية. فإذا لم يكن للفاصلة غرض

نحوى ولا دلالى، فماذا يكون الغرض منها إذا؟ أغلب الظن أن الغرض منها جمالى صرف وإن توافقت أحيانا مع تمام المعنى. فالذى يبدو للوهلة الأولى عند النظر إلى الفاصلة أنها قيمة صوتية جمالية ترتبط أشد الارتباط بموسيقى النص القرآنى، كما ارتبط الإيقاع بذلك من قبلها.

ثالثا - الحكاية:

عند إطلاق لفظ الحكاية يرد على معناه الاصطلاحي أكثر من احتمال:

١ - فقد يرد على الذهن حكاية اللفظ المسموع، كما سمع ولو تعارضت صورته المحكية مع حالته الإعرابية، كما إذا سمعت من يقول «قابلت اليوم زيدا» فتسأله «من زيدا» بنصيب زيد.

٢ - وقد يرد عليه حكاية الجملة بعد القول على صورتها عند سماعها بلا تغيير فيها ولاتبديل وحيث تعرف الجملة بأنها «جملة محكية» وتعرب فى محل نصب على أنها مقول القول وهى التى قصدها ابن مالك عند ذكر كسر همزة «إن» إذ يقول «أو حكيت بالقول». ويعدها النحاة من الجمل السبع التى لها محل من الإعراب.

٣ - وقد يرد عليه ما عرفه اللغويون العرب باسم حكاية الصوت للمعنى بحيث يوحى جرس أصواتها بمعناها الذى رصد لها فى المعجم فيلتقى الجرس والعرف عندئذ على مصادفة ومحض اتفاق، ولكن انتقاء اللفظ بقصد استعماله يكون عن تعمد وحسن اختيار.

٤ - وثمة أمر رابع لم يعرف باسم الحكاية غير أن اختيار الكلمات يقع فيه لجرسها وإن كان هذا الجرس لا يتفق مع المعنى المعجمى ويعرف هذا النوع من الكلمات فى عرف اللغويين بالألفاظ السُّلِّسة وفى عرف النقاد بالكلمات الشعرية ولكتا الطائفتين تصف هذا النوع بأنه «حسن الجرس» وإن كان لا يحكى شيئا بعينه.

وربما أملت دراستنا للحكاية فى القرآن بأى واحد من الأنواع الأربعة المتقدمة، حيثما وجد فى النص القرآنى.

وأول ما يصادفنى من ذلك استعمال التشديد بعد قلب التاء من جنس ما بعدها ليدل على التردى الجماعى أو على المبالغة فى التثاقل أو الاستعصاء على الهدى أو

نحو ذلك من المعانى المشابهة التى يجمعها عدم التقدم إلى الإمام والإخلاق إلى الأرض كما يتضح من الآيات التالية :

١ - ﴿ حَتَّىٰ إِذَا آدَرُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا ﴾ (الأعراف ٣٨) أصل الفعل «تداركوا» ولكن التاء قلبت دالاً وأدغمت فى الدال فلما سكنت اجتلبت لها همزة وصل للتوصل إلى النطق بها وسيعلم من يتأمل الفرق فى الإيحاء بين أصل الفعل والصورة التى استعمل بها أن التشديد هنا يوحى بتداعيمهم فى النار متراحمين بغير نظام، بل إن اشتمال التشديد على سكون، ثم حركة يدل على أن تراحمهم على النار جعل بعضهم يعوق بعضها قبل أن يتردوا فيها، فكان النقطة التى تداعوا عندها كانت كعنق زجاجة .

وهذا شبيه بإيحاء التكرار فى قوله تعالى: ﴿ فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ (الشعراء ٩٤) أى وقع بعضهم فيها فوق بعض .

٢ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ (التوبة ٣٨) .

وهنا أيضا نجد أصل الفعل «تأقلمتم» وقد جرى فيه مثل ما حدث لسابقة فقلبت التاء ثاء وادغمت فى الثاء فسكنت فأجتلبت لها همزة وصل إلخ فإذا علمنا أن للتشديد عنصرين أولهما ثاء ساكنة والثانى ثاء متحركة (لأن الحرف المشدد بحرفين) أحسنا للسكون الذى فى العنصر الأول إيحاء بالإخلاق إلى الأرض وعدم الرغبة فى الخروج للجهاد، مما يدل على أن الصوت يحكى الفعل أو على الأصح «عدم الفعل» .

٣ - ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ﴾ (يونس ٣٥) .

وفى هذه الآية أيضا نرى التاء تنقلب إلى حرف من جنس ما بعدها وهو الدال، ثم تُدغم فيها لأن أصل الفعل «يهتدى» وكان التشديد قد جاء هنا ليبلغ رسالة خاصة تدور حول ملحظ فى استعمال الفعل هو الدلالة على أن هذا الشخص المشار إليه لايهتدى بنفسه، وأنه إذا جاء من يقوده إلى الطريق السوى لم يسلس قياده له، فكان

وصوله إلى الهداية آخر الأمر يأتي بعد أخذ ورد وكأنّ الذي ندب نفسه لهديته يأخذ بيده جذبا إلى الغاية المرجوة، لكنه يحاول الإفلات منه، فما يصل به إلى الغاية إلا بعد مشقة هذا ما يوحي به السكون الذي يسبق الحركة في التشديد وهو إحياء من طريق الحكاية ومنه أيضا: ﴿أَدَارَأْتُمْ فِيهَا﴾ (البقرة ٧٢).

ثم انظر إلى ما يوحيه تعزيز التفخيم من الإحساس بالمبالغة في الحدث أو في الصفة في قوله تعالى:

١- ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (فاطر ٣٧).

فكان ارتفاع أصواتهم بالصرخ ومشاركتهم جميعا فيه وتكرار ذلك منهم لا يكفي أن يعبر عنه بالفعل المجرد فيقال مثلا «وَهُمْ يَصْرُخُونَ فِيهَا» فجاءت تاء الافعال لتدل على المبالغة في إيقاع الحدث، وقد قصد لها أن تجاور الصاد المطبقة فتتحول بالمجاورة إلى التفخيم ليكون في تفخيمها فضل مبالغة في إيقاع الفعل.

٢- ﴿أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذَا قَسَمَةٌ ضِيْزَىٰ﴾ (النجم ٢١ - ٢٢).

لولم تقصد المبالغة في وصف هذه القسمة التي جعلت لله البنات ولهم البنين بأنها غير عادلة لكان يمكن أن يقال «تلك إذا قسمة جائرة» ولكن لفظاً «ضيزى» جاء هنا ليحقق غرضين مهمين أحدهما رعاية الفاصلة التي غلبت فيها الألف المقصورة والثاني الإحياء بما في الضاد من تفخيم بأن الجور في هذه القسمة لا مزيد عليه، والثالث ما في «ضيزى» وهي للتفضيل من زيادة في معناها على معنى «جائزة» التي هي صفة مشبهة.

٣- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَّآبٍ﴾ (الرعد ٢٩).

في آية أخرى من القرآن نقرأ ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ﴾ (الكهف ٨٨)، والمعروف أن الحسنى مؤنث «أحسن» والطوبى مؤنث «أطيب» وكلتاهما أفعل تفضيل، فلماذا عبر عن الجزاء في الرعد بالطوبى، وفي الكهف بالحسنى؟ لعل الجواب أن سياق النص في الكهف كان يقارن من ظلم فاستحق

العذاب بمن آمن وعمل صالحا فاستحق الحسنى، أما الرعد فالسياق يدور حول الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، وهذه درجة فوق درجة العمل الصالح الذى لا يبلغ درجة الاطمئنان، ومن هنا كان جزاؤهم أعظم ولذا اختير لفظ «طوبى» دون لفظ «حسنى» لما فيه من تفخيم يدل على المبالغة فى الوصف، ولأن استعمال «حسنى» مع ما يلى ذلك من قوله «وحسن ماب» يجعل تكرار ألفاظ المادة الواحدة غير مستحب.

٤ - ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿ (الشمس ١ - ١١)

يقول الله تعالى فى سورة النازعات ﴿ وَالْأَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ (النازعات ٣٠) ولو أننا قارنا سياق هذه الآية بسياق آية الشمس «والأرض وما طحها» لوجدنا ما كان دالاً فى «دحاها» قد تحول إلى طاء فى «طحها» ولقد عرفنا من دراسة سيبويه لصوتى الدال والطاء أنه لا فرق بينهما فى النطق إلا التفخيم، فلو فحمت الدال لصارت طاء كما يقول، ومعنى ذلك أن العنصر الذى طراً على الفعل «دحاها» عندما ورد فى سورة الشمس هو التفخيم، فما دلالة التفخيم هنا؟ لو نظرنا إلى الفرق بين السياقين لوجدنا فى سورة النازعات سياق «إثبات» مجرد وما فى سورة الشمس سياق «قسم» ولاشك أن فى القسم تأكيداً ليس له مثل فى الإثبات، فإذا سلمنا بهذا الفرق بين السياقين أدركنا أن التفخيم الذى فى «طحها» جاء لمناسبة ما فى القسم من تأكيد، بل إنه جاء ليضيف إلى القسم فضل تأكيد أى ليدل على مبالغة فى إيقاع الحدث. ومثل ذلك ما نجد فى سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾ (٢٤٥) مقارناً بقوله: ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ (٢٤٧) إذا جاء التفخيم فى الأولى مع الضم وجاء الترقيق فى الثانية مع السكون.

٥ - وما يندرج تحت هذه الظاهرة ترك الكلمة الخالية من التفخيم وانتقاء أخرى تشتمل على التفخيم فى مقام المبالغة كما سبق فى اختيار «طوبى» و«ضيزى»، إلخ.. فالله سبحانه يقول:

أ - ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقر ١٤٣).

ب - ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ (المائدة ٨٩)

ج - ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (القلم ٢٨)

د - ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى ﴾ (البقرة ٢٣٨)

فعبّر بالتوسط وأراد الحسن فكان انتقاء التوسط لما فيه من تفخيم الطاء، وقد جاء المعنى على الترتيب:

وكذلك جعلناكم أمة حسنة - من أحسن ما تطعمون أهليكم - قال أحسنهم -
والصلاة الحسنى.

وإذا نظرنا إلى بعض ما يسمونه المحسنات اللفظية البديعية وجدنا هذا النوع من التحسين إنما هو تسخير وإع لما يمكن للقيم الصوتية وظاهرة الحكاية أن تثيره فى نفس المتلقى يصدق ذلك على الجناس تاما كان أم ناقصا وعلى المشاكلة فى اللفظين، وما أشبههما من المحسنات. وإن النص القرآنى ليحسن استعمال ذلك ويحمله من الأغراض مالا يمكن الوصول إليه إلا من خلاله، وفيما يلى طائفة من الشواهد على ذلك:

١ - ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ

وَأَهْلِكَ ﴾ (الأعراف ١٢٧)

انظر إلى استعمال الفعل «تذر» و«يذر» إذ يتفقان لفظا ويختلفان معنى، فإما بالنسبة لفرعون فإنه إذ «يذر» موسى إنما يتوانى عن عقابه فالترك هنا نوع من التسامح، وأما بالنسبة لموسى فإنه «يذر» فرعون بمعنى «يتخلى» عنه وعن الهته ليعبد الله إليها واحدا.

٢ - ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ ﴾ (التوبة ٩٥)

هنا أيضا نجد فعل الإعراض يستعمل بمعنيين، فيكون من ذلك اتفاق في اللفظ واختلاف في المعنى. فالإعراض المقصود بالفعل المضارع مسامحة وغفران، ولكن الإعراض الذى قصد بفعل الأمر مغاضبة وترك وإهمال أى إن هؤلاء سيحلفون طلبا للغفران، ولكن الله يأمر المسلمين بمغاضبتهم.

٣ - ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران ٤٢) فقولته «اصطفاك» أولا بمعنى «اختارك» والثانى بمعنى «فضلك»، فالاتفاق فى اللفظ دون المعنى.

٤ - ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (الشورى ٤٠)

السيئة الأولى ذنب والسيئة الثانية جزاء، وهكذا يتفق اللفظ ويختلف المعنى وصولا إلى المشاكلة.

٥ - ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (٤٤) وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (الزخرف ٤٤ - ٤٥)

السؤال الأول حساب والثانى استفهام.

٦ - ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف ٢٦)

اللباس الأول من الملابس والثانى ملابسة ومقاربة أى مصدر «لابس يلبس».

٧ - ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (الروم ٥٥)

الساعة الأولى القيامة والساعة الثانية البرهة.

٨ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيْسَ تَجِيبُوا لَكُمْ إِذْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الأعراف ١٩٤).

«تدعون» الأولى بمعنى تزعمون والثانية بمعنى أسألوهم، وقد يكون هناك تقارب في اللفظ دون تطابق، وهنا يختلف المعنى بالطبع، كما في الآيات التالية:

١ - ﴿ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ (الكهف ٥٣ - ٥٤).

إذ يشترك اللفظان «مصرفا» و«صرفنا» في أصل الإشتقاق مع الاختلاف في المعنى فالمصرف المهرب والتصريف الإجراء والتقليب.

٢ - ﴿ وَجِئْتِكَ مِنْ سَبَأٍ نَبَأٌ بَيِّنٌ ﴾ (النمل ٢٢)، ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ (الأنعام ٢٦). بين اللفظين جناس ناقص ولاصلة بينهما في المعنى.

٣ - ﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ﴾ (العنكبوت ١٩ - ٢٠).

اشترك اللفظين في السين والياء والراء، ربما الهى عن أن المادة الإشتقاقية للأول (ي س ر) وللثاني (س ي ر).

٤ - ﴿ وَلَا نُنْطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ﴾ (الحشر ١١).

٥ - ﴿ كَلَّابٌ لَئِيمٌ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ (الفجر ١٧).

وهكذا ترقى القيمة الصوتية إلى حكاية معنى عرفى رصده المعجم للفظ أو معنى طبيعى مما تَسَوَّجِيهِ النفس ولا تستطيع وصفه، فإن أمكن أحيانا أن نشير إليه من بعد فإننا لانستطيع تفسير العلة التى جعلته موحيا على هذا النحو، فمثل التأثر به كمثل التأثر باللحن الموسيقى نظرب له ولا ندرى لماذا، وهكذا يمكن أن ننسب إلى التفضيم مثلا إحياء بالمبالغة فى إيقاع الحدث أو فى الوصف، فإذا سألنا أنفسنا عن السبب فى ذلك لم نستطع لهذا السؤال جوابا، والذى جئنا به هنا من الشواهد، إنما

هو نماذج مما نجده في النص القرآني من استعمال حكاية الصوت للوصول إلى أغراض إيحائية بالمعاني الطبيعية التي تضيف إلى المعاني العرفية للألفاظ أبعاداً إضافية ما كان لها أن تتحقق لولا ما تحمله حكاية الصوت من طاقة إيحائية. وتتضح الطاقة الإيحائية للصوت كذلك في إبداع القرآن ألفاظاً لم تكن من قبل أو تحويل الألفاظ عن معانيها التي كانت لها إلى معانٍ أخرى تتناسب مع إحياء أصوات الألفاظ. مثال ذلك ما نجده من ألفاظ في الآيات التالية:

١ - ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴾
(الواقعة ٥١ - ٥٢)

يوحى هذا اللفظ بأمرين كل منهما كرية:

أ - اشتراك مادة «ز ق م» مع مادة «س ق م» في كل شيء إلا اختلاف الزاي والسين من حيث الجهر والهمس. ومن هنا يوحى «زقوم» بالسقم.

ب - توالى القاف (التي يقرب مخرجها من البلعوم)، والميم (التي يقتضى نطقها إقفال الشفتين) يوحى بأن ثمرة هذه الشجرة تستعصى على البلع ويطول استعصاؤها بإيحاء تشديد القاف وطول الواو التي بين القاف والميم، ويضاف إلى ذلك مشاركة هذه الكلمة لكلمة «لقمة» في حرفين من حروفها مما يعزز فكرة إرادة البلع من المشقة. واشتمال اللفظ على الزاي والقاف وهما الحرفان اللذان في «زق» الطائر فرخه.

٢ - ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ (الحاقة ٣٦ - ٣٧)

يوحى لفظ «غسلين» بأن هذا الطعام «غسالة» لشيء آخر، وأنه غير مستساغ بسبب ما في مخرج الغين من التأخر في مكان الغرغرة التي تكون عند إرادة تنظيف الحلقوم، كما أن الغين صوت يستعمل ساكناً عند إرادة التعبير عن التقرز.

٣ - ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ (الإنسان ١٨)

يوحى لفظ «السلسيل» «بالسلاسة» والسهولة ويسر الاستساغة، وذلك لما بين اللفظين من شركة في بعض الحروف، وفي رتبة هذه الحروف. يضاف إلى ذلك شركة مشابهة بين هذا اللفظ وبين «الاسبال» (مصدر أسبل يسبل)، وهو قد يكون

لليستر أو للثياب قصدا لاتقاء الفضول مما يوحى بأن هذه العين لا تزاحم عليها، فهي في متناول عدد محدود من الشارين.

٤ - ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ (النبا ٢٥)

اشتق من مادة (غ س ق) في القرآن ألفاظ «الغسق» و«الغاسق» و«الغساق»، ويبدو أن القسط المشترك بين هذه المشتقات الدلالة على أمور كراهية، فالغسق الظلمة والغاسق الليل الشديد الظلمة، وكلاهما كراهية، لأنه يؤدي إلى توقع المجهول. أما الغساق ففيه تسخير للتشديد الذي على السين لإيجاد توكيد للكراهية التي تستفاد من حروف المادة. وقد جاء «الحميم» طباقا للبرد الذي في الآية السابقة وجاء «الغساق»، ليكون طباقا للشراب في تلك الآية التي تقول ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ مما يوحى بالتضاد بين الشراب والغساق، كما كان هناك تضاد بين البرد والحميم، وإذا كان هناك تضاد بين الشراب والغساق، فمعنى ذلك أن الغساق شيء لا يشرب، لأنه كراهية وقد فسروه بالصديد، أما كراهية شربه فتستفاد من إيحاء الغين والقاف، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

٥ - ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾ (المطففين ٧)

هذا اللفظ «سجين» مكون من الحروف الذي يتكون منها لفظ «السجين» ومن أكثر ما يتكون منه لفظ «سجيل» وهو اسم المادة التي منها الحجارة التي يكون بها القذف والعقاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سَجِيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ (هود ٨٢)، ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سَجِيلٍ﴾ (الحجر ٧٤)، ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سَجِيلٍ﴾ (الفيل ٤)، وفيها أيضا حرفان من (س ج ر) التي صيغ منها الفعل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (غافر ٧٢)، ولا شك أن اشتراك الكلمات في أكثر حروف المادة يجعل إحداها عند سماعها تذكر بالأخرى، وبخاصة إذا كانت الحروف غير المتشابهة، مما يعد في العربية من قبيل الحروف الاستمرارية المتوسطة التي لا ينحبس الهواء في نطقها وكلها ينطق في اللثة.

تلك الحروف هي النون في «سجن» و«سجين» واللام في «سجيل» ثم الراء في «يسجرون» وإن النون ليخرج النفس في نطقها حرا من مجرى الأنف ويخرج في نطق اللام حرا من جانب اللسان ويخرج في نطق الراء مع التكرار فلا يحبسه حابس. وصفة الاستمرار هذه هي من مقومات المدود والحركات مما يجعل الأصوات الثلاثة السابقة معها تتسم بالضعف، ويجعل الجميع، مما يعرف في العربية بأنه «حاجز غير حصين»، ومن ثم يكون اختلاف الكلمات بحسبها كلا اختلافاً، ويكون إيحاء إحدى هذه الكلمات بالأخريات أمراً وارداً، لأنه من قبيل أثر القيمة الصوتية في توليد المعنى الطبيعي الذي جعلناه من قبل بإزاء المعنى العرفي المعجمي.

٦ - ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّن ﴾ (المطففين ١٨)

صيغ هذا اللفظ من مادة العلو «ع ل و» التي تميز بها تصوير الجنة في القرآن، كما تميز تصوير جهنم بالاستفال، ففي الجنة «غرف من فوقها غرف»، وهي بذاتها «جنة عالية قطوفها دانية» وإذا جرت الأنهار، فإنها لا تجري فيها، وإنما تجري من تحتها، وأما النار فإن أهلها لا يصعدون إليها صعوداً، وإنما يقذفون فيها ويسمى أسوأ مكان فيها «الدرك الأسفل». وإذا ارتبطت الجنة في التصوير بالعلو وارتبطت النار بالاستفال، فإن الأثر الذي يتركه لفظ «عليين» في النفس وفي الفهم وفي المخيلة، لا بد أن يرتبط بالجنة حتى وإن لم يقم للكلمة معنى عرفي يعزز هذا الأثر الإيحائي، أثر القيمة الصوتية أو الحكاية.

٧ - ﴿ وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيم ﴾ (المطففين ٢٧)

لقد تكفلت الآية التالية بشرح المقصود بلفظ «تسним» فجاء فيها: «عينا يشرب بها المقربون» وليس اهتمامي هنا بالمعنى العرفي المعجمي الذي شرحتة هذه الآية، وإنما اهتم بالمعنى الطبيعي الإيحائي الذي تحكيه أصوات الكلمة. أول انطباع يرد على النفس من هذا الاسم إنه يبدو كأن بينه وبين لفظ «تسним» صلة قرى فالفرق بينهما لا يعدو أن يكون قلباً مكانياً لصوتى السين والنون، ولا شك أن التسним أَلطف مايجرى به الهواء لما فيه من الرقة والرطوبة والإنعاش الذي ينشأ منهما، وإذا كان

الأمر كذلك، فما أجمل أن يخرج شراب أهل الجنة بماء هذه العين لأن ماءها كما صورته الحكاية يقوم بين أنواع الماء مقام النسيم بين حالات الهواء.

٨ - ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ (الغاشية ٦)

أشهر ما يصاغ من حروف هذه المادة هو لفظ «الضراعة» وسواء أكان معنى «الضريع» في المعجم أنه نبات شوكى أو غير ذلك من المعانى التى نسبت إلى اللفظ، فإن انتباهنا فى هذا الفصل منصب على إحياءات حكاية الأصوات للمعانى. والذى توحى به أصوات لفظ «ضريع» أن فى هذا الطعام ذلا يودى إلى تضرع منهم إلى الله أن يعفيهم منه فلا هو مسمن ولا مغن من جوع فهو فى النهاية لايساوى بذل الجهد فى أكله.

وهناك إحياء من نوع آخر لايعود إلى أصوات الكلمات، وإنما يعود إلى الدلالات الهامشية للألفاظ والعبارات، فما كان من هذا الإحياء حسنا جاء حرص النص عليه بالألفاظ، وما كان سيئا مموجا أطرحت النص ما يودى إليه من ألفاظ أو عبارات. ومن ذلك مايلى:

١ - لقد سأل زكريا ربه: ﴿أَنْتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ (آل عمران ٤٠) وسألت مريم ربه: ﴿أَنْتَى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ (آل عمران ٤٧) فأجاب الله زكريا بقوله: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ وأجاب مريم بقوله: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ذلك أن التعبير بلفظ «يفعل» فى حالة زكريا لايشير خواطر سيئة، لأن زكريا وامرأته زوجان فلا شبهة إن حملت المرأة، لأن زوجها بجانبها، وقد كان إخصابها بواسطة تسخير زوجها لذلك والتسخير والإخصاب من فعل الله أما فى حالة مريم فإن التعبير بلفظ «يفعل» ربما أثار خواطر سيئة فاللفظ لهذا غير مناسب، ومن هنا جاء الفعل «يخلق».

٢ - ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (النساء ١١)

لاشك أن المقيس عليه عند التقسيم هو نصيب الذكر، لأنه هو الذى يمثل الواحد الصحيح من الناحية الحسابية ولو اعتدت الآية بذلك لقالت: «للأنثى نصف حظ

الذكر» أو «للأنثى نصف الذكر» على حذف مضاف، ولكن لفظ «الذكر» من المشترك اللفظي حتى ليدل بين معانيه على عضو الذكورة من الرجل، ولما كان الأمر كذلك حالَ معنى الملكية الذى فى اللام الجارة للأنثى دون أن يأتى لفظ «الذكر» بعد الأنثى على أى صورة نظرا لما يثيره ذلك من معنى ممجوج مرفوض. وهكذا جعل النصف وهو نصيب الأنثى مقيسا عليه وجعل الواحد الصحيح، وهو نصيب الذكر مقيسا، فقيس نصيب الذكر بضعف نصيب الأنثى.

٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء ٥٩)

لم يتكرر الفعل «أطيعوا» مع «أولى الأمر» لأن المطلوب منهم أن يكون عملهم تطبيق ما فى كتاب الله وسنة رسوله، فإن لم يفعلوا فلا طاعة لهم وإن فعلوا فإن طاعتهم ليست من أجلهم هم، وإنما لكونهم أحسنوا التطبيق.

٤- ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ (المائدة ٨٢)

لم يقل: «ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا النصارى» لثلا يكون النصارى فى موقع يشبهه على الفهم للوهلة الأولى، بأنه بدل من الذين امنوا، ولأن تبديلهم للإنجيل لم يجعلهم أنصارا لعيسى عليه السلام بسبب ما يفترونه عليه فهم «يقولون» إنهم نصارى، ولذلك جاء الفعل «قالوا».

٥- ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (يوسف ٢٠)

للفعل «شرى» معنيان ضدان

أ - أول المعنيين «اشترى» ومنه قول عنترة:

حصانى كان دلال المنايا فحاض غمارها وشرى وباعا

فالطباق الذى بين «شرى» و«باع» يدل على أن «شرى» بمعنى «اشترى».

ب - الثانى معنى «باع» وهو المعنى المقصود فى هذه الآية وقريئة المعنى لفظ «بثمن»، وكذلك لفظ «الزاهدين» لأن الزهد فى شىء يتناق مع شرائه ودفع الثمن له، ولكن ينسجم مع بيعه، ولكن الآية (تكريما لنبي الله يوسف) لم تعبر عن بيعه

بلفظ البيع الذى يكون للعبيد، وإنما جاءت بلفظ هو من الاضداد، ليكون التعبير به تخفيفاً لوقع العبارة فى النفس.

٦ - ﴿ وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ (يوسف ٢٣)

تجنبت الآية لفظ «سيدته» تكريماً له وتحقيراً لها، وهذا شبيه بما فى الآية الأخرى: «وقال الذى اشتراه من مصر لأمرأته» فليس هو سيداً ليوسف وليست هى سيدة له. ومما يدل على إرادة تجنب لفظ السيادة فى حالة يوسف بذاته قوله تعالى: ﴿ وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾ (يوسف ٢٥) فجعله سيدها ولم يجعله سيده أما قول يوسف: ﴿ إِنَّهُ رَبِّي ﴾ (يوسف ٢٣)، فذلك كلام يوسف وليس كلاماً عن يوسف.

٧ - ﴿ يُوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ (يوسف ٤٦)

آخر أداة النداء ليكون تعبيراً عن رأى الفتى فى يوسف وأنه يعده صديقاً بعد ما رأى من حسن سيرته ودعوته إلى ترك عبادة الأرباب المتفرقين إلى عبادة الله الواحد القهار. ولو قال: «أياها الصديق يوسف» لأوحى ذلك بأن لفظ الصديق كان لقباً متعارفاً له ينادى به كما ينادى «الشيخ فلان».

٨ - ﴿ قَالُوا سُرَّوْدٌ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ (يوسف ٦١)

المراودة دعوة بإغراء وتصميم، وربما اشتملت على مواثبة تؤدى إلى الظفر بالمطلوب، وهذا ما حدث من امرأة العزيز التى كانت «تراود فتاها عن نفسه» ولما كان إخوة يوسف يعلمون من حال أبيهم بعد فقد يوسف أنه يسطن عليهم بأخيه عدلوا عن التعبير بمجرد الطلب إلى التعبير بالمراودة.

٩ - ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ

أَجْمَعِينَ ﴾ (يوسف ٩٣)

﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ (يوسف ٩٦)

فى الآية الأولى استعمل فعل الإتيان وفى الثانية فعل الارتداد. ذلك أن مطلب يوسف فى الآية الأولى كان معلقاً بإتيان أبيه وأهله أجمعين إلى مصر أما الآية

الثانية، فالكلام فيها عن المعجزة معجزة رد البصر بعد فقدته أضف إلى ذلك ما في مطلب المشاكلة في الآية الأولى بين «يأت» و«ائتونى».

رابعا - المناسبة:

يقصد بالمناسبة الصوتية أن يكون الصوتان المتجاوران أو اللذان يفصل بينهما حاجز غير حصين أن يكونا على صورة لا يرد فيها تنافر أحدهما مع الآخر لافى الأداء ولا فى السمع، وتخضع بعض صور المناسبة الصوتية فى اللغة العربية للتقعيد، ويظل بعضها الآخر للاختيار الأسلوبى الفردى الفنى، ومما يخضع للقاعدة:

- ١ - تفخيم لام لفظ الجلالة وترقيقة بحسب الصوت الذى يسبقه.
 - ٢ - تحريك ضمير الغيبة بحسب ما يسبقه أيضا.
 - ٣ - كسرة المناسبة قبل ياء المتكلم عند الإضافة وياء المخاطبة فى الفعل المضارع والأمر.
 - ٤ - بناء الماضى والأمر على الضم لمناسبة واو الجماعة.
 - ٥ - تحريك آخر كل فعل بالفتحة إذا اسند إلى الألف.
 - ٦ - الفتحة الدالة على الألف المحذوفة فى نحو يسعون ويرضون.
 - ٧ - الجر بالكسرة لما دخل عليه حرف الجر الزائد.
 - ٨ - اتباع العين للفاء فى جمع المؤنث السالم من الثلاثى نحو سجديات.
- أما الجانب الأسلوبى الفردى الاختيارى من المناسبة فقد اشتهر منه أمران:
- ١ - إعراب الجوارح مع أطراح الإعراب بحسب القاعدة، ويعد ذلك نوعا من الترخص فى القرينة الإعرابية وقد سبقت الإشارة إليه فى موضعه من هذا البحث. ويعد ذلك فرديا اختياريا، لأنه يتم بالاختيار الحر من قبل منشئ النص، وقد كانت له مندوحة عن استعماله، فإن اضطر إلى ذلك فى الشعر، فهو ضرورة.
 - ٢ - الإتيان وهو يتم بإيراد لفظين بينهما شبه تقفية، وقد اشتهر من ذلك عبارات مأثورة مثل حيص بيص وشذر مذر، بحيث لا يعطف أحد اللفظين على الآخر، فإن

عطف نحو أهلا وسهلا، فليس ذلك من الاتباع، ولمنشئ النص أن يصوغ من ذلك ما شاء باختياره، وهو مسئول عما يفعل في معيار النقد.

أما المناسبة بحسب القاعدة، فلا فضل في رعايتها لأسلوب على آخر، بل إن شجاعة الصياغة، قد تتمثل في عدم رعايتها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَيَسُئِرْ بِهِ ﴾ (الفتح ١٠).

إذ جاءت الهاء من «عليه» مضمومة على الرغم من الياء الساكنة التي قبلها، والأسلوب القرآني في عموم أحواله يراعى أن ينسجم مع هذه القواعد التي تحكم هذا النوع من المناسبة، وأما المناسبة الفنية التي لا تحكمها القاعدة، فهي التي نحاول أن نعرض لمظاهرها في الأسلوب القرآني فنقول وبالله التوفيق:

لعل أشهر مظهر قرآني للمناسبة الصوتية التي لا تحتملها القاعدة هي الفاصلة القرآنية، لأن طبيعة الفاصلة أنها إتيان بخواتم الآيات طبقا لاختيار أسلوبى مقصود، بحيث يكون ثمة مناسبة صوتية بين رأسى الآيتين، وأكبر دليل على أن ذلك أمر اختياري أنك قلما تجد واحدة من طوال السور في القرآن تلتزم فيها فاصلة من جرس واحد (وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك فى كلامنا عن الفاصلة)، وإذا لم يلتزم فيها ذلك، فلا مشاحة فى أن الأمر يحكمه الاختيار، دون القاعدة. ولكون المناسبة الصوتية تعتمد على الانسجام لاعلى المطابقة التامة وجدنا الفاصلة القرآنية تتحقق بالصوتين المنسجمين، ولايتحتم فيهما أن يكونا متطابقين (ارجع إلى ما سبق فى دراسة الفاصلة)، ومن هنا نجد الياء فى «المخبتين» تنسجم مع الواو فى «يُنْفِقُونَ» (الحج ٣٤ - ٣٥) والياء فى «قدير» و«عزيز» تنسجم مع الواو فى «الأُمُور» و«ثُمُود» و«لُوط» (الحج ٣٩ - ٤٣)، بقطع النظر عن الصوت الواقع فى نهاية كل كلمة من هذه الكلمات. ومغزى هذا أن المناسبة الصوتية هى المبدأ الذى تقوم عليه الفاصلة القرآنية، وأما القافية الشعرية، فلا تقنع بالمناسبة، وإنما تتخطاها إلى المطابقة. وفى المناسبة كما رأينا حرية وانطلاق واختيار أسلوبى، ولكن المطابقة التزام وتقييد وقاعدة تتحكم فى الاختيار، وتسلم أحيانا إلى الضرورة.

والذى يلى الفاصلة من مظاهر المناسبة الصوتية فى القرآن الكريم هو «الإمالة»

وهى تكاد تكون ظاهرة نجدية لا ترد لدى الحجازيين إلا قليلا. وعلى الرغم من أن ارتباط الإمالة بالمناسبة تحكمه بيئات صوتية خاصة تصبح الإمالة بها ظاهرة موقعية، لا يمكن أن يعد هذا الارتباط قاعدة من القواعد الملزمة لأى قارئ من قراء القرآن الكريم، لأنه فى موقع المختار بين استعمال قراءة الإمالة وعدمه، وإذا ثبت له الاختيار أصبح استعمال الإمالة أو تركها قرارا يتخذه القارئ، كما يختار المتكلم تقديم الخبر أو تأخيره على المبتدأ فى الاستعمال، ومعنى كون المناسبة هى سبب الإمالة أن الألف، إنما تمال للمح الملاسة بينها وبين الياء أو الكسرة، فهذه الملاسة تجعل المناسبة غاية أسلوية صوتية. وقد تكون ملاسة الألف للياء أو الكسرة على إحدى الصور الآتية:*

- ١ - إبدال الألف من ياء متطرفة كما فى رعى وهدى
- ٢ - حلول الياء محلها فى بعض تصاريف الكلمة، كما فى التثنية فى نحو كبرى وسعدى وكالبناء للمجهول لنحو دعا وتلا
- ٣ - إبدال الألف من عين الفعل الأجوف الذى إذا أسند إلى التاء كسرت فآؤه كما فى بَاعَ وَسَالَ وَمَالَ.
- ٤ - وقوع الألف بحيث تتلوها الياء كما فى دَايِنَ وَبَايَعَ وَشَايَعَ.
- ٥ - وقوعها بعد الياء إما متصلة بها كما فى حَيَّانَ أو منفصلة عنها بحرف واحد كما فى هيفاء أو منفصلة عنها بحرفين أحدهما الهاء كما فى بينى وبينها.
- ٦ - وقوعها قبل الكسرة مباشرة كما فى عالم الغيب أو بعدها وبينهما حرف نحو سريع الحساب أو بينهما حرفان أولهما متحرك غير مضموم وثانيهما الهاء كما فى مناكبها أو أولهما ساكن مطلقاً نحو إفلاس أو بينهما متحرك وساكن معهما الهاء نحو درهماك.
- ٧ - السعى إلى إيجاد المناسبة بين كلمتين فى إحداهما إمالة لأحد الأسباب المتقدمة كما فى إمالة ألف الضحى (مع كونها واوية) لمناسبة الإمالة فى سجدى وقللى ذواتى الألف المبدلة من ياء متطرفة.

* انظر شذا العرف للشيخ أحمد الحملاوى.

وتمتنع إمالة الألف لأسباب منها أن يتصل بها حرف يستحق التفتيح كالراء غير المكسورة وكحروف الاستعلاء السبعة غير مكسورة أيضا أى أن التفتيح يدفع الإمالة والكسرة تأذن لها وهذا هو المقصود بكون الإمالة من المناسبة الصوتية .

ومن المناسبة الصوتية أيضا أن الثلاثى الساكن العين إذا كان اسما غير صفة وجمع بالآلف والتاء حركت عينه بمثل حركة الفاء سواء أكان تأنيثه حال الإفراد بالتاء كسجديات وخدمات وقبلات أم كان بغير التاء كدعدآت وهندآت جملاآت (فى دعد وهند وجمل) ولئن جاز فى مكسور الفاء ومضمومها تسكين العين لم يجز فى مفتوح الفاء إلا إتباع حركة العين حركة الفاء للمناسبة، ولكن هذه المناسبة تحكمها القاعدة فهى تركيبيه وليست أسلوبيه. فإذا لم تكن العين ساكنة كما ﴿ فِي أَيَّامِ نَحِسَاتٍ ﴾ (فصلت ١٦) ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ (البقرة ٣٧)، ﴿ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَاتِ ﴾ (الرعد ٦) لزمت العين حركتها وامتنع الاتباع وإذا لم تكن العين مفردة بل كانت مشددة كما فى «عمآت» فلا مجال للاتباع وإذا كانت العين الساكنة واوا أو ياء كما فى ﴿ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ﴾ (النور ٣١) و﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ (البقرة ١٤٨) بقيت عين الكلمة على سكونها أما فيما عدا ذلك فإننا نجد الأسلوب القرآنى يميل إلى الربط بين الفتحة وحرف الحلق فى أول الكلمة كما فى ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ ((البقرة ١٦٧) وقوله ﴿ وَقِيلَ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ (المؤمنون ٦٧) أو حرفا حلقوميا نحو ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ (الانعام ٩٢) وإن لم يطرد ذلك اطرذاً تاما. وفى غير هذه الحروف تسود الضمة كما فى ﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ (النور ٤٠) وكذلك ﴿ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (التوبة ٩٩) وأيضا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحجرات ٤) وكذلك ﴿ وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ (البقرة ١٩٤) و ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ (الأنعام ١٤٢)

ويبدو أن «فعلات» بكسر فاء الكلمة لم ترد فى القرآن.

قلنا إن المناسبة فى الحالة التى بين أيدينا (أى جمع المؤنث الثلاثى بالألف والتاء) قضية تركيبية تحكمها القاعدة وليست أسلوبية تتصل بالاختيار الفردى أما ما يتصل بالاختيار من مثل ذلك فهو «اتباع» الحركة أختها فى ألفاظ مفردة مثل:

* ﴿ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ ﴾ (الحج ٥)

* ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ﴾ - (يونس ١٦)

وقد توعو المناسبة إلى وصف اللفظ بصفة من مادة اشتقاقه كما فى قوله تعالى:
﴿ وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ (آل عمران ٤) إذ عُدِلَ بالاختيار الأسلوبى عن لفظ «المكدسة» مثلا إلى لفظ «المقنطرة» سعيا إلى إيجاد المناسبة بين الموصوف وصفته وإلى تحميل العبارة دلالة إضافية على معنى «التراكم». وقد تدعو المناسبة أحيانا إلى استعمال لفظين متشابهى الجرس (بالإتباع) لإعطاء العبارة معنى غير ما تعطيه ألفاظها بواسطة معانيها العرفية كما فى قوله تعالى:

* ﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ (آل عمران ١٣٤) لإفادة الشمول أى فى كل الأحوال.

* ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (النساء ١٤٣) لإفادة الشمول أيضا أى ليس إلى أى من الفرقاء.

* ﴿ فَكُلُّوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ (النساء ٤) لتأكيد المعنى أى هنيئا حقا

* ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء ١٧) لتأكيد المعنى أى أنه عليم نوعا خاصا من العلم تدعمه الحكمة.

ومن المناسبة أيضا أن يأتى ثانى اللفظين من مادة اشتقاق الأول وإن اختلف جرسهما كما فى قوله تعالى:

* ﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (آل عمران ٨١)

* ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران ٧٦)

* ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران ١٥٩)

* ﴿ وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (آل عمران ١٨٧)

* ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كِلَا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ (النساء ١٣٠)

فهناك مناسبة اشتقاقية بين «اشهدوا» و«الشاهدين» ثم «اتقى» و«المتقين» ثم «توكل» و«المتوكلين» ثم «اشتروا» و«يشترون» وأخيرا بين «سعته» و«واسع». وقد تكون المناسبة بإخضاع الحركة لما جاورها سواء أكانت الحركة للبناء أم للإعراب. فمن إخضاع حركة البناء لما جاورها ما فى قراءة حمزة من قوله تعالى: «فلامه الثلث» بكسر همزة «إم»، ومن إخضاع الحركة الإعرابية للمناسبة فى قراءة كسر الدال فى قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾. لتكون ثمة مناسبة بين الدال واللام الجارة التى بعدها.

خامسا - حسن التأليف

ليس لحسن التأليف فى متن اللغة قواعد محددة ولهذا جعلناه ظاهرة أسلوبية لا تركيبه ذلك بأن متن اللغة جزء من فقه اللغة لا من الصرف ولا من النحو وأقصى ما يصل إليه فقه اللغة من الضبط أمران:

أ - أن ينتفع بنتائج العلوم الأخرى ذات الضبط كانتفاعه بظاهرة الاشتقاق (وهى صرفية) فى تنظيم مادته الأصلية وهى المفردات.

ب - أن يغامر بالكشف عن اتجاهات عامة لا ترقى إلى قياسية القواعد كحين يتكلم عن حركة عين المضارع محاولا استقرار نوع اطراد لسلوكها وكقوله فى أحد اللفظين المترادفين (الطريق والسبيل مثلا) إن أحدهما يرد فى معرض الشر ويرد الآخر فى معرض الخير الخ.

ومع ذلك نجد الكلام فى حسن التأليف مهما بالنظر إلى حقلين تطبيقيين من حقول الاستعمال اللغوى:

الأول: حقل الكلام فى الفصاحة، فلقد نسبت الفصاحة مرة إلى القبيلة فكان الكلام فيها من قبيل علم اللغة الاجتماعى، ونسبت مرة أخرى إلى الكلام فأضافت

إلى ذلك قدرا من طابع النقد الأدبي . ونسبت مرة ثالثة إلى الكلمة فكانت من فقه اللغة أو من اللغة . أما قبائل الفصاحة فقد عدّها الرواة والنحاة ست قبائل فى وسط الجزيزة وقد نسبوا ماعداها من القبائل إلى عدم الفصاحة . وجعلوا مدار التمييز بين الفريقين على مبدأ النقاء اللغوى بعدم الأخذ من لغات الأمم الأخرى أو التأثر بهذه اللغات . وأما الكلام فقد رأوه فصيحاً إذا خلا من التعقيد اللفظى والتعقيد المعنوى . وهكذا جعلوا فصاحة الكلام صفة سلبية غير إيجابية لأن البحث عن الصفات الإيجابية التى تدخل فى تعريف الكلام الفصيح ربما أدت إلى الكثير من التفصيل الذى يتنافى مع ما يتطلبه التعريف من إيجاز شأن ذلك شأن الكثير من المفاهيم التى تستعصى على التعريف الإيجابى فيلجأ عند تعريفها إلى الانتفاع بالعبارات السلبية . ولنا فى النحاة أسوة فى هذا المجال . فلقد عرفوا الحرف بقولهم «والحرف ما ليس كذلك» (أى ليس له خصائص الأسماء ولا خصائص الأفعال) كما عرفوا المفرد بالسلب ثلاث مرات فقالوا .

أ - ما ليس مثنى ولا جمعا (وذلك فى الصرف) .

ب - ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف (وذلك فى باب النداء) .

ج - ما ليس جملة ولا شبهه جملة (وذلك فى باب المبتدأ والخبر) .

وأما فصاحة الكلمة فقد ارتبطت بخلوها من تنافر الحروف . غير أن هذا «الخلو» السلبى يمكن أن يتحول إلى الإيجاب من خلال القول بحسن التأليف لتصبح الكلمة الفصيحة هى التى حسن تأليفها أى تناسبت أجراس حروفها الأصلية بحيث لا يكون فى نطقها عسر ولا ثقل .

الثانى: حقل الكلام فى الألفاظ الشعرية وغير الشعرية، وهذا الحقل أوسع من مجرد الانشغال بتجاوز الأصوات وإنما يشمل أصوات الكلمة فى عمومها متجاوزة كانت أم غير متجاوزة . بل إنه فى بعض صورته يشمل حتى ظاهرة الحكاية (حكاية الصوت للمعنى) التى أشرنا إليها فيما سبق من هذا الفصل . وأكثر من ذلك أن جرس الألفاظ قد حمل لدى بعض المذاهب الإبداعية والنقدية الحديثة أحمالا من المعانى الأنطباعية والإيحائية حتى لقد ذهب البعض إلى جدوى تجاهل المعانى العرفية التى ينسبها المعجم للكلمات واستنباط دلالات الكلمات من جرسها لا من عرفها .

هذا في الحديث، أما لدى السلف من نقادنا العرب فقد قرأنا الإشارة إلى حلاوة اللفظ وطلاوته وسلاسة الأسلوب وما فيه من ماء ورونق. وتلك عبارات لا تكاد تظفر منها بدلالة على شيء محدد فهي نفسها لا تفي بأكثر من دلالة انطباعية.

ولقد ربط المتأخرون من البلاغيين بين حسن التأليف ومخارج الحروف فرأى البهاء السبكي في كتابه «عروس الأفراح» ونقل عنه السيوطي في المزهري* أن رتب الفصاحة متفاوتة فإن الكلمة تخف وتثقل من حرف إلى حرف لا يلائمه قريبا أو بعدا. ثم قسم مخارج الحروف العربية إلى ثلاث مجموعات أنشأ بينها احتمالات للتأليف فخرج منها بتقسيم أنواع الأصول الثلاثة للكلمة إلى اثني عشر احتمالا. وجعل المخارج القصوى هي الأعلى والمخارج التي يشارك اللسان في نطقها هي المخرج الأوسط أما المخرج الأدنى فهو المجموعة الشفوية. ورتب الفصيح وغير الفصيح على توالي أصول الكلمة بحسب هذه المجموعات على النحو التالي:

١ -	الأعلى	فالأوسط	فالأدنى	مثل	ع د ب
٢ -	الأعلى	الأدنى	الأوسط	مثل	ع م د
٣ -	الأعلى	الأدنى	الأعلى	مثل	ع م هـ
٤ -	الأعلى	الأوسط	الأعلى	مثل	ع ل هـ
٥ -	الأدنى	الأوسط	الأعلى	مثل	ب د ع
٦ -	الأدنى	الأعلى	الأوسط	مثل	ب ع د
٧ -	الأدنى	الأعلى	الأدنى	مثل	ف ع م
٨ -	الأدنى	الأوسط	الأدنى	مثل	ف د م
٩ -	الأوسط	الأعلى	الأدنى	مثل	د ع م
١٠ -	الأوسط	الأدنى	الأعلى	مثل	د م ع
١١ -	الأوسط	الأعلى	الأوسط	مثل	ن ع ل
١٢ -	الأوسط	الأدنى	الأوسط	مثل	ن م ل

ورتب السبكي أحسن أحوال التأليف ترتيبا تنازليا فقال أحسنها الأول فالعاشر فالسادس وأما الخامس والتاسع فهما سيان في الاستعمال وإن قضى القياس بأرجحية التاسع وأقل الجميع استعمالا السادس.

* المزهري للسيوطي ص ١١٥.

وفى كتاب اللغة العربية معناها ومنباها نقد لصنيع السبكي فمن شاء فليرجع إليه، ويمكن أن نضيف هنا بعض الملاحظات الأخرى:

١ - إن قول السبكي منذ قليل: «فإن الكلمة تخف وتثقل» فيه ربط حسن التأليف بطلب الخفة والمعروف أنهما يلتقيان ويفترقان لأن لكل منهما مجالا في التطبيق إذ قد يعدّ توالى النون والقاف مثلا من حسن التأليف ولكن طلب الخفة يدعو إلى إجراء صوتي ينأى بالنون عن مخرجها الأصلي لتخفى قبل القاف فما يبقى من صفاتها التى تمتاز بها إلا غنتها وهى أقوى صفاتها.

٢ - إن الأمر فى حسن التأليف لا يتعلق بالمخارج فقط وإنما يتعدى المخارج إلى الاعتداد بالصفات. فكما يتنافر الصوتان بسبب مخرجيهما يتنافران بسبب الصفتين أيضا. فثمة صفات تقف الواحدة منها من الأخرى موقفا عناديا تناكريا بحيث لا تتفق الواحدة مع الأخرى فى جوار واحد مثال ذلك أن الاستعلاء لا ينسجم مع الاستفال ولا ينسجم الإطباق والانفتاح ولا الصفير والتفشى ولهذا امتنع توالى الجيم والصاد للسبب الأول فإذا وردت كلمة توالى فيها الجيم والصاد فهى معرّبة وكذلك امتنع توالى الجيم والقاف ولهذا السبب أيضا وصفت كلمة «مستشزرات» بالتنافر لتجاوز الصفير والتفشى وإن وقعت هذه الكلمة فى نطاق ما سميناه «الترخص فى التأليف» كما سنرى بعد قليل.

والذى ينبغى أن نفهمه مما تقدم أن الكلام عن ظاهرة حسن التأليف إنما يتناول الأصول الثلاثة للكلمة المفردة، أما فيما يتجاوز هذه الأصول فإننا نجد من حالات التوالى ما يدعو إلى شىء من الترخص فى التأليف وذلك بقبول تتابع الأصوات كيفما اتفق إذ لا حيلة لمنشئ النص للتغلب على ما يشبه الضرورة فى الاستعمال وتتضح هذه الحاجة إلى الترخص فى الأحوال الآتية:

أ - الالتزام بالصيغة الصرفية.

ب - الالتزام بخصوص الزوائد فى الكلمة.

ج - الالتزام بخصوص اللواحق.

د - الالتزام بصورة الضمير المتصل وخصائصه الصوتية.

هـ - الالتزام فى مفصل الكلمتين بصورة كل منهما وحرفهما .

وسنضرب لكل من هذه الحالات أمثلة من ترخص النص القرآنى فى التأليف مع الإشارات إلى وسائل هذا النص الكريم ولتطويع البيئة اللفظية بحيث يخف بها وقع الترخص أو نذكر بدائل كانت ممكنة فعدل عنها لما يحيط بها من لبس أو غيره .

أ - الالتزام ببنية الصيغة الصرفية :

١ - قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ (الأنعام ٢٧) هنا صوتان حتم الالتزام ببنية المجهول أن يلتقيا وهما بمقياس التأليف متنافران . ذانك هما الواو والضمة والمعروف أن اجتماعهما يوصف بالثقل والثقل مجاف لحسن التأليف . وهناك أيضا توالى الضمة التى على الواو والكسرة التى على القاف ، وقد عودتنا طرق التصريف العربية أن تقلب الواو فى مثل هذا الموضع إلى الهمزة كما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتِ ﴾ (المرسلات ١١) . ولكن قلب الواو إلى الهمزة هنا سيوقعنا فى توالى الهمزة المضمومة والفاق المكسورة فى «أقفوا» وذلك أثقل من التقاء الهمزة المضمومة والقاف الساكنة (أول عنصرى التشديد) فى لفظ «أقتت» لقرب المخرجين وتوالى الحركتين العدوتين .

٢ - قال تعالى : ﴿ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا ﴾ (الأعراف ٢٠) هنا أيضا التقت الواو مع الضمة وبعدهما كسرة الراء . ولو قلبت الواو همزة لَتَجَنَّبَ ذلك لوقع اللبس إذ يصبح المبنى للمجهول وكأنه صيغ من الفعل «أورى» لا من الفعل «وارى» أما توالى الضمة والكسرة فقد خفف من حدته المد وهو يساوى السكون فى نظام اللغة سواء أكان ذلك فى الصرف أم فى العروض . ومع أن «الحرف الساكن حاجز غير حصين» كما تقول أصول النحاة نراه حاجزا على أى حال وكونه كذلك جعله يحول دون التوالى المباشر للعدوتين . هذا إذا لم نضيف إلى الحاجز عنصرا آخر هو صوت الراء الذى تحمل الكسرة فسبقها فى النطق .

ب - الالتزام بخصوص الزوائد فى الكلمة :

قلنا إن ما سبق من كلام السبكى يصدق على الأصول الثلاثة الاشتقاقية للكلمة

(فاء الكلمة وعينها ولامها) أما الزيادات فهي تزداد في الكلمة بلفظها كما تقضى القواعد الصرفية مع قطع النظر عن الصوتين المتواليين فإذا كان لدينا مادة اشتقاقية مثل: (ت ب ع) وأردنا صياغة فعل منها على وزن «تَفَاعَلَ» ألحقنا بأولها تاء زائدة دون أن نعبأ بتوالى التاءين فقلنا «تتابع» فإذا أردنا صياغة مضارع منها مسند إلى الغائبة مثلا قلنا «تتابع» غير عابئين بتوالى التاءات. وإذا أورد النص القرآنى فعلا مبدوءا بتاءين زائدتين فإما أن يحذف إحداهما كما فى ﴿ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ (الحجرات ١١) وإما أن يبقى عليهما كما فى ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ (محمد ٣٨) وهكذا يرد الحرف الزائد بخصوصه مهما جاوره من مثله أو مقاربه. ولهذا نجد التاء والطاء فى قوله تعالى: ﴿ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا ﴾ (الكهف ٧٧) والصاد والطاء فى ﴿ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾ (القمر ٢٧) وربما كان فى ذلك ما يعتذر به عن قول امرئ القيس: «غدائه مستشزرات إلى العلا» إذ جمع بين صفير السين وتفشى الشين وصغير الزاى. ولكن بعض ذلك من زوائد الكلمة وقد رأينا أن الزوائد تأتى بنصها وكما هى.

ج - الالتزام بخصوص اللواصق:

المقصود باللواصق تلك العناصر الصوتية التى تلتصق بأول الكلمة أو آخرها لتضيف إلى الكلمة معنى صرفيا معينا، ولهذا تأتى «اسماء هذه اللواصق على صورة تركيب إضافى المضاف فيه هو اللاصقة والمضاف إليه معناها فيقول مثلا: ألف المتكلم كما فى «أقول» وتاء التأنيث كما فى «قالت» ونون التوكيد كما فى «ليقولن» وهكذا. ومثل هذه اللواصق كمثلى حروف الزيادة إذا أتى بها جاءت بلفظها مهما جاورها من الأمثال أو الأشباه فإذا كان لدينا فعل مثل: «يؤمن» وأردنا توكيده بالنون الثقيلة قلنا: «لنؤمنن» كما فى قوله تعالى: ﴿ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الأعراف ١٣٤) ولم يحل دون ذلك توالى ثلاث نونات على صورة (ننن) ومثله قوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ﴾ (فاطر ٤٢) أما إذا

كانت أولى هذه النونات ليست من بنية الكلمة فإن اللغة إما أن تحذفها كما فى ﴿لَتُبْلَوْنَ﴾ (آل عمران ١٨٦) وإما أن تفصلها عن أختيها بحاجز مهما كان غير حصين كما فى «لَتَسْعَيْنَانَ» وهكذا تجتمع الطاء والتاء فى ﴿فَأَوْلَتْكَ حَبَطَ أَعْمَالُهُمْ﴾ (البقرة ٢١٧) وفى تواليهما مجاورة الاستعلاء للاستفال كما علمنا واجتمعا أيضا فى ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ (البقرة ٧٥) لأن فى «أفتطمعون» ثلاث لواصق هى همزة الاستفهام وفاء العطف وتاء المضارعة للمخاطبين.

د الالتزام بالضمير المتصل وخصائصه الصوتية:

١ - قال تعالى: ﴿لَنْ نَسْطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ (المائدة ٢٨) هنا تواتت الطاء (وهى لام الكلمة) والتاء (وهى ضمير المخاطب) لأن الاستعمال يحتم التاء للدلالة على المخاطب فالتاء بخصوصها ضرورية للدلالة على المخاطب كما أن الطاء بخصوصها لا يستغنى عنها بوصفها لام الكلمة فى الفعل «بسط» ومن هنا لا يمكن اسناد «بسط» إلى المخاطب إلا بتوالى الطاء والتاء وهكذا يأتى الترخيص فى التأليف طبيعيا لا غبار عليه.

٢ - قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (الإنسان ٢٦) ترى الفعل «سبح» مجرداً حسنَ التأليف لأنه اجتمع فيه (الأوسط فالأدنى فالأعلى) ولكن التعدية إلى المفرد الغائب تحتم مجى الهاء بعد الحاء مع ما بينهما من قرب المخرج وهكذا يأتى الترخيص المباح بل الضرورى الحسن وحينما لمز البلاغيون قول الشاعر.

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا ما لمته لمته وحدى

لم يعيبوا تجاور الحاء والهاء إذا لطلبناهم باختلاق لغة غير العربية وإنما عابوا من البيت تكرار هذا الترخيص حتى أصبح واضحا أن هناك ترخضا فى التأليف، ومع أن الأداء القرآنى يعمد إلى إظهار الحاء والهاء فى ﴿سَبِّحْهُ﴾ (الدهر ٢٦) نجد النحاة يروون عن بعض القبائل الأدغام بحيث تكون (ح + ه) أو (ع + ه) = (ح + ح)

ويظهر ذلك في «لم يَمْنَحَهُمْ» حتى لا يدرى إن كان المقصود: «لم يَمْنَحَهُمْ» أو «لم يَمْنَعَهُمْ».

هـ - الالتزام عند مفصل الكلمتين بتكوين كل منهما:

١ - قال تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ (المائدة ١١٠) فالتقت الذال والتاء ومخرجاها متقاربان فالذال تنطق بوضع طرف اللسان بين الأسنان والتاء تنطق بوضعه بحيث يلامس داخل الأسنان العليا وجزءاً من اللثة وحكمه في الكلمة الواحدة الإدغام كما في ﴿وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف ٤٥) وهذا من المواضع التي يخاف على القارئ اللحن فيها بالإدغام لهذا السبب كما يقول ابن البادش في الإقناع* ولكن «إذ» كلمة مستقلة تبدأ بهمزة مسكورة وتنتهي بذال ساكنة و«تخرج» كلمة أخرى مستقلة تبدأ بتاء المضارعة ولو ذهب أحد الصوتين لذهبت الكلمة التي هو منها فلا مناص من الترخيص في التأليف للمحافظة على الكلمتين وبالتالي للمحافظة على المعنى.

٢ - قال تعالى:

أ - ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (المائدة ١٢)

ب - ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا﴾ (المائدة ٧٧).

ج - ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام ١٤٠).

د - ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام ٥٦).

التقت الدال والضاد في كل من هذه الآيات عند مفصل الكلمتين على رغم اتصال مخرجيهما واشتراكهما في بعض الصفات ولكن النص القرآني عالج هذا النوع من الترخيص إما بقلقلة الدال كما في قراءة حفص وإما بالإدغام كما في قراءة ورش. وهكذا خفت وطأة الترخيص في الآيات المذكورة.

أما بالنسبة لما عدا هذه الحالات الداعية إلى الترخيص في التأليف فإن بالقرآن من

* الإقناع لابن البادش ص ١٧٦ وما بعدها..

حسن تأليف الأصول الثلاثة للكلمات مالا مزيد عليه، وقرأ كتاب الله قدر ما تشاء فاحصا منقبا فى طرق تأليفه للأصول الثلاثة ولن ترى فيه إلا العذوبة والسلاسة والسهولة على اللسان فلا نبوة فيه ولا تنافر وإنه لكما قال فيه القرشى الكافر مرغما: «إن له لخلوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليعلو ولا يعلى عليه».

نخرج مما تقدم بالتأنيج التالية:

١ - لا تجد فى كتاب الله كلمة مفردة تلاحظ أى قدر من التنافر أو سوء التأليف بين أصولها الثلاثة.

٢ - هناك مواضع للترخص فى التأليف ذكرناها من قبل ولا حيلة فى تعديل التأليف بهذه المواضع لأن العناصر اللغوية فيها مقصودة بلفظها سواء فى ذلك مبانى الصيغ الصرفية أو الزوائد أو اللواحق أو الضمائر المتصلة أو مكونات المفردات فمن صاغ فى العربية قولاً فلا مناص عنده من رعاية هذه المواضع لأن رعايتها جزء من رعاية الوصول إلى المعنى وهو أهم ما تحرص اللغة على الوصول إليه.

الرخصة في التركيب

من المعروف أن المعنى النحوى (الوظيفى) ليس من شأنه أن يستبين بواسطة قرينة لفظية أو معنوية مفردة، بل لابد أن يتضافر عدد من القرائن على بيان المعنى. ذلك بأن اللغة ظاهرة إنسانية والإنسان بطبعه قلما يكتفى لإدراك شىء ما بقرينة واحدة تدل على هذا الشىء. وإنك لو سألت شخصا ما عن عنوان تريد الوصول إليه ولم تكن تعرفه من قبل فإن هذا الشخص لا يكتفى بتعداد اتجاهات الطريق الذى تسكله إلى العنوان وإنما تجده بعد وصف الطريق وإيراد نقط منعرجك إلى اليمن وإلى الشمال يعمد إلى تحديد العنوان المطلوب بعدد من القرائن أيضا فهو من ثلاثة طوابق على يمين الطريق تحته مكتبة ومحل بقالة وهو على ناصية شارع كذا وشارع كذا وأمامه أضواء إشارة المرور وهكذا يعدد القرائن ليعين قدرة السائل على معرفة العنوان المقصود. وإذا كانت منعرجات الطريق إلى العنوان وكان العنوان نفسه يتسم بتعدد القرائن وتضافرها فإن الجملة كذلك ذات معالم يتضح بها معناها وهذه المعالم هى القرائن بأنواعها اللفظية والمعنوية والسياقية ومن شأنها أن تتعدد لضمان إدراك المعنى.

قد يكتفى السائل لمعرفة العنوان ببعض القرائن التى سمعها منك ثم لا يعلق انتباهه ببقيتها إذ يمكن أن يعرف العنوان بمجرد عثوره على التقاطع وإشارة المرور وعدد طوابق المبنى وموقعه على يمكن الطريق ثم لا يعير انتباهه للمكتبة والبقالة «إحدهما أو كليهما» ومعنى ذلك أن واحدة أو اثنتين من عدة قرائن لم يكن لها أثر فى إدراك المقصد إذا اتضح العنوان بدونهما ومن ثم أسقطهما انتباه السائل من حسابه ولم يعتدّ بهما بين القرائن، أو بمصطلح هذا البحث أصبحت القريبتان محلا للترخص عند وضوح المقصد بدونهما بسبب هذا الوضوح.

وكذلك الحال فى القرائن النحوية . فهى تتضافر لبيان المعنى الواحد تدعيما لقدرة السامع على إدراك هذا المعنى فإذا اتضح المعنى ببعضها أمكن بسبب أمن اللبس أن يتم الترخص فى بقيتها خذ مثلا لذلك قول العرب :

«خرق الثوب المسمار» برفع الثوب ونصب المسمار على عكس قاعدة إعراب الفاعل والمفعول . والمعروف أن الفاعل يعرف بالقرائن التالية :

١ - أن يكون اسما

٢ - أن يكون مرفوعا

٣ - أن يتقدمه فعل

٤ - أن يكون الفعل مبينا للمعلوم

٥ - أن يدل الإسم على من فعل الفعل أو قام الفعل بواسطته

ولقد تحققت هذه القرائن فى «المسمار» ما عدا الإعراب بالرفع . وكانت القرينة الخامسة بالذات سببا لإمكان الترخص فى الإعراب لأن الفعل غير منتقل فيكون الخارق هو المسمار ولا يمكن للثوب إلا أن يكون مخروقا بالمسمار وهذا واضح من قرينة الإسناد وإن تم الترخص فى الإعراب . فمثل الإعراب هنا مثل المكتبة والبقالة فى المثال الذى سقناه للعنوان منذ قليل .

ومن أصول النحاة أن الرخصة مرهونة بمحلها فلا يقاس عليها وشرطها أن يؤمن معها اللبس وأن تكون من الفصيح فى عصر الاستشهاد أما نحن الآن فترخصنا فى قرائن النحو يقع فى قبيل الخطأ إلا أن يكون ضرورة شعرية فتلك لا تقاس بمقياس الصواب والخطأ وإنما ينظر إليها بمنظار الحسن والقبح . وليس القرآن شعرا ولا ترد عليه الضرورة ولكن الترخص فى القرائن مع هذا شائع فى تراكيب القرآن عند أمن اللبس لا بسبب الضرورة وإنما لأسباب أخرى جمالية كراعى الفاصلة والمناسبة الصوتية وهلم جرا مما سنراه عند إيراد الشواهد على ظاهرة الترخص فى تركيب القرآن . وسنورد فيما يلى قرائن النحو مرتبة متوالية وتحت كل قرينة منها شواهد من ترخص القرآن فى هذه القرينة :

أولا - الترخص فى قرينة البنية :

يتم الترخص فى قرينة البنية بتغيير هيكلها أو بحذف بعض حروفها أو زيادة حرف أو أكثر عليها أو تغيير حرف منها فمن تغيير هيكل بنية الكلمة قوله تعالى :

﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة ٩٨) إذ تحولَ ميكَائيلَ إِلَى ميكَالَ . وقوله ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ﴾ (يونس ٣٥) إذ تحولَ الفعل «يهتدى» إلى صورة أخرى هى «يهدى» . وكذلك ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ (يس ٤٩) إذ جاء الفعل «يختصمون» على صورة «يخصِّمون» وكذلك ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ (التين ١ ، ٢) بدلا من «طور سيناء» .

وأما الترخص فى البنية بحذف بعض حروفها فأوضح صورة حذف ياء المتكلم أو ياء المنقوص المقترن بأل أو الفعل المعتل الآخر بالياء أو بالواو كما فى الآيات الآتية :

* - ﴿ أَجِيبْ دُعَاةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا ﴾ (البقرة ١٨٦)

* - ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ (هود ٦٤) وانظر أيضا

(هود ٨٨)

* - ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ﴾ (هود ٨٩) وانظر أيضا (هود ٨٢ ٩٣) .

* - ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ ﴾ (يوسف ١٠١)

* - ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (الرعد ٣٢ وغافر ٥)

* - ﴿ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (الرعد ٣٦)

* - ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ (إبراهيم ٤٠)

* - ﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿

(الحجر ٦٨ ، ٦٩)

* - ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ﴾ (الكهف ٦٤)

* - ﴿ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنَ ﴾ (الكهف ٦٦)

* - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ

لِلنَّاسِ سَوَاءً سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ (الحج ٢٥)

* - ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الحج ٥٤)

* - ﴿ وَجِفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ (سبأ ١٣)

* - ﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ (غافر ١٥)

* - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (الشورى ٣٢)

* - ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (ق ٤١)

* - ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكْرٍ ﴾ (القمر ٦)

* - ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴾ (الملك ١٧)

وأما زيادة حرف على بنية الكلمة فقوله تعالى: ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾

(الصافات ١٣٠) وأما إبدال حرف مكان حرف فقوله: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ

لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران ٩٦) وقد يكون الترخُّص بإيجاد

صورة للبنية غريبة على الشائع من الاستعمال كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا

كِبَارًا ﴾ (نوح ٢٢)

وقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ (ص ٥) وكذلك : ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾ (النبا ٢٨)

ثانيا - الترخّص فى قرينة الرتبة :

سبق عند الكلام عن قرينة الرتبة أن أشرنا إلى أنها من نوعين أحدهما الرتبة المحفوظة والثانى الرتبة غير المحفوظة ثم ذكرنا أنّ الرتبة المحفوظة لا تتخلف وذلك بسبب ارتباط المعنى بها وهذا هو معنى كونها قرينة وأن الرتبة غير المحفوظة تأذن أحيانا بالتقديم والتأخير وهو ما يعرف بتشويش الرتبة ويتحتم فيها عكسها أحيانا أخرى إذا اقتضت ذلك ضرورة تركيبية فيصبح العكس رتبة محفوظة كرتبة الكاف فى نحو «أكرمك الله». ولكن التركيب القرآنى يتسم بحرية اللغة لا بقيود النحو فيتحدى قواعد النحاة عند أمن اللبس يفعل ذلك لأغراض بيانية معينة فيصل إلى هذه الأغراض دون توضيح بوضوح المعنى. ومثل موقف القرآن من قواعد النحاة مثل موقف القانون السماوى من القانون الوضعى هذا من عند الله وذاك من عند البشر والأول من عند من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور والثانى صنعه من لا يصل إلى الحقائق إلا من خلال الظواهر. والقرآن نزل بلسان عربى مبين ولم ينزل بنحو عربى مطرد. ذلك بأن اللغة أوسع من النحو لأنها تشتمل إلى جانب المطرد على الشاذ والقليل والنادر والرخصة والعدول عن الأصل وهلم جرا مما اعترف به النحاة أنفسهم فقالوا إن الشذوذ لا ينافى الفصاحة كما لقى الشذوذ احترام الفقهاء فبنوا عليه بعض أحكامهم.

لا عجب إذاً نرى القرآن يشوش بعض الرتب المحفوظة. كما فى قوله تعالى : ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ (هود ٣٨) أى كلما مروا عليه وهو يصنع الفلك سخروا منه لأنه كان يصنعها على أرض جافة قبل نزول الطوفان ولم يكن حوله بحرولا نهر تجرى فيه الفلك فكان لهذا السبب مثار سخريتهم. وذلك قوله : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾

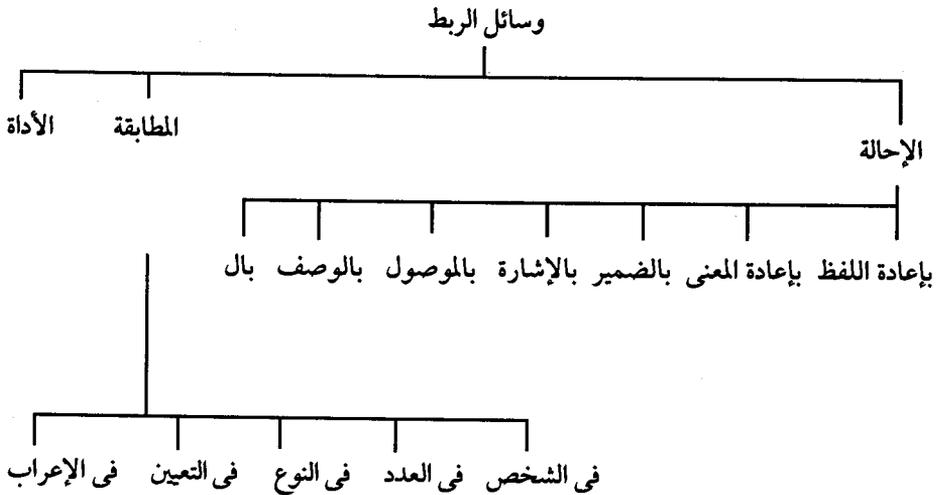
(هود ٤٢) أى ناداه وهى تجرى بهم. ففى الحالتين تقدمت جملة الحال على عاملها وهو مالم تعترف به قواعد النحاة ويشبه هذا قول الفرزدق: وأطلس عسال وما كان صاحباً دعوت لنارى موهنا فأتانى أى «أتانى ولم يك صاحباً» أو «دعوت ولم يك صاحباً» ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ (الكهف ٣٨) على أحد التاويلين أى لكن ربه هو الله إذ أصبح ضمير الفصل غير فاصل لتقدمه على اسم «لكن» وخبرها كليهما كما تقدم الخبر على الاسم بتقدم هذا الضمير إلا أن نعد هذا الضمير ضمير شأن فلا يكون فى الآية شاهد على الترخص فى الرتبة» ومن ذلك أيضاً تأخر رتبة «لا» عن موقعها فى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ (غافر ٥٨) أى ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسيء.

أما غير المحفوظة فالتقديم والتأخير فيها محكوم بمقياس الأسلوب لا بمقياس النحو فمن ذلك ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة ٢٦٩) إذ المعروف فى أخوات أعطى أن الآخذ هو المفعول الأول وأن المأخوذ هو المفعول الثانى وبهذا يكون الأصل فى التركيب «يؤتى من يشاء الحكمة» ولكن هذا التركيب ملبس لصالح الحكمة أن تكون مفعول «يشاء» لا مفعول «يؤتى» فعكست الرتبة لأمن اللبس ومن ذلك ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ﴾ (الأنعام ١٠٠) و﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ﴾ (الأنعام ١١٢) و﴿تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ (٢) ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ (الإسراء ٢، ٣) ومن ذلك أيضاً ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) هَرُونَ أَخِي﴾ (طه ٢٩، ٣٠) أى واجعل هارون أخى وزيراً لى من أهلى ولكن وضع التركيب على هذا النحو يجعل من بمعنى (دون) أى اجعله معيناً لى على أهلى، وهو غير المعنى المقصود. أما لو فرضنا للتركيب أن يكون «واجعل من أهلى وزيراً لى» أو «واجعل لى من أهلى وزيراً» فإن الأسلوب القرآنى بالنسبة للفرض الأول لا يجعل فى موقع الفاصلة حرف جر وضميراً متصلًا به فى العادة وبالنسبة للثانى يكون فى التركيب

إهدار لمطالب الفاصلة. ويلاحظ أن تعليق الجار والمجرور في الفرض الأول يختلف عنه في الثاني.

ثالثاً - الترخّص في قرينة الربط:

ولقد أشرنا من قبل إلى أن الربط إما أن يكون بالإحالة أو بالمطابقة والمقصود بالإحالة أن يشتمل اللاحق على ما يشير إلى السابق وذلك بإعادة ذكره أو إعادة معناه أو الإضمار له أو بالإشارة إليه أو وصفه بموصول أو صفة أو إلحاقه بالألف واللام نيابة عن ذلك، والمقصود بالمطابقة الشركة في العلاقات الدالة على الشخص (المتكلم والخطاب والغيبة) أو العدد (الإفراد والتثنية والجمع) أو النوع (التذكير والتأنيث) أو التعيين (التعريف والتفكير) أو الإعراب وقد يكون الربط بالأداة كما يتضح من البيان التالي:



وقد اتضح كل ذلك في الفصل الخاص بالربط من هذا البحث.

ويكاد الترخّص في الإحالة يكون مقصوداً على الربط بالضمير لأنه أكثر وسائل الإحالة دورانا فقد يكون الضمير محذوفاً في بعض الأحوال كما في قوله تعالى:

* - ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة ٤٠) أي

أنعمت بها

* - ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ (البقرة ٤٨) أى تجزى فيه

* - ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ (المائدة ١٨) أى ممن

خلقهم

* - ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (المائدة ٢١) أى التى

كتبها

* - ﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (الشورى ٢٢)

أى يبشر به

* - ﴿ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ (الزخرف ٧١) أى تلذذ أو تلذذ به .

ومن شأن الضمير أن يعود:

أ - على مرجع مذكور .

ب - وعلى أقرب ما يصلح أن يكون له مرجعا .

ج - وأن يكون مطابقا لهذا المرجع لفظا وقصدا .

وقد يترخص فى الشرط الأول عند أمن اللبس كما فى قوله تعالى :

* - ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ (النحل ٦١) فالضمير

فى عليها للأرض ولم يسبق ذكرها وأمن اللبس بلفظ «دابة» لأنها لا تكون دابة الا على الأرض فاللبس مأمون .

* - ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ

بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا ﴾ (النور ٤٠) فالضمير فى «يده» لم

يسبق ذكر مرجع له لأن اللبس مأمون بأن صاحب اليد لا يد أن يكون سالكا فى هذه الظلمات فكانه قال: «إذا أخرج السالك يده لم يكد يراها» .

* - ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ

هَؤُلَاءِ ﴿ (البقرة ٣١) فالضمير في «عرضهم» للمسميات لا للأسماء بقرينة «فقال أنبتوني بأسماء هؤلاء». ولم يسبق للمسميات ذكر واللبس مأمون.

* - ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ (البقرة ١٨٢)

لم يسبق ما يصح أن يكون مرجعا للضمير في «بينهم» إلا «الوالدين والأقربان ويجمعهم لفظ الورثة ولكن المسافة بين الضمير وهذا المرجع بعدت بمقدار الآية (١٨١) حتى أصبحت الصلة بين الضمير ومرجعه كأنها منقطعة ولكن اللبس مأمون.

* - ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ (النساء ١٣٠)

لم يسبق ما يصلح مرجعا للضمير في «يتفرقا» إلا ما جاء في الآية (١٢٨) من قوله: «وإن امرأة خافت من بعلها» وقد طالت المسافة أيضاً وضعفت الصلة ولكن اللبس مأمون.

* - ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ

﴿ ٩ ﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى ﴾ (الأنفال ٩ ، ١٠) فالضمير في «جعله» لا مرجع له

إلا ما نصيده من لفظ «الجواب» وهو اسم مصدر من «استجاب».

* - ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ

كَبِيرٌ ﴾ (الأنفال ٧٣) فالضمير في «تفعلوه» لا مرجع له إلا مانفهمه من «التوجيه» أو

«الأمر» بولاية بعض المؤمنين لبعض.

* - ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا

الْعَذَابَ ﴾ (يونس ٥٤) فالضمير في أسروا لا مرجع له إلا واحد من اثنين:

أ - «الذين ظلموا» في الآية (٥٢) وقد فصل بين هذا المرجع المقترح وبين الضمير

بأية كاملة في موقع الاعتراض فالمسافة طويلة بين الضمير ومرجعه.

ب - ما نفهمه من لفظ «كل نفس» من معنى الجمع ومن ثم تكون المطابقة بين

الضمير ومرجعه معجمية لا نحوية وفي ذلك مافيه من اعتماد على أمن اللبس وهو

شرط الترخص.

* - ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ (هود ٤٤) فالضمير في «استوت» يعود على «الملك» التي في الآية (٣٧) وبين الآيتين كلام طويل ضعفت به الصلة بين الضمير ومرجعه ولكن اللبس مأمون.

* - ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود ٤٦) أى «إن عمله عمل غير صالح» ولكن لم يسبق ذكر للمرجع فحلّ الضمير محله واللبس مأمون.

* - ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَلَى الْمُقْصُودِ وَإِنَ هَذَا التَّدْبِيرُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ﴾ (يوسف ٢٨) أى «إن هذا التدبير من كيدكن» فمحلّ الضمير محلّ «التدبير» لدلالة المقام على المقصود وهذه الدلالة على المقصود هي مناط ما نصفه بعبارة أمن اللبس.

* - ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾ (يوسف ٦٨) لم يذكر مرجع لهذا الضمير المستكن في «كان» أو «يغنى» فلا يعود الضمير إلى شيء إلا ما يفهم من السياق من أمر أبيهم إياهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة فالمعنى «ما كان هذا الأمر يغنى» ومع عدم الذكر أمن اللبس.

* - ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (يوسف ١٠٢) فلا مرجع للضمير الغائبين في «لديهم»، و«أمرهم»، و«هم» إلا ما اشتملت عليه السورة من مكر إخوة يوسف به، ثم مكره بعد ذلك فى رميه إياهم بالسرقة فالضمير للإخوة وليوسف كما يفهم من السورة، وإن لم يذكر المرجع قبل الضمير قريبا إليه مرتبطا به.

* - ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (العنكبوت ٥٥) لا مرجع للضمير فى «يقول» إلى أن نعيده إلى «قاتل» متصيد من الفعل أى «يقول قاتل».

* - ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (لقمان ٣٢) لا مرجع للضمير في غَشِيَهُمْ، إلا أن نَعَدَهُ التَّفَاتَا من ضمير «ليريكَم من آياته» في الآية (٣١)، فيكون المعنى «وإذا غَشِيَكُم»، ومع ذلك يؤمن اللبس حتى مع عدم تقدير الالتفات، فالضمير لركاب البحر على أى حال.

* - ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿ (الزمر ٦٩ - ٧٠)، لا مرجع للضمير في «بينهم» لأن المقصود به الناس جميعا وقرينة ذلك قوله: ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾، لأنه ليس من مشاهد القيامة مشهد يقضى فيها بين النبيين والشهداء بخصوصهم.

* - ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة ٣٥ - ٣٨)، من الواضح أن المقصود بالضمير في «أنشأناهن» الحور العين ولكن لم يسبق لهن ذكر.

* - ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ (الواقعة ٨٣) المقصود الروح ولم يرد لها ذكر سابق.

* - ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ (الحاقة ٤٤ - ٤٦) الضمير في «تقول» يعود على محمد صلى الله عليه وسلم ولم يسبق له ذكر لأن الرسول الكريم في الآية (٤٠) هو جبريل.

* - ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (القيامة ١٦، ١٧) من الواضح أن الضمير في «به» يعود على القرآن وقد أحاطت القرائن بهذا الفهم سواء قوله «لتعجل به» وقوله «إن علينا جمعه وقرآنه» وقبلهما تحريك اللسان به. وقد يترخص في الشرط الثانى عند أمن اللبس أيضا، وهو عود الضمير إلى أقرب مذكور كما فى قوله تعالى:

* - ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ ﴾ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴿ (يوسف ٧ - ٨) فالواو في «قالوا» تصلح للأخوة وللسائلين، ولكن القرينة تجعلها للأخوة وتحول بينها وبين أن تكون للسائلين، وهذه القرينة هي قول الإخوة «أحب إلى أبينا» لأن الأب لم يكن أبا للسائلين.

* - ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴿ (يوسف ١٧)، فالضمير في «أكله» يصلح ليوسف وللمتاع، ولكن القرينة تجعل الضمير ليوسف، لأنه لم يعهد من الذئب أكل الأمتعة.

* - ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ (٦٧) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿ (٦٨) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿ (الإسراء ٦٧ - ٦٩)، فالضمير في «يعيدكم فيه» يصلح للبر كما يصلح للبحر والبحر أبعد من الضمير، ولكنه هو المرجع بقرينة «فيغرقكم».

* - ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿ (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴿ (الكهف ٣٢ - ٣٤)، فالضمير في «له ثمر» يصلح لأحدهما وللنخل وللزرع وللنهر، وواضح أن الثمر لا يكون للنهر وهو أقرب المذكور، وإنما يكون لأحد الرجلين فهما أولى به من النخل والزرع. وقد يترخص في الشرط الثالث بإعادة الضمير على بعض ما سبقه كما في قوله تعالى:

* - ﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ (الفتح ٩) إذا لم يقل تعززوهما وتوقروهما لذكر التسييح بعد ذلك وهو لا يكون إلا لله سبحانه.

* - ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ (يونس ٨٣)، فالضمير المستتر في «يفتنهم» يعود على فرعون دون الملاء مع أن الذرية تخافهما معا، وقد اختلف المفسرون في عود الضمير* في لفظ «ملئهم» والظاهر أنه للذرية، لأنهم خافوا من فرعون، ولكن هؤلاء الإسرائيليين غير المؤمنين لم يكونوا بموضع القادرين على فتنة من آمنوا بموسى، ولذلك جاء الضمير لفرعون من دونهم لأنه هو القادر على أن يفتنهم بإيقاع العذاب عليهم أو بمجرد التخويف.

أما الترخص في المطابقة فأوسع مدى من الترخص في الإحالة، لأنه قد تتعدد مسالكة بتعدد محاور المطابقة. فقد تكون الرخصة في الشخص (التكلم والخطاب والغيبة)، وهذا ما يعرف بالالتفات وهو ما سنناقشه عند الكلام عن الأسلوب العدولي، لأن بينه وبين الرخصة العادية أنه يقاس عليه وإن كان عدو لا عن الأصل أما الرخصة، فقد سبق أن قلنا إنها لا يقاس عليها غير أننى أحب أن أشير هنا إلى نوع من المطابقة في الشخص إذ يختار للضمير أحد مرجعين سابقين وكلاهما يصح معه التركيب، ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (هود ٢٩) جاءت المطابقة بين الفعل المضارع «تجهلون» وضمير المخاطبين في «أراكم» وكان يصح نحويا أن يقال «ولكننى أراكم قوما يجهلون» بمطابقة الفعل للقوم، ومثله أيضا ﴿ بل أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (النمل ٥٥) إذ كان يصح فيه أن يقال: «قوم يجهلون». وهذا وارد في الشعر أيضا كقول على: «أنا الذى سَمَّيْتَنى أُمى حيدرة» بالإحالة إلى «أنا» لا إلى «الذى» وكذلك قول المتنبي: «أنا الذى نَظَرَ الأعمى إلى أدبى» وكان يصح أن يقوم «إلى أدبه» وكل ذلك يخضع للاختيار الأسلوبى، لأنه أسلوب عدولى فى أحد وجهيه.

وقد تكون الرخصة فى العدد كما فى قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة ٦٢) لم يقل «أن يرضوهما» وهذا شبيه بما سبق فى الكلام عن الإحالة، ولكن وجهة النظر إلى الشئ الواحد قد تختلف فى مقام عنها فى الآخر - ومثله قوله تعالى: ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾

* انظر الفصل الثالث من الجزء الثانى.

(فصلت ١١)، فالرخصة هنا في موضعين: العدد والنوع والموضوعان يتضحان عند وضع «قالتا» بإزاء طائعين أى وضع للتثنية بإزاء الجمع والتأنيث بإزاء التذكير. ومن الترخص فى العدد أيضا ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (الحجرات ١٠) إذ جاءت المفارقة بين الإخوة والأخوين، وبخاصة إذا علمنا أن كل واحد من الأخوين هو فى الواقع «طائفة» بقرينة ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ (الحجرات ٩)، وفى هذه الآية الأخيرة أيضا قامت المطابقة المعجمية بديلا عن المطابقة النحوية، لأن الطائفة جماعة، ومن ثم يطابقها «اقتتلوا» على نحو ما ذكرنا من قبل فى تعليل قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ (يوسف ٨) إذ لا يقال: «أنا عصبه»، على رغم إفراد العصبه وصلاحتها للحاق علامة التثنية بها فيقال: «عصبتان» وللجمع فيقال «عُصَب».

وقد تكون الرخصة فى النوع «التذكير والتأنيث» كالذى سبق فى آية فصلت ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾، وكالذى فى قوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ (الشعراء ٤) لأن الأعناق إنما تكون «خاضعة» أو «خاضعات» ولا تكون «خاضعين» ولا سبيل إلى أن تجعل «لها» خبرا عن «ظلت» و«خاضعين» حالا منهم هم لفساد المعنى عند تقديره ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا ﴾. حالة كونهم «خاضعين» لأن ذلك يقتضى أن يكون الخضوع واقعا أثناء التنزيل وقبل تدبر ما فى الآية التى نزلت.

وربما تأتى الرخصة فى مطابقة التعريف والتذكير فتوصف النكرة بالمعرفة. وشرط ذلك أن يسبق الوصف بالمعرفة وصفٌ للنكرة بنكرة مثلها يكسبها قدرا من التخصيص يقربها من المعرفة فيسوغ عندئذ وصفها بالمعرفة ويغلب فى هذه المعرفة أن تكون من قبيل الموصول كما فى قوله تعالى:

* ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مِّنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ (ق ٣٢ - ٣٣).

* - ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ (٣٢) مِّنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿ (ق ٣٢ - ٣٣).

* - ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴿ (الحديد ٢٣ - ٢٤) وفي هذه الآية أيضا مطابقة معجمية بين «كل مختال» وبين «الذين».

* - ﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ (الهمزة ١ - ٣) أما في هذه الآية فقد روعيت المطابقة في الأفراد بين «همزة» و«الذي» وجاء الترخص في مطابقة التعريف والتنكير فيهما. ولم تراع المطابقة المعجمية بين «كل» وبين الموصول، لأن «كل» تدل معجميا على الجمع والموصول يدل نحويا على المفرد.

أما الترخص في مطابقة الإعراب فسوف نؤجل الكلام فيه إلى مناسبة القول في الترخص في قرينة الإعراب.

يأتى بعد ذلك دور الترخص في الربط بالأداة، وقد سبق أن بينا المقصود بالأداة ونضيف هنا أن الأداة تقع في أنواع:

١ - الأدوات ذوات الصدراة الداخلة على الجمل والتي يناط بها معنى الجملة.

٢ - الأدوات الناسخة.

٣ - الأدوات الداخلة على الأجوبة.

٤ - الأدوات الداخلة على ما يحل محل المفرد.

٥ - الأدوات الداخلة على المفردات وهي التي تربط المفردات بغيرها من عناصر الجملة.

فأما الأدوات ذوات الصدراة فأشهر ما ينالها من الترخص حذف أداة الاستفهام اعتمادا على نغمة الكلام أو على قرينة أخرى، مما سبق ذكره منذ قليل كما في قوله

تعالى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الشعراء ٢٢) وقوله ﴿ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ (البقرة ١٢٤)، ومن ذلك أيضاً حذف الأداة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَا لَكُمْ ﴾ (الشعراء ٤٩) أى «أأمتم له قبل أن أدن لكم» ومنه حذف حرف النفي في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُونُسُ ﴾ (يوسف ٨٥) ومثله قول امرئ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
وأما قول عترة

وخلال الذباب بها فليس ببارح غردا كفعل الشارب المترنم

فقد وضع «ليس» موضع «لا» وحول الفعل إلى اسم فاعل مجرور بالباء الزائدة للتأكيد.

وقد تحذف اللام الموطئة للقسم كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة ٧٣) لأن جواب الشرط هنا واجب الحذف لتأخره وقوله: ﴿ وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ﴾ (الحشر ١١)، بقرينة العطف على ﴿ لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾ فى كلتا الحالتين بقرينة اللام فى الجواب.

وأما النواسخ فقد يترخص بحذفها ويبقى ما يدل على ذلك، فيكون هذا الدليل هو القرينة المانعة من اللبس، فإذا نظرنا مثلا إلى قول الشاعر: «قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا» فلاننا ص من فهم «كان» مقدرة محذوفة واسمها ضمير مستتر فيها ويبقى خبرها مذكورا منصوبا بحسب القاعدة، وإنما قدرنا «كان» محذوفة لأننا لم نعهد فى التركيب العربى (وإن عهدنا فى الأسلوب) دخول «إن» الشرطية على اسم منصوب واكتفاء كل منهما بالآخر. ولكن مالنا ولقول الشاعر وفى القرآن من ذلك ما يؤيد قولنا بالترخص، كما فى قوله تعالى:

* - ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ (مريم ٧٥)، أى إما أن يكون العذاب وإما أن تكون الساعة أى إما أن يروا هذا أو ذاك.

* - ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان ٣) فلدينا فى التركيب «إن الشرطية» وبعدها «ما» الزائدة للتوكيد (وإن جعلها البعض نائبة عن كان على غرار إِمَّا أَنْتَ ذَا انْفِرِ)، ثم يأتى الاسم المنصوب بعد ذلك وبهذا يكون التركيب شبيها بقول الشاعر «إن صدقا وإن كذبا».

* - ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (المعارج ١٩ - ٢١) نحن هنا مع «إذا» الشرطية أخت «إن» السابقة ولم يقع الترخص بالحذف فى شرطها، كما حدث فى حالة «إن» ولكن حذف الناسخ جاء فى الجواب أى «إذا مسه الشركان جزو عاو إذا مسه الخير كان منوعاً» وإنما عددنا ذلك من قبيل الترخص فى الربط نظراً لما يستكنّ فى الفعل الناسخ المحذوف من ضمير رابط هو اسم كان المحذوفة والترخص فى الأدوات الداخلة على الأجوبة وارد فى القرآن، كذلك إذا أمن اللبس وقد يكون ذلك فيما يدخل على جواب الشرط كما فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام ١٢١)، وفى هذا إما أن تقدر حذف اللام الداخلة على «إن» أو حذف الفاء الداخلة على الجواب.

وشبيه ذلك قول الشاعر «من يفعل الحسنات الله يشكرها» وقوله «فأما القتال لاقتال لديكمو»

نصل بعد ذلك إلى الأدوات الداخلة على ما يحل محل المفرد ومنها الواو الداخلة على جملة الحال، وكذلك «قد» فمن قبيل حذف الواو فقط ما فى قوله تعالى: ﴿ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ﴾ (البقرة ٦٠) أى «وقد علم كل أناس مشربهم» وقوله: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ (طه ٧٥) أى «وقد عمل ومن حذف «قد» فقط» ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ

عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴿ (المائدة ١٣) أى «وقد نسوا» وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿ (الأنعام ٢٥) أى «وقد جعلنا وقوله: ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ (يوسف ٧١) أى «وقد أقبلوا» وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أُنَىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ (مريم ٨) أى «وقد كانت» وقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (طه ٨٥) أى «وقد أضلهم» وقوله: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ (القصص ٦٤) أى «وقد رأوا العذاب» ومنه: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ (يس ٧٨) أى وقد نسى خلقه .

وكذلك ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ (الشعراء ١١١) أى وقد اتبعك الأردلون

ويحتمله ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾ (هود ٤٢) أى وقد كان فى معزل والاحتمال الآخر فى الشاهد الأخير أن تكون جملة «وكان فى معزل» اعتراضية لأن النداء يجعل «يابنى أركب معنا» فى حكم مقول القول وهكذا تكثر الشواهد على الحذف حتى ليكاد يرقى إلى مرتبة الاختيار الأسلوبى متجاوزا الوصف بالترخص، ومن حذفهما معا قوله تعالى: ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ ﴾ (النساء ٩٠) أى «وقد حصرت» وقوله: ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾ (الحج ١١) أى «وقد خسر» وقوله: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص ٢١) .

ومن حذف ما يدخل على ما يحل محل المفرد حرف الجر ويسمى حذف هذا الحرف «نزع الخافض» وهو يطرد قبل أن المشددة وأن الخفيفة عند أمن اللبس وهذا الأطراف يخرجها من قبيل الرخصة ويسلكه فى قبيل الأسلوب العدولى، أما الذى يعد من قبيل الرخصة، فهو نزع الخافض قبل الاسم المفرد، وإنما عد ذلك من الربط لما

ينسب إلى الجار والمجرور من التعليق بأحد عناصر الجملة فهذا التعليق هو الربط .
وقبل أن نورد الشواهد على هذه الظاهرة القرآنية أحب أن أشير إلى مايلي :

١ - أن كل ظرف فى اللغة العربية فهى على معنى «فى» ومن ثم يصدق عليه القول بنزع الخافض بمعنى من معانى هذه العبارة .

٢ - وكل مفعول لأجله فهو على معنى اللام، ومن ثم يصدق عليه هذا القول أيضا .

٣ - أما الإضافة فعلى الرغم من أنها على معنى حرف الجر فالمضاف إليه مجرور فعلا وينسب جره بالإضافة إلى الخافض الذى نزع .

من هنا أجد بعض ما أورده هنا يصلح إلى جانب إعرابه على نزع الخافض أن يكون ظرفا أو مفعولا لأجله، وفيما يلى طائفة من الشواهد على هذه الرخصة :

* ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ (الأعراف ١٥٥) أى «من قومه»

* ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ

مَرصِدٍ ﴾ (التوبة ٥) أى «فى كل مرصد»

* ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ (يوسف ٩) أى «فى أرض ما»

* ﴿ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ ﴾ (القصص ٨٥) أى «بمن جاء»

* ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ

الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (العنكبوت ٧) أى «بأحسن الذى كانوا يعلمون» .

* ﴿ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (لقمان ١٥) أى «بمعروف»

* ﴿ وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (الشورى ٧) أى «بيوم الجمع»

* ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾

(الشورى ٥١) أى «بوحى» بقرينة أو يرسل بنصيب المضارع مما يدل على أن

مقدرة منزوعة الخافض ومن هنا يجرى المصدر الصريح مجرى المصدر المؤول فى التقدير .

﴿ وَلَقَدْ رَأَوْا نَزْلَةَ أُخْرَىٰ ﴾ (النجم ١٣) أى «فى نزلة»

وإذا كان نزع الخافض الداخلى على «أَنْ» و«أَنَّ» من قبيل الأسلوب العدولى بسبب اطراده، فإن الشواهد السابقة تمثل نزع الخافض من الأسم المفرد ويُعد الخافض المنزوع لهذا السبب من الأدوات الداخلة على المفردات فنزعه عنها من الترخص، وهناك أدوات أخرى كحرف العطف مثلا تدخل على المفردات، كما تدخل على غيرها ويرد عليها الترخص بالحذف. وهنا أيضا نحب أن نفرق بين الحذف الذى ينشأ عنه ما سميناه قبل ذلك بالفصل البلاغى وهو من الأسلوب العدولى*، وبين الحذف الذى لا يستقيم المعنى معه إلا بتقدير المحذوف فيعد من قبيل الترخص. فلست أعد من قبيل الترخص ما أراه من حذف حرف العطف فى آيات مثل:

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ (مريم ٢٣)

أى «فقال ياليتنى»

﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ ﴾

(هود ٧٨) أى «فقال يا قوم»

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنِ أَهْلُهَا

كَانُوا ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾ (العنكبوت ٣٢) «فقال إن

فيها لوطا فقالوا . . .»

﴿ وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾ (يوسف ١٧)

أى فقالوا يا أبانا . . .

* أنظر الجزء الثانى ص ٧٥-١٢٢ .

* ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ (ص ٢٢) أى فقالوا لا تخف.

وذلك على الرغم من أن علاقة القول فى كل الآيات السابقة هى الترتيب والتعقيب فتقدير الفاء قبل القول فى كل آية منها تقدير يدعو إليه المعنى، ومع ذلك لا يعد ذلك من الترخص لأنه تصرف أسلوبى مألوف والإلف يقربه من الأطراد على نحو ما سنرى فى الكلام عن الأسلوب العدولى وفرق بين الأطراد وبين ارتهان الرخصة بمحلها وعدم جواز القياس عليها. ولكن الترخص واضح فى قوله تعالى:

﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (التوبة ٩٢) لأن المعنى إما أن يكون:

أ - إذا ما أتوك فقلت تولوا

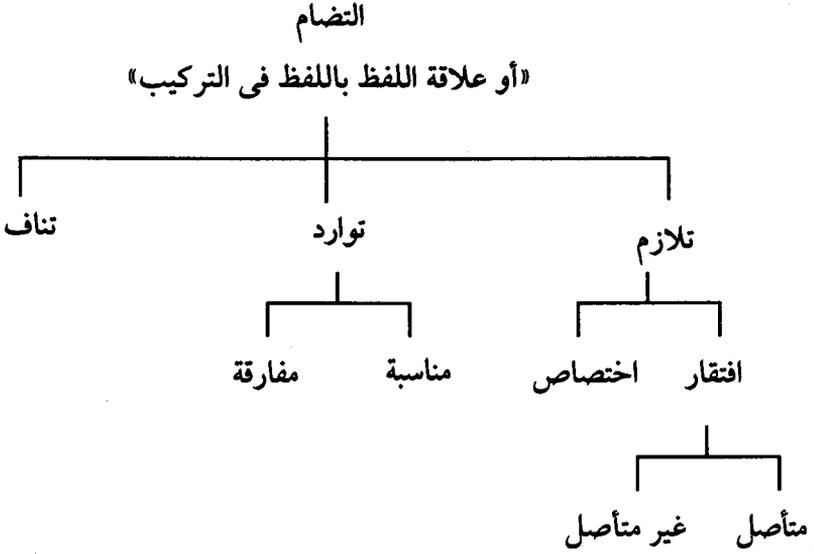
ب - إذا ما أتوك قلت فتولوا

فلا مناص من تقدير الفاء العاطفة فى أحد الموقعين ليكون الفعل الآخر جوابا لشرط «إذا» والفاء فى المعنى الأول عاطفة على الشرط وفى الثانى عاطفة على الجواب . . وتشير قرينة السياق إلى أن المعنى الأول هو المقصود لسببين أولهما أن العفو عن هؤلاء المعسرين لم يترتب على قول النبى لهم، وإنما على صدق نواياهم بدليل أنهم «تولوا» باكين ومن ثم لم يكن عليهم من سبيل . . أما الثانى فأولى بجملة الشرط التى وقعت صلة للذين أن يتحد الضمير الرابط فيها بوقوعه فى الشرط والجواب معا أى: «إذا أتوك تولوا» مقدم فى هذا الموقع بالذات على «إذا أتوك قلت» ليكون الكلام عنهم على طول الخط وفى ذلك تكريم لهم.

رابعا: الترخص فى قرينة التضام:

قلنا قبل ذلك إن ما يقصد بلفظ التضام «واللفظ قديم ولكن معناه هنا من وضعنا» إما أن يكون لزوم لفظ لفظا آخر «وهو التلازم» أو مناسبه له بحيث لا يمتنع أن يصاحبه «وهو التوارد» أو تنافره معه بحيث لا يردان معا متوالين فى تركيب واحد «وهو التنافى» وقلنا أيضا إن التلازم قد يكون افتقارا أو اختصاصا وأن

الافتقار قد يكون بأصل الوضع وقد يكون بنمط التركيب «والأول يسمى المتأصل
ويسمى الثاني غير المتأصل» أى أن الصورة تبدو على النحو التالى:



والترخص فى الافتقار إنما يكون بالحذف سواء فى الافتقار المتأصل وغير المتأصل ويكون فى الاختصاص بإدخال اللفظ على غير ما اختص به وفى المناسبة بالمفارقة وفى التنافى بالزيادة والجمع بين المتنافيين.. فأما بالنسبة للحذف فينبغى مرة أخرى أن نفرق بين الرخصة والأسلوب العدولى.. ذلك أن التصرف فى الأساليب اللغوية كثيرا ما يجعل الحذف وسيلة أسلوبية فنية فيلقى قسطا من حمل الأثر الفنى على حذف المضاف أو المضاف إليه وحذف الموصوف أو الصفة وحذف المفعول به مع وضوح علاقة التعدية فى الفعل أو يكتفى بالأداة المفتقرة إلى الجملة دون ذكر الجملة إتكالاً على ما سبق من ذكرها، كما فى إغناء أدوات الاستفهام «متى وأين ولم وكيف الخ» عند تكرار جملتها أو يحذف المبتدأ أو الخبر أو الفعل الخ مع قيام الدليل على المحذوف فى كل ذلك والقاعدة تقول: «لا حذف إلا بدليل».. وكل ذلك أسلوب عدولى يهش له الاستعمال ويخف إلى تأويله النحو وتقوم على أمن اللبس فيه القرائن.

أما الترخيص في التضام فهو إهدار قرينة التضام تحدياً للقاعدة فلا يخف النحو إلى تأويل الرخصة ولكن المعنى معها واضح واللبس مأمون أيضاً لأن بقية القرائن تجبر ما وقع من إهدار لإحداها.. دعنا أولاً نعهد لبيان هذا الترخيص في حالة الافتقار بقول الشاعر:

نحن الأولى فاجمع جموعك ثم وجههم إلينا

فالمحذوف صلة الموصول «الأولى» وقد أمن اللبس مع الحذف بسبب قرينة السياق وهي اجتماع الفعلين «أجمع» و«وجه» في البيت ثم الضمير في «إلينا» وذلك يدل على التحدى فكأن الشاعر يقول «نحن الأولى نتحداك» أو «الأولى يتحدونك».. ومن قبيل ذلك في الاستعمال القرآني قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لِيُوقِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (هود ١١١). فالمعروف أن «لما» أخت «لم» وكتاهما حرف جارم يفيد النفي ويفتقر إلى المضارع من الأفعال ليفيد انتفاءه في الماضي غير أن المنفى مع «لما» نفي مقيد بتوقع الحدوث في الحاضر المستمر أى أن الفعل معها يتوقع حدوثه في أية لحظة.. غير أن المضارع الذى تفتقر إليه «لما» قد حذف ولكن اللبس مأمون مع ذلك.. فما قرينة المعنى بعد الحذف؟ القرينة فى توالى «لما» واللام الموطئة للقسم لما يترتب على هذا التوالى من تناقض بيانه كما يلى:

١ - أن «لما» تفيد النفي وأن اللام تفيد تأكيد الإثبات فلا يجتمعان.

٢ - أن اللام ذات صدارة فلا يعقل أن يتقدمها لفظ داخل عليها.

٣ - أن من أصول النحاة أن الحرف لا يدخل على الحرف ولكن قد يدخل على

جملة مبدوءة بحرف.

يؤخذ من كل ذلك أن لام القسم بداية جملة مستأنفة وبهذا تقف «لما» واضحة الافتقار إلى فعل مضارع يتحمل نفيها.. ولا يبقى بعد ذلك إلا التفكير فى تقدير هذا الفعل وهنا يأتى دور دليل المحذوف.

ويقع هذا الدليل فى جملة القسم وبالتحديد فى قوله «ليوفينهم» لأن هذا

وعد من الله سبحانه يوضح أنهم حتى الآن «لما يوفوا أعمالهم» وهكذا يكون التقدير*.

والمعروف أيضا أن أداة الشرط تفتقر إلى شرط وجواب، بل إن الجواب هو الرسالة الحقيقية والشرط إنما هو قيد لوقوع مضمون الجواب ومن هنا يصبح جواب الشرط بالغ الأهمية في الكلام ولكن أمن اللبس قد يبيح حذفه أحيانا بقرينة السياق والشواهد على ذلك كثيرة منها:

﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم ﴿ (يس ١٨ - ١٩) فالتقدير ﴿ أَئِن ذُكِّرْتُم تَطَيَّرْتُمْ ﴾ بقرينة ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾.

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٤٥) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿ (يس ٤٥ - ٤٦) والتقدير ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا أَعْرَضُوا ﴾ بقرينة السياق في الآية التالية والمعنى «أعرضوا وديدنهم الإعراض».

* ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ﴿ (النور ١٠ - ١١) والجواب محذوف تقديره «لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم» لأن سياق الآية رقم ١٤ يؤكد ذلك وهو:

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور ١٤)

* ومثله أيضا ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿ (النور ٢٠ - ٢١) فالجواب محذوف تقديره «ما زكى منكم من أحد أبدا» بقرينة سياق الآية رقم ٣٢ وفيها ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّىٰ مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ (النور ٢٠).

* وانظر تخريجا آخر للتركيب في ص ١١٩ السابقة.

المعروف أن فعل التسوية يحتاج إلى متساويين بالسلب أو الإيجاب ولكننا نقرأ قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ أُولَئِكَ أَكْبَرُ مِنْ دَرَجَةٍ مَنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ (الحديد ١٠) والتقدير «لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل» بقرينة السياق الذى يتلو ذلك.. أى أن العديل الثانى فى نفي المساواة لم يعطف على الفاعل «العديل الأول» وإنما استقل بجمله مستأنفة جعلت هى دليل المحذوف.

أما الترخص فى الاختصاص فأشيعُ صورته التضمين وبخاصة عندما يدخل الفعل على حرف جر ليس له كما فى قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي ﴾ (يوسف ١٠٠) أى «أحسن إلى» لأن حرف الجر الذى يستعمل مع فعل الإحسان هو «إلى» ولكن التضمين أسلوب عدولى شائع ومألوف فى الاستعمال وقد قربه الشيوخ من الأطراد فلم يعد ينظر إليه نوع النظرة إلى الرخصة لأنه يقاس عليه ولا يقاس عليها.. ومن الترخص فى الاختصاص فى القرآن الكريم حذف متعلق الظرف «إذ» واستعمالها أداة للاستفتاح والتأكيد كما فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة ٣٠) = لقد

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ (البقرة ٣٤) = لقد

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ (البقرة ٤٩) = لقد

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ (البقرة ٥٠) = لقد

﴿ وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (البقرة ٥١) = لقد

﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة ٥٣) = لقد

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ﴾

(البقرة ٥٤) = لقد

ومنه استعمال أداة التشبيه ولا مشبه وذلك كقوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة ١٣٤)

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ (البقرة ١٥١)

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ (الأنفال ٥)

والترخص في المناسبة يكون بالمفارقة والمفارقة نوعان أولهما يستعصى على التبرير حين تتناقض الكلمة مع الكلمة كقول قطرب: «يرقون بالنحو إلى أسفل» أو حين لا يكون للكلمة مع أختها معنى كما في قول المجنون بن جندب:

محكوكة العينين معطاء القفا كأنما قدت على متن الصفا

ترنو إلى من شراك أعجفا كأنما ينشر فيه مصحفا

والقرآن أسمى من التناقض وأجل من أن يعبث بالقول دون الوصول إلى الفائدة.. والنوع الآخر من المفارقة بأذن للتبرير وذلك حين تكون المفارقة بإسقاط العلاقة المعجمية العرفية الاجتماعية بين الكلمة ومدلولها وإنشاء علاقة أخرى فنية أو ذهنية فردية غير اجتماعية ينشئها المتكلم في ظل قرينة من الكلام يفهم منها إحلال علاقة محل علاقة.. ذلك هو المجاز.. فإذا قرأت: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى ﴾ (البقرة ١٦) فأول ما يصادفك في فهم هذه الآية ما بين الشراء والضلالة من مفارقة لأن الضلالة ليست سلعة تباع وتشتري فهذه هي القرينة على عدم إرادة المعنى المعجمي العرفي الاجتماعي وعليك حينئذ أن تبحث عن مبرر تضام كلمتين بينهما مفارقة معجمية وستلجأ عندئذ إلى استنباط العلاقة الفنية الفردية التي أنشأها المتكلم «علاقة المشابهة» ويكون العثور على هذه العلاقة بالرجوع إلى الكلمة المناسبة في هذه الجملة وإنشاء علاقة التشبيه بينها وبين الكلمة المذكورة غير المناسبة فتقول مثلا «شبه مطلق الاستبدال بالشراء وهو استبدال خاص ثم حذف وأقام الخ» هذا هو النوع الثاني.. غير أن ذلك ليس من قبيل الترخص وإنما هو من قبيل الأسلوب العدولي لأن الرخصة مرهونة بمحلها وهذا يقاس عليه وقد شاع في الأدب حتى رقى

إلى مصاف المطرد من اللغة على رغم كونه يبنى على المفارقة المعجمية أى عدم مناسبة إحدى الكلمتين للأخرى بحسب المعنى الأصلي .

أما الترخص فى التنافى فمثاله أن «ال» الموصولة من شأن صلتها أن تكون صفة صريحة والمقصود هنا هو الصفة بمعناها الصرفى «أى المشتقة» لا بمعناها اللغوى العام ولكن فى الشعر العربى شواهد قليلة على إدخال «ال» هذه على المضارع الذى يتنافى معها بحسب الأصل مثل قول الشاعر: «ما أنت الحكم الترضى حكومته» أو ما ورد فى بيت آخر من قوله: «صوت الحمار اليجدع» . . ولم يرد بالقرآن شىء من هذا النوع من الترخص الذى نسبه النحاة إلى القلّة وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله:

«وكونه بمعرب الأفعال قلّ»

خامسا - الترخص فى الإعراب:

شروط الرخصة فى أى قرينة ألا يتوقف عليها المعنى وأن يؤمن اللبس مع الترخص لهذا السبب ولك الحالات التى يؤمن فيها اللبس مع الترخص فى الإعراب تعود إلى أغناء قرينة أو أكثر عن دلالة الإعراب على المعنى ولقد سبق أن أشرنا إلى أن الإعراب لا يدل على المعنى النحوى للفظ المقصور ولا المنقوص فى حالتى الرفع والجر ولا المبنيات ولا الماضى والأمر من الأفعال ولا المضارع الناقص فى حالة الرفع ولا المركبات العددية ولا الجمل ذوات المحل ولا المصادر المؤولة وأن دلالة الإعراب إنما تكون فى الألقاظ المتمكنة والمضارع الصحيح الآخر. وفيما يلى طائفة من صور الترخص فى الإعراب مع بيان ما أمن به اللبس فى الكلام:

* قالت العرب: «هذا جحر ضب خرب» بجر «خرب» وحققها الرفع لأنها صفة الجحر، وقد فسر النحاة ذلك على إعراب الجوار (أى المناسبة الصوتية بين الكلمة وجارتها) وقد أمن اللبس بالمناسبة المعجمية بين الصفة وموصوفها وبالمفارقة المعجمية بين الكلمة وشريكها فى الإعراب لأن الضب لا يوصف بالخراب وإنما يوصف به الجحر.

* قالت العرب: «حرق الثوب المسمار» برفع الثوب (وهو المفعول) ونصب المسمار (وهو الفاعل) وقد أمن اللبس لأن الفعل غير متقل أى لا يجوز لفاعله أن يُظن

مفعولا ولا لمفعوله أن يُظن فاعلا فاتضح معنى الإسناد ومعنى التعدية من مجرد علاقة الكلمات بعضها ببعض كما فى المثال السابق فأمن اللبس أما فى القرآن الكريم فنجد الشواهد التالية:

* ﴿ أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ (التوبة ٣) بجر لفظ الرسول على قراءة، وقد خرجها البعض على القسم أى «وحق رسوله» وهو معنى لا يدعوا إليه المقام، وإنما أمن اللبس بالمفارقة فى السياق بين البراءة وبين الرسول، وكذلك بين عدم صحة عطف الرسول على المشركين لانتفاء الجامع، ومن هنا كان الرسول معطوفا على لفظ الجلالة سواء رفع أو خفض، وقد سبق أن وصفنا قرينة السياق، بأنها كبرى القرائن النحوية

* ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ (البقرة ١٧٧) فالبارون بحسب نص الآية أربعة أصناف:

أ - من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين.

ب - من أتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وأتاه أيضا فى عتق الرقاب، ثم صلى وزكى.

ج - الموفون بعهدهم إذا عاهدوا

د - الصابرون فى البأساء والضراء وحين البأس.

فإذا نظرنا إلى الواو العاطفة قبل «الصابرين» وجدناها قرينة واضحة الدلالة على عطف الصابرين (وهى منصوبة) على «الموفون» (وهى مرفوعة) ولا تكون إلا كذلك. بل إن النحاة أنفسهم (وهم أحرص الناس على دلالة الإعراب) لم يجدوا ذلك إلا من قبيل العطف، وذلك لمكان الواو وإن سموا ذلك «قطع العطف» والتمسوا له مختلف صور التخريج.

* قال تعالى: ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء ١٦٢) فالذين يؤمنون بما أنزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبما أنزل من قبله هم:

أ - الراسخون في العلم منهم

ب - المؤمنون

ج - المقيمون الصلاة

د - المؤتون الزكاة

أما «المؤمنون بالله واليوم الآخر» فيحتمل الاستئناف على معنى الإخبار بالألف واللام وبدا تكون «أولئك» هى الرابط بين المبتدأ والخبر لما فى الجملة من رائحة الشرط (أى من آمن آتينا). نعود إلى فكرة الترخص إذ نرى لفظ «المقيمين» تحف به المرفوعات من أمامه وورائه والعلاقة بينه وبين هذه المرفوعات علاقة العطف بقريئة الواو. وإذا اتضح معنى العطف بقريئة غير الإعراب أمكن الترخص فى الإعراب كما نراه واقعا هنا.

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (المائدة ٦٩) فالصائبون معطوف على اسم إن الذى قبله بقريئة الواو أيضا أما خبر إن فهو الجملة الشرطية التى أولها «من آمن»

* ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ ﴾ (طه ٦٣) لا يتقدم خبر إن على اسمها إلا أن يكون ظرفا أو جارا ومجرورا وليس قوله «لساحران» من هذا القبيل فعلم أن «هذان» اسم إن فجاء الترخص فى الإعراب لأمن اللبس ولإيجاد نوع من المناسبة الصوتية بين اسم إن وخبرها.

* ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾ (يوسف ١١) قوله «تأمنا» فعل مضارع يستحق الرفع فاعله مستتر يعود على الأب ومفعوله ضمير المتكلمين المتصل

به . ولكن إعراب الفعل بالرفع كان موضع ترخص فلم تظهر الضمة على آخره لما عرض للكلمة من إدغام النونين إحداهما في الأخرى .

ولكن اللبس مأمون بقرينة السياق لأن عبارة «مالك» دون الوقف عليها حالت بين «لا تأمنا» وبين أن تكون نهيا هذا من جهة ومن جهة أخرى لا يصح في الأذهان أن ينهى الأبناء أباهم عن أن يأمنهم إذ لو فعلوا لكان ذلك منهم إقرارا بسوء النية . فلم يبق إلا أن تكون «لا» نافية والفعل مرفوعا واللبس مأمونا، هذا على أن النون الأولى متحركة وإذا تحرك أول المثلين، فإن الإدغام يسمى الإدغام الأكبر ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ (الكهف ٩٥) إلا أن الحركة الملغاة فيه حركة بناء ويشبه ذلك إدغام المثلين في «شدّ» و«ردّ» ونحوهما غير أن الإدغام هنا في الكلمة الواحدة وما سبق كان إدغاما في الكلمتين .

تنوع معاني مشتقات المادة الواحدة

للكلمة المشتقة جانبان أحدهما جانب الصيغة الصرفية والآخر جانب مادة الاشتقاق وهناك جانب ثالث هو جانب ما يعرض لها من صور الإسناد أو الإلصاق وكل جانب من هذه الجوانب قد يشهد تغيرا لمعنى الكلمة بحسب سياقها فأما من حيث الصيغة فحسبنا أن نلاحظ الفرق بين صيغتي «صابر» و«صبور» وقد تمثل هذا الفرق في جعل «صبور» من الأسماء الحسنى دون أن يكون منها «صابر» وذلك على الرغم من وحدة مادة الاشتقاق. أما وحدة الصيغة والمادة معا فقد سبق أن ذكرنا أن المعنى المفرد متعدد ومحتمل ولا يتعين للفظ إلا عند وضعه فى السياق وضربنا لذلك مثلا بما يخضع له الفعل «ضرب» من تنوع المعنى. وسنرى مزيدا من الأمثلة فى الفصل العاشر من هذا البحث. ويبقى بعد ذلك أن نعرض فيما يلى من الفصل التاسع الذى نتناوله الآن لصور مختلفة من تنوع معانى مشتقات المادة الواحدة مع ما يصيب الكلمة من اختلاف الإسناد أو الإلصاق.

معانى مشتقات مادة (أتى) فى القرآن الكريم

- ١ - القرب: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (النحل ١)
- ٢ - المداهمة: ﴿ فَآتَىٰ اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ (النحل ٢٦)
- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ (الأنعام ٤٠)
- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا ﴾ (يونس ٥٠)
- ﴿ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينَ ﴾ (المدثر ٤٧)
- ﴿ ثُمَّ لَا يَنبَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ (الأعراف ١٧)
- ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ (الصافات ٢٨)
- ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ الْإِبْغَةِ ﴾ (الأعراف ١٨٧)
- ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ (الأنعام ١٥٨)
- ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾ (يوسف ١٠٧)
- ﴿ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الكهف ٥٥)
- ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾ (الأنبياء ٤٠)

- ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (هود ١٠٥)
- ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ (إبراهيم ١٧)
- ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ (البقرة ٢١٠)
- ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ (هود ٨)
- ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (نوح ١)
- ﴿ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (هود ٧٦)
- ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قَبِيلَ لَهُمْ بِهَا ﴾ (النمل ٣٧)
- ٣ - العودة: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ (طه ٦٠)
- ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِّي بِهِ ﴾ (يوسف ٦٦)
- ﴿ وَهُوَ كُلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ (النحل ٧٦)
- ﴿ فَأَتُوا بِآبَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الدخان ٣٦)
- ٤ - الفعل: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ (طه ٦٩)
- ﴿ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ (آل عمران ١٨٨)
- ﴿ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (النساء ٢٥)
- ﴿ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ (الأنبياء ٣)
- ﴿ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ (العنكبوت ٢٩)
- ﴿ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء ٨٨)

- ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (البقرة ١٠٩)
- ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ (المائدة ٥٢)
- ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا ﴾ (النساء ١٦)
- ﴿ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفْلا تَسْمَعُونَ ﴾ (القصص ٧١)
- ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾ (مريم ٦١)

٥ - الحشر: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء ٨٩)

- ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل ٨٧)
- ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ (النبأ ١٨)
- ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ (النحل ١١١)
- ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ (طه ٧٤)
- ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ (النور ٤)
- ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (النور ١٣)
- ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (القلم ٤١)
- ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (فصلت ٤٠)
- ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (مريم ٩٣)
- ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ (مريم ٩٥)

٦ - المجىء: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ ﴾ (الذاريات ٥٢)

- ﴿ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (الأنعام ٣٤)

- ﴿ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ (القصص ٤٦)
- ﴿ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ (مريم ٢٧)
- ﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ (التوبة ٧٠)
- ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ (التوبة ٩٢)
- ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ (فصلت ١١)
- ﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (الحجر ٦٤)
- ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (المؤمنون ٧١)
- ﴿ وَتَلَّتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ﴾ (النساء ١٠٢)
- ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ (البقرة ١٨٩)
- ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ (الأعراف ١٢٩)
- ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا ﴾ (الأعراف ١٦٣)
- ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون ٦٨)
- ﴿ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ (لقمان ١٦)
- ﴿ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يُوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ ﴾ (الأحزاب ٢٠)
- ﴿ وَإِنْ يَكُن لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ (النور ٤٩)
- ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ (المائدة ٤١)
- ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (الأعراف ١١٢)

- ﴿ وَآذِن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ (الحج ٢٧)
- ﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ ﴾ (آل عمران ١٢٥)
- ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ (مريم ٣٨)
- ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (الصف ٦)
- ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ (البقرة ٢٤٨)
- ﴿ مَن إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ (الأنعام ٤٦)
- ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ ﴾ (هود ٣٣)
- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَبَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ (الملك ٣٠)
- ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ اتَّبِعْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشعراء ١٠)
- ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (البقرة ١٨٩)
- ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوْا صَفًّا ﴾ (طه ٦٤)
- ﴿ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل ٣١)
- ﴿ فَاتَّبِعَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ (طه ٤٧)
- ٧ - الانقضاء: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (الإنسان ١)
- ٨ - البلوغ والإبلاغ: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ (طه ٩)
- ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ (ص ٢١)
- ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (الذاريات ٢٤)
- ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ (البروج ١٧)

- ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ (الغاشية ١)
- ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾ (مريم ٤٣)
- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (البقرة ٢١٤)
- ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾ (إبراهيم ٩)
- ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ (التغابن ٥)
- ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ (يونس ٣٩)
- ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (الأنعام ٥)
- ﴿ فَلَمَّا آتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى ﴾ (طه ١١) أى فلما بلغها
- ﴿ فَلَمَّا آتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ (القصص ٣٠)
- ﴿ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾ (الأعراف ١٣٨)
- ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا ﴾ (الفرقان ٤٠)
- ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ (النمل ١٨)
- ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا ﴾ (الكهف ٧٧)
- ﴿ فإِذَا يَأْتِيَكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ ﴾ (البقرة ٣٨)
- ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (الأنعام ٥)
- ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ﴾ (غافر ٣٥)
- ﴿ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا ﴾ (طه ١٢٦)

- ﴿ أَوْلَم تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ (طه ١٣٣)
- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ (البقرة ١١٨)
- ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ (الأنعام ٤)
- ﴿ أَنْ تَبْعِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ ﴾ (الأنعام ٣٥)
- ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (إبراهيم ١١)
- ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ﴾ (طه ٥٨)
- ﴿ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (الطور ٣٨)
- ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ (الأعراف ٥٣)
- ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (الرعد ٣٨)
- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوْلَم تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ (طه ١٣٣)
- ﴿ أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (النمل ٢١)
- ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ (فصلت ٤٢)
- ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (الشعراء ٦)
- ﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (الأعراف ١٠٦)
- ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ ﴾ (القصص ٤٩)
- ﴿ اتَّبِعْنِي يَكْتَابَ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ (الأحقاف ٤)
- ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ (البقرة ٢١١)
- ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ (الحجر ٨١)

﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل ٥٥)

﴿ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ (الجماعية ١٧)

﴿ وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴾ (الدخان ٣٣)

﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ ﴾ (فاطر ٤٠)

﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ (سبا ٤٤)

٩ - الحساب: ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾

(الأنبياء ٤٧) أى احتسبناها

١٠ - التغشَّى: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴾ (الأعراف ٨١)

﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء ١٦٥)

﴿ أَأَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ﴾ (العنكبوت ٢٩)

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (البقرة ٢٢٣)

﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة ٢٢٢)

١١ - الإحضار: ﴿ إِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ (يوسف ٦٠)

﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ (الإسراء ٩٢)

﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (الدخان ١٠)

﴿ لَوْ مَا تَأْتَيْنَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (الحجر ٧)

﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (إبراهيم ١٩)

﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ (النمل ٣٨)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ﴾ (البقرة ٢٥٨)

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ (يوسف ٣٧)

﴿ فَاتَّبَعْنَا بِمَا تَعَدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (الأعراف ٧٠)

﴿ قُلْ فَاتَّبِعُوا بِالْتَّوْرَةِ فَمَا تُلَوِّهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (آل عمران ٩٣)

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ﴾ (يوسف ٥٠)

﴿ فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ (الكهف ١٩)

١٢ - الأَنْشَاءُ: ﴿ قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ (الإسراء ٨٨)

﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور ٣٤)

﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنِ ﴾ (الكهف ١٥)

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمِثْلِ إِلَّا جِنَّاتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ (الفرقان ٣٣)

١٣- التَّحْوِيلُ: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (يوسف ٩٣)

١٤- الحُلُولُ: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ (يوسف ٤٨)

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ﴾ (يوسف ٤٩)

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلالَ ﴾ (إبراهيم ٣١)

﴿ فَاقْمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَئِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ ﴾ (الروم ٤٣)

١٥- التَّحْصِيلُ: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (القصص ٤٨)

﴿ ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ (الزمر ٤٩)

- ﴿ أَفَرَعَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَمْ يُؤْتِ مِثْلًا وَوَلَدًا ﴾ (مريم ٧٧)
- ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾ (البقرة ٢٤٧)
- ١٦ - العطاء: ﴿ وَلَا تَعْضَلُوهُمْ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُمْ ﴾ (النساء ١٩)
- ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ﴾ (البقرة ١٧٧)
- ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾ (البقرة ١٧٧)
- ﴿ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ (القصص ٧٧)
- ﴿ وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (المائدة ٢٠)
- ﴿ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ (إبراهيم ٣٤)
- ﴿ وَآتَاهُمْ مِنَ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ (النور ٣٦)
- ﴿ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ﴾ (النمل ٣٦)
- ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لِنِ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ (التوبة ٧٥)
- ﴿ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾ (الطلاق ٧)
- ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (آل عمران ١٧٠)
- ﴿ يَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (النساء ٣٧)
- ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ ﴾ (التوبة ٧٦)
- ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (المؤمنون ٦٠)
- ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الأعراف ١٤٤)

﴿ ذَلِكْ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ ﴾ (الأحزاب ٥١)

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ (السجدة ١٣)

﴿ لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ (الحجر ٨٧)

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ (النساء ٥)

﴿ فِي يَمَامَى النَّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ (النساء ١٢٧)

﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ ﴾ (الأنفال ٧٠)

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (البقرة ٢٦٩)

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ ﴾ (الكهف ٤٠)

﴿ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾ (التوبة ٥٩)

﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (الأنعام ١٤١)

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٍ بَيْنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ (العنكبوت ٤٩)

﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (النمل ٢٣)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْ مَنَظِقِ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النمل ١٦)

﴿ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴾ (المدثر ٥٢)

١٧ - الاستجابة : ﴿ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا ﴾ (الأحزاب ١٤)

١٨ - الإدلاء : ﴿ ذَلِكْ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا ﴾ (المائدة ١٠٨)

مشتقات القدر في القرآن الكريم ومعانيها المتعددة.

يختلف المعنى بالنسبة لطائفة من المفردات تجمعها مادة اشتقاقية واحدة، وهذا هو الذي يتم تناوله من خلال النظرة في مادة «ق د ر» ومشتقاتها الواردة في آيات القرآن الكريم، مع الاستعانة في تحديد المعنى بعطاء السياق وحده دون نظر إلى ما جاء به المفسرون وإن كانت المقارنة بين نظرتهم إلى المعنى وهذه النظرة الحاضرة لا تحمل الكثير من الاختلاف. وإليك ما تحمله مشتقات هذه المادة من المعاني مع ذكر الشواهد على كل معنى منها:

١ - القضاء:

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (الأحزاب ٣٨)

﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (الواقعة ٦٠)

٢ - الحكم:

قال تعالى: ﴿ إِلَّا أَمْرًا تَقَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (الحجر ٦٠)

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَةً قَدَرْنَا مِمَّنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (النمل ٥٧)

٣ - المدى:

قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة ٥)

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج ٤)

﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ

لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات ٢١ - ٢٣)

٤ - الكَم:

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ وَأَرْسَلْنَا

الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ ﴾ (الحجر ٢١)

﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق ٣)

٥ - التمكن:

قال جل وعلا:

﴿ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ (البقرة ٢٦٤)، (إبراهيم ١٨).

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطْنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا

أَمْرُنَا ﴾ (يونس ٢٤).

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ (النحل ٧٥)

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ (النحل ٧٦)

٦ - التحديد:

قال جل شأنه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (المؤمنون ١٨)

﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ (فصلت ١٠)

﴿ وَلَكِن يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ﴾ (الشورى ٢٧)

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ (الزخرف ١١)

٧ - التدبير:

قال تعالى: ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدَرًا ﴾ (طه ٤٠)
﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ (المدثر ١٨ - ٢٠)

٨ - الضبط والإحكام:

قال سبحانه: ﴿ فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (الأنعام ٩٦)

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ﴾ (يونس ٥)
﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ (الرعد ٨)
﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ (الرعد ١٧)
﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان ٢)
﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ (سبأ ١١)
﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَيَوْمَآءَ آمِنِينَ ﴾ (سبأ ١٨)

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (يس ٣٨)

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (يس ٣٩)

﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ (القمر ١٢)

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر ٤٩)

﴿ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ (المزمل ٢٠)

﴿ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ (الإنسان ١٦)

﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾ (عبس ١٩)

﴿ وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى ﴾ (الأعلى ٣)

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر ١)

٩ - التوقير والتعظيم:

قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ

شَيْءٍ ﴾ (الأنعام ٩١)

﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج ٧٤)

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ

بِيَمِينِهِ ﴾ (الزمر ٦٧)

١٠ - الغلبة:

قال تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴾ (المائدة ٣٤)

﴿ كَذَبُوا بآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴾ (القمر ٤٢)

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر ٥٤ - ٥٥)

١١ - التصديق والابتلاء:

قال جل شأنه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ (الرعد ٢٦)

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ (الإسراء ٣٠)

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ (الأنبياء ٨٧)

﴿ وَيَكَانَ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴾ (القصص ٨٢)

- ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ (العنكبوت ٦٢)
- ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ (الروم ٣٧)
- ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ (سبأ ٣٦)
- ﴿ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ (الزمر ٥٢)
- ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ (الشورى ١٢)
- ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾ (الطلاق ٧)
- ﴿ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ (القلم ٢٥)

١٢ - الاستطاعة :

- قال تعالى : ﴿ وَتَمَعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ ﴾ (البقرة ٢٣٦)
- ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً ﴾ (الأنعام ٣٧)
- ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً ﴾ (الإسراء ٩٩)
- ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ (الكهف ٤٥)
- ﴿ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ ﴾ (المؤمنون ١٨)
- ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴾ (الزخرف ٤٢)
- ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهَا بَقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (الأحقاف ٣٣)
- ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ (الفتح ٢١)

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (المعارج ٤٠ - ٤١)

﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ (القيامة ٤)

﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة ٤٠)

ولا تتسع هذه العجالة لإيراد الآيات التي ورد فيها لفظ «قدير»، فهي كثيرة. ولكن معنى هذه الصفة يشير دائما إلى الذاتية والدوام والثبوت. فالله قدير قدرة لا تنفصل عن ذاته ولا تنقطع ولا مرء في نسبتها إليه سبحانه.

معانى مشتقات الإحسان فى القرآن الكريم

المعروف أن المفردات ما كان منها ذا معنى نحوى كالأدوات وحروف المعانى وما كان معجميا ذا أصول اشتقاقية وصيغ صرفية لا تكون حال الأفراد محددة المعنى وإنما تكون معانيها متعددة ومحمتملة حتى ترد فى سياق النص فتتضافر القرائن المختلفة على تحديد معنى واحد للمفردة الواحدة. ومن الألفاظ التى تتعدد معانيها حال أفرادها لفظ «الإحسان» فلا يتعين أحد هذه المعانى المتعددة والمحمتملة إلا عندما ترد كلمة «الإحسان» ومشتقاتها فى سياق النص. أضف إلى ذلك أنه حين تتعدد المعانى للفظ الواحد تحيط به هالة من الظلال والأطراف لا يدرى معها إلا مع إمعان النظر أى هذه المعانى حقيقى وأيها مجازى. ولعل أول ما يرد على الذاكرة من الآيات التى ورد بها هذا اللفظ فى القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ (النحل ٩٠)

فلو وضعنا المقررات فى أزواج متقابلة لوصلنا إلى ما يلى:

اللفظ	ما يقابله	ما تفيده المقابلة
العدل	الفحشاء	العدل = التطهر بالعدول عن المعصية
الإحسان	المنكر	الإحسان = المعروف أى سلوك يرضاه العرف.
إيتاء ذى القربى	البغى	الإيتاء = البر ندوى القربى

فيفهم من هذه المقابلة أن المقصود بالإحسان وهو ثانى الأوامر الثلاثة هو ما يتنافى مع المنكر وهو ثانى النواهي الثلاثة وذلك هو «المعروف» كما تشهد بذلك المقابلة

الواردة فى آية أخرى هى قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (آل عمران ١١٠). ومعنى هذا أنه لا يجوز لنا أن ننسب معنى ما إلى مفردة ما إلا فى ضوء بيئتها فى النص. دعنا إذاً نبحث من خلال دلالات النص على المعانى المختلفة للفظ «الإحسان»:

١ - الإحسان = الإيمان:

﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة ٨٣ - ٨٥) أى أنهم أحسنوا بإعلان إيمانهم فأتابهم الله تعالى.

﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّآ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصافات ٨٠ - ٨١)

٢ - الإحسان = العمل الصالح:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ (الكهف ٣٠)

﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (الإسراء ٧)

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران ١٧٢)

﴿ ثُمَّ اتَّقُوا وَآحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة ٩٣)

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس ٢٦)

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ (النحل ٣٠ والزمر ١٠)

﴿ وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴾ (النجم ٣١)

﴿ وَإِنْ تَحْسَبُوا أَنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ يَبْصُرُ مَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴾ (النساء ١٢٨)

- ﴿ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (الكهف ١٠٤)
- ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة ١٩٥)
- ﴿ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النمل ١١)
- ﴿ أَقَمَّنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ (فاطر ٨)
- ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ (الزمر ١٠)
- ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ (البقرة ١١٢)
- ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان ٢٢)
- ﴿ وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ (الصفات ٥٨)
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (النحل ١٢٨)
- ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة ٥٨)
- ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة ٨٥)
- ﴿ إِنْ رَحِمَتِ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف ٥٦)
- ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف ٥٦)
- ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الزمر ٣٤)
- ﴿ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الزمر ٥٨)
- ﴿ لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشِّرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأحقاف ١٢)
- ﴿ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ (الذاريات ١٦)

﴿ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿ (المرسلات ٤٤)

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب ٢٩)

٣ - الإحسان = العطاء:

﴿ وَأَحْسِنِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (القصص ٧٧)

﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ (يوسف ٢٣)

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ (يوسف ١٠٠)

﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة ٩١)

٤ - الإحسان = المعروف: وقد سبق أحد الشواهد على ذلك في البداية.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (الأنعام ١٥٢)

ودليل هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء ٦)

﴿ قُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (الإسراء ٥٣)

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة ١٣)

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة ٨٣)

﴿ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة ١٧٨)

﴿ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة ٢٣٦)

﴿ وَلَا تَجَادَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت ٤٦)

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (فصلت ٣٤)

﴿ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالْسَيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ (النمل ٤٦)

﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران ١٣٤)

﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعَذَّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ (الكهف ٨٦)

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ

رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل ١٢٥)

﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف ٣٦)

﴿ فَخُذْ أَعْدَانَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف ٧٨)

٥ - الإحسان = الطاعة :

﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرَّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الصافات ١٠٥)

﴿ وَإِنَّ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾ (النساء ٤٠)

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (الأنعام ١٦٠)

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْسَيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ (الرعد ٦)

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ (النمل ٨٩)

﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (التوبة ١٠٠)

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (البقرة ٨٣)

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ ﴾ (الأحقاف ١٥)

والدليل على أن الإحسان يعني الطاعة حيناً والمعروف حيناً آخر أن الله تعالى

عندما أوصى الإنسان بوالديه إحساناً قال: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ

جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ (العنكبوت ٨) وقال جل شأنه:

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفًا ﴾ (لقمان ١٥) فنفى الطاعة مع طلب الشرك واثبت المعروف الذي يجب لهما
حتى مع دعوتهما له إلى الشرك فكان الإحسان لهما ثابتا في الحالتين.

٦ - الإحسان = الصبر:

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف ٩٠)

﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (هود ١١٥)

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت ٦٩)

﴿ وَلِيَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ﴾ (الأنفال ١٧)

٧ - الإحسان = الصدق:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ (النساء ١٢٥)

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة ٥٠)

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ (الزمر ١٨)

٨ - الإحسان = الكمال:

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ (السجدة ٧)

٩ - الإحسان = الجمال:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِغَةً ﴾ (البقرة ١٣٨)

﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ (الأحزاب ٥٢)

﴿ وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ﴾ (غافر ٦٤ و والتغين ٣)

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴾ (الرحمن ٧٠)

﴿ مُتَكِينٍ عَلَى رِفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (الرحمن ٧٦)

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين ٤)

١٠ - الإحسان = القدسية:

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف ١٨٠)

﴿ أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الإسراء ١١٠)

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (طه ٨)

﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الحشر ٢٤)

١١ - الإحسان = المغفرة:

﴿ وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ - (النساء ٩٥)

﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (النحل ٦٢)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمُ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء ١٠١)

﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ ﴾ (فصلت ٥٠)

﴿ وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الحديد ١٠)

١٢ - الإحسان = الخير:

﴿ وَيَلْحَلُنَّ إِنَّا أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ (التوبة ١٠٧)

١٣ - الإحسان = كلمة التوحيد:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (الليل ٥ - ٧)

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ (الليل ٨ - ١٠)

١٤ - الإحسان = الخلاص :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (الأعراف ١٣٧)

١٥ - الإحسان = طيب الصحبة :

﴿ وَحَسَنُ أَوْلَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء ٦٩)

﴿ يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا ﴾ (هود ٣)

﴿ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف ٣١)

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (الفرقان ٧٦)

﴿ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (آل عمران ١٤)

﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ (آل عمران ١٤٨)

﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (آل عمران ١٩٥)

﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ (الرعد ٢٩)

﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ (ص ٢٥ ، ٤٠)

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ (ص ٤٩)

١٦ - الإحسان = الجودة :

﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ (آل عمران ٣٧)

﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ (آل عمران ١٤٨)

﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ (الكهف ٢)

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ﴾ (طه ٨٦)

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (القصص ٦١)

﴿ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ (الفتح ١٦)

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب ٢١)

﴿ لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (المتحنة ٤)

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (المتحنة ٦)

١٧ - الإحسان = الحل:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهُ قرَضًا حَسَنًا فيضَاعِفُهُ لَهُ ﴾ (البقرة ٢٤٥ والحديد ١١)

﴿ وَأقرضتُمُ اللَّهُ قرَضًا حَسَنًا ﴾ (المائدة ١٢)

﴿ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ (هود ٨٨)

﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ (النحل ٦٧)

﴿ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ (النحل ٧٥)

﴿ لِيَرِزُقَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ (الحج ٥٨)

﴿ وَأقرضوا اللَّهَ قرَضًا حَسَنًا ﴾ (الحديد ١٨ و المزمّل ٢٠)

﴿ إِنْ تُقرضُوا اللَّهَ قرَضًا حَسَنًا يضاعِفُهُ لَكُمْ ﴾ (التغابن ١٧)

﴿ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ (الطلاق ١١)

١٨ - الإحسان = الإنعام:

﴿ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ (النحل ١٢٢)

- ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ (الأعراف ١٣١)
- ﴿ وَأَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (الأعراف ١٥٦)
- ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ (البقرة ٢٠١)
- ﴿ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف ١٦٨)
- ﴿ إِنْ تَصَبَّكَ حَسَنَةً تَسُوهُمْ ﴾ (التوبة ٥٠)
- ﴿ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ (النحل ٤١)
- ﴿ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ (النحل ١٢٢)

١٩ - الإحسان = السعادة:

- ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس ٢٦)
- ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الرعد ١٨)
- ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الكهف ٨٨)
- ﴿ وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴾ (النجم ٣١)

٢٠ - الإحسان = التفضيل:

- ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِذْ أَحْدَى الْحُسَيْنِ ﴾ (التوبة ٥٢)
- ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء ٥٩)
- ﴿ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (النساء ٨٦)
- ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة ١٢١)
- ﴿ لِيَلْوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (هود ٧ و الملك ٢)

- ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (يوسف ٣)
- ﴿ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل ٩٦)
- ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (المؤمنون ١٤)
- ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ (الصافات ١٢٥)
- ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (الزمر ٥٥)
- ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ (الأحقاف ١٦)
- ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (الإسراء ٣٥)

فروق في معاني (المفردات) القرآنية

معروف أن المعاني أنواع منها المعنى الوظيفي وهو معنى الحرف والأداة والصيغة الصرفية ونحوها ومنها المعنى المعجمي وهو معنى الكلمة المفردة ذات الأصل الاشتقائي والصيغة ثم المعنى الدلالي وهو معنى الجملة في سياق الاستعمال وفي ظل القرائن المختلفة والموقف الذي قيلت فيه وعلاقة بيئتها النصية بالنصوص الأخرى. وعناصر اللغة متناهية عند الإحصاء فالحروف والأدوات محدودة العدد ومفردات المعجم مهما بلغت مئات الآلاف هي محدودة العدد أيضا أما المعاني فلا حصر لها ومن ثم كان لابد من نسبة كل عنصر من عناصر اللغة إلى عدد من المعاني وهكذا نشأ ما يعرف بتعدد المعنى الوظيفي وتعدد المعنى المعجمي وتعدد معنى نمط الجملة الذي يتمثل في عبارة: (فعل + فاعل) و(متبداً + خبر) وهلم جرا* ولقد كانت قلة الألفاظ وكثرة المعاني سببا من أسباب إنكار الترادف لأن الترادف عكس تعدد المعنى للفظ الواحد. ولقد رأى بعض علماء اللغة أن الترادف يحمل في طيه إسرافا وعبثا لأنه يجمع عدداً من الألفاظ على واحد من المعاني أى يسرف بانفاق مال الفقير (عناصر اللغة) في الترفية عن الغنى (المعاني اللامتناهية). من هنا نشأت كتب الفروق لإقامة الدليل على أن كلا من المترادفين المزعومين يشتمل على ظل من المعنى لايشتمل عليه رقيقة*.

ولقد خطر لى أن أتبع هذه الظاهرة بتأمل ما يعدّ من صور الترادف في ألفاظ القرآن الكريم سواء في مجال المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي فوصلت من ذلك إلى

* انظر الفصل الثاني ص ٢٩-٦٦ والفصل الحادى عشر ص ٣٢٩-٣٦٨ من هذا الكتاب.

* انظر الفروق في اللغة لأبى هلال العسكري ص ١٣.

موقف شبيه بموقف منكرى الترادف والقائلين بأن لكل لفظ ظلة الخاص من المعنى. دعنا نبدأ أولاً بما زعمه النحاة من تعدد الأدوات على المعنى الوظيفى الواحد كقولهم بتعدد الأدوات لإفادة النفى دون التفتن لخصوصية الاستعمال وقولهم بتعدد الأدوات لإفادة الشرط دون التفريق بين الظلال المختلفة للشرط مع الاستشهاد فى كل حالة بآيات القرآن الكريم لبيان اختصاص كل لفظ بظله من المعنى.

١ - ما ولا فى النفى:

يبدو اختلاف «ما» و «لا» فى النفى عند العطف سواء عطف المفردات وعطف الجمل فإذا عطف مفرد منفى على مفرد منفى كانت «لا» هى الأداة دون «ما» كما فى قوله تعالى: ﴿ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (البقرة ١٠٥) فلا يجوز ل «ما» أن تعاقب «لا» فى هذا الموضع. أما فى عطف جملة منضية على جملة منضية أخرى فإذا كان نفى الثانية مستقلاً عن نفى الأولى دخلت «ما» عليهما معاً نحو ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ ﴾ (النساء ١٥٧)

ذلك أن دعوى القتل لا تتضمن دعوى الصلب فكل منهما تم بمعزل عن الأخرى مستقلاً عنها ومن هنا نفى كل من الدعويين نفيًا مستقلاً بواسطة «ما» ولو ترتب الصلب فى الدعوى على القتل ل قيل: ولاصلبوه. وهذا ما نجد نموذجاً فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأَكُمْ بِهِ ﴾ (يونس ١٦) إذ إن الدراية مترتبة على التلاوة فكان ارتباط الحدثين أحدهما بالآخر سبباً فى مجيء «لا» بدلاً من «ما». وهناك سبب آخر لذلك وهو أنه لو جاءت «ما» فى مكان «لا» لنشأ التباس النفى بالتعجب. ثم إن هناك فرقاً آخر بين «ما» و«لا» فى النفى من حيث تختص «لا» بنفى الجنس فى صورة الاسم النكرة ولا تتمتع «ما» بهذا الإختصاص وإنما تدخل على المعرفة ويحتاج دخولها على النكرة إلى مسوغ. يفهم من هذا أن دعوى الترادف بين الأداة غير مستقيمة وإن جمع بينهما معنى النفى.

٢ - أدوات الشرط:

الأصل في الشرط أن يكون بواسطة «إن» ولكن مبدأ النقل في العربية أضاف إلى هذه الأداة اثنتين أصلهما الموصولية هما «من» و«ما» ولقد ظلت «من» بعد نقلها إلى الشرط دالة على العاقل وأما «ما» فقد أفادت بعد النقل معنى عموم الشرط وتنوع استعمالها بين البساطة والتركيب مع الظروف لتضيف عموم الشرط إلى الظرف الذي تركب معها على النحو التالي:

الظرف مفردا	الظرف مركبا مع ما	المعنى
إذ	إذ ما	مهما كان الزمان
حيث	حيثما	مهما كان المكان
أين	أينما	مهما كانت الجهة
متى	متى ما	مهما كانت اللحظة

وكذلك تكررت فتحوّلت بالتكرار إلى «مهما» لتفيد توكيد العموم ودخلت على أى فأصبحت مع التركيب «أيمًا» لتفيد المبالغة فى تعميم الشرط. وهكذا نرصد الفروق فى المعنى بين هذه الأدوات تحت مظلة الشرطية التى أفادتها «ما» بعد تركيبها مع الظروف. ولنا بعد ذلك أن نتقدم بشواهد من القرآن الكريم نستعين بها على رصد الفروق اللغوية بين أدوات الشرط.

إن:

تفيد توقف الجواب على الشرط نحو: ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾ (آل عمران ٢٠) ومعادلة الجواب للشرط نحو: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ (آل عمران ١٤٠) أى أنكم هزتم فى أحد كما هزم القوم فى بدر فلا داعى للأسى على ما كان ولا للضعف عن المواجهة.

وتفيد الإباحة نحو: ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (البقرة ٢٧١) أى لا بأس بالإبداء ولا بالإخفاء أى لكم أن تبدوها وأن تخفوها.

وتفيد التسوية نحو: ﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبَدُّوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران ٢٩) أى سواء أخفيتم أم أبديتم ما فى صدوركم فإن الله يعلمه .
وتفيد معانى أخرى كثيرة تستفاد من سياق النص ولا تنسب إلى «إن» حال أفرادها .

ما :

تفيد العموم فإذا تكررت وجاءت على صورة «مهما» أفادت تأكيد العموم ومن شواهد ما حال أفرادها ما يلي :

﴿ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (البقرة ١١٠) أى كل خير تقدمونه تنالون جزاء ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ (البقرة ٢٧٠) أى أن الله يعلم كل نفقة تنفقونها وكل نذر ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ فَيَاذَنْ اللَّهُ ﴾ (آل عمران ١٦٦) أى كل أذى أصابكم فهو بقضاء الله .
﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (النساء ٧٩) أى كل حسنة أحبابتك فهي من الله .

ومن شواهد ما مركبة ما يلي :

﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف ١٣٢)

أى إن أتينا بكل آية

حيثما :

«حيث» ظرف للمكان و «ما» لعقيم المكان وإضافة معنى الشرط إلى الظرف

ومن شواهد ذلك :

﴿ وَحَيْثَمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (البقرة ١٤٤)

أينما : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ (البقرة ١١٥) أى إلى أى جهة توجهتم

فاتجاهكم إلى الله .

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ (البقرة ١٤٨) أى يأتى الله بكم مهما

كانت الجهة التى أنتم بها .

﴿ أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ﴾ (النساء ٧٨) أى فى أى جهة كنتم فلن يفلتكم

الموت.

أيما:

﴿ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ﴾ (القصص ٢٨) أى سواء قضيت هذا الأجل أو ذاك فلا عدوان على ﴿ أَيُّ مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (الإسراء ١١٠) أى لله الأسماء الحسنى سواء دعوتوه بهذا الاسم أم بذاك والأمر كذلك فى بقية أدوات الشرط المركبة من الظرف و«ما» مما يمثل فرقا فى المعنى بين كل أداة منها وبين رفيقتها المشاركة لها فى معنى الشرط. وهكذا ينتفى ظن الإسراف عن نظام اللغة ويتأكد معنى الاقتصاد التى يتمثل فى الانتفاع بالقليل فى عمل الكثير أى فى الانتفاع بالعناصر اللغوية المحدودة العدد فى التصدي لأداء المعانى التى لا حصر لها من خلال نسبة عدد من المعانى للفظ وليس العكس المتمثل فى ترادف الألفاظ على المعنى الواحد.

مفردات المعجم:

أقصد بمفردات المعجم الكلمات ذات الاشتقاق وما أشبهها من المبتنيات. ومن عمل المعاجم أن تنسب إلى كل مفردة من هذه الكلمات أكثر من معنى وتظل معانى كل كلمة منها موضع احتمال حتى توضع فى سياق نص فإذا وضعت فى سياق النص تحدد لها واحد من المعانى بفضل ما يحيط به من القرائن. إن ضرورة السياق لتحديد المعنى هذه التى فرضت على المعاجم الاستشهاد لكل معنى حتى أصبح خلو المعجم من الاستشهاد إخلالا بمطالب المنهج وبخاصة أن المعجميين فى أساس عملهم استخراجوا المعانى المتعددة للكلمة من نصوص متعددة استعملت الكلمة فى كل نص منها بأحد هذه المعانى. ومن أراد أن يصل إلى الفروق اللغوية بين ما زعموه ترادفا تاما للمفردات فعليه أن يبدأ من حيث بدأوا أى باستقراء النصوص لرصد الفروق أو لتحديد المعانى الدقيقة حيث تنتفى الدقة فى الاستخراج لسبب ما. دعنا إذاً نلق نظرة

إلا = لكن (طه ٣) إلا = من دون ﴿ وإذ اعترز لتمومهم ﴾ (الكهف ١٦)

على هذه الظاهرة فيما يتصل ببعض مفردات القرآن الكريم وليكن الاختيار فى هذا الموضوع لاسمين من أسماء الله الحسنى هما الرحمن والرحيم لنرى ما بينهما من فرق فى المعنى أخذنا من سياق النص القرآنى .

١ - الرحمن الرحيم :

أول ما يتبادر إليك عند النظر إلى هذين اللفظين اشتراكهما فى أصل الاشتقاق والتعبير عن اتصافه تعالى بالرحمة ولا اعتراض لنا على هذا الانطباع المباشر والسريع لأنه إدراك لحقيقة فى اللغة والعقيدة قال أبو الحسن بن الواحدى * «ولا فرق بينهما نحو ندمان ونديم». ولكنك إذا تجاوزت ذلك إلى استقراء النص القرآنى فى السور المختلفة ظفرت باختصاص كل من اللفظين باستعمالات خاصة تحدد لكل منهما تواردا مع بعض الألفاظ التى لا يتوارد معها اللفظ الآخر وذلك على النحو التالى :

١ - الرحمن يخشى منه ومن عذابه وليس الرحيم كذلك : ﴿ إِنَّمَا تَنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ (يس ١١).

٢ - والرحمن خالق الكون ولا يرد الخلق مع الرحيم : ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ (الملك ٣).

٣ - والإنسان يعوذ بالرحمن ولا يقول أعوذ بالرحيم : ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ (مريم ١٨).

٤ - والنذر اينما يكون للرحمن : ﴿ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ (مريم ٢٦).

٥ - والشيطان يعصى الرحمن الذى تجب طاعته ويخشى عذابه : ﴿ يَا أَبَتِ لَا

* أسباب نزول القرآن، ص ١٨ تحقيق المرحوم الأستاذ السيد أحمد صقر.

تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ
مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿ (مريم ٤٤ - ٤٥).

وكذلك: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ (مريم ٦٩).

٦ - والرحمن يسجد له ولم يقل مثل ذلك في الرحيم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا
لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (الفرقان ٦٠).

٧ - وينسب العباد إلى الرحمن ولم ينسبوا إلى الرحيم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ
يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان ٦٣).

وكذلك: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم ٩٣).

وأیضا: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ (الزخرف ١٩).

٨ - والرحمن يملئ لعبادة ويمد لهم في الضلالة إن ضلوا: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي
الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ (مريم ٧٥)،

٩ - والعهد يتخذ عند الرحمن: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ
عَهْدًا﴾ (مريم ٨٧).

وكذلك: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم ٧٨).

١٠ - والحشر يوم القيامة إنما يكون إلى الرحمن: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى
الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم ٨٥).

١١ - والرحمن يستوى على العرش: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه ٥).

١٢ - والربوبية للرحمن ولم تنسب إلى الرحيم: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي
وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (طه ٩٠).

١٣ - وتخضع الأصوات يوم القيامة للرحمن: ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ (طه ١٠٨).

١٤ - ولا شفاعة إلا بإذن الرحمن: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (طه ١٠٩).

وكذلك: ﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (النبا ٣٨).

١٥ - ولا حماية لأحد من الرحمن: ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ (الأنبياء ٤٢).

١٦ - والرحمن يعذب من يشاء: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴾ (مريم ٤٥).

١٧ - والرحمن هو المستعان: ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء ١١٢).

١٨ - والرحمن له الملك: ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ (الفرقان ٢٦).

١٩ - والرحمن يريد للعصاة الضر أحياناً: ﴿ إِنْ يُرِدَْنَّ الرَّحْمَنُ بَضْرًا لَا تَغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾ (يس ٢٣).

٢٠ - والرحمن صاحب المشيئة: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ (الزخرف ٢٠).

يؤخذ مما تقدم أن الرحمن هو المتصف برحمة الهيمنة التي يكون لها كل ما ينسب إليها في الآيات السابقة. ولقد علمنا من السيرة النبوية ومن الاستعمال اللغوي عند العرب أن مسيلمة الكذاب الذي كان يسيطر على أقليم اليمامة من أقاليم نجد كل يلقب نفسه يلقب «رحمن اليمامة» أى المهمين على هذا الأقليم.

أما الرحيم فرحمته تقترب بالتوبة والرافة والمغفرة والود والبر على النحو التالي:

١ - التوبة: قال تعالى:

- * ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة ٣٧).
- * ﴿ وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة ١٢٨).
- * ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (التوبة ١١٨)
- * ﴿ فَأَوْلِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة ١٦٠)

٢ - الرأفة: قال تعالى:

- * ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة ١٤٣)
- * ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة ١١٧)
- * ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل ٧)

- * ﴿ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحديد ٩)
- * ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر ١٠)

٣ - المغفرة: قال تعالى:

- * ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة ١٧٣)
- * ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران ٨٩)
- * ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة ٣)
- * ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنعام ١٤٥)
- * ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأعراف ١٦٧)

* ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة ٩١)

٤ - الود: قال تعالى:

* ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (هود ٩٠)

٥ - البر: قال تعالى:

* ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (الطور ٢٨)

ويأتى لفظ «الرحيم» فى صحبة لفظ «العزیز» إما فى سياق الوعد بالنصر كما فى قوله تعالى:

* ﴿ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الروم ٥) وكذلك ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ

(٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الدخان ٤١ - ٤٢) أو فى طلب التوكل

نحو: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (الشعراء ٢١٧) أو الكلام عن تنزيل الكتاب

نحو ﴿ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (يس ٥)

أما فى سورة الشعراء فقد وردت عدّة مرات (٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١) فى معرض الحكم على نتائج رسالات الأنبياء عليهم السلام وذلك على صورة موحدة هى: «إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم». فالعزة هنا متعلقة بوجود «الآية» الدالة على قدرة الله. ومعنى كل ذلك أن هناك قرقا فى المعنى بين لفظى «الرحمن» و «الرحيم» على الرغم من اشتراكهما فى الاشتقاق والوصف بالرحمة.

٢ - الآخرة والأولى:

إذا كان المقصود بلفظ «الآخرة» فى القرآن الكريم ما بعد البعث فإن تواردها فى السياق القرآنى إما أن يجعلها فى صحبة لفظ «الدنيا» ليجعلها معطوفة على الآخرة أو مقابلة لها كما فى قوله تعالى:

* ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ (البقرة ٨٦)

* ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَزِيٌّ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة ١١٤).

* ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البقرة ٢٠١).

* ﴿ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ (البقرة ٢١٧).

* ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ (آل عمران ٤٥).

* ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ

مِنْهَا ﴾ (آل عمران ١٤٥).

وإما أن يجعلها مضافا إليه بعد لفظ «الدار» أو صفة للدار كما في قوله تعالى:

* ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا

المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة ٩٤).

* ﴿ وَلِلدَّارِ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام ٣٢).

* ﴿ وَلِلدَّارِ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف ١٠٩).

* ﴿ وَلِلدَّارِ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (النحل ٣٠).

وإما أن يذكرها في تركيب إضافي مع «الأجر» أو «العذاب» أو نحو ذلك كما في

قوله تعالى:

* ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ (آل عمران ١٤٥).

* ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ (الأعراف ١٤٧).

* ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ﴾ (هود ١٠٣).

* ﴿ وَلَآجِرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (يوسف ٥٧).

* ﴿ وَلِعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ (طه ١٢٧).

* ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ (الزمر ٢٦).

أو يأتي بلفظ الآخرة غير مرتبط بتوارد معين مما سبق كما في قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة ٤).

﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ (البقرة ١٠٢).

﴿ أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة ٧٧).

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران ٨٥).

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ ﴾ (آل عمران ١٧٦)

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة ٥)

أما إذا ربطت علاقة العطف بين لفظي الآخرة والأولى على معنى مطلق الجمع فإن المعنى يتغير من الدلالة على ما بعد البعث إلى ترتيب الذكر. فالآخرة ما ذكر آخرًا والأولى ما ذكر أولًا وذلك كما يلي:

قال تعالى:

* ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ

عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ

فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ

وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ

وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ

أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الإسراء ٤ - ٧).

فالإفساد كان في مرتين الأولى عوقبت بغزو من ذوى البأس الشديد والآخرة بدخول الغزاة المسجد.

* ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴾ (١٠٣) وَقُلْنَا
مِنْ بَعْدِهِ لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ
لَفِيفًا ﴿ (الإسراء ١٠٣ - ١٠٤).

الأرض الأولى هي مصر والأرض الآخرة هي فلسطين والله تعالى يقول فإذا جاء
موعد دخولكم إلى فلسطين جئنا بكم لفيفا أى من مختلف الأصقاع وبمختلف
الأوضاع وهذا ما يحدث الآن.

* ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ
يُيْعَثُونَ ﴾ (٦٥) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿
(النمل ٦٥ - ٦٦) فالقضية الأولى هي أن الله وحده يعلم الغيب والقضية الآخرة
أنهم لا يشعرون أيان يبعثون بل إن علمهم بالآخرة وهي موعد البعث قد تكرر
التعبير عنه بالتساؤل والتهمك بل هم فى شك منها بل هم عمون عنها.

* ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴾ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ (القصص ٦٨ - ٧٠) الأولى
أنه يخلق ما يشاء والآخرة أنه يعلم ما تكن الصدور فالخلق والعلم داعيان من دواعى
حمده تعالى.

* ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ
(١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿ (١١) أَفْتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿ (١٣)
عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿ (١٦) مَا زَاغَ
الْبَصْرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿ (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿ (١٩)
وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿ (٢٢) إِنْ هِيَ

إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣) أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿ (النجم ٨ - ٢٥) .

هما تزلتان للوحى كل منهما يثير العجب وكما تقول «لله درك» يقول تعالى:
﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ .

* ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٥) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢٦) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٧) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٨) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٩) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ (النازعات ٢٠ - ٢٥)
الأولى أنه كذب وعصى والآخرة ادعاء الربوبية .

* ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴾ (الليل ٥ - ١٣) الأولى
هى اليسرى والآخرة هى العسرى والله سبحانه ييسر أو يعسر .

* ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ (الضحى ١ - ٤) .

نزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم فى المرة الأولى ثم انقطع عنه فترة حتى ضافت نفسه ثم عاد إليه الوحي فى المرة الآخرة لا بمجرد الأمر بالقراءة وإنما بتكليفه تبليغ الرسالة بما فيها من عقيدة وشريعة فكانت النزلة الآخرة خيراً من النزلة الأولى .

٣ - الحق :

الحق اسم بمعنى الصدق وبمعنى النصيب المفروض وبمعنى الداعى وبمعنى الواجب وبمعنى الثابت وبمعنى العدل ومصدر حق يحق حقاً وإليك الشواهد القرآنية التالية :

الصدق أو الصادق :

- * ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ (البقرة ٤٢).
- * ﴿ فَرُوعَ الْحَقِّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف ١١٨).
- * ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (الأنفال ٤).
- * ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (الإسراء ١٠٥).
- * ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ ﴾ (الأنبياء ٩٧).
- * ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ (إبراهيم ٢٢).
- * ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ (البقرة ١٧٦).
- * ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءَ ﴾ (النبأ ٣٩).
- * ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ ﴾ (يونس ٣٢).
- * ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ (يوسف ١٠٠).

النصيب المفروض :

- * ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ (الإسراء ٢٦).
- * ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات ١٩).
- * ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (الأنعام ١٤١).

الداعى :

- * ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (البقرة ٦١).
- * ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (الأنعام ١٥١).

* ﴿ فَلَمَّا أَجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (يونس ٢٣).

* ﴿ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (الأعراف ٣٣).

* ﴿ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ (الحج ٤٠).

الواجب: المستحق:

* ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ (البقرة ١٢١).

* ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ (البقرة ٢٨٢).

* ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ (آل عمران ١٠٢).

* ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (الأنعام ٩١).

* ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (الحج ٧٨).

* ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ (الحديد ٢٧).

الثابت أو الحقيقي:

* ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ (الأنعام ٦٢).

* ﴿ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ (الحجر ٥٥).

* ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ (طه ١١٤).

* ﴿ الْمَلِكُ يُؤَمِّنُ الْحَقَّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ (الفرقان ٢٦).

العدل:

* ﴿ وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقِّ ﴾ (الأعراف ٨).

* ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ (الأعراف ٨٩).

* ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (سبأ ٢٦).

* ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ (ص ٢٢).

مصدر حق يحق:

* ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (يونس ٥) أى بما يحق له من القدرة على

الخلق.

* ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ (إبراهيم ١٩).

* ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الروم ٨).

* ﴿مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ (الحجر ٨) أى حين تمحق

كلمة العذاب على الكافرين.

* ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (الحجر ٦٤) أى بكلمة العذاب التى حقت

عليهم.

* ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الحجر ٨٥).

* ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل ٣).

وهكذا تتبين الفروق بين معانى كلمة «الحق» فى القرآن الكريم مع اتحاد لفظها.

٤ - اليمين والأيمن:

إذا وجهت وجهك نحو الشرق كان يمينك على جانبك الجنوبي وشمالك على جانبك الشمالى وقد تُسمَى يمينك يُمْنَى وَيُسَمَى جانبك «أيمن» وقد يقصد باليمين القسم وبالأيمن صفة مشبهة من اليُمْن أو صيغة تفضيل على الميمون أى المبارك. وتجمع اليمين على أيمن والشمال على شمائل. وقد استعمل النص القرآنى اللفظين بهذه المعانى المختلفة على النحو التالى:

اليمين = جانب اليد اليمنى :

* ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ (النحل ٤٨).

* ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ (الكهف ١٨).

* ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ (سبأ ١٥).

* ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ (ق ١٧).

* ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مَهْطِعِينَ ﴾ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿

(المعارج ٣٦ - ٣٧). ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ (الحديد ١٢).

اليمين = الثواب والقبول :

* ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة ٢٧).

* ﴿ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴾ (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿ (الواقعة ٣٧ - ٣٨).

* ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿

(الواقعة ٩٠ - ٩١). ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿ (المدثر ٣٨ - ٤١).

اليمين = القدرة :

* ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (النساء ٣).

- * ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء ٢٤).
- * ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (النساء ٢٥).
- * ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَسِيهِمْ﴾ (النساء ٣٣).
- * ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النساء ٣٦).
- * ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ (النحل ٧١).
- * ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ (المؤمنون ٥ - ٦) و(المعارج ٣٠).
- * ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ (النور ٣٣).
- * ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْفُغُوا الْحِلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ (النور ٥٨).
- * ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ (الروم ٢٨).
- * ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ (الأحزاب ٥٠).

* ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ (الأحزاب ٥٥).

* ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ (الزمر ٦٧).

اليمين = القسم:

* ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (البقرة ٢٢٤). ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (البقرة ٢٢٥).

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ (آل عمران ٧٧).

* ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾ (المائدة ٥٣).

* ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْاَيْمَانَ ﴾ (المائدة ٨٩).

* ﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ ائِمَانٌ بَعْدَ ائِمَانِهِمْ ﴾ (المائدة ١٠٨).

* ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ ائِمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ (الأنعام ١٠٩).

* ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ ائِمْنَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ (النحل ٣٨).

* ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ (النحل ٩٢).

* ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ (النحل ٩٤).

* ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ (النور ٥٣).

* ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَىٰ الْأُمَمِ ﴾ (فاطر ٤٢).

* ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (المجادلة ١٦).

* ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون ٢). ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾ (التحریم ٢).

الایمان = العهود:

* ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ ﴾ (التوبة ١٢).

* ﴿ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (التوبة ١٣).

* ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ (النحل ٩١).

* ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَقَّةِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ (القلم ٣٩).

الأيمن = الأكثر يمنا:

* ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ (مريم ٥٢).

* ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْجْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾ (طه ٨٠). ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ (القصص ٣٠).

اليمين = كناية عن الإغواء:

* ﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ (الصفات ٢٨).

فى هذه الآية إشارة إلى أن الجانب الأضعف من المتسائلين المتلاومين كان يتهم الجانب الأقوى بالأغواء كما أن إبليس يأتى أو لياؤه عن إيمانهم وعن شمائلهم كما ورد فى آية الأعراف التالية:

* ﴿ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (الأعراف ١٧) فالإيمان عن اليمين أصبح كناية عن الأغواء.

الميمنة = اليمين:

* ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ (الواقعة ٨).

* ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ (البلد ١٨).

مرة أخرى يتبين لنا أن المعنى المعجمى للكلمة المقردة لتعدد واحتماله عند الأفراد لا يكشف عن المقصود وإنما يكون الكشف عن المقصود (أى المعنى الدلالى) وظيفية النص لما يحيط بالنص من القرائن المختلفة مقاليا واجتماعيا وعقليا إلخ وما يتضافر مع ذلك من القرائن الواقعية التى يتضمنها سياق الموقف.

٥ - مشتقات (ج ه ل) :

عدم المعرفة :

* ﴿ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ (البقرة ٢٧٣).

* ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ (النساء ١٧).

* ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنعام ٥٤).

* ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل ١١٩).

* ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾ (الحجرات ٦).

التعالى والمكابرة والعدوان :

* ﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (البقرة ٦٧).

* ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (آل عمران ١٥٤). ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة ٥٠).

* ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأنعام ٣٥).

* ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (الأنعام ١١١).

* ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف ١٣٨).

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف ١٩٩).

* ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (هود ٢٩).

* ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (هود ٤٦).

* ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (يوسف ٣٣).

* ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ (يوسف ٨٩).

* ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان ٦٣).

* ﴿ أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾

(النمل ٥٥). ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ

عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ (القصص ٥٥).

* ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ (الزمر ٦٤).

* ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (الأحزاب ٣٣).

* ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب ٧٢).

* ﴿ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (الأحقاف ٢٣).

* ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ الْأُولَى ﴾

(الفتح ٢٦).

٦ - الكتاب :

يرد لفظ الكتاب فى القرآن الكريم بمعان مختلفة منها مصدر كتب يكتب ومصدر كاتب يكاتب وللدلالة على جملة الكتب المقدسة أو على كتاب معين منها أو على اللوح المحفوظ أو سجل أعمال العباد ومقاديرهم . وفيما يلى بيان ذلك :

الكتاب = مصدر كتب يكتب (على معنى الخط أو الفرض) :

* ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ (البقرة ٧٨) (أى الكتابة).

* ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ (النبا ٢٩) (أى بواسطة الكتابة).

* ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (النساء ٢٤)

(أى فرض).

* ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (النساء ١٠٣) (أى فرض).

* ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ﴾ (العنكبوت ٤٨) (أى

مخطوط).

الكتاب = مصدر كاتب بكاتب: (مثل: لباس = مصدر لابس يلبس)

* ﴿ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ

خَيْرًا ﴾ (النور ٣٣).

الكتاب = سجل أعمال العبد:

* ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فُتْرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ (الكهف ٤٩).

* ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ ﴾ (المطففين ٧).

* ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ ﴾ (المطففين ١٨).

الكتاب = القدر: السجل: الموعد المحدد:

* ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ (آل عمران ١٤٥).
* ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (الأنعام ٥٩).

* ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمُ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (الأنفال ٦٨).
* ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (يونس ٦١).

* ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (الرعد ٣٨).
* ﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ (طه ٥٢).
* ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (المؤمنون ٦٢).
* ﴿ وَمَا مِنْ غَائِثَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (النمل ٧٥).
* ﴿ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ﴾ (الروم ٥٦).
* ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ (ق ٤).

الكتاب = جملة الكتب المقدسة:

* ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (البقرة ١٤٤).
* ﴿ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (البقرة ٢١٣).
* ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (آل عمران ٧٨).

* ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران ٧٩).

* ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ (آل عمران ٨١).

* ﴿ هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ (آل عمران ١١٩) . ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (الأنعام ١١٤).

* ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (الحج ٨)، (لقمان ٢٠) . ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (فاطر ٢٥).

* ﴿ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ (الشورى ١٥).

* ﴿ مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ (الشورى ٥٢).

* ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة ٤٨) الكتاب الأول القرآن والثاني التوراة والأنجيل.

الكتاب = أحد الكتب المقدسة:

* ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة ٢).

* ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة ٥٣).

* ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ (البقرة ١٠١).

* ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (آل عمران ٣).

- * ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ (النساء ١٠٥).
- * ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَّارِكٌ مُصَدِّقٌ لَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (الأنعام ٩٢).
- * ﴿ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ (هود ١٧).
- * ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الإسراء ٢).
- * ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ (الكهف ٢٧).
- * ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ (مريم ١٦).
- * ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ (مريم ٣٠).

٧ - مستقر ومستودع:

قرّ بالمكان سكن به واطمأن إليه والمستقر هو ذلك المكان الذي اطمأن إليه القارّ، وأودع الشيء جعله وديعة على نية الاسترداد والله سبحانه وتعالى ذكر المشتقات من أصول هذين اللفظين في كتابه الكريم فقال جل شأنه:

- * ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ (طه ٤٠).
- * ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ (الحج ٥).
- * ﴿ وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ (الأعراف ١٤٣).
- * ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ (إبراهيم ٢٦).
- * ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ (المؤمنون ١٣).
- * ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ (غافر ٦٤).
- * ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (البقرة ٣٦).

* ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (يس ٣٨).

* ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ (الفرقان ٢٤).

* ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾

(هود ٦). ويقول الله سبحانه في سورة الأنعام:

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ (الأنعام ٩٨).

واختلف المفسرون في فهم المستقر والمستودع فأصابوا حيناً ولم يصيبوا حيناً آخر. والذي يبدو لدى استقراء النصوص السابقة أن المستقر هو الرحم بدليل الشاهد رقم ٢، ٥ إذ يجرى التصريح في الآيتين بأن الإقرار يكون في الأرحام وأن الاستقرار يكون للمنطقة وهي لا تكون إلا في الرحم. أما المستودع فهو القبر الذي منه تسترد الوديعة يوم القيامة وليس هو الظهر الذي يُسلم ما يشتمل عليه إلى المستقر لأن المستقر لم يسلم المنطقة إلى الظهر وإنما جعلها الله فيه وأقرها في الرحم ثم أودعها القبر ليستردها يوم القيامة للحساب والجزاء. وهكذا يكون معنى الآية والله أعلم: والله الذي أنشأكم من نفس واحدة هي نفس آدم وأعقب ذلك بإنشاء كل منكم في رحم أمه ليتهى بعد ذلك إلى أن يشتمل عليه القبر عند الموت.

٨ - مشتقات (ف ت ح) :

ويشمل ذلك الفعل بأقسامه الثلاثة والمصدر:

فتح = ضد أوصد :

* ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام ٤٤).

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾

(الأعراف ٤٠). ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ﴾ (يوسف ٦٥).

* ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ﴿ (الحجر ١٤ - ١٥).

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ (الأنبياء ٩٦).

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسَلُونَ ﴾ (المؤمنون ٧٧). ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (الزمر ٧١، ٧٣).

* ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ (القمر ١١).

* ﴿ وَفَتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ (النبا ١٩).

فتح = أعطى:

* ﴿ وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة ٧٦). ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف ٩٦).

* ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (فاطر ٢).

فتح = قضى:

* ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (الأعراف ٨٩).

* ﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء ١١٨).

* ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (السجدة ٢٨).

* ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (٢٩) فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظَرُوا إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿ (السجدة ٢٩).

فتح = نصر:

* ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

نَادِمِينَ ﴾ (المائدة ٥٢).

* ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا

نَعْدُ ﴾ (الأنفال ١٩).

* ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (الفتح ١).

* ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح ١٨).

* ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح ٢٧).

* ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ

أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾ (الحديد ١٠).

* ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ (الصف ١٣).

* ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ (النصر ١ - ٣).

٩ - مشتقات (وزن):

الميزان فى القرآن الكريم إما أداة الوزن وإما المعيار فى صورته العامة التى تشمل

حدود الشرع وتقويم الأعمال يوم القيامة، وذلك على النحو التالى:

الميزان = أداة الوزن:

* ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (المطففين ٣).

* ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ (الإسراء ٣٥).

- * ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ (الشعراء ١٨٢).
- * ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (الرحمن ٩).
- * ﴿ وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ (الحجر ١٩).
- * ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ (الأنعام ١٥٢).
- * ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ (الأعراف ١٥).
- * ﴿ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْكُمْ بِخَيْرٍ ﴾ (هود ٨٤).
- * ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ (هود ٨٥).

الميزان = معايير الأحكام وتوازن البيئـة:

* ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ (الرحمن ٧) فكما أن الشمس والقمر بحسبان فللبيئـة حسبانها وكل شيء فيها بقدر وقوله تعالى بعد ذلك: «الأتظنوا فى الميزان» أى لا تفسدو توازن البيئـة.

* ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد ٢٥) أى ليلتزموا بأحكام الله.

* ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ (الشورى ١٧) أى ويتفصيل الأحكام.

- * ﴿ وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ (الأعراف ٨). أى المعيار
- * ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ (الكهف ١٠٥).

- * ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ (الأنبياء ٤٧).
- * ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف ٩)، (المؤمنون ١٠٢).
- * ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ (القارعة ٦).
- * ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ (القارعة ٨).

١٠ - الدين :

يفيد لفظ الدين فى القرآن الكريم عدة معان بحسب السياق إذ قد يدل على العقيدة أو على الشريعة أو كليتهما أو على يوم الحساب فى الآخرة أو على معنى الخضوع والطاعة وذلك على النحو التالى :

الدين = العقيدة :

- * ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة ١٣٢).
- * ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ (البقرة ١٩٣)، (الأنفال ٣٩).

* ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢٥٦).

* ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران ١٩).

* ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ (آل عمران ٨٣).

* ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّأُ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي

الدِّينِ ﴾ (النساء ٤٦).

* ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ (الأنفال ٧٢).

* ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ (التوبة ١١).

* ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ (التوبة ٢٩).

* ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ (التوبة ٣٣).

* ﴿ أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ ﴾ (يوسف ٤٠).

* ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج ٧٨).

* ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ (الروم ٣٠).

* ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيمَ ﴾ (الروم ٤٣).

* ﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ (الأحزاب ٥).

الدين = الشريعة والحدود:

* ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (التوبة ٣٦).

* ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (يوسف ٧٦).

* ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ (النور ٢).

الدين = العقيدة والشريعة كلتاها:

* ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ (التوبة ١٢٢).

الدين = الحساب:

* ﴿ أَنْذَا مَتْنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَنْنَا لَمَدِينُونَ ﴾ (الصفات ٥٣).

* ﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ (الصفات ٢٠).

* ﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ (الذاريات ٦).

* ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (الذاريات ١٢).

* ﴿ هَذَا نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (الواقعة ٥٦).

* ﴿ وَالَّذِينَ يَصَّدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ (المعارج ٢٦).

* ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ (المدثر ٤٦).

* ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (الانفطار ١٥).

* ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (الانفطار ١٧).

* ﴿ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ (المطففين ١١).

* ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (النور ٢٥).

الدين = الخضوع والطاعة:

* ﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (الأعراف ٢٩).

* ﴿ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (يونس ٢٢)، (العنكبوت ٦٥)، (لقمان ٣٢).

* ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾ (النحل ٥٢).

* ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ (الزمر ١١).

* ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (غافر ١٤).

* ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (غافر ٦٥).

* ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الواقعة ٨٦).

١١ - مشتقات (ع د ل) :

قد تدل كلمة العدل ورفيقاتها على القسطاس وقد تدل على الاستبدال وكلا المعنيين
وارد في القرآن الكريم على نحو ما نرى في الشواهد التالية:

عدل = حكم بالقسطاس :

- * ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ (الشورى ١٥).
- * ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ ﴾ (النساء ٣).
- * ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ (النساء ١٢٩).
- * ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ (النساء ١٣٥).
- * ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ (المائدة ٨).
- * ﴿ وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَمَةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٥٩).
- * ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٨١).
- * ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة ٨).
- * ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ (الأنعام ١٥٢).
- * ﴿ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ (البقرة ٢٨٢).
- * ﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فُلْيَمَلْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ ﴾ (البقرة ٢٨٣).
- * ﴿ وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (النساء ٥٨).
- * ﴿ فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ (المائدة ٩٥).

* ﴿ اثنان ذوا عدلٍ منكم أو آخران من غيركم ﴾ (المائدة ١٠٦).

* ﴿ هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ﴾ (النحل ٧٦).

* ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ (النحل ٩٠).

* ﴿ فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ﴾ (الحجرات ٩).

* ﴿ وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم ﴾ (الطلاق ٢).

عدل = قوم :

* ﴿ ما غرك ربك الكريم ﴿٦﴾ الذي خلقك فسواك فعدلك ﴾ (الإنفطار ٧).

* ﴿ وتمت كلمت ربك صدقاً وعدلاً ﴾ (الأنعام ١١٥).

عدل = أتخذ عديلاً أو قدمه :

* ﴿ وإن تعدل كل عدلٍ لا يؤخذ منها ﴾ (الأنعام ٧٠).

* ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ (الأنعام ١).

* ﴿ والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴾ (الأنعام ١٥٠).

* ﴿ أله مع الله بل هم قومٌ يعدلون ﴾ (النمل ٦٠).

* ﴿ ولا يقبل منها عدلٌ ولا تنفعها شفاعة ﴾ (البقرة ١٢٣).

* ﴿ لا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدلٌ ﴾ (البقرة ٤٨).

* ﴿ أو عدلٌ ذلك صيماً ليدوق وبال أمره ﴾ (المائدة ٩٥).

١٢ - أمة :

تأتي هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعنى جماعة الناس كما في قوله تعالى :

- * ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ (البقرة ١٢٨).
- * ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (البقرة ١٣٤).
- * ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (البقرة ١٤٣).
- * ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ (النساء ٤١).
- * ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (المائدة ٤٨).
- * ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ﴾ (يونس ٤٧).

أمة = فترة من الزمن:

- * ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ﴾ (هود ٨).
- * ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (يوسف ٤٥).

أمة = طريقة:

- * ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف ٢٢).
- * ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (الزخرف ٢٣).

أمة = إمام:

- * ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ (النحل ١٢٠).

ويعزز هذا المعنى قوله تعالى:

- * ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (البقرة ١٢٤).

فلفظ «أمة» هنا على وزن فُعَلَّة مثل همزة ولمزة أى يؤم الناس . وينسجم ذلك مع قوله تعالى بعد ذلك :

* ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (النحل ١٢٣).

١٣ - الأُمى :

يحدث أحيانا أن يكون سكان رقعة جغرافية ما متعددى الأعراق والديانات أو غير ذلك فيطلق على غالبيتهم لفظ «أمة» كما رأينا منذ قليل ، ويطلق على الأقلية لفظ «جالية» . فلو نسب أحد أفراد الأمة إلى الأمة لقال «أُمى» ، وهذا هو أصل المعنى للفظ حين كان العربى يطلق على أبناء القبائل ليميز نسبه عن نسبة اليهود وغيرهم من سكان شبه الجزيرة . فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم وأراد العرب المسلمون أن يفخروا بظهوره بينهم قالوا: «النبى الأُمى» . على معنى المنسوب إلى أمة العرب فى مقابل أنبياء بنى إسرائيل وهذه التفرقة بين الأمة والجالية هى المقصودة فى قوله تعالى :

* ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ (آل عمران ٧٥) .

ثم نظر الناس إلى جهل العرب بالكتابة وقابلوا بين لفظ «الأميين» و«أهل الكتاب» فاكتسب لفظ «الأمى» معنى هامشيا هو: من يجهل القراءة والكتابة ووصف به النبى صلى الله عليه وسلم فتحول المعنى من النسبة إلى الأمة إلى النسبة إلى جهل الكتابة والقراءة . وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى :

* ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ (البقرة ٧٨) .

وفيما يلى نورد بعض الآيات التى تحدد معنى لفظ «الأمى» :

الأمى = أحد أبناء الأمة العربية :

* ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ (آل عمران ٧٥) .

* ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ (الجمعة ٢) .

* ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾ (آل عمران ٢٠).

الأمى = الذى يجهل القراءة والكتابة:

* ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ (البقرة ٧٨).

* ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ

وَالْإِنْجِيلِ ﴾ (الأعراف ١٥٧).

ولاحظ المقابلة بين لفظى: «الأمى» و«مكتوبا» وما تدل عليه من التحدى.

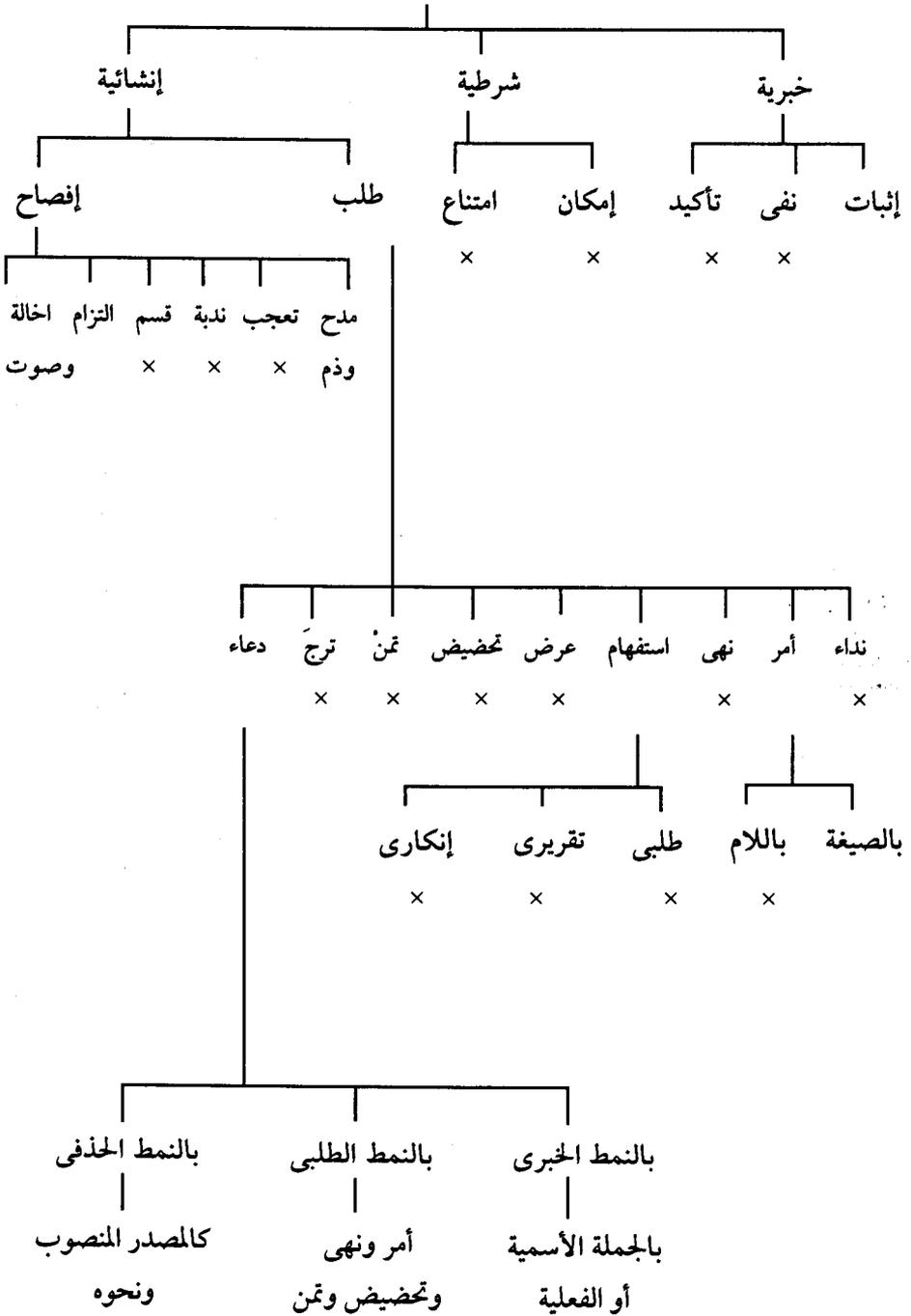
* ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴾ (الأعراف ١٥٨).

النمط التركيبي (القراني)

المقصود بالنمط التركيبي بناء الجملة. لقد سمينا صورة الكلمة «بنية» وكان يمكن أن نسمى صورة الجملة بنية أو بناء ولكننا أثرنا أن نبتعد عن مادة الباء والنون والياء دفعا للبس. ومن هنا جاء مصطلح «النمط التركيبي» ليدل على بناء الجملة من ركنيها وما عسى أن يكون ضرورياً لعنصر الإفادة فيها. لقد اشتهر عن النحاة أن الجملة العربية مكونة من ركنين هما اسمان أو اسم وفعل وقد يدخل في تكوينها الحرف ليربط بين أحد الركنين وما قد يرتبط به من تكملة، وأول ما نلاحظه على هذا القول أن ثمة جملا عربية لا يتضح تركيبها من ركنين إلا على تأويلات بعيدة كجملة القسم نسحو «والله» والنداء نحو «يا زيد» وبعض صور الدعاء نحو «غفرانك» ومثلها كل مصدر (نصب بواجب الحذف كما يقولون) وبعض أسماء الأفعال والأصوات نحو صه وأوه، أما ما عدا ذلك من أنماط الجمل فتقوم بنيتها على الركنين وإن استتر أحدهما أو حذف دليل، والجملة بعد ذلك لا يتضح من تركيبها النحوي إلا أنها اسمية أو فعلية. أما ما وراء ذلك فهو معلق بقرائن مختلفة تتراوح ما بين الأداة والإعراب والربط والرتبة والتضام ثم السياق. أما من حيث الأداة فيكفي أن ننظر إلى البيان التالي لأنواع الجمل وسنرى علامة (x) عند كل جملة تعتمد في معناها النحوي على الأداة:

هكذا تتضح قيمة الأداة في تخصيص عموم تركيبى الجملتين الأسمية والفعلية وهكذا تصبح الأداة قرينة على معنى زائد عن مجرد الأسمية والفعلية بل إنه زائد

الجملة



أيضا على ما يعطيه الإسناد الخبرى أو الإنشائي للجملة من معنى ثم يفرق الإعراب بين تركيب وشبهه فى نحو «ما أحسن زيداً» و «ما أحسن زيداً» و«ما أحسن زيداً» ونحو «قاتلوا زيداً» و«قاتلو زيداً» ونحو «نحن العرب» و«نحن العرب نكرم الضيف» ثم يفرق الربط بين ما يقصد به الجواب وما يقصد به الصفة فى مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ (المؤمنون ١١٧) فقد اتضح هنا أن الجواب هو ما اقتترنت به الفاء وأن جملة «لابرهان» صفة للإله المدعى ولو اتصلت الفاء بلا النافية للجنس من «لا برهان» لكان ذلك هو الجواب ولكان «إنما حسابه عند ربه» بغير الفاء استثناءً بعد ذلك، هكذا تستين الجملة التى لها محل المفرد والجملة التى قصد بها الإسناد. ويتضح فارق الربط أيضا فى نحو: «أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبي» فى مقابل «أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبه» إذ يبدو الاسم الموصول إطنابا يمكن الاستغناء عنه فى التركيب الأول إذ أعاد الشاعر الضمير من جملة الخبر إلى قوله «أنا» ولكن الموصول نفسه هو الخبر فى التركيب الثانى وقد عاد عليه ضمير من جملة الصلة، وتفرق الرتبة أيضا بين الجملة فى نحو «إذا السماء انشقت» إذ يفرق بين إذا الظرفية وإذا الفجائية بمدخول هذه ومدخول تلك فلا يلى الظرفية إلا الفعل ومن هنا امتنع فى السماء أن تكون مبتدأ على رغم تقدمها على الفعل. وهذا الشاهد نفسه يوضح قيمة التضام أيضا لأن اختلاف المدخول اختلاف من حيث التضام، أما الأداة فحسبنا أن ندرك الفرق بين «قام زيد» و«ما قام زيد» و«هل قام زيد» و«هلا قام زيد» و«إنما قام زيد» و«لقد قام زيد» إلخ ولكن أهم ما يفرق بين أنماط الجمل هو قرينة السياق.

عند هذه النقطة يمكن أن نشير إلى الحقائق التالية:

أ - أنه قد يتعدد المعنى للنمط الواحد بحسب الأصل كما فى غمطى الجملة المثبتة والاستفهامية.

ب - قد يتعدد هذا المعنى بواسطة النقل كنقل النداء إلى الاختصاص نحو «نحن

أيها العرب...» والتعجب نحو «يا حسن ما رأيت» والدعاء نحو «يا رعاك الله» والمدح والذم بنحو «يا نعم المولى ويا نعم النصير».

ج - إن المقاصد الأسلوبية قد تعمل في عكس هذا الاتجاه فيتعدد النمط للمعنى الواحد، كالدعاء والتعجب والأمر.

وسنشرح كل واحدة من هذه الحقائق مع إيراد الشواهد القرآنية المناسبة.

المقصود بالنمط الخبرى بحسب الأصل ما يشمل الإثبات والنفي والتأكيد، ويتمثل هذا النمط في أساسه من مبتدأ وخبر أو من فعل وفاعل أو نائب فاعل وقد تصدر أداة النفي أو التأكيد هذا النمط وقد يلحق به من فضلات الجملة ما يفيد تخصيصاً أو نسبة* ونحن حين ذكرنا المعاني الثلاثة لهذا النمط (الإثبات والنفي والتأكيد) إنما ذكرنا أول ما يرد على الذهن من دلالات هذا النمط أما الطاقة التعبيرية الكاملة للنمط فإنها تتجاوز ذلك إلى آفاق دلالية أخرى وبخاصة عندما يتصل الأمر بصورتى الإثبات والنفي، وفيما يلي بيان لما يمكن للصورة المثبتة من النمط الخبرى أن تفيده:

أ - الشرط:

* ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة ٢٧٤).

* ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة ٢٣٣) وكان يمكن للنمط الإثباتى هنا أن يفيد الأمر لولا ما الحق به من قوله «لمن أراد أن يتم الرضاعة» فهذا القيد حول الأمر إلى معنى الشرط فكان المعنى المقصود هو «من أراد أن يتم الرضاعة فعلى الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين كاملين».

* ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (الرحمن ٤٦) أى من خاف مقام ربه فله جنتان ويشبه هذا قول الفقهاء: «البينة على من أدعى واليمين على من أنكر».

* انظر اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩٠ وما بعدها.

* ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ (البقرة ٢٢٦).

ب - الأمر:

* قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرِيصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة ٢٢٨) أى

فلتتريص المطلقات بأنفسهن ثلاثة قروء.

* قال تعالى: ﴿وَاللْمُطَلَّاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٢٤١)

أى متعوا المطلقات بالمعروف وليكن ذلك حقا على المتقين.

* قال تعالى: ﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ (الأنفال ٧٢) أى فانصروهم.

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾

(البقرة ١٧٨) أى اقتصوا للقتلى.

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ (البقرة ١٨٣) أى

صوموا.

* قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتُوقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرِيصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ

أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة ٢٣٤).

أى فلتتريص أزواجهم من بعدهم أربعة أشهر وعشرا وذلك لاستبراء الرحم من

شبهة الحمل.

ج - الدعاء:

* قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة ١٠) فليزدهم الله

مرضا.

* قال تعالى: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ (البقرة ٩٠) فليغضب الله عليهم

غضبا متزايدا.

* قال تعالى: ﴿ أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (البقرة ١٦١) أى عليهم اللعنة أو لعنهم الله.

* قال تعالى: ﴿ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴾ (البقرة ٢٠٦) أى فليكن نصيبه جهنم.

* قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (إبراهيم ٣٩) أى اللهم اسمع دعائى.

* قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة ١٢٧) أى رب استجب لما سمعت وعلمت.

* قال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفْتَوُوا ﴾ (آل عمران ١١٢) أى فلتضرب عليهم الذلة.

* قال تعالى: ﴿ فَأَوْلَيْكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُمْ ﴾ (النساء ٩٩) أى فليرجوا عفو الله عنهم أو فليعف الله عنهم.

* قال تعالى: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ (المائدة ٢٩) أى بؤ ياثمى وإثمك وكن من أصحاب النار.

* قال تعالى: ﴿ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة ٤١) أى فليكن لهم ذلك.

* قال تعالى: ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ (المائدة ٥٣) أى فلتحبط أعمالهم.

* قال تعالى: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (المائدة ١١٩) أى فليرض الله عنه.

د - العرض:

* قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ﴾ (هود ٧٨).

* قال تعالى: ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (البقرة ٢٣٧).

* قال تعالى: ﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النساء ٢٥).

هـ - الألتزام: والمعروف أن الألتزام بإنشاء لا خبر كما فى عقد النكاح حين يقول ولى الزوجة: قبلت أو زوجتكها).

* قال تعالى: ﴿ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ (البقرة ٧١) أى الآن قبلنا أن نجيبك إلى طلبك.

* قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (البقرة ٢٨٥) أى نلتزم بما طلب منا.

* قال تعالى: ﴿ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾ (آل عمران ٨١). قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا ﴾ (المائدة ١١١).

* قال تعالى: ﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا ﴾ (الأنعام ١٣٠).

* قال تعالى: ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف ١٢١).

* قال تعالى: ﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ (الأعراف ١٧٢). قال تعالى: ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ﴾ (القصص ٥٣).

* قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ (غافر ٨٤).

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ ﴾ (يونس ٩٠).

فما يتلو القول في كل آية من هذه الآيات إنشاء الالتزام بمضمون الجملة وليس الإخبار به وذلك على الرغم من النمط الخبرى في الجملة والزمن الماضى فى الفعل.

و- التعجب:

* قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ (ص ٥).

* قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (هود ٧٢).

* قال تعالى: ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرُهُ ﴾ (عبس ١٧).

* قال تعالى: ﴿ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة ٩١).

* قال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ (النساء ٤٥).

* قال تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ (الرعد ٤٣).

أما النمط الخبرى المنفى فإنه يحمل أيضا أعباء معان كثيرة غير مجرد النفى كما يبدو عند تأمل الشواهد الآتية:

أ - الدعاء:

* قال تعالى: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ (البلد ١١) على أحد الفهمين.

* قال تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (التوبة ١١٠).

* قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ

دَارِهِمْ ﴾ (الرعد ٣١).

* قال تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا

يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (البقرة ١٦١، ١٦٢).

ب - الحصر:

- * قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾
(آل عمران ١٤٤). قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (الشعراء ١١٥).
- * قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (النساء ٦٤).
- * قال تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾
(المائدة ٧٥). قال تعالى: ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ (المائدة ٩٩).
- * قال تعالى: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴾ (يوسف ٨١).
- * قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (محمد ١٩).

ج - التعميم:

- * قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ﴾ (الشعراء ٥٠).
- * قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ﴾ (يوسف ٩٢).
- * قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة ٢).
- * قال تعالى: ﴿ مُسَلِّمَةٌ لِأَشْيَاءِ فِيهَا ﴾ (البقرة ٧١).

د النهي:

- * قال تعالى: ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (البقرة ١٩٧).
- * قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢٥٦).

وقد يخرج الشرط عن مجرد تعليق وقوع الجواب على وقوع الشرط أو امتناعه على امتناعه إلى معان أخرى منها:

أ - التعجب :

* قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَتِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾
(الرعد ٥).

ب - السبر والتقسيم :

* قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ (غافر ٢٨).

ويجوز السبر هنا على النحو التالي :

موسى إما أن يكون كاذبا وإما أن يكون صادقا .

فإن يك كاذبا فعليه كذبه وإذا لا ضرورة لقتله .

وإن يك صادقا يصيبكم بعض الذى يعدكم وإذا ينبغى الحذر من إيذائه بل
الحرص على طاعته .

* قال تعالى : ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢٦) وَإِنْ
كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (يوسف ٢٦ ، ٢٧) والسبر هنا
على النحو التالي :

لا يخلو الأمر إما أن يكون القميص قد من قبل أو أنه قد من دبر

فإن كان قميصه قد من قبل فإنه هو الذى راودها وهى دافعته فشقت قميصه .

وإن كان قميصه قد من دبر فإنه هرب من مراودتها إياه فأمسكت بقميصه من دبر
فشقتة .

وقد يحلو للبعض أن يلاحظ أن قوله تعالى «فصدقت» وقوله «فكذبت» دخلت
فيهما الفاء على الماضى مما يشير إلى حذف «قد» لأن «قد» هى التى توجب دخول
الفاء، ولكن التقدير الأوضح للمعنى أن المحذوف ضمير مبتدأ تقديره «فهى» ويحسن
ذلك ما يقابله بعد هذا من قوله ﴿ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ وقوله : ﴿ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

أى أن تقدير الكلام: فهى كذبت وهو من الصادقين. والمعروف أن جواب الشرط إذا وقع جملة اسمية وجب اقترانه بالفاء.

* قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران ٢٠) فبعد أن يطلب النبي عليه الصلاة والسلام منهم أن يسلموا (وذلك بصيغة الاستفهام المفيد للتحضيض) لا يخلو الأمر إما أن يسلموا وإما أن يتولوا. فإن أسلموا فقد اهتدوا وكفوا النبي شر شقاقهم وإن تولوا فإنما عليه البلاغ والله يعلم إصرارهم فشقاقهم مقضى عليه فى الحالين.

ج - التمنى:

* قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾ (البقرة ١٦٧).

* قال تعالى: ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء ١٠٢).

* قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الزمر ٥٨).

وإنما حسن تأويل هذه الأنماط التركيبية بالشرط الامتناعى فى الأصل لأن مضمون الجواب قد ذكر بعد الفاء فى صورة المضارع المنصوب بأن المضمرة والتقدير فى الحالة الأولى: لو أن لنا كرة لتبرأنا وفى الثانية لأمنا وفى الثالثة لو أن لى كرة لأحسنت، أما إذا حذف ما بعد الفاء فإن النمط لا يصلح للتأويل بالشرط وإنما يتمحض للتمنى، ويعزز ذلك ما قبل آية الزمر السابقة من قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزمر ٥٧) لأن هذا التمنى جاء فى صورة الشرط الصريح فلا يصرفه إلى معنى التمنى إلا المقام الذى قيل فيه لأنه لو لم يكن تمنيا لكان احتجاجا على الله سبحانه وتعالى.

د - الأمر:

* ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ (مريم ١٨) أى اتركنى واتق

الله .

* ﴿ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة ١٧٢) أى اشكروه واعبدوه .

* ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة ٢٤٨) أى فأمنوا بها .

* ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة ٢٧٨) أى اتقوا

وذروا وأمنوا .

* ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ٢٨٠) أى والتصدق خير

فاعلموا .

* ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران ١١٨) أى فاعقلوا .

هـ - التسوية: قال تعالى:

* ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الأنسان ٣) .

أى سواء أكان شاكرًا أم كان كافورًا .

وذلك أن: [إن + (ما بمعنى كان) = إمَّا

ومن ذلك على الاحتمال الأقوى:

أبا خراشة إما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

أى إن كنت، بكسر الهمزة .

أما نمط النداء فقد يخرج عن طلب الإقبال إلى المعانى التالية:

أ - التعجب: قال تعالى:

* ﴿ قَالَ يَا بَشْرَى هَذَا غُلَامٌ ﴾ (يوسف ١٩) .

* ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾ (يس ٣٠).

ب - الندبة: قال تعالى:

* ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُونُسَ ﴾ (يوسف ٨٤).

* ﴿ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ (الزمر ٥٦).

* ﴿ يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ (الأنعام ٣١).

ج - الاختصاص: قال تعالى:

* ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴾
(الواقعة ٥٢).

د - التمني: قال تعالى:

* ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ (القصص ٧٩).

* ﴿ يَا لَيْتِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ ﴾ (الحاقة ٢٥).

* ﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾ (الزخرف ٣٨).

أما قول الشاعر

ألا يا أسلمى يا دارمى على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

فقد أراد الشاعر أن يبدأ ببناء الدار قبل فعل الأمر ولكن الوزن حال بينه وبين ما أراد، فأثر الإبقاء على «يا» النداء مع حذف المنادى ثم تكرار جملة النداء بعد إيراد فعل الأمر بقصد التلذذ بذكر الدار بعد أن فاتته ذكرها أولاً. فالتقدير: ألا يا دارمى أسلمى يا دارمى ولو لم يرد ذلك لكان له مندوحة في تصحيح الوزن بأن يقول:

ألا فأسلمى يا دارمى على البلى

ويخرج نط الأمر بصورتيه عن الأمر إلى معانى أخرى منها:

أ - الشرط:

ومن ثم يجزم المضارع في جوابه، قال تعالى:

- * ﴿ اَدْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر ٦٠).
- * ﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتَبِئُ الْاَرْضُ ﴾ (البقرة ٦١).
- * ﴿ ثُمَّ اَدْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا ﴾ (البقرة ٢٦).
- * ﴿ اَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ (البقرة ٦٨).
- * ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمِ الْاَمَلَ ﴾ (الحجر ٣).
- * ﴿ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾
(الزخرف ٨٣). ﴿ رَبَّنَا اَطْمِسْ عَلَيَّ اَمْوَالِهِمْ وَاَشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا
الْعَذَابَ الْاَلِيمَ ﴾ (يونس ٨٨).

ب - الدعاء: قال تعالى:

- * ﴿ وَاِذْ قَالَ اِبْرَاهِيْمُ رَبِّ اَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ (البقرة ٢٦٠).
- * ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ اٰمِنًا وَاَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ اَنْ نَعْبُدَ الْاَصْنَامَ ﴾ (ابراهيم ٣٥).
- * ﴿ رَبَّنَا اَتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْاٰخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البقرة ٢٠١).
- * ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَاَرْحَمْ وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِيْنَ ﴾ (المؤمنون ١١٨).
- * ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ﴾ (غافر ٩).
- * ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ يَوْمَ يَقُوْمُ الْحِسَابُ ﴾ (ابراهيم ٤١).
- * ﴿ رَبَّنَا اَتِمِّمْ لَنَا نُوْرَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ﴾ (التحریم ٨). ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ
وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (نوح ٢٨).

- * ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ (التوبة ٨٢).
- * ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (النحل ٢٥).
- * ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ (الإسراء ٧).

ج - النهي: قال تعالى:

- * ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ (المائدة ٩٠).

- * ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ (الحج ٣٠).

أى لا تقربوا الرجس فالنهي يأتى من المعنى المعجمى وإن كان المعنى النحوى على الأمر.

د - العرض: قال تعالى:

- * ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾ (يوسف ٧٨).
- * ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ (آل عمران ٦١).

- * ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ (آل عمران ٦٤).

هـ - التحدى: قال تعالى:

- * ﴿ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (الشعراء ١٨٧).
- * ﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ (القصص ٧٥).

وغط النهى أيضا يخرج عن طلب الكف إلى معانٍ أخرى منها:

أ - الدعاء: قال تعالى:

* ﴿ رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران ٨).

* ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ (البقرة ٢٨٦).

* ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (نوح ٢٦).

ب - الأمر: قال تعالى:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران ١٠٢) فالذى فى الآية ليس نهيا عن الموت إنما هو أمر بالإصرار على الإسلام حتى الموت ومثله:

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة ١٣٢).

* ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ (الأعراف ٢٧)

أى احذروا فتنة الشيطان.

ج - توكيد العكس: قال تعالى:

* ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا

تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (آل عمران ١٨٨).

أى «إنهم فى مهلكة».

* ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ (آل عمران ١٦٩).

أى «إنهم أحياء».

وكذلك كل نهى عن الحسبان فى القرآن كما فى (إبراهيم ٤٢، ٤٧) و(النور

٥٧).

د - الشرط :

إن أداء معنى الشرط بنمط النهى شائع فى الكلام نحو «لا تدن من الأسد يأكلك» فجزم جواب النهى قرينة على إرادة معنى الشرط وعلى أن أداة الشرط يمكن أن تحمل محل أداة النهى فيكون التقدير «إن تدن من الأسد يأكلك» فلما صحت معاقبة الأديتين صحت دعوى إرادة الشرط، أما فى القرآن الكريم فمنه قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُمُ النَّارُ ﴾ (هود ١١٣) على أساس إدغام السينين إحداهما فى الأخرى وتحريك ثانيتهما بالفتح لالتقاء الساكنين وتجزيم القاعدة أيضا فك السينين وبناء ثانيتهما على السكون. وقد توالى النهى والأمر فى قوله تعالى :

﴿ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ (يوسف ١٠)

فأصبح الجواب على مثل صورة التنازع، فهل يكون للثانى لقربه أو يكون للأول لتقدمه أو يكون لهما معا دون تمييز على رغم اعتراض النحاة؟ غير أنه لما كان مجرد عدم القتل لا يودى إلى أن يلتقطه بعض السيارة أصبح الجواب الصق بالأمر «ألقوه» بقرينة السياق.

ويخرج نمط الاستفهام عن معنى طلب العلم إلى معانٍ أخرى منها:

(١) الإنكار: وتأويله بالنفى ومثاله فى الكلام «ما شأنك أنت» أى لا شأن لك..

قال تعالى ﴿ هَلْ أَمْنَكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ (يوسف ٦٤).

* ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾ (النساء ١٤٧).

* ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (البقرة ٢٥٥).

* ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ

أَضَلَّ اللَّهُ ﴾ (النساء ٨٨).

* ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ﴾ (التوبة ٧).

* ﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (آل عمران ١٣٥).

* ﴿ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ (الزخرف ١٨).

ع - التقرير: وجوابه «بلى» للإثبات: قال تعالى:

* ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ (الضحى ٦).

* ﴿ أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا ﴾ (القصص ٥٧).

* ﴿ أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِّن مَّيِّ يُمْنِي ﴾ (القيامة ٣٧).

* ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ

الْحَقِّ ﴾ (الحديد ١٦).

* ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي

تَضَلِيلٍ ﴾ (الفيل ١، ٢).

* ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (القيامة ٤٠). ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ (يس ٨١).

ب - النهي: ومثاله في الكلام «ما هذا» = «لا تفعل هذا» قال تعالى:

* ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ (البقرة ٢٨) أى لا تكفروا.

* ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (غافر ٢٨) =

لا تقتلوه.

* ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

(الشعراء ١٦٥ - ١٦٦) = لا تأتوهم

* ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف ٨٠) = لا

تأتوها.

والفرق بين الإنكار والنهي يتوقف على ما يعاقب الهمزة من الحروف فإن عاقبتها
«لا» الناهية كما في «أتأتون الذكران من العالمين» وقوله «أتأمرون الناس بالبر وتنسون
أنفسكم» فهو استفهام على معنى النهي وإن عاقبتها «ليس» كما في ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ (الرعد ١٩) فذلك استفهام للإنكار
المحض.

ج - الأمر: قال تعالى:

* ﴿ قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (الحجر ٧٠) = انته

* ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (المائدة ٩١) = انتهوا.

هـ - السبر: وذلك بتقليب كافة الاحتمالات واستبعادها: قال تعالى:

* ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أَوْلَاكَ

هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (النور ٥٠).

* ﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ

بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا

أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا

صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَسِيرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ

يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعَهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ

يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴿ (الطور ٢٩ - ٤٣).

والملاحظ أن بعض الأجابات على هذه الأسئلة بالنفي تبعا لنفي الكهانة والجنون

في أولى الآيات فكأنه ليس كاهنا ولا مجنونا ولا شاعرا ولا متقولا وهم لم يخلقوا

من غير شيء وليسوا الخالقين ولم يَخْلُقُوا السموات والأرض وليس عندهم خزائن الله ولا يسيطرون على شيء وليس لهم سلم يستمعون فيه وليس لهم البنون وهو لم يسألهم أجرا ولا عندهم الغيب ولا لهم إله غير الله .

ولكن بعض الأسئلة جوابه الشرط وهو قوله تعالى «أم يقولون تقوله» و«أم لهم سلم يستمعون فيه» ثم «أم يريدون كيدا» لأن هذه هي الأسئلة الوحيدة التي تبدو في الآية من قبيل الاستفهام المفيد للشرط ولذلك جاء الجواب مقرونا بالفاء وتقدير ذلك .

إن قالوا تقوله فليأتوا بحديث مثله وإن كان لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسُلطان ميين؟؟

وهناك ملاحظة أخرى أن تكرار «بل» في آيات متعددة ناسبه أن يكون هناك تقليل من عدد «بل» فوضعت «أم» بدلا من «بل» في واحدة من الآيات وهي «أم هم قوم طاغون» أي «بل هم قوم طاغون» .

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَيَّ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُعْرِمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) ﴾

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) ﴾

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِّرَةً وَنَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿ (الواقعة ٥٨ - ٧٤) .

والمعنى أنكم لم تخلقوا ما تمنون ولا ما تحرثون ولا الماء الذي تشربون ولا النار التي تورون ولكن هذا المعنى لا يجعل الاستفهام مجرد إنكار وإنما يحوله إلى سبر وتقسيم.

و- الحاجة:

قال تعالى: * ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ﴾ (الشعراء ٧٢، ٧٣). ﴿أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ﴾ (النمل ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤).

* ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ (القصص ٧١، ٧٢).

* ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ (العنكبوت ١٩).

ز- التقديم لأسلوب آخر: قال تعالى:

* ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ (الشعراء ٢٠٥ - ٢٠٧).

* ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (الشعراء ٢٢١، ٢٢٢). ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأُحْسِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء ٦٢).

* ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس ٥٠).

* ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ (الزمر ٣٨).

ح - قطع الحجة : قال تعالى :

* ﴿ قَالَ أَكذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل ٨٤) أى

إن الأمر كذلك والآن يكن الأمر كذلك فماذا كنتم تعملون .

ط - العرض : قال تعالى :

* ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى ﴾ (طه ١٢٠) .

* ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (الأنبياء ١٠٨) .

* ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾ (القصص ١٢) .

* ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ ﴾ (سبأ ٧) .

* ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيعُكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الصف ١٠) .

* ﴿ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ (النازعات ١٨) .

ى - التهديد : قال تعالى :

* ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ

يَأْتِيكُمْ بِهِ ﴾ (الأنعام ٤٦) .

ك - التعجب : قال تعالى :

* ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (القمر ١٦) .

* ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ (طه ٩) .

* ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفَىٰ ﴾ (ص ٢١) .

* ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الذاريات ٢٤) .

* ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ (البروج ١٧) .

* ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (الإنسان ١).

ل - التحضيض:

* ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾ (المائدة ٧٤)

م - شرط ودليله «إذاً» الرابط بعد الاستفهام:

كقوله تعالى: ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴾
(القمر ٢٤). وكذلك: ﴿ يَقُولُونَ أَأَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ (١٠) أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا
نَّخْرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿ (النازعات ١٠ - ١٢) وكقول الشاعر فى شأن
العلم:

أشقى به غرسا وأجنيه ذلة إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

أى إن أشق به غرسا إلخ إذا فاتباع الجهل كان أحزم.

وقد يخرج العرض عن معناه الذى اشتهر به إلى معان أخرى منها:

أ - الدعوة:

قال تعالى:

* ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (النور ٢٢). ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾ (١٨)

وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾ (النازعات ١٨ ، ١٩).

ب - التحضيض:

قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾ (الشعراء ٢٩).

* ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء ٣٠).

* ﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يس ٣٥).

* ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يس ٧٣).

- * ﴿ وَمَنْ نَعْمِرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (يس ٦٨).
- * ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف ٦٥).
- * ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء ١٠٦).

ج - المحاجة : قال تعالى :

- * ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ (مريم ٦٧).
- * ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (المطففين ٤).
- ويؤدى نمط التحضيض المعانى الآتية :

أ - التحدى : قال تعالى : ﴿ لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ﴾ (القصص ٤٨).

- * ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (الحجر ٧).
- * ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا ﴾ (الواقعة ٨٧).
- * ﴿ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ (النور ١٣).

* ﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان ٧).

ب - اللوم : قال تعالى :

- * ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ (النور ١٢).
- * ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾ (النور ١٦).

والتحضيض معنى مركب يجمع بين الاستفهام الإنكارى والتمنى فيكون معنى

«هلاً فعلت» كما يلي

لَمْ لَمْ تَفْعَل + لَيْتَكَ فَعَلْتَ

فالمعنى إذاً من المعانى المركبة غير البسيطة .

والرجاء بعسى أو لعل قد يتحول إلى معان أخرى على النحو التالى :

أ - التعليل: قال تعالى:

* ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة ٥٣).

* ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة ٥٦).

* ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة ٦٣).

* ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة ٧٣).

* ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا

الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَآتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة ١٥٠).

ب - التقليل: قال تعالى:

* ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ (الطلاق ١).

* ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ

لَكُمْ ﴾ (البقرة ٢١٦) أى ربما حدث ذلك.

* ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء ١٩).

* ﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ

يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾ (الحجرات ١١).

ج - الأمر: قال تعالى:

* ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة ١٧٩) أى

فاتقوا الله ولا تثاروا خارج حدود القصاص.

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة ١٨٣). ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة ١٨٥).

د - الالتزام والوعد: قال تعالى:

* ﴿ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَكْفِبَ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (النساء ٨٤). أى سيفكف.

* ﴿ فَأُوْثِقَ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ (النساء ٩٩) أى سيعفو.

* ﴿ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ﴾ (المائدة ٥٢) أى سيأتى.

* ﴿ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ (التوبة ١٠٢) أى سيتوب.

* ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾ (الإسراء ٨) أى سيرحمكم.

* ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (الإسراء ٧٩) أى سيبعثك.

* ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾

(القصص ٦٧) أى سيكون.

هـ - الدعاء: قال تعالى:

* ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الأعراف ١٢٩)

أى اللهم أهلك.

* ﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ (الكهف ٢٤) أى اللهم

أهدنى.

* ﴿ عَسَىٰ رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا ﴾ (القلم ٣٢).

* ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ ﴾ (الكهف ٤٠).

* ﴿وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (مريم ٤٨).

و - التهديد والوعيد: قال تعالى:

* ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (النمل ٧٢).

* ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ (التحریم ٥).

ز - الإنكار:

* ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾

(الكهف ٦) أى لا تفعل.

* ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ

كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ (هود ١٢).

وقد يخرج نمط التمني عن معناه الأصلى إلى معانٍ أخرى كما يلي:

أ - التندم: قال تعالى:

* ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام ٢٧).

* ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيهِ﴾ (الحاقة ٢٥).

* ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا حَلِيلًا﴾ (الفرقان ٢٨).

ب - التبريم: قال تعالى:

* ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَسَّ الْقَرِينَ﴾ (الزخرف ٣٨).

ج - التلذذ: قال تعالى:

* ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (يس)

٢٦- ٢٧). وكذلك يخرج نمط التعجب إلى معانٍ أخرى غير التعجب المجرد منها:

أ - الذم : قال تعالى :

* ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ (عبس ١٧).

* ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ (البروج ٤).

ب - التهكم : قال تعالى :

* ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ (البقرة ١٧٥).

ج - التهويل : قال تعالى :

* ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (الحاقة ٣).

* ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴾ (الهمزة ٥).

* ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴾ (القارعة ١٠).

* ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ (القارعة ٣).

الوجه الآخر للمسألة

كل ما سبق شرح لموقف نظام اللغة من أنماط الجمل . وقد رأينا أن نظام اللغة يرصد للمبنى الواحد من مباني الأنماط عددا من المعاني ، وأن هذا الرصد لولم يتم لقصرت أنماط الجمل عن الوفاء بالتعبير عن كل المعاني ، ذلك واضح مما قدمنا - ولكن للمسألة وجها آخر هو موقف الاستعمال اللغوي من أنماط الجمل ، وهو موقف بلاغى لانحوى . هذا الموقف ينظر فى اتجاه مضاد تماما لنظرة نظام اللغة . فالذى يسعى إلى التأثير بالأسلوب فى السامع أو القارئ يهمله أن يقلب العبارات المختلفة على المعنى الواحد فيجعل للمعنى الواحد أنماطا متعددة على عكس ما رأينا من اتجاه

نظام اللغة. فالاستعمال اللغوى يرضى بحكم التوسع أن يتم الإثبات بالاستفهام التقريرى وأن يتم الدعاء بالإثبات والنفى والأمر والنهى والتمنى والترجى، وبالمصدر المنصوب (بواجب الحذف) وأن يتم التعبير عن الشرط بنمطى الأمر والنهى، وأن يعبر عن الأمر بالإثبات والاستفهام، وأن يؤدى النهى بالشرط والنفى والأمر والاستفهام وهلم جرا... مما يمكن معرفته بالتماس المعنى الواحد تحت الأنماط المتعددة السابقة.

ولكن هناك معنيين كثرت صور التعبير عنهما حتى إنه ل يبدو من الأفضل أن نلقى عليهما نظرة تحت هذا الوجه الثانى الذى يتمثل فى تعدد النمط للمعنى الواحد أى تعدد التراكيب للمعنى وليس تعدد المعانى للتركيب. ذاك هما الدعاء والتعجب:

أ - **الدعاء:** الدعاء من الإنشاء الطلبى، ولكن اللغة لم تفرد للدعاء نمطا خاصا يتم الدعاء به، وإنما جعلت الدعاء شركة بين طائفة من الأنماط التركيبية، ووضعت بيد المتكلم أن يختار للتعبير عن الدعاء أى أسلوب يشاء. فمن ذلك:

- ١ - الإثبات نحو: ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة ١٠).
- ٢ - النفى نحو: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ (البلد ١١) على أحد الفهمين.
- ٣ - الأمر نحو: ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ ﴾ (المؤمنون ١١٨).
- ٤ - النهى نحو: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (نوح ٢٦).
- ٥ - التمنى نحو: ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ (القصص ٧٩).
- ٦ - الترجى نحو: ﴿ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (القصص ٢٢).
- ٧ - المصدر المنصوب نحو: ﴿ غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة ٢٨٥).

ب - **التعجب**: خصص نظام اللغة للتعجب صيغتين هما، ما أفعله وأفعل به، ولكن كلتا الصيغتين ملبسة تحتاج في الغالب إلى قرينة حالية أو مقالية تصرفها إلى التعجب، فالأولى تلتبس بما الاستفهامية متلوة بفعل ماض على وزن «أفعل» نحو «أسمع» و«أبصر»، ثم مفعول هذا الفعل الماضي، فإذا قلت «ما أسمع زيدا» احتمل ذلك التعجب والاستفهام والنفي. وأما الصيغة الثانية فتلتبس بأمر الفعل اللازم الذي يتعدى بالباء، فإذا قلت «اسمع يزيد» لم يعلم إلا بالقرينة ما إذا كان ذلك تعجبا أو أمرا للسامع أن يستعين بزيد في الإسماع. ولعل ذلك هو الذي دفع استعمال اللغة إلى تجاوز الصيغتين واتخاذ العديد من الأنماط للدلالة على التعجب، كما نرى فيما يلي:

١ - الاكتفاء بما التعجبية وحذف صيغة «أفعل»، كما في قوله تعالى:

* ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ (الواقعة ٨).

* ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ (الواقعة ٩).

* ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة ٢٧).

* ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ (الواقعة ٤١).

* ﴿ الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (الحاقة ١ - ٢).

* ﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ ﴾ (القارعة ١ - ٢).

وقد ورد مثل ذلك أيضا في حديث أم زرع إذ تقول: «زوجي أبو زرع وما أبو زرع».

٢ - استعمال «ما» الاستفهامية مجرورة بالحرف كما في قوله تعالى:

* ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (النبأ ١).

* ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾ (النازعات ٤٣).

٣ - استعمال «يا، النداء وجعل المتعجب منه هو المنادي نحو:

* ﴿يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ﴾ (يوسف ١٩).

وشبيه بذلك أن تقول: «يا طيب ما شممت» و«يا حسن ما رأيت» و«يا سعادة من دخل الجنة».

٤ - استعمال «أى، كما فى قوله تعالى:

* ﴿لَأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ (المرسلات ١٢) أى ليوم عظيم.

* ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (عبس ١٨) أى من شىء شديد التفاهة

* ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الأنفطار ٨)، أى فى أحسن صورة

ويقال فى الكلام العادى «إن فلانا فارس أى فارس!» و«فارس أى جواد هذا!» و«على أى الفرسان وقعت!» وتسمع من يقول اشترت اليوم حصاناً فيقول السامع «وأى حصان».

٥ - استعمال «هل، كما فى قوله تعالى:

* ﴿هَلْ تُوْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين ٣٦).

* ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الدھر ١).

* ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ (الفجر ٥).

* ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (الغاشية ١).

٦ - استعمال «كيف، كما فى قوله تعالى:

* ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ (آل عمران ٢٥).

* ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (الرعد ٢٢).

* ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (محمد ٢٧).

* ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ ﴾ (القمر ١٦).

٧ - استعمال الفاظ من مادة (ع . ج . ب) كما فى قوله تعالى:

* ﴿ وَإِن تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ (الرعدة ٥).

* ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ (ص ٥).

* ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (هود ٧٢).

* ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ (الكهف ٩).

* ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ (الكهف ٦٣).

* ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ (الجن ١).

* ﴿ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (ق ٢).

٨ - استعمال صيغ سماعية محفوظة كما فى قوله تعالى:

* ﴿ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة ٩١).

* ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (الإسراء ٩٣).

ومن ذلك قولهم لله دراك* - لله أنت - سقيالك ورعيا - لافض فوك - المؤمن لا ينجس - وعبارات أخرى مروية.

وإنما دعانى إلى الإشارة إلى ما قد يعترى الصيغتين القياسيتين (ما أفعله وأفعل به) من اللبس ما رأيت من فهم المفسرين لكل ما ورد فى القرآن من قوله تعالى: «وما أدراك» على معنى الاستفهام مع أن القرائن الحالية حيناً والمقالية أحياناً تشير إلى معنى التعجب فى هذه العبارة.

فالنبى عليه الصلاة والسلام يدرى أن الحاقة أو القارعة لا يجليها لوقتها إلا الله وهو أدرى بالحطمة لأنه شاهدها فى المعراج وقص خبرها ولو صح أن نقف أمام كل

* ومنه ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ (النجم ٢٥).

تركيب من هذا النوع موقف التردد بين التعجب والاستفهام، لكان من الممكن أن تفهم معنى التعجب من قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾ (طه ٨٣) بدعوى أن «ما» تعجبية وأن «أفعل» للتعجب، ولكن قرينة إرادة الاستفهام هي ما أجاب به موسى على هذا السؤال ﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَيَّ أَتْرَى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ (طه ٨٤) فبين سبب الاستعجال الذي سئل عنه وبهذا ينبغي الاعتماد على قرينة السياق في تحديد معانى الجمل.

عطف التسوية في القرآن الكريم

بين «أم» و «أو»

التسوية معنى قريب من معنى: «مهمايكن». فثمة حكم لا سبيل إلى تفييره سواء وقع حدث ما أو ضده وقد يأتي التعبير عن هذا الحكم في صورة الخبر أو الأمر أو النهي. وللوصول إلى عطف التسوية طريقتان: الأولى أن يذكر لفظ التسوية ثم تأتي الهمزة داخلية على أحد الخيارين ثم تتبعها «أم» داخلية على الخيار الثاني المضاد لما سبق على حين يكون الحكم قد سبق أو يلحق التسوية بعد استيفاء التعبير عنها. أما الطريقة الأخرى للتسوية فتأتي بتوسط «أو» بين الخيارين المتضادين مع سبق الحكم أو لحاقه أو تكراره مصاحبا الخيارين كليهما. أما وسيلة إظهار التضاد بين الخيارين فإما أن تكون نحوية بواسطة الاثبات والنفي وإما أن تكون معجمية بواسطة اللفظ وضده وسنرى فيما يلي صور عطف التسوية في آيات القرآن الكريم:

أولاً: التسوية بلفظ «سواء» والهمزة وأم:

١ - بالنفي النحوي: قال تعالى:

«سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم» والحكم: «لا يؤمنون»
«سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين» والحكم «إن هذا إلا خلق الأولين»
«سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم» والحكم «لن يغفر الله لهم»

٢ - النفي المعجمي: قال تعالى:

«سواء علينا أجز عنا أم صبرنا» والحكم «ما لنا من محيص»

«سواء عليكم أذعو تموهم أم أنتم صامتون» والحكم «لا يتبعوكم»

والحكم فى هذه الآفة الأءفرة سابق على التسوية لأن نص الآفة هو:

«وان أءعوهم إلى الهءى لا فءبعوكم سواء عليكم أءعو تموهم أم أنتم صامتون».

وقء آءل واو العطف محل «أم» بعء لفظ التسوية كما فى قوله تعالى:

«سواء منكم من أسر القول ومن ءهر به ومن هو مسءءف بالليل وسارب

بالنهار» والحكم أن الله سبءانه.

«عالم الغفب والشهافة الكففر المءعال» وهو سابق على التسوية أفضا. والءضاء فى

هذه الآفة معءمى لا نءوى ذلك للءقابل بفن الإسرار والءهر وبفن الاسءءفاء

والظهور.

ءانفا: بلفظ أو:

هنا أفضا قء فءبر عن الءضاء بالنفى النءوى كما فى قوله تعالى:

«اسءءفر لهم أو لا اسءءفر لهم» والحكم: «ان اسءءفر لهم سبفن مرة

فلن فءفر الله لهم»

وقء فكون الءضاء بءقابل المعنى المعءمى كما فى قوله ءل شأنه:

«ما ننسبء من آفة أو نسها» والءواب: «نآء بءفر منها أو مءلها»

«ان ءبءوا ما فى أنفسكم أو آءفوه» والءواب «فءاسبكم به الله»

«ان آءفوا ما فى صءوركم أو ءبءوه» والءواب «فءلمه الله»

«ان ءبءوا شفاء أو آءفوه» والءواب «فان الله كان بكل شفاء علفما»

«ولئن منم أو قءلتم» والءواب «لإلى الله آءشرون»

«ان فكن فنىا أو فقفرا» والءواب «فالفه أولى بفما»

«إما فبلغن عنءك الكفر أءءهما أو كلاهما» والءواب «فلا نقل لهما أف ولا

آنهرهما»

«قل أءعوا الله أو أءعوا الرءمن» والءواب «أفاما أءعوا فله الأسماء الفسنى»

«إن أراد بكم ضرا أو اراد بكم نفعاً» ودليل الجواب «فمن يملك لكم من الله شيئاً»

«وأسروا قولكم أو اجهروا به» والجواب «إنه عليم بذات الصدور»

وقد يكتنف الجواب جملة التسوية فتكون الجملة معترضة بين جزئى الجواب كما فى قوله تعالى:

«هذا عطاؤنا فامن أو أمسك بغير حساب» فالمعنى: هذا عطاؤنا بغير حساب فامن أو أمسك.

وقد يتكرر الجواب فبأتى بعد كل من المتضادين كما فى قوله تعالى:

«إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث» أى أنه يلهث فى الحالين والتقدير: «إن تحمل عليه أو تتركه يلهث».

حذف أحد الخيارين ودليل حذفه:

قد تحذف الهمزة ومدخولها قبل «أم» فإذا ذكر الحكم سابقاً أو لاحقاً عدُّ دليلاً على المحذوف وقدر المحذوف فى ضوء هذا الحكم ونسبت «أم» إلى عطف التسوية. أما إذا لم يذكر الحكم فأقرب ما تدل عليه «أم» هو معنى الإضراب وفيما يلى بيان لكل من الأمرين:

«أم» للتسوية:

١ - ﴿ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ ﴾ (البقرة ١٠٨).

سبق ذلك قوله تعالى: ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ومالك من دون الله من ولى ولا نصير» فالالتفات من المخاطب المفرد إلى المخاطبين دليل على إرادة خطاب الجماعة منذ البداية. فإذا كان الأمر متصلاً يا عتراض المشركين على نسخ الآيات أو مطالبتهم بمالا يقع فى طاقة النبي صلى الله عليه وسلم فإن المعنى يكون فى أتومنون بأن الله هو القادر أم

تريدون أتسألوا رسولكم بما لا يقدر عليه كما ستل موسى من قبل والحكم هو قوله تعالى: «ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل».

٢ - ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ﴾ (البقرة ١٣٣).

سبق ذلك قوله تعالى: «ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب» فالمعنى أتؤمنون بوقوع هذه الوصية «أم كنتم شهداء» فتتكرون وقوعها.

٣ - ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ (البقرة ١٤٠).

سبق ذلك قوله تعالى: «قل أتجاجوننا في الله» فهزمة التسوية موجودة هنا فلا داعى لتصيد الخيار الآخر والحكم سابق على ذلك في قوله تعالى: «ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه».

٤ - ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (البقرة ٢١٤).

سبق ذلك قوله تعالى: «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه» والمعنى والله أعلم: «أتكفون عن الخلاف حول الكتاب أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولم يقع بكم ما وقع للأمم السابقة التي اختلفت».

والحكم هو: «تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم».

٥ - ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران ١٤٢).

سبق ذلك قوله تعالى: «إن يمسكم قرح فقدمى القوم قرح مثله» فالمعنى هو: أترضون هذا البلاء أم حسبتم أن تدخلوا الجنة دون بلاء.

والحكم هو: ليعلم الله الدين آمنوا ويتخذ ملكم شهداء... وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين.

٦ - ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿النساء ٥٤﴾.

سبق ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿النساء ٥١﴾. فالمعنى: أهم أهل لهذا الحكم بالباطل أم لهم نصيب من ملك الله أم يحسدون الناس؟

والحكم: «أولئك الذين لعنهم الله».

٧ - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ ﴿التوبة ١٦﴾.

سبق ذلك قوله تعالى: «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم» فالمعنى: أترون أتكم مكلفون بالقتال أم حسبتم أن تتركوا.

والحكم: «والله خير بما تعملون».

٨ - ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِن آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿الكهف ٩﴾. سبق ذلك قوله تعالى: «وإن لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا» فالمعنى: أهذا أدل على القدرة وإثارة العجب أم حسبت أن أصحاب الكهف هم العجب.

٩ - ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴿الأنبياء ٤٣﴾.

سبق ذلك قوله تعالى: «قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن» والمعنى: أيجدون من خلقه من يكلوهم أم لهم آلهة تمنعهم.

والحكم: «بل تأتئهم بغتة فتبهتهم».

١٠ - ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهَوْ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ (الروم ٣٥).

سبق ذلك قوله تعالى: «وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون» فالمعنى أيكفرون بلا برهان أم أنزلنا عليهم سلطانا

والحكم فى صورة وعيد: ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون.

فى كل هذه الآيات أعاننا الحكم على تقدير الخيار المقترن بالهمزة وهو الذى يعد مبرراً لاعتبار «أم» على معنى التسوية. أما إذا لم يذكر الحكم فإن أم تكون للإضراب وبخاصة إذا دل السياق على عدم وجود هذا الخيار الآخر كما يتضح من سياق الآيات الكريمة التالية:

١ - ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ (الأنبياء ٢٤) أى بل اتخذوا

المعروف أنهم اتخذوا هذه الآلهة وليس هناك احتمال آخر ويعزز ذلك المطالبة بالبرهان.

٢ - ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ﴾ (العنكبوت) أى بل حسبوا

بدليل قوله تعالى: «ساء ما يحكمون» مما يدل على وقوع هذا الحكم منهم فلا يوجد خيار آخر.

٣ - ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا

يَعْقِلُونَ ﴾ (الزمر ٤٣).

الدليل على وقوع ذلك منهم قولهم: «﴿ هُوَ لَأَشْفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (يونس ١٨)

فالمعنى بل اتخذوا

٤ - ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (الشورى ٢٤) أى بل يقولون

يحكى القرآن فى أكثر من موضع أنهم قالوا ذلك

٥ - ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (الزخرف ٥٢)
أى بل أنا خير

المعروف أن فرعون قال ذلك أو من شأنه أن يقوله فلا مكان لخيار آخر.

٦ - ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً ﴾ (الحاشية ٢١) أى بل حسبوا
ولو لم يحسبوا ما عملوا السيئات وأقاموا على فعلها.

٧ - ﴿ أَمْ نُهَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ﴾ (الملك ٢٠)
أى بل من هذا

فلا ينصر من دون الرحمن ناصر

٨ - ﴿ أَمْ نُهَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ (الملك ٢١) أى بل من هذا
فالرزق من عند الله ولا رازق إلا هو.

وفى كل ذلك قام الدليل إما من السياق أو من تفسير آية أخرى على أن «أم»
منقطعة بمعنى «بل» أى مفيدة للإضراب.

الألفاظ وجبرائيل مغتارة

للألفاظ المفردة أصولها الاشتقاقية وطرق صياغتها من هذه الأصول على صور معينة ولها معانيها المفردة التي تنسب إليها في المعاجم ولها أجزاسها التي تولد في النفوس قبولها أو نفوراً منها وقد يكون للفظين قدر من الاتفاق في المعنى يصل إلى حد الترادف أو التداخل فإذا تداخل المعنى كان من المفيد رصد الفرق بين اللفظين وتخليص معنى كل منهما من معنى الآخر، وإذا تأملنا دور الأصول الاشتقاقية في وجود الألفاظ أو إيجادها صادفنا شبكة من العلاقات بين هذه الأصول ومعاني الصيغ الصرفية تأذن لبعض الصيغ أن تستعمل من مادة اشتقاقية بعينها وتحكم على صيغ أخرى أن تصل في حدود هذه الأصول في نطاق المهجور. مثال ذلك أن الحدث من مادة اشتقاقية معينة إذا كان للمفعول قدرة على مقاومة إيقاعه صح أن يصاغ المطاوع من هذا الحدث وإن لم يكن له قدرة على رده أو مقاومة وقوعه امتنع أن يصاغ منه المطاوع وأصبحت صيغة المطاوعة من هذه المادة من قبيل المهجور. ويمكن اختبار ذلك بالإتيان بالمطاوع منفيًا بعد المتعدى من مادته كأن نقول مثلاً: أطلقتته فلم ينطلق في مقابل ضربته فلم ينضرب. ومن ذلك أيضاً ما يحيط من الشروط بصياغة أوزان صرفية معينة من مادة اشتقاقية أو من غيرها ك شروط صياغة الصفة المشبهة أو التعجب أو التفضيل إلخ مما يفهم منه أن الأصول الاشتقاقية لا تستعمل على إطلاقها وإنما يخضع استعمالها لعلاقات المعاني الوظيفية للصيغ الصرفية، وللمعاني النحوية في السياق.

وأما الصور المعينة التي تصاغ بها المفردات من هذه الأصول فهي ما نعرفه بالصيغ حيناً والأوزان حيناً آخر. ولقد مر بنا أن هذه القوالب ذات معانٍ وظيفية وأن هذه

المعاني من شأنها أن تتعدد للصيغة الواحدة لأن المعاني الصرفية أكثر من هذه الصيغ ومن ثم لزم أن تتصرف اللغة في صيغها تصرفا اقتصاديا يسمح بأقصى قدر من الإفادة من الوسائل المحدودة المتاحة. وهكذا تصبح الصيغة غير صالحة بمفردها للدلالة على معنى معين كالذى نراه فى صيغة «فعليل» مثلا إذ تصلح حال أفرادها أن تنسب للأسمية كما فى سرير أو المصدرية كما فى سهيل أو للوصفية كما فى بخيل فلا يتعين لها واحد من هذه المعانى إلا بعد أن تصاغ الكلمة المفردة المشتقة على مثالها. هذا إذا لم يتعدد المعنى المعجمى لهذه الكلمة المفردة أيضا بعد صياغتها كما فى «صريخ».

ذلك بأن المعنى المفرد (معنى اللفظ المفرد وهو لايفيد نسبة من أى نوع إسناديه كانت أم غير إسنادية) هو معنى متعدد ومحتمل ومن ثم يفتقر إلى قرينة السياق التى تحدده وقد يفتقر إلى قرينة أخرى غيرها إذا عرض له جناس أو تورية أو غير ذلك مما يعرض للألفاظ كما فى قوله تعالى:

﴿ وَلبَاسُ التَّقْوَى ذَلكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف ٢٦).

وكذلك: ﴿ فَأَذاقَها اللهُ لِبَاسِ الجُوعِ وَالخُوفِ ﴾ (النحل ١١٢).

وقوله: ﴿ حَافِظُوا عَلى الصَّلَواتِ وَالصَّلَاةِ الوُسطَى ﴾ (البقرة ٢٣٨).

وقوله: ﴿ لَولا أَن رَأَى بُرْهانَ رَبِّهٖ ﴾ (يوسف ٢٤).

إذ نجد كلا من الألفاظ: «لباس» و«الوسطى» و«ربه» يحتاج إلى قرينة لبيان معناه المقصود واستبعاد معناه الآخر غير المقصود. وقد سبق إلى فهمنا من اللفظ الأول مصدر الفعل لابس يلبس ومن الثانى معنى «الحسنى» ومن الثالث معنى «سيده» أى العزيز الذى ربّاه.

وأما تفاوت المفردات من حيث الجرس فقد صادف اعتراف الشعراء والنقاد منذ كان الشعر والنقد بل إنه يلحظه الناس من كل الطبقات فى الاستعمال اللغوى وينون عليه الكثير من الأحكام القيمية على شخصيات الأفراد كاللباقة والتهديب

والذوق والرقّة والنعموة والجلافة والجفوة والخشونة إلى غير ذلك من الأحكام كما قامت الصلة منذ الزمن الأول بين الجرس والمعنى بواسطة دعوى دلالة الصوت على المعنى وقد تنبه لها اليونان أول الأمر وأطلقوا عليها اسم Onomatopoea ثم عرفها العرب باسم «حكاية الصوت للمعنى» وقد اختصرنا هذا الاسم فجعلناه «الحكاية».

وإذا شارك اللفظ اللفظ في معناه نشأ عن هذه المشاركة سؤال مهم عن مقدار هذه المشاركة فإذا ادعينا أن هذه المشاركة تامة ورد علينا الاعتراض بأن في ذلك إسرافاً في استعمال الألفاظ وقد سبق أن نسبنا إلى اللغة لجوءاً إلى الاقتصاد في استعمال وسائلها المتاحة وليس من الاقتصاد في شيء أن نورد على المعنى الواحد ألفاظاً متعددة نحن أحوج ما نكون إليها لندل على معان أخرى لا حدود لها تعرض لنا كل لحظة من كل يوم. أما إذا أقررنا بأن مقدار المشاركة لا يتعدى درجة التداخل ولا يصل إلى التطابق وبأن لكل من اللفظين منطقة من المعنى لا يشاركه فيها اللفظ الآخر فقد أصبح علينا أن نرصد منطقة الاختلاف في المعنى بين اللفظين وهكذا نشأ نوع من المؤلفات في تراثنا العربى يسمى كتب الفروق لعل من أشهرها كتاب الفروق لأبى هلال العسكري.

هذه هي المحاور التي يجرى على أساسها اختيار اللفظ (محور الأصل الاشتقاقى والصيغة الصرفية والمعنى المفرد والجرس وعلاقة الألفاظ بعضها ببعض) وسنرى كيف يصرّف القرآن الألفاظ بمراوحة الأهمية النسبية بين هذه المحاور إذ يجعل أهمها الاشتقاق حيناً والصيغة حيناً آخر والجرس حيناً ثالثاً وهلم جرا.

أما اختيار العبارة فلربما قام على محاور تختلف عن حل ماسبق وتتفق مع بعضه كما سنرى بعد قليل. فالعبارة تختار لسبك تركيبها ووضوح معناها واتجاهه إلى الصراحة أو التلميح ولمناسبتها للغرض منها إيجازاً وإطناباً وحقيقة ومجازاً ولحسن جرسها ثم لانسجامها مع بيئتها من السياق وتفضيلها لبعض المفردات على بعض. تلك هي المحاور التي يقوم عليها اختيار العبارة فيما أرى ولقد أحسن القرآن اختيار عبارته بحسبها كما سنرى ذلك واضحاً في الشواهد التي نوردتها في هذا الفصل من الكتاب للألفاظ أولاً ثم للعبارات ثانياً:

أ - الألفاظ:

قال تعالى:

١ - ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (يوسف ٥٣) كان يمكن أن تقول: «إن نفسى لأمارة بالسوء» فتفوت على نفسها فرصة الاحتماء بالطبيعة الإنسانية حين تؤكد اتهام النفس على إطلاقها فى موقف تسعى فيه إلى استخلاص بقية من حسن الظن بها بواسطة وقوفها موقف التائب المعترف بالخطأ. ومن هنا كان اختيار كلمة «النفس» لتعم نفوس البشر جميعا ومنها نفسها هى .

٢ - ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (يوسف ٢٥) عدلت عن قولها: «من أراد بى» سوءاً إلى أن تجعل إرادة السوء موجهة إلى أهله لتصرف العدوان من أن يكون عليها هى إلى أن يكون عليه هو استدراكاً لغضبه من أجل كرامته ولو قالت «من أراد بى» لتركت له الفرصة للتأمل فى صدق قولها أو كذبه أو لكان له أن يقول لها: ولماذا تركت له الفرصة حتى أراد بك السوء .

٣ - ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (يوسف ٧٦) فى هذه الآية لفظان مختاران أولهما لفظ «كدنا» والمقصود «ألهمناه كيداً» والثانية «دين الملك» والمقصود العقوبة المصرية القاسية فالله تعالى ألهم يوسف أن يسأل إخوته عن جزاء السارق فى عرفهم ليقى أخاه أن يؤخذ فى دين الملك أى شرعه القاسى فالتعبير بلفظ «كدنا» أبلغ فى الدلالة على إرادة الله ذلك من أن يقال «ألهمنا يوسف كيداً» واختيار لفظ «دين الملك» على لفظ «شريعته» لأن الملك كان يحكم بإرادته الفردية فلم تكن له شريعة يلتزم بها ويخضع لحكمها لو قضت عليه والمعنى أنه ما كان ليوسف أن يرضى بإخضاع أخيه للعقوبة المصرية إلا أن يشاء الله .

٤ - ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (يوسف ٩٣).

﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ (يوسف ٩٦).

لاحظ الفرق بين لفظي «يأت» و«ارتد» فمناطق القول في الأول رغبة يوسف في مجيء قومه إلى مصر بدليل قوله بعد ذلك مباشرة: «وأتونى بأهلكم بأهلكم أجمعين» وأما مناط القول في الثانى فهو التحول من حالة العمى بالارتداد إلى الإبصار دون تفكير فى انتقال أو عدمه .

٥ - ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ (مريم ٥٢) ليس للطور يمين ولا شمال وإنما هو جبل ميمون بل هو «أيمين» من غيره من البقاع بدليل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ (القصص ٣٠) أى نودى من الشجرة من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة أى الطور. فلم كان اختيار لفظ «الأيمين» دون غيره؟ أولاً لأن الأيمن هو الأكثر يمناً وثانياً لأن ثمة قرينة خارجية تحول دون اعتقاد أن للطور يمينا وشمالا لأن هذا لا يتحقق إلا لكائن ذى وجه يتجه به إلى أحد الاتجاهات لنقول إن عن يمينه كذا وعن شماله كذا.

٦ - ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (القصص ٦١) انظر إلى اختيار لفظي «متاع» و«المحضرين» تجرد الأول يقصد به الإمهال إلى أجل محدود وذلك معناه كلما ورد فى القرآن وإنما اختيار على «الإمهال» لأنه زائد عليه فى المعنى لأنه يشتمل على الحروف الأصلية للمتعة وهذا المتاع الدنيوى يعقبه «الإحضرار» يوم القيامة والإحضرار معناه الإمساك بالمذنب ومنعه من الهرب والمثول به أمام القضاء والحساب. فهو غير مجرد «الحضور». ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ (الروم ١٦).

٧ - ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ (ص ٥). المعروف أن صيغة فُعَال اسم كلعاب وصفة مشبهة كشجاع وإحدى صيغ المصادر إذ تدل على داء أو صوت كسعال وصراخ وقد قال ابن مالك:

للدأ فُعال أو لصوت وشمل سيرا وصوتا الفعيل كصهل

ولكن إرادة المبالغة فى تصوير معنى «عجيب» أدت إلى استعمال هذه الصيغة الصرفية التى لا تحتسب عادة بين صيغ المبالغة. وشبهه ذلك ما حدث باختيار ألفاظ أخرى مثل ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًّا كِبَارًا ﴾ (نوح ٢٢) إذ لاتعد صيغة «فُعال» بين صيغ المبالغة وكذلك لفظ «كوثر» فى ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (الكوثر ١) أى اعطيناك الكثير جدا.

٨ - ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾

(الشورى ١٦) إذ جاء لفظ «داحضة» على صيغة اسم الفاعل ومعنى اسم المفعول كما يقال طاعم وكاس وهذا الشيء تالف أو فاسد وهو ما لحقه التلف والفساد إلا بسبب مُتَلَفٍ أو مُفْسَدٍ ولكن هذا المُتَلَفُ أو المُفْسَدُ ليس موضع عناية عند صياغة اللفظ فبين اسم الفاعل هنا وبين الفعل المطاوع رحم وفربى. وعلى هذا لم تهتم الآية بالعنصر الذى كان واسطة فى الدحض إذ قد يكون ذلك بما هو مسجل فى كتاب أعماله أو بشهادة أعضائه عليه أو بغير ذلك من وسائل الدحض فالذى يهم فى النهاية أنها «داحضة» وأن هذا الدحض لحقها كما يلحق الفساد الفاسد وكما يلحق التلف التالف.

٩ - ﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ (الأحقاف ٢٦) عبرت الآية عن النفى

بلفظ «إِنْ» لتقدم «ما» عليها وكرامية توالى لفظين مثلين كأن يقال «فى ما ما مكناكم» بتكرار النفى بـ «ما» وبخاصة لأن الفعل الذى بعد «إِنْ» مبدوء بالميم ولما كان الحرف الساكن «أى المد الذى فى ما» حاجزا غير حصين كان استعمال «ما» بدل «إِنْ» مما يعد توالى ثلاث ميمات وهو مكروه فى ذوق الصياغة العربية. أما لماذا لم يقل «فيما لم نمكنكم فيه» فإن «لم» تقلب زمن المضارع إلى الماضى والمراد الكلام عن حاضرهم وليس عن ماضيهم ولذا جاء التعبير بأداة الزمن الحاضر لأن «إِنْ» = «ما» من حيث الزمن.

١٠ - ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْتَى يَكُونُ لى غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِى الْكِبَرُ وَأَمْرَاتى عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (آل عمران ٤٠) ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنْتَى يَكُونُ لى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنى بَشْرٌ

قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٧﴾ (آل عمران ٤٧) قال سبحانه لذكريا «كذلك الله يفعل ما يشاء» وقال لمريم «كذلك الله يخلق ما يشاء» لأن لفظ «يفعل» لا يناسب أن تخاطب به الأنثى لما تحمله الكلمة من إشارات غير مناسبة وإيحاءات مجوجة .

١١ - ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الحج ٤)
أنظر إلى الطباق في اللفظ والوفاق في المعنى بين لفظي «يضله ويهديه» فهذا الطباق اللفظي حالت بينه وبين الامتداد إلى المعنى عبارة «إلى عذاب السعير» وبنا أن نظن الآن إلى اختيار لفظ «يهديه» دون «يسوقه» أو «يلجئه» أو «يسلمه» أو «يدفعه» أو ما أشبه ذلك من الألفاظ إن في اختيار اللفظ المذكور ما يلي :

أ - أرادة السخرية كإرادتها في ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران ٢١) .
ب - إن من شأن الدعوة أن تكون إلى الهدى لا إلى الضلال فتحقق ذلك له باللفظ وإن فاته بالمعنى وإنما جاءت السخرية من مقابلة للتَّحَقُّقِ والفوات في لفظ واحد .

١٢ - ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (ص ٢٤) لفظ «كثيرا» في الآية يدل على البعضية التي يعززها معنى «من» الجارة التي بعد لفظ «كثيرا» ثم يأتي بعد ذلك قوله «بعضهم على بعض» وفيه لفظ «البعضية» ولكن هناك فرقا بين البعضية المستفادة من اللفظ الأول «مِنْ» والبعضية المعبر عنها بالتركيب الثاني لأن عبارة «بعضهم على بعض» عبارة «مسكوكة» تُؤخَذُ في جملتها لتفيد معنى التبادل الذي يستفاد وظيفيا من الصيغة الصرفية «تفاعل» كتقاتل . ولوصح لصغية «تفاعل» أن تصاغ من البغى لأجزاً في هذا المعنى أن يقال: «وإن كثيرا من الخلطاء ليتباغون» وهكذا ينحصر معنى البعضية في قوله «كثيرا من الخلطاء» وتخلص عبارة «بعضهم على بعض» لمعنى التبادل وتبرأ الآية من الأطناب .

١٣ - وحين عبرت الآية عن علاقة يوسف بالعزير قالت: ﴿ الَّذِي اشْتَرَاهُ ﴾ (٢١) فلم تجعله سيده وحين عبرت عن علاقته بامرأة العزير لم تجعلها سيده بل قالت ﴿ وَرَأَوْدَتُهُ لَتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ (يوسف ٢٢) وكان ذلك تكريما

ليوسف أيضا كما كان احتقارا لسلوكها أو لعملها لأنها هي نفسها ربما كانت أمة تسراها سيدها وهو ما عبرت عنه آية ﴿ وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾ (يوسف ٢٥). أما يوسف فإنه كان يقر بجميل صاحب البيت الذي رباه حتى بلغ أشده ولكنه لم يجعل العزيز سيده في كلامه وإنما اختار لفظا مشتقا من التربية قال: ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ (يوسف ٢٣) وتكلمت الآيات عن الرب بمعنى السيد في قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ (يوسف ٢٤) وكذلك ﴿ أَمَا أَحَدُكُمْ مَا فَسَّقَ بَنِيَّ رَبِّهِ خَمْرًا ﴾ (يوسف ٤١) وأيضا ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ (يوسف ٤٢).

١٤ - يستعمل لفظ «شرى» بمعنيين:

أ - معنى «اشترى» كما في قول عترة:

حصاني كان دلال المنايا فخاض غمارها وشرى وباعا

إذ تقوم المقابلة بين «شرى» و«باع» قرينة على أن «شرى» بمعنى «اشترى».

ب - معنى «باع» كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَبَّسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ (البقرة ١٠٢) وقوله ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ (النساء ٧٤) وقوله: ﴿ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ (البقرة ٢٠٧) أما لفظ «باع» فليس يدل إلا على معنى البيع ومن هنا كرم الله يوسف باختيار لفظ «شرى» دون لفظ «باع» في قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ (يوسف ٢٠) وذلك لما يحمله لفظ «باع» من إحياء بالرق والمهانة ولأن ما في لفظ «شرى» من أنه من ألفاظ التضاد يخفف من هذا الإحياء.

١٥ - السنة والعام بمعنى واحد فكلاهما يعني مدة اثني عشر شهرا. ولكن القرآن الكريم يورد لفظ السنة عند إرادة الشدة ويورد العام عند إرادة الرخاء ومن هنا يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ (الإعراف ١٣٠) ويقول ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (يوسف ٤٢) ويقول ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ

سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿ (يوسف ٤٧) فيكون الدأب قرينة الشدة في هذه السنين ولكنه يقول بعد ذلك ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴾ (يوسف ٤٩) ويقول تعالى: ﴿ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (العنكبوت ١٤) وقى ذلك دليل على أن الأعوام الخمسين كانت أعوام هدوء وأن السنين الباقية من عمره استغرقتها الدعوة والتكذيب والانفعال وأن نوحا ربما ظل على قيد الحياة ألفا كاملة العدد.

١٦ - لقد مرينا في دراسة القيم الصوتية في فصل سابق كيف كان جرس بعض الألفاظ القرآنية التي لا وجود لمعظمها خارج النص القرآني وذلك مثل: ضِرْيَى - زُقُوم - غَسَلِينَ - المَهْل - سَقَر - سَلْسِيل - عَسَاق - سَجِين - عَلِيَيْن - تَسْنِيم - ضَرِيْع - سِينين - سَجِيل - الكُوْثِر - غَاسِق - وَقَب - إل - الخَ وقلنا إن في هذه الألفاظ حكاية للمعنى بواسطة الجرس. ولو حاولنا بيان ذلك في لفظ «زُقُوم» لوجدنا ما يلي:

١ - القاف والميم شركة بين لفظ الزقوم ولفظ «اللُقمة».

٢ - الزاى رخوة «احتكاكية» والقاف شديدة «انحباسية» وتواليهما يوحى بتكلف ادخال اللقمة محتكة بالفم ففيها معنى «الزُق» كما يزق الطائر فرخه.

٣ - وفي الكلمة من حروف «الحلقوم» القاف ثم إن فى الواو والميم من طول الأولى وإقبال الشفتين فى الثانية ما يوحى بتوقف اللقمة عند الحلقوم، لصعوبة إزرداها.

٤ - أصول الكلمة هى أصل اشتقاق طائفة من الكلمات تتصل بالطعام فالطائر يزق فرخه وزقم = لقم وأزقمه = أبلعه وأزد قمه - ابتلعه وأخيرا الزقمة = الطاعون.

٥ - فى تشديد القاف إطالة اتصال الأعضاء فى مخرجها مما يوحى ببقاء اللقمة محتبسة فى الحلقوم مدة طويلة قبل الإساعة وبخاصة إذا لحق بطول التشديد طول المد الذى فى الواو من «الزقوم».

ب - العبارات :

١ - قد يحدث عند الإخبار بالذى أو الألف واللام أن يراد الشرط أو يراد مجرد الخبر. أما إرادة الشرط فيبررها أن الموصولية هي المعنى الأصلي لعدد من أدوات الشرط نحو «من وما وأى» فإذا صح أن تتحول هذه الموصولات بحسب مبدأ النقل إلى أدوات شرط فإن موصولات أخرى يمكن أن تستعمل بمعنى الشرط أيضا وأن لم تخضع لمبدأ النقل إما لكثرة حروفها فلا تصلح أداة مثل «الذى» وإما لوجوب اتصالها فلا تصلح أيضا مثل «الألف واللام» فإذا قصد معنى الشرط عند الإخبار بالذى والألف واللام اقترن الخبر بالفاء وإن لم يقصد معنى الشرط لم يقترن الخبر بها. ويبدو ذلك واضحا فى الشواهد التالية:

أ - إرادة الشرط رمن ثم اقتران الخبر بالفاء:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾ (آل عمران ٩١).

أى: إن ماتوا وهم كفار فلن يقبل منهم.

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾ (المائدة ٣٨).

أى من سرق ومن سرقت فاقطعوا.

﴿ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ (النور ٣٣).

أى إن ابتغوا المكاتب فكاتبوهم.

﴿ وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (النور ٢).

أى من زنت ومن زنى فاجلدوا...

ب - إرادة مجرد الاخبار فلا يقترن الخبر بالفاء:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا ﴾ (النساء ٥٦).

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدَّخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (النساء ٥٧).

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنَ مَثَابٍ ﴾ (الرعد ٢٩).

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴿ (المؤمنون ٦٠ ، ٦١).

﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (الشورى ١٦).

وليس معنى الشرط واردا على أى من هذه الشواهد ومن ثم يمتنع اقتران الخير بالفاء لانعدام رائحة الشرط.

٢ - حين عاد أحد الفتيين رقيقى السجن إلى يوسف يدعوه إلى تأويل حلم الملك ناداه قائلاً: ﴿ يَوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ (يوسف ٤٦) مبدياً بهذا النداء رأيه فى يوسف أنه من الصديقين ولو أنه عكس النداء فقال «أيها الصديق يوسف» لكان معنى ذلك أن لفظ «الصديق» لقب عرف به يوسف بين خلطائه فلا يحمل النداء به من التقدير والاحترام ما حمله النداء القرآنى.

٣ - إن معنى التسوية فى العبارة القرآنية يمكن أن يعبر عنه بطرق مختلفة منها:

أ - استعمال لفظ التسوية نحو:

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ (البقرة ٦).

ب - الأمر وقد عطف عليه النهى بأو نحو:

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (التوبة ٨٠).

ج - العطف بأو فى غير ذلك نحو:

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ ﴾ (التوبة ٥٣).

٤ - إذا كان فى القرآن ألفاظ تحيل إلى متأخر لفظا ورتبة كضمير الشأن فإن فيه أيضاً ألفاظا لها إحالة مشابهة إلى كلام لاحق فهى عبارات تشبه من حيث المعنى ما فى الاستعمال المعاصر من عبارة «مايلى» أو «ما يأتى»: فمن ذلك:

أ - ﴿ ذَلِكْ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران ٥٨) أى نتلو عليك ما يلى:

ب - ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ (طه ١٣) أى فاستمع لما يأتى:

ج - ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴾ (طه ٣٨) أى أو حينما مايلى:

د - ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (المائدة ١) أى إلا مايلى:

٥ - كثيرا ما يعبر القرآن عن المعانى الإنشائية بالمصادر المنصوبة وقد أجهد النحاة أنفسهم فى تلمس أفعال يقدرونها واجبة الحذف لتتنصب بها هذه المصادر وما كانوا بحاجة إلى ذلك ما داموا قد أحلوا بعض المصادر محل الأفعال واطلقوا عليها أسماء أفعال نحو تراك ودرارك وحادار إلخ والمعانى الإنشائية التى يستعمل القرآن لها هذه المصادر منها:

أ - الأمر: نحو ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ (محمد ٤).

وأيضا ﴿ وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ (البقرة ٢٤٠).

ب - الإلزام: نحو ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ (النساء ٢٤)

وأيضا ﴿ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (النساء ٢٤).

ج - الإلتزام: نحو ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ﴾ (يونس ٤).

د - الإغراء: نحو ﴿ قُلْ بَلْ مَلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (البقرة ١٣٥).

هـ - إنشاء التحية: نحو ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الحجر ٥٢) وكذلك ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان ٦٣).

و - التنزيه: نحو ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ (الإسراء ١) وكذلك ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ﴾ (مريم ٣٥).

ز - التأكيد: نحو ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾ (مريم ٣٤) وكذلك ﴿ وَعَدًّا عَلَيْنَا ﴾ (الأنبياء ١٠٤) و ﴿ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (الأحقاف ١٦).

٦ - يستعمل النص القرآني «أم» لمعادلة الهمزة المتقدمة عليها وهذا معناها الأصلي ولكنه يسوقها أحيانا مساقا آخر يجعلها تفصح عن همزة مقدرة ولهذا لا يعدّ مستهجنًا أن نسميها «أم» الفصيحة، وذلك كما في قوله تعالى:

أ - ﴿ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ (البقرة ١٠٨) والتقدير: أتعقدون أنه «مالكم من دون الله من ولي ولا نصير» أم تريدون أن تسألوا رسولكم أن يريكم الله جهره (أنظر الآية ١٠٧).

ب - ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ (البقرة ١٣٣) والتقدير أقبليتم في ذلك نبأ الوصية المذكورة أم كنتم شهداء (انظر الآية ١٣٢)

ج - ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ (البقرة ١٤٠) يجوز أن تكون «أم» عطفًا على قوله تعالى «أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ» كما يجوز أن تكون عطفًا على همزة مقدرة.

والتقدير اتعقدون أن ملتنا هي ملة إبراهيم أم تقولون...

د - ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ (النساء ٥٣) والتقدير أمن حقهم أن ينسبوا إلى الهداية من يشاؤون أم لهم نصيب من الملك (أنظر الآية ٥١).

٧ - تستعمل «إلا» في القرآن للاستثناء وهذا هو الأصل فيها ولكنها تأتي أيضا للاستدراك فتكون بمعنى «لكن» كما في الشواهد الآتية:

أ - ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة ٣٤) أى لكن إبليس .

ب - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيْنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ (البقرة ١٥٩ - ١٦٠) أى لكن الذين تابوا .

ج - ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (الأعراف ١١) أى لكن إبليس .

د - ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ (التوبة ٣ - ٤) أى لكن الذين عاهدتم :

هـ - ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة ٧) أى لكن الذين عاهدتم .

و - ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (يونس ٩٨) أى لكن قوم يونس . .

ز - ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم ٦٢) أى لكن سلاما .

ح - ﴿ طه ١ ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿
(طه ١ - ٢) أى لكن تذكرة.

ط - ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (القصص ٨٦)
أى لكن رحمة.

ى - ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (التين ٤ - ٦).

٨ - يصوغ الأسلوب القرآنى المصدر المؤول بواسطة عدد من الحروف التى تدخل
على الفعل المضارع كما يبدو فى الشواهد التالية:

أولا - أن والفعل: وهذا هو الأعم الأغلب كما فى قوله تعالى:

أ - ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ (البقرة ٦٧).

ب - ﴿ أَفَتَعْطَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ (البقرة ٩٠).

ج - ﴿ مَا هُوَ بِمُزْحِحِّهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَعْمَرَ ﴾ (البقرة ٩٦).

د - ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ
مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة ١٠٥).

هـ - ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ (البقرة ١٠٨).

و - ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَّ مَعَ مَسَاجِدِ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (البقرة ١١٤) أى من
أن يذكر.

ز - ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (البقرة ١٥٨) أى فى أن يطوّف.

ح - ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٦٩).

ط - ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ (البقرة ١٧٧).

ى - ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (البقرة ١٨٤).

ثانيا - ما والفعل: كما فى قوله تعالى:

أ - ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ (البقرة ٧٥).

ب - ﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة ٦١).

ج - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي

الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة ١٥٩) أى بعد بياننا إيَّاه.

د - ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي

الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة ١٦٤) فالمصادر هنا هى الخلق والاختلاف والإنزال والبعث والتصريف.

هـ - ﴿ فَتَنَّبَرَّأ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾ (البقرة ١٦٧).

و - ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (البقرة ٢٧٥).

ثالثا - اللام والفعل: وتدخل اللام على الفعل غالبا بعد فعل الإرادة فى قوله تعالى.

أ - ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ ﴾ (النساء ٢٦).

ب - ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾ (الصف ٨).

ج - ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (المائدة ٦).

د - ﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ (المائدة ٦).

رابعاً - لو والفعل: ويكثر ذلك مع الفعل «ودّ» و«يودّ» كما فى قوله تعالى:

أ - ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (البقرة ٩٦).

ب - ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ (النساء ١٠٢).

ج - ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء ٨٩).

د - ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا﴾ (البقرة ١٠٩).

هـ - ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ (آل عمران ٦٩).

و - ﴿يَوْمَئِذٍ يَودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ (النساء ٤٢).

خامساً - إذ والفعل: كما فى قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران ٨).

٩ - يكثر نزع الخافض فى الأسلوب القرآنى وبخاصة مع «أن» المشددة النون و«أن» المصدرية والمعروف أن نزع الخافض معهما مطرد. وذلك كما فى قوله تعالى:

أ - ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة ٢٥) أى بأن.

ب - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة ٢٦) أى من أن.

ج - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ (البقرة ٦٧) أى بأن.

د - ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ (البقرة ٧٥) أى فى أن.

هـ - ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (البقرة ٧٧) أى بأن.

و - ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (البقرة ١١٤) أى

من أن.

ز - ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ (البقرة ١٢٥) أى بأن.

ح - ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا

تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٦٩) أى بأن.

ط - ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة ١٩٨) أى فى أن.

ى - ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا ﴾ (البقرة ٢٢٤) أى لأن

(أى لا جل أن).

ك - ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ

أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ (البقرة ٢٢٢) أى عن أن.

ل - ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ (البقرة ٢٥٨)

أى لأن.

م - ﴿ ذَلِكَمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾ (البقرة ٢٨٢) (أى

إلى أن لا ترتابوا).

وقد يلزم مع تقدير الخافض المنزوع أن نقدر مفعولا لأجله محذوفا مثل كلمة

«اتقاء...» أو «مخافة...» أو «اجتناب...» كما فى قوله تعالى:

أ - ﴿ فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ

إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ (البقرة ٢٨٢).

ب - ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ (آل عمران ٧٣).

ج - ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ (المائدة ١٩).

وفيما يلي طائفة أخرى من العبارات القرآنية التي تشتمل على ما يستحق الملاحظة:

١٠ - ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ (البقرة ٢٩) في هذه العبارة ما يلي:

أ - تعدية الفعل «استوى» بحرف الجر «إلى» مما يوحي بالتضمين أى تضمين الفعل المذكور معنى فعل آخر لا يحسن إسناده إلى لفظ الجلالة كالفعل «أنصرف» أو اتجه مثلا.

ب - أن الضمير في «سواهن» غير مطابق للسماء من حيث العدد ولكنه مطابق لتأخر عنه لفظا ورتبه أما لفظا فواضح وأما رتبة فلأن «سبع سموات» مفعول ثان للفعل «سواهن».

ح - لاحظ الشركة في أصول الاشتقاق بين «استوى» و«سواهن».

١١ - ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ

هَؤُلَاءِ ﴾ (البقرة ٣١) وفيها ما يلي:

أ - ليس التعليم المذكور هنا على نحو ما نألفه اليوم من التلقين والتدريب وإنما هو إلهام وهبة واستعداد وفطرة وقدرة على استمال اللغة.

ب - أن الضمير في «عرضهم» للمسميات لا للأسماء بدليل مطالبة الملائكة بأسماء المعروضات.

ح - لا ينبغي لهذه الآية أن تتخذ شاهدا على أن اللغة توقيفية إذا قبلنا التعليم بمعنى غرس الاستعداد الفطري.

١٢ - ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (البقرة ٧٨)

وفيها:

أ - أن النسب في لفظ «أمي» إلى أمة العرب منظوراً إليها فيما يقابل الجاليات الكتابية التي كانت تسكنها.

ب - أن لفظ «الكتاب» في هذه الآية يعنى الكتابة ولم يكن العرب أمة كاتبة فلما عرفوا بذلك نسب من يجهل الكتابة إليهم فقبل له «أمي» أى من أبناء الأمة وليس من أهل الكتابة. وقد يقصد بلفظ «الكتاب» المكاتبه أيضا كما فى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ (النور ٣٣) وقد يقصد به جنس الكتب السماوية كما فى ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ (آل عمران ١١٩).

١٣ - ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (البقرة ٢١٧) وفى هذه ما يأتى:

أ - ليس الذى فى نص الآية (من قوله: به والمسجد) عطفا لاسم ظاهر على ضمير متصل بحرف الجر دون إعادة حرف الجر ذلك لأن المقصود بقوله «وكفر به» الكفر بالله سبحانه وهكذا يكون ترتيب الكلام على النحو التالى:

وصد عن * سبيل الله وكفر به (مع إعادة الضمير إلى المضاف إليه).

وصد عن * المسجد الحرام.

وإخراج أهله منه أما الضمير فى «به» فقد عاد إلى المضاف إليه وهو لفظ الجلالة.

فالصد عن أمرين هما سبيل الله والمسجد الحرام.

١٤ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْاِنَّمَالِ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿آل عمران ١١٨ - ١٢٠﴾.

وضعت هذه الآية للبطانة المنهى عنها أربع صفات ولكل صفة شرحها من واقع الحال كما يلي:

الصفة شرحها

- ١ - «لا يألونكم خبالا» = «إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصيبكم سيئة يفرحوا بها».
- ٢ - «ودواما عنتم» = «وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا» (أى أنهم يكيدون لكم).
- ٣ - «قد بدت البغضاء من أفواههم» = «هأنتم أولا تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله» (أى على رغم إيمانكم بالكتاب كله).
- ٤ - «وما تخفى صدورهم أكبر» = «وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلو عضوا عليكم الأنامل من الغيظ».

وقد وضعت الآية هذه الشروح على طريقة اللف والنشر المشوش.

- ١٥ - ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران ١٢٥).

الفور أول الوقت يقال: جاء فوراً وجاء من فوره أى فى الحال وهذه العبارة كافية بمفردها لإيضاح معنى عدم الإبطاء، أما الآية المذكورة فقد أضافت إلى الفور إشارة إليه فاكستبت العبارة بذلك تأكيدا للفور مرجعه إلى دلالة لفظ «هذا» على مشار إليه قريب كما أكتست العبارة جمالا على جمالها بما اكستبتها زيادة اللفظ المذكور من

توازن إيقاعى تحول به النبر الذى فى أول «فورهم» من نبر أولى إلى نبر ثانوى ليفسح المجال للنبر الذى على «هذا» أن يحتل موقع النبر الأولى وبدا أصبح النبران معاً كالنبرين فى كلمة واحد مساوية لهما معا فى الطول مثل: استَحَلُّوْهَا أو استفزُونى إذ يقع النبر الثانوى فى كل من الكلمتين الأخيرتين على حركة همزة الوصل والنبر الأولى على واو المد التى تقف بإزاء الألف التى بعد الهاء من «هذا» .

١٦ - ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا لَأَن نُّؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (آل عمران ١٨٣) .

عدل نص الآية عن أن يقول «بالبينات وبقربان تأكله النار» إلى قوله «بالبينات وبالذى قلتم» وربما كان ذلك للأسباب الآتية :

أ - إثبات أن ذلك كان مطلباً لهم غير جاد لأنه تحقق من قبل ذلك ولم يرتدعوا به .

ب - الاستخفاف بهذا المطلب لأن عند الله من الآيات ما هو أعظم من ذلك وكان مظهر الاستخفاف الكناية عنه بالوصول وصلته . وهذا شبيه بما فى الآية (١٨١) من السورة نفسها إذ يقول تعالى: «سنكتب ما قالوا» لعدم إرادة ترديد ما قالوه إذ قالوا «إن الله فقير ونحن أغنياء» .

١٧ - ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴾ (النساء ٢) .

من الواضح أن الفعل «أكل» يتعدى إلى مفعوله بنفسه وقد تعدى فانتصب بعدُ لفظ «أموالهم» على المفعولية ولو أن العبارة وقفت عند هذا الحد لكانت قياسية وبحسب الأصل الاستعمالى . ولكن الجار والمجرور الذى جاء بعد ذلك أوجب إعادة التفكير فى الفعل «تأكلوا» واعتقاد أنه ضمن معنى فعل آخر يتعدى بواسطة «إلى» مثل «ولا تضموا» أو «تحولوا» أو غير ذلك . ولكن الآية لو استعملت أحد هذه الأفعال الأخيرة لخلت من الطاقة التعبيرية التى تجدها لها مع استعمال الفعل «تأكلوا» لما فى استعماله من الدلالة على الشراهة والاستهلاك والهضم فى وقت معا .

١٨ - ﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا ﴾ (النساء ٦).

فى عبارة «وبداراً أن يكبروا» ما يلى:

أ - استعمال مصدر البدار فيه إثبات لسوء النية من قبل أولياء اليتامى.

ب - وفيه أيضا تسابق مع الزمن ومع نمو اليتامى للاستئثار بأموالهم.

ج - نزع الخافض من «أن يكبروا» يفتح المجال أمام تقدير لفظ مناسب إلا يكن حرف جر كاللام مثلا فهو صالح أن يكون ظرفا نحو «قبل أن يكبروا» ولكن لأن لفظ «بداراً» يحمل فى طيه معنى «قبل» أصبح بذاته مغنيا عن تقدير الخافض المنزوع الذى تقرره قواعد النحو فى هذا الموقع، ولعل التنوين فى «بداراً» جاء لمشاكله التنوين إسرافاً» ولو لم يكن الأمر كذلك لجاز فى العبارة أن تكون «وبدار أن يكبروا» بإضافة البدار إلى المصدر المؤول ولو حدث ذلك لكان لفظ «بدار» مساويا فى الموقع والمعنى للفظ «قبل» وإن ظل إعرابه كما هو مفعولا لأجله.

١٩ - ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ن تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء ٢٦ - ٢٨).

لدينا فى هذه الآيات العبارات التالية:

يريد الله - والله يريد - يريد الله

والذى يبدو أن التقديم فى العبارة الثانية جاء لسببين:

أ - كسر الوتيرة الواحدة فى طريقة الترتيب.

ب - الدلالة بالعبارة الثانية على أن الله وحده يريد التوبة على حين يريد الذين يتبعون الشهوات الميل العظيم ويعزز هذه الدلالة ما نجد من المقابلة بين إرادة وإرادة.

٢٠ - ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ

تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِنْ

الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ
وَرَاعِنَا لِيَا بِالْإِسْتِثْمِ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ﴿ (النساء ٤٤ - ٤٦) .

قدر بعض المفسرين كالجلالين قوله تعالى «من الذين هادوا» خبرا مقديا مبتدؤه
«قوم» وتابعا في ذلك مذهب سيبويه وما أنشده النحويون من قول الشاعر:

لو قلت ما في قومها لم تيشم بفضلها في حسب وميسم

ولكن الظاهر في الآية أن «من الذين هادوا» متعلق بلفظ «نصيرا» وذلك على
نحو ما في قوله تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ (الأنبياء ٧٧)
وكذلك ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ (غافر ٢٩) وأيضا ﴿ وَيَا قَوْمِ مَنْ
يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ﴾ (هود ٣٠) .

٢١ - ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ
فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (المائدة ١٤) وكذلك ﴿ وَلَتَجِدَنَّ
أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾ (المائدة ٨٢) .

أول ما يلاحظ في هذه الآية هو وصف النصارى بعبارة «الذين قالوا إنا نصارى»
لأنهم تخطوا مجرد النصر للمسيح إلى عبادته فأساءوا إليه وأوقفوه موقف المساءلة
يوم القيامة (المائدة ١١٦ - ١١٨) ومن ثم فهم الذين قالوا إنا نصارى وأما وصفهم
بلفظ «النصارى» مجردا في أماكن أخرى من القرآن فقد جاء في مجال ذكر عدد من
الطوائف إحداهما النصارى إما على سبيل التعداد أو المقابلة أو غير ذلك .

٢٢ - ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة ٤٨) .

في العبارة تضمين الفعل «تتبع» معنى فعل آخر يتعدى بالحرف «عن» ويمكن
تأويل ذلك بنحو «ولا تنحرف بسبب أهوائهم عما جاءك من الحق» وأما ما في الآية
(٤٩) من قوله «ولا تتبع أهواءهم وأحذرهم أن يفتنوك» فإن المصدر المؤول بدل من
الضمير في «أحذرهم» أى احذر أن يفتنوك أو احذر فتنتهم إياك .

٢٣ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴿ (المائدة ٥١ - ٥٢).

أوضح معنى الفاء من قوله «فترى» هنا أنها جاءت للسببية ومعناها «ذلك بأن» أى إنما جعلنا أولياءهم منهم لأن الذين فى قلوبهم مرض «المنافقين» يسارعون فيهم أى فى اليهود وقد عطف على ذلك ما نجده فى الآية رقم (٦٢) من قوله: «وترى كثيرا منهم يسارعون فى الأثم والعدوان» وهم يهود.

٢٤ - ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام ١).

نسبت الآية السموات والأرض إلى الخلق ونسبت الظلمات والنور إلى الجعل فكأنما جعلت السموات والأرض جواهر وجعلت الظلمات والنور أعراضا تنسب إلى هذه الجواهر وتدرك بها. ثم إن هذا الإبداع لم يهد الذين كفروا إلى مبدع قادر يستحق أن يعبد فاتخذوا عديلا له يعبدونه من دونه «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون».

٢٥ - ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴿ (الأنعام ٨ ، ٩).

فى هذه الآية حجتان:

الأولى أن الله لا ينزل الملائكة إلا بالحق وهو أن تحقق عليهم كلمة العذاب فلو أنزل عليهم ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون.

الثانية أن الإنسان ليس مؤهلا لرؤية الأجسام النورانية ومن ثم يصور الله الملائكة فى صورة الناس ليراها الناس ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ وقد صور الله جبريل فى صورة دحية الكلبي ليراها المسلمون.

كل ذلك فى كلمات قليلات ولكن وافيات بالغرض.

٢٦ - فى العبارة القرآنية أحيانا ما يمكن أن يسمى تقارض المصدرين بحيث يأتى المصدر صريحا فى موضع المؤول ومؤولا فى موضع الصريح كما نرى فى قوله تعالى: ﴿ لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ (النساء ١٤٨) أى «لا يحب الله أن يجهر إلا من ظلم» وفيها أيضا أن يأتى المصدر مؤولا باسم الفاعل نحو:

أ - ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ (البقرة ١٧٧).

ب - ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ﴾ ((البقرة ١٨٩) والمعنى فى كلتا الآيتين «ولكن البار».

ج - ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (التوبة ١٩) أى ساقى الحاج وعامر المسجد.

د - ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ (الملك ٣٠) أى «غانرا».

العراق المحفوظة في النص القرآني

تدرك العلاقات بواسطة القرائن الدالة عليها فإذا رأيت إنسانا يقبل يد إنسان آخر أدركت بهذه القرينة الحسية (المريئة) أى الرجلين أرفع من صاحبه قدراً، وإذا رأيت رجلاً يلبس ملابس الشرطة أو الجيش أدركت إنتماءه إلى الفئة التى تدل عليها هذه الملابس. وإذا كنت تمشى فى الطريق فسمعت الأذان للصلاة استدلت على خصوص الصلاة بوقتها فى اليوم وعلى حلوله بالأذان لها فعلمت أن هذه صلاة العصر أو المغرب مثلاً. وإذا كنت تسير فى طرقات المدينة فشممت رائحة شواء دلّتك الرائحة على قربك من مطعم للمشويات، وإذا لمست ثوباً لدى بائع الثياب عرفت باللمس ما إذا كان الثوب قطناً أو حريراً أو صوفاً. ومن يذق الطعام أثناء إعداده سيعرف ما إذا كان الطعام قد نضج أو أنه ما يزال دون مرحلة النضج. ومعنى ذلك أن الحواس الخمس اكتسبت بالطبع والدربة قدرة على التفريق بين الأشياء والمواقف والأحداث بعلامات خاصة تسمى «القرائن الحسية» يربط الفهم بها بين الأمور وأعراضها التى تعرض لها.

واللغة نظام لفظى يربط الألفاظ بالمعانى بواسطة نوعين من القرائن أحدهما يسمى القرائن اللفظية والآخر هو القرائن المعنوية أى أن العلاقات بين أجزاء الكلام قد يستدل عليها بقرائن لفظية فنسميها علاقات ملفوظة وقد يستدل عليها بقرائن معنوية فنعرفها باسم العلاقات الملمحوظة أى التى لا يعتمد إدراكها على قرائن لفظية. ويعتمد التحليل النحوى على عدد من القرائن اللفظية منها: بنية اللفظ (وتعرف من أقسام الكلم ودراسة الصيغ الصرفية ووظائفها) والتضام (ويعرف من خلال

الافتقار والاختصاص والمصاقية) والرتبة (وهى إما محفوظة أو غير محفوظة تحتمل التقديم والتأخير) والمطابقة (وهى اشتراك اللفظين فى الأفراد والثنية أو الجمع، وفى التكلم أو الخطاب أو الغيبة وفى التعريف أو التنكير وفى التذكير أو النأنث وفى حكم الإعراب) والربط (بواسطة إعادة الذكر أو إعادة الضمير أو أمور أخرى بعينها تؤدى الغاية نفسها) والأداة (أى الأدوات الداخلة على المفردات كحروف المعانى والداخلة على الجمل لتدل على نوع أسلوب الجملة كالشرط والاستفهام إلخ) ونعمة الكلام (فى الكلام المنطوق) ودلالة السياق (بما فيه من قرائن خارجية وحسية وعقلية إلخ).

واللغة منظمة إنسانية يستعملها إنسان ويفهمها إنسان. وفى الذاكرة الإنسانية تصور يتطلب الالحاح عليها بالقرائن للإبقاء على ما اختزنه هذه الذاكرة تصور أنك سألتنى عن مكان معين تريد الذهاب إليه ولا تعرف موقعه وكان بيننا وبين هذا المكان مسافة ومنعرجات فاكتفيت بأن أطلب منك أن تسلك أول منعرج دون أن أصف لك علاقات تبدأ بها المنعرجات الأخرى وعلاقات تحيط بالمكان الذى تريد، أكنت تستطيع بهذه القرينة الأولى أن تصل إلى ذلك المكان؟ فإذا وجب أن تتعدد القرائن فى هذا المثال فهى فى اللغة أحوج إلى التعدد. أنظر مثلا جملة مثل «قام محمد» فإذا قلت لك أعرب هذه الجملة قلت: قام فعل ماضٍ ومحمد فاعل. والسؤال هو كيف عرفت أن «قام» فعل ماضٍ وأن «محمد» فاعل؟ والجواب كما يلى:

قام فعل ماضٍ لأن صيغتها فَعَلَ بالبناء على الفتح (بنية)

ولأنها تدل على حدث القيام بما فيها من حروفه الثلاثة (اشتقاق)

ولأنها تقرن هذه الدلالة بدلالة أخرى على الزمن الماضى (وظيفة)

ولأنها تفتقر إلى «قائم» هو الفاعل لأن كل فعل فلا بد له من فاعل

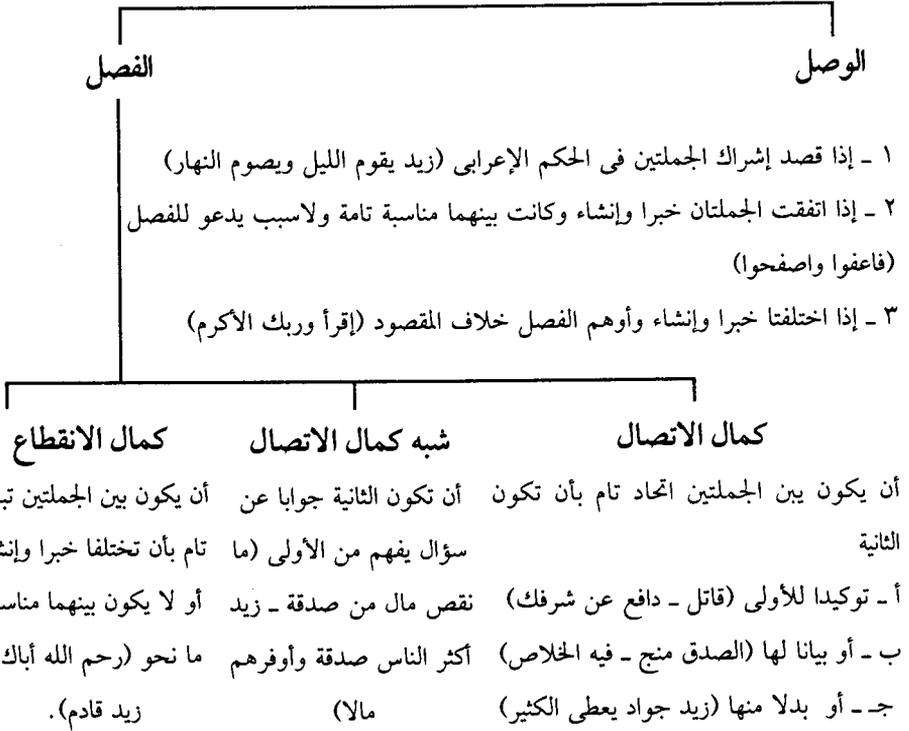
(تضام)

(رتبة)	ولأن هذا القائم جاء بعدها مستوفيا شروط الفاعل
(بنية)	محمد فاعل لأنه اسم
(إعراب)	مرفوع
(رتبة)	تقدمه فعل
(بنية)	والفعل مبنى للمعلوم
(إسناد)	ودل على من فعل الفعل أو قام به الفعل

فكل من الفعل والفاعل اعتمد في إدراكه على خمس قرائن وهذا ما يعرف في
الدرس اللغوى باسم تضافر القرائن. وإذا تأملنا القرائن السابقة الدالة على الفعل
والفاعل وجدناها من نوعين أحدهما يتجلى في لفظ واحد مفرد وذلك هو البنية
والوظيفة والإعراب والآخر يتمثل في صورة علاقة بين أكثر من لفظ واحد وذلك هو
التضام والرتبة والإسناد وكلا النوعين نحوى خالص. وفوق ذلك تنحصر دلالة هذه
القرائن في نطاق الجملة الواحدة.

لم تتجه عناية النحاة إلى علاقة الجملة بالجملة إلا في مواضع بعينها كعلاقة
الجملة الفرعية (سواء أكان لها محل من الإعراب أم لم يكن) بالجملة الكبرى
وكالإضراب والاستدراك والاستثناء والأجوبة ونحوها مما يعتمد على الأدوات الداخلة
على الجملة وتركوا ما عدا ذلك من علاقات الجملة بالجملة لعلماء البلاغة ليدرسوه
تحت عنوان «الفصل والوصل» ومعنى الفصل عدم استعمال الأداة لتبدو الجملة الثانية
في صورة استئناف ومعنى الوصل وجود الأداة الرابطة بين الجملتين. وكأن البلاغيين
لم يشغلهم من الأدوات الداخلة على الجملة اللاحقة إلا أو العطف فوجودها مظهر
الوصل وعدمها مظهر الفصل. ولقد فرق البلاغيون بين مفهومي الوصل والاتصال
وذلك بجعل الاتصال وشبهه حالتين من حالات الفصل وبذلك أصبح المقصود
بالاتصال هو اتصال معنى إحدى الجملتين بمعنى الأخرى بواسطة علاقة مامع فصل
إحداهما عن الأخرى. وهكذا جعل النحاة الفصل مختلفا في الفهم عن الانقطاع

الذى هو عكس الاتصال . ويمكن تلخيص نظرة البلاغيين إلى هذه القضية على النحو التالى :



هكذا يبدو أن البلاغيين حصروا هذه القضية فى أبواب التوابع فيما عدا النعت وأضافوا إلى ذلك الجواب عن سؤال وارد فالوصل يبدو فى صورة عطف النسق، وكمال الاتصال إما أن يكون فى صورة التوكيد أو البيان أو البدل، وشبه كمال الاتصال يكون عند إفهام الجملة الأولى سؤالا يجاب عنه بالثانية . أما كمال الانقطاع فمجاله اختلاف الجملتين خبرا وإنشاء . وفى هذا التناول تضيق لدائرة العلاقات السياقية بين الجمل وإنكار لما عدا المفاهيم النحوية من العلاقات الرابطة بين الجمل .

وأول ما ينتقد فى موقف البلاغيين اقتصارهم فى الوصل على واو العطف . فالجمل فى اللغة العربية تتربط بغير الواو من الأدوات وبغير مطلق الجمع من العلاقات فالجملة الثانية قد تكون إضرابا عن الأولى أو استدراكا منها أو استثناء أو

غير ذلك ولكل معنى من هذه المعانى أدواته الدالة عليه وكل هذه المعانى روابط بين الجملتين وإن كانت روابط على طريق السلب. والعطف ذاته ليس مقصورا على مطلق الجمع إذ يكون أحيانا للترتيب والتعقيب أو للترتيب والتراخي فالإقتصار على الواو ومطلق الجمع لا يمرر له مادامت الاحتمالات الأخرى تمثل علاقات بين الجمل. وسنرى أن بعض هذه العلاقات مما يعد من العلاقات الملحوظة غير الملفوظة.

أضعف إلى ذلك أن ربط القضية بالعلاقات النحوية فقط حتى بعد التوسع فيها على النحو المذكور يدخل الضيم على حرية الفهم لأن الفهم نشاط عقلى يرتبط بأنواع مختلفة من القرائن منها اللفظى والمعنوى والحسى والعرفى والمادى والخارجى وليس كل نوع من هذه القرائن صالحا لأن يعبر عنه بالحروف والأدوات الصالحة للحذف ثم التعبير عن هذا الحذف بعبارة «كمال الاتصال». فإذا عرضت عبارة تقوم فيها العلاقة بين الجملتين على غير ما قننه البلاغيون فى ضوء النحو ذهب التابعون لمنهج البلاغيين فى تأويلها إلى تقدير أمور هى أبعد ما تكون عن الواو التى رأوها محذوفة فى كمال الاتصال. ففى عبارة مثل: «جاء وابتدق هل رأيت الذئب قط» لم يقدروا أداة محذوفة بل إنهم عمدوا إلى تقدير نعت إما مفرد تقديره: «مقول فيه» أو جملة تقديرها «يقال فيه» وقد سبق مع ذلك أن ذكرنا أن منهجهم بنى على أبواب التوابع ما عدا النعت! وهذا النهج الذى يتبعونه فى التقدير النحوى للفهم بالإصرار على أن إدراك المعنى لا يتم إلا من خلال جملة تامة الأركان نهج متمزمت يتنافى مع طبيعة الاستعمال اللغوى، فلو أن الفهم يرتبط بقواعد الصياغة النحوية فحسب لفهمنا من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة ١٣٢) أن الله تعالى ينهانا عن الموت إلا على حالة خاصة والمعروف أن قرار الموت والحياة ليس بأيدينا نحن ولنا فى هذه الحالة أن نتجاوز النظم اللفظى للآية إلى معنى آخر هو «تمسكوا بالإسلام حتى الموت». وأما بالنسبة إلى الشطرة السابقة فالمفهوم أن العلاقة هى الشبه ولا داعى للتمسك فى الفهم بالشروط النحوية لجملة النعت، أى أن المعنى المقصود هو: جاءوا بمحذف كلون الذئب. وهذا الفهم أولى بالبلاغيين لأن التشبيه أحد أبواب البلاغة.

وإذا كان البلاغيون قد لخصوا العلاقات الملحوظة فى كمال الاتصال وشبهه على

نحو ما سبق بيانه فذلك يعود إلى الرابطة القوية بين النحو وعلم المعاني كما صاغة البلاغيون «فيبدو أن البلاغيين اعتمدوا إلى حد كبير على المتوارث من قواعد التوجيه النحوية وبخاصة ما دار منها حول المعنى من الخبر والإنشاء والذكر والحذف والتقديم والتأخير والفصل والوصل والتعريف والتكثير والعلاقة والقرينة والوجه إلخ»*. كل أولئك من المصطلح المشترك بين النحو والبلاغة وإذا جاز لنا أن نقرر في أى الفرعين تعد هذه المصطلحات أصيلة وفي أيهما تعد فرعية فالجواب أنها أصيلة في النحو مستعارة في بحوث البلاغة.

والجديد الذى أضافه البلاغيون إلى ما أخذوه عن النحاة هو مفهوم «الحال» و«المقام» فينبغي عندهم عند الكلام أن يراعى المتكلم «مقتضى الحال» وأن يعلم أنه «لكل كلمة مع صاحبها مقام». والحال مفهوم استاتيكي ثابت ولكن الكلام ديناميكي متحول بحسب سياق الموقف Context of situation ومن ثم كان مقتضى الحال أمرا غير صالح لضبط الكلام واستعماله. أما المقام فالذى حال بينه وبين أن يكون متحولا أن النحاة صنفوه وجردوا له أنواعا محددة الطابع والعدد فقالوا: مقام المدح ومقام الذم ومقام التهنتة أو التعزية أو الكدية إلخ وبذا جردوا فكرة المقام من طاقتها الديناميكية من حيث أرادوا لها أن تكون ديناميكية. أفلا يجوز أن يتحول المدح إلى عكسه بحسب سياق الموقف؟ أنعدّ المقام مقام مدح حيث قال الشاعر: «فهى على الأفق كعين الأحول» أم نضطر في الواقع إلى اصطناع فكرة «سياق الموقف» معترفين بأن فكرة المقام لاتسعفنا بطواعية نقدية كافية تعفينا من الخضوع للقوالب؟

والاعتماد فى تحليل المعنى على سياق الموقف Context ثمرة من ثمار الدراسات اللغوية الحديثة والنظرة إلى المعنى من خلال الموقف تتجه إلى عدد من المساوقات مثل المتكلم والقول والسامع أو السامعين والظروف الاجتماعية التى تشمل العرف والعلاقات الاجتماعية وتشمل الزمان والمكان والمآثورات والأشياء والعرض والنتيجة إلخ. حين يكون لأى واحد من مساوقات الموقف هذه أثر فى فهم المعنى. فإذا أخذنا نصا قرآنيا كرما كقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ

* تمام حسان: الأصول ٣١٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢.

التَّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مَنْ بَعْدَهُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنْتُمْ هؤُلاءِ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ (آل عمران ٦٥ - ٦٨). أقول لو نظرنا في هذه الآيات الكريمة وأردنا استخراج المعنى في ضوء النظرة إلى الموقف لوجدنا ما يلي:

١ - المتكلم هو الله سبحانه وتعالى يدعو أهل الكتاب إلى الكفّ عن المحاجة فيما لا يعلمون من أمر إبراهيم عليه السلام وذلك بنسبته إلى ديانتهم وادعاء أنهم أولى به من غيرهم.

٢ - القول يشتمل على الانكار عليهم أن يحاجوا في أمر يجهلون أبعاده التاريخية لأن إبراهيم أسبق زمانا من نزول التوراة والإنجيل فكيف يكون مع سبقه نزول التوراة يهوديا ومع سبقه نزول الإنجيل نصرانيا. أما إذا أردنا نسبة إبراهيم إلى دين بعينه فهذا الدين هو الإسلام الحنيف لأن إبراهيم ذاته بقول: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ (الأنعام ٧٩) والله تعالى يقول: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة ١٣١) فإبراهيم مسلم وحنيف ومن ثم يكون أولى الناس به هو هذا النبي والذين آمنوا دون اليهود والنصارى والمشركين.

٣ - السامعون أو المخاطبون هم طائفة من أهل الكتاب اعتمدوا على سلسلة النسب التي تربط بنى إسرائيل بإبراهيم عليه السلام فأرادوا أن يجعلوا لإبراهيم مكانا في ديانتهم وأن يتقووا به في محاجة المسلمين في أمر دينهم. ولكن المخاطبين أيضا هم المسلمون الذين أنزل القرآن من أجل هدايتهم وتبصيرهم بأمور دينهم.

٤ - وسائل الخطاب هي دفع الحجة بالحجة من نواحي مختلفة:

أ - منطقيا لا ينتمى السابق إلى اللاحق وإنما العكس هو الصحيح.

- ب - زمنيا إبراهيم سابق على التوراة والانجيل فلا يعدّ يهوديا ولا نصرانياً .
- ج - كان إبراهيم حنيفا مسلما فدينه هو الإسلام الذى يعيد الله إحياءه بنزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم .
- د - لا يدعى المسلمون أن إبراهيم منسوب إليهم وإنما يقولون إنهم هم ينتسبو إلى إبراهيم الذى سماهم المسلمون من قبل فهم أولى به من حيث بدأ الإسلام ولم يبدأ اليهودية ولا النصرانية ولم يكن مشركا .
- ٥ - تاريخيا: لقد كان إبراهيم هو الذى رفع القواعد من البيت فى مكة أما هيكلكل
إيروشليم فقد أقامة سليمان بن داود عليهما السلام بعد ذلك بزمن طويل فى
ظل الديانة اليهودية .
- ٦ - جغرافيا: ثابت أن إبراهيم حل بمكة وأسكن ذريته فيها ولم يثبت أنه سكن
إيروشليم .
- ٧ - من حيث المآثورات: ثابت فى كتب اليهود والنصارى أن من بنى إبراهيم فرعا
فى أرض فاران (أى مكة والصحراء الجنوبية) وأن هذه الكتب تشتمل على
بشارة بظهور نبي من بنى إسماعيل :
- ٨ - ولعل أهم ما يتصل باستخراج العلاقات الملحوظة من مساومات الموقف هى
النتيجة التى تحققت من القول وهى إلزام الحجة ويمكن استخراج النتيجة بواسطة
النظر فى مجموع المساومات وفى هذا الصدد قد يختلف فهم للنتيجة عن فهم
آخر وبذا يختلف تقدير للعلاقة عن تقدير آخر وتكون العلاقة بين الجملتين
عندئذ عرضة للاحتمال . وإذا نظرنا فى الآيات المتقدمة على نية فهم نتيجتها
واقترح العلاقات التى تلحظ بين جملها أدركنا أنّ الوجه العام للقول هو
الإنكار واللوم وأن العلاقة فى الآية الأولى بين الإنكار وعبارة «أفلا يعقلون»
هى المؤاخذه والتأنيب ويستمر التأنيب فى الآية رقم ٦٦ على معنى إن صح أن
يقبل منكم أن تحاجوا فى أمر معلوم لكم فلا يصح أن تحاجوا فى أمر تجهلون
ويعلمه الله ثم يعزز هذا التأنيب بالحجة العقلية وهى سبق حياة إبراهيم على
نشأة الديانت ومن ثم لايمكن أن يتبع واحدة منهما ثم يأتى تقرير الحقيقة فى
الآية ٦٨ وهى أن إبراهيم كان حنيفا مسلما وأن الإسلام الذى يدعو إليه محمد

عليه الصلاة والسلام استمرار لديانه إبراهيم فمحمد هو ومن آمن معه أولى الناس بإبراهيم .

٩ - وبالزمام الحجة تتحقق النتيجة ويمكن استنباط العلاقات الملحوظة .

وثمة نظرة أخرى إلى الكلام (أو الخطاب) تقدم بها الباحثون في علم النص تهتم بمبدأ الترابط بين مكونات النص سواء في ذلك من ناحية الترابط الرصفي Sequential connectivity للألفاظ أو الترابط المفهومي Conceptual connectivity للأفكار ولم يقنع هؤلاء بإطار النص الواحد وإنما تجاوزوا النص الواحد إلى النصوص الأخرى ذات العلاقة فقالوا بارتباط هذه المجموعة بفكرة «التناص» بمعنى أن بين النص وتلخيصه أو بينه وبين ترجمته إلى لغة أخرى أو نقده أو محاكاته أو شرحه أو أى شىء من هذا القبيل رابطة تسمى «التناص». وليس ذلك غريباً على الفكر الإسلامى على كل حال. فمن العبارات المشهورة فى عرف المفسرين للنص القرآنى أن القرآن يفسر بعضه بعضاً وأن السنة تخصص عموم القرآن وأن الاستشهاد وسيلة من وسائل التوثيق وهلم جرا، ولكن المفسرين فى كثير من المواضع لم يطبقوا هذا المبدأ العظيم حتى تطبيقه. ونستطيع أن نضرب مثلاً لذلك بالتناص القائم بين قوله تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ الْجِذْعَ النَّخْلَةَ تَسَاقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا ﴾ (مريم ٢٢ - ٢٦)، وقوله جل شأنه ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون ٥٠). فسنجد عند أخذ مبدأ التناص فى الحسبان ما يلى:

١ - أن الكلام فى آية المؤمنون يشمل عيسى عليه السلام وأمه معا ولا يخص عيسى بالذكر .

٢ - أن شأنهما معاً يمثل آية من آيات الله ومعنى ذلك أن لمريم جانباً من

المعجزة .

٣ - أن للمعجزة صلة بإيوائهما إلى ربوة فيها شجر مثمر يعين على القرار وفيها ماء معين.

٤ - أن آيات سورة مريم تشرح أحداث المعجزة ومنها بطبيعة الحال:

أ - أن عيسى لم يولد لأب كما يتضح من آيات سابقة على ما اقتبسناه (الآيات ١٦ - ٢١).

ب - أنه لم يكذب يولد حتى كلم أمه بقوله: «لا تحزنى... إلخ».

وبهذا تكون آيات سورة مريم بيانا لما تشير إليه الآية المقتبسة من سورة المؤمنون وتكون الربوة المشار إليها هي المكان الذي تمت فيه ولادة عيسى عليه السلام. غير أن من يقرأ ما قاله المفسرون سيرى أى بعضهم جعل الربوة فى مصر وجعلها البعض فى بيت المقدس وجعلها آخرون فى غوطة دمشق. ولم يربط أى منهم حسب اطلاعى على أقوالهم بين هذه الربوة وبين مكان ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام على الرغم من اعترافهم بأن القرآن يفسر بعضه بعضا. وكما يستعان بمعرفة الغرض من الكلام فى سياق الموقف على تحديد العلاقات الملحوظة يمكن من وجهة نظر علم النص أن يستعان بالترابط المفهومى من أجل الوصول إلى هذه الغاية. ذلك أن للترابط المفهومى أثره فى الإعانة على ملح علاقة التناص المؤدية إلى فهم العلاقات الملحوظة.

وعند التأمل فى هذه العلاقات الملحوظة نجدها تتراوح بين الوضوح الصريح ودقة الاستخراج وبين أن تكون عرضة للاحتمال فى بعض الحالات إذ يتردد المرء أحيانا فى نسبة الموقع إلى هذه العلاقة أو تلك بسبب كون كل منهما ممكنة إلا أن تقوم قرينة ما على أن إحدى العلاقتين أولى بالاعتقاد من الأخرى. أنظر مثلا فى قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء ٩٥). فالجملة الأولى (أو القضية الأولى إن شئت) تتمثل فى عدم التساوى

بين القاعدين ذوى الاستطاعة من جهة والمجاهدين من جهة أخرى. عند هذا الحد تبدأ قضية أخرى هي أن الله فضل المجاهدين على القاعدين درجة. فما العلاقة بين هذه القضية وتلك؟ ولماذا جاءت القضية الثانية بعد الأولى دون أن تتقدمها رابطة نحوية؟ هنا يمكن القول إن علاقة القضية الثانية بالأولى تصلح أن تكون علاقة السببية بمعنى أن الفريقين لا يستويان لأن الله فضل المجاهدين على القاعدين درجة كما يمكن أن تكون تفسيرية بمعنى أن عدم التساوى بين الفريقين يتمثل فى امتياز المجاهدين على القاعدين من حيث الدرجة. ويرشح هذا القول الثانى بعلاقة التفسير قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَكَلَّا وَعَدَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ أى أن تفضيل إحدى الطائفتين على الأخرى تفضيل من حيث الدرجة فقط وأن عدم التساوى ليس ناجما عن غضب الله على القاعدين. ثم يأتى بعد ذلك تحديد شبه كميّ لهذه الدرجة فى قوله تعالى: وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما»، وإذا أردنا تقدير لفظ للعلاقة يوضحها وجدنا تقدير العلاقة السببية على صورة: لأن الله فضل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، ووجدنا تقدير العلاقة التفسيرية على صورة: أى أن الله فضل المجاهدين... إلخ وكلا التقديرين ممكن إلا أن القرينة تجعل تقدير علاقة التفسير أولى من تقدير علاقة السببية.

وليست العلاقات الملحوظة مقصورة على السببية والتفسير وإن كانت هاتان العلاقات أكثر العلاقات الملحوظة شيوعا فى النص القرآنى. إذ نجد فى النص القرآنى علاقات أخرى أقل شيوعا مثل قلب الدعوى فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة ١١ - ١٢)، أو علاقة الملابس كما فى قوله تعالى: ﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ (البقرة ٦٠) بدليل صحة تقدير واو الحال قبل «قد»، أو علاقة الشرطية فى نحو ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ (البقرة ١١٤) أى

من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه فلن يدخلها إلا خائفاً، أو علاقة التفصيل بعد الإجمال كما فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ ﴾ (البقرة ١٧٨)، أو علاقة الإنكار كما فى قوله جل شأنه ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ فَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْئُتُمُونَ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ (البقرة ٨٥)، أى لا يقبل منكم أن تؤمنوا ببعض الكتاب وتكفروا ببعض، أو الإفحام كما فى قوله سبحانه: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ (البقرة ١٤٠) لأن المخاطبين لا يستطيعون دعوى أنهم أعلم من الله، أو علاقة الإجابة على سؤال سبق كما فى قوله تعالى: ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة ٢١٤)، أو علاقة الإضراب نحو: ﴿ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ (آل عمران ١٧٨) أى بل تملى لهم ليزدادوا إثماً، أو علاقة الإلزام بمضمون ماسبق نحو: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ... وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (النساء ٢٣ - ٢٤) أى ذلك ما فرضه الله عليكم، أو الالتزام بما سيأتى نحو: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدَّخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ﴾ (النساء ١٢٢) أى كتب ربكم على نفسه الوفاء بهذا الوعد. ولكن أكثر العلاقات الملحوظة شيوعاً فى القرآن الكريم كما سبق هما علاقتنا السببية والتفسير. وفيما يلى شواهد من القرآن الكريم للكشف عن مختلف العلاقات الملحوظة:

١ - علاقة السببية:

* قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة ٢٠) أى لأن الله على كل شيء قدير فالذهاب بالسمع والأبصار لا يتحقق إلا مع القدرة على ذلك .

* وقال تعالى: ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة ٣٧) أى لأنه هو التواب الرحيم غافر الذنب وقابل التوب .

* وقال سبحانه: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ (البقرة ٧٠) أى لأن البقر تشابه علينا فلم تعد قادرين على تمييز المطلوب .

* وقال جل شأنه: ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة ١٠٦) أى لأن الإتيان بما يكون خيرا من المنسوخ أو المنسى إنما يعود إلى قدرة الله سبحانه وتعالى .

* قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ١١٥) أى لأن الله ذو وسع وقدرة وذو علم . فلفظ «واسع» هنا مأخوذ من الوسع بمعنى الاستطاعة والقدرة كما فى قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة ٢٨٦) وقوله: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات ٤٧) أى بنيناها بقوة وفى وسعنا أكثر من ذلك :

* قال سبحانه: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة ١٢٩) أى لأنك أنت العزيز الحكيم .

* قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة ١٤٣) أى لأن الله رؤوف رحيم بخلقه .

* قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة ١٥٣) أى لأن الله مع الصابرين فإن صبر ثم كان معكم.

* وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (البقرة ١٦٨) أى لأنه لكم عدد مبین ومن انقاد لعدوه هلك.

* وقال جل شأنه: ﴿ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (البقرة ١٧٨) أى ذلك الحكم من أجل التخفيف عنكم والرحمة بكم.

* قال تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة ١٨٥) أى ذلك من أجل التيسير عليكم دون التعسير.

* قال تعالى: ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ (البقرة ١٨٧) أى لأنهن ملابس لكم وأنتم ملابسون لهن ومن شأن المخالطة أن كؤدى إلى طلب المعاشرة والوقوع فى أن تختاتوا أنفسكم.

* قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة ١٩٠) أى لأن الله لا يحب المعتدين.

* قال سبحانه: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة ١٩٥) أى لأن الله يحب المحسنين.

* قال جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة ٢٠٨) أى لأنه لكم عدد مبین.

* قال تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة ٢٢٢) أى لأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين .

* قال تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ (البقرة ٢٣٥) أى لأن الله علم أنكم ستذكرونهن فيسرلكم بإحازة التعريض دون التصريح فلا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا .

* قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢٥٦) أى لأن الرشد بين والغى بين ولكل امرئ أن يختار بينهما دون إكراه وليتحمل نتيجة اختياره أمام الله .

* قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (البقرة ٢٨٢) أى لأن الكتابة أقسط عند الله .

وهكذا يتبين لنا بعد التماس الشواهد من سورة البقرة أن علاقة السببية فى صورتها الملحوظة غير المفلوطة تشيع فى آيات هذه السورة التى هى أطول سور القرآن الكريم . دعنا إذاً ننظر من جديد فى آيات هذه السورة نفسها لنكشف عما فيها من صور العلاقة التفسيرية .

٢ - العلاقة التفسيرية:

علامة العلاقة التفسيرية أن يصح تأويلها بعبارة (أى أن المقصود كذا) فإذا صح هذا التقدير كان ذلك دليلاً على أن الجملة الثانية تفسير لمضمون الأولى كما يتضح فى الشواهد القرآنية التالية:

* قال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) صَمٌّ بَكُمُّ عَمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

(البقرة ١٧ - ١٨) أى أن المقصود يكونهم فى ظلمات أنهم صم بكم عمى فليس لحواسهم رجوع إحساس أو صدى إدراك .

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ

أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ (البقرة ٤٩) أى أن المقصود بسوء العذاب أنهم يذبحون أبناءكم ويستحيون بناتكم .

* قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا ﴾ (البقرة ٨٣) أى أن المقصود بالميثاق ماتضمنة من الاتفاق على أن لا يعبدوا إلا الله وأن يحسنوا إلى الوالدين . ويشبه ذلك ما فى الآية رقم ٨٤ «وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم... إلخ» .

* قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ

أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (البقرة ٩٦) أى أن المقصود بمبلغ حرصهم على الحياة أن يود أحدهم لو يعمر ألف سنة فهم أحرص على الحياة من كل الناس بل أحرص عليها من الذين أشركوا الذين لا يرجون البعث .

* قال جل وعلا: ﴿ أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ

وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة ١١٤) أى أن المقصود بتخوفهم نفورهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

* قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ

الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة ١٣٢) أى أن المقصود بالوصية ما تضمنته من دعوة إلى التمسك بالإسلام حتى الموت - فمضمون الوصية هنا أشبه بمقول القول .

* قال جل شأنه: ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ

عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴿ (البقرة ١٩٦) أى أن المقصود ضم الثلاثة إلى السبعة بحيث يكون مجموعهما عشرة كامة وليس المقصود أن يفهم من «إذا» معنى الشرط بحيث يكون المعنى: إن صتمتم فى الحج فصوموا ثلاثة وإن صتمتم بعد الرجوع فصوموا سبعة بدلا من ثلاثة فحين قال تعالى: «تلك عشرة كاملة» أمن اللبس بعلاقة تفسيرية .

* قال تعالى: ﴿ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ﴾ (البقرة ٢٣٣) أى أن المقصود بالمعروف هو حدود الطاقة بحيث لا يلحق الضرر أم المولود ولا أباه .

* قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة ٢٧٩) أى أن المقصود أن يثوول إلى كل طرف ما كان له فذلك هو العدل الذى ينفى الظلم عن الجانبين .

* قال سبحانه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة ٢٨٦) أى أن المقصود بالوسع أن يقتصر حساب الإنسان على ما يستطيع فعله هو وألا يطلب منه أكثر مما تحتمله قدراته .

* ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ﴾ (التوبة ١٢٧) . أى أن تفسير النظرة هو التخفى .

* ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (الزمر ٣) . أى أن عبادتهم بقصد الزلفى .

* ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنْهَا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ (سبأ ١٠) . الفضل هو إخضاع الجبال والطير وإلانة الحديد .

* ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ (الفرقان ٢٠). أى أن المقصود

اختبار القدرة على الصبر.

يتضح من عدد الشواهد التى استخرجناها من سورة البقرة أن العلاقة التفسيرية على تعدد شواهدها أضيقت فى مدى استعمالها (فى حدود هذه السورة على الأقل) من العلاقة السببية وسنوالى إن شاء الله استخراج العلاقات الملحوظة الأخرى من سورة البقرة ومن غيرها عند الحاجة.

٣ - التقض والإبطال:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (١١)

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٢) (البقرة ١١ - ١٢) إدعوا أنهم مصلحون فأبطل الله تعالى دعواهم ونسبهم إلى نقيضها.

* قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٣) نسبوا المؤمنين إلى السنه فأبطل المولى سبحانه دعواهم بنسبتهم هم إلى السفه.

* قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا

فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٠) بلى من كسب سيئةً وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٨١) (البقرة ٨٠ - ٨١) ساقوا دعواهم أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة ثم يظفرون بعد ذلك يعفو الله فأبطل النص القرآنى ذلك على مرحلتين: الأولى نسبتهم إلى التزويد بقول ما لا يعلمون والثانية بإبداء القاعدة التى تحكم محاسبة الخاطئين وهى نقيض ما زعموا.

* قال جال شأنه: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ

أَمَانِيَهُمْ ﴿ (البقرة ١١١) أدعى اليهود أنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا وادعى النصارى أنه لن يدخلها إلا من كان نصرانيا فأبطل الله تعالى الدعويين وجعل دعوى كل من الطائفتين من قبيل الأمانى التى هى أحلام تقظة لاتستند إلى واقع.

٤ - العلاقة الشرطية:

* قال تعالى: ﴿ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ (البقرة ٦١) أى إن أردتم استبدال الأدنى بالذى هو خير فاهبطوا أحد الأمصار ذات الزروع. وتنوين المصر هنا دليل على أن المقصود ليس أرض الفراعنة التى خرجوا منها.

* قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ (البقرة ١١٤) أى من سعى فى منع ذكر الله فى مساجده وسعى فى خرابها فلن يدخلها إلا خائفا.

* قال تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة ١٩٩). جاءت جملة إن الله غفور رحيم يعد فعل الأمر «استغفروا» فكانت كأنها جواب شرط مقدر تقديره إن استغفرتموه غفرلكم.

* قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ (البقرة ٢٠١ - ٢٠٢) أى من كان من هذه الفئة فله نصيب مما كسب.

* قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْضَلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (البقرة ٢٣٢) أى من كان يامن بالله واليوم الآخر فلا يعضلهن.

٥ - الترتيب والتعقيب :

من العلاقات الملحوظة فى القرآن الكريم علاقة الترتيب والتعقيب وأكثر ما تبدو هذه العلاقة فى توالى الأقوال فى الحوار كما يظهر مما يلى :

* قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة ٦٧ - ٧١) .

فالفاء هى المقدره قبل كل فعل قول فى هذه الآيات ولعل القرينة اللفظية على هذا التقدير هى الفاء فى «فذبحوها» .

* قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ (البقرة ٢٥٨) . هنا أيضا تقدير الفاء قبل كل فعل قول بقرينة الفاء التى فى «فبهت» .

* قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ٣٠) أى فقالوا... فقال .

٦ - علاقة الملابس:

الملابسة اتفاق زمان الوقوع أو مكان الاستقرار كاتفاق زمان المجيء والركوب في جاء زيد راكبا أو استقرار الزوجين في بيت واحد «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» أو استقرار المرء على أمر معين «ولياس التقوى ذلك خير». وقد يعبر عن هذه العلاقة باللفظ كنصب الحال المقررة أو اقتران جملة الحال بالواد كما في «جاء محمد وهو يهرول» وقد يكون العنصر اللفظي شرطا يتحقق في جملة الحال كأن يكون فعلها مضارعا إلى غير ذلك. ولكن الملابس قد تكون ملحوظة غير ملفوظة كما في الآيات التالية:

* قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (البقرة ٥٧) أى قائلين لكم كلوا من طباق مارزقناكم.

* قال سبحانه: ﴿ فأنفَجَرَتْ مِنْهُ اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ (البقرة ٦٠) هنا حال بعد حال فالأولى تقديرها وقد علم وتقدير الثانية قائلين كلوا واشربوا مما رزقناكم.

* قال تعالى: ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ (البقرة ٦٣) أى قائلين خذوا ما آتيناكم والبلاغيون يسمون ذلك كمال الانقطاع لاختلاف طابع الجملتين نحويا.

* قال تعالى: ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا ﴾ (البقرة ١٢٧) أى قائلين ربنا تقبل منا.

٧ - الإلزام:

لست أقصد بالإلزام هنا استعمال الأمر الذى يفيد الوجوب أو نحو ذلك وإنما

أقصد استعمال عبارات خبرية أو مصادر منصوبة أو نحو ذلك مما يفهم منه الإلزام بالحكم كما سنرى فيما يلى :

* قال تعالى: ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ (البقرة ١٨٧).

ففى الآية إلزام بعدم المباشرة أثناء الاعتكاف وقد تم هذا الإلزام بجملة خبرية هى «تلك حدود الله».

* قال تعالى: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ (البقرة ٢٢٩). هنا أيضا جاء الإلزام بكل ما سبق بواسطة قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾.

* ومن الإلزام بالعبارات الخيرية قوله تعالى: «والمطلقات يتربصن» وقوله «والوالدات يرضعن» ونحو ذلك من قوله: «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» كل ذلك على سبيل الإلزام.

٨ - الإلتزام:

قد يأتى الإلتزام فى صورة مصدر منصوب نحو «وعدا علينا» أو فعل مضارع مؤكد بالنون نحو «لنسفعا بالناصية» أو جملة خبرية نحو «ولهم عذاب عظيم» أو على

صورة أخرى تفيد نية المحافظة على الوعد أو الوعيد الذى يشتمل عليه مضمون الكلام. ومن شواهد ذلك ما يلى:

* قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٣٨)

وجاء الإلتزام هنا فى صورة الجملة الشرطية.

* قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾ (البقرة ٣٩) أى سأدخلهم جهنم وقد جاء الإلتزام هنا بواسطة الإخبار بالذين إخباراً محضاً ولو اتصلت الفاء بالإشارة (أولئك) لكان إخباراً مشرباً معنى الشرط.

* قال تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ

الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ (البقرة ٨٥) أى من يفعل ذلك فجزاؤه خزي الدنيا وعذاب الآخرة فهذا قصر على معنى الشرط.

* قال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾

(البقرة ١٠٢) أى ولقد علموا حكمنا ألا نثيب من اشتراه. والجملة خبرية مؤكدة بسبق اللام على «من» المفيدة للشرط ولولا هذه اللام لوجب الفاء قبل «ما».

* قال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة ١٣٧) أى أن الله

كتب على نفسه أن يحمى نبيه من أذاهم إن تولوا.

* قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة ١٥٢)

جاء الإلتزام فى صورة جواب الأمر الذى على تأويل الشرط.

* قال سبحانه: ﴿وَزَلْزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا

إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة ٢١٤) الإلتزام فى صورة جملة خبرية مؤكدة بيان.

* قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾

(البقرة ٢٤٥). عرض بمعنى الشرط:

* قال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (البقرة ٢٧٩).

جاء الالتزام هنا في صورة جملة شرطية أى فإن لم تذكروا ما بقى من الربا فاعلموا أن الله ورسوله سيحاربانكم حتى تقلعوا عن أخذ الربا.

وهكذا جاء المضارع فى الشاهد فى صورة الشرط فى الشاهد الأول والسابع والعاشر وجاء فى صورة حرف التنفيس والفعل المضارع فى الشاهد الخامس وفى صورة اللام الموطئة فى الشاهد الرابع وفى صورة الإجابة المؤكدة يجرف الاستفتاح وإن فى الشاهد الثامن وفى صورة العرض فى الشاهد التاسع وفى صورة الإخبار بالذى فى الشاهد الثانى وفى صورة القصر البلاغى فى الشاهد الثالث أما فى الشاهد السادس فقد جاء فى صورة الأمر وجوابه، وذلك بالإضافة إلى ورد ذكره فى أول هذه الفقرة.

٩ - علاقة الإجابة على سؤال وارد:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا

دَعَانِ ﴾ (البقرة ١٨٦) كأن سائلا سأل: مامعنى هذا القرب؟ فكان الجواب: معناه إمكان إجابة الدعوة.

* قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ

يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج ٤٦)
كأن سائلا سأل: لقد تعودنا أن يقترن ذكر الآذان بالابصار فمالنا نجد القلوب قد حلت فى هذه الآية محل الابصار؟ فجاء الجواب ببيان السبب: فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور. والفاء فى «فإنها» لبيان السبب.

* قال تعالى: ﴿ مَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾

(يونس ٦٦) هذا سؤال وجوابه لأن «ما» التي في بداية الآية استفهامية، و «إن» التي في أول الجواب جاءت على معنى النفي.

* قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ (العنكبوت ١٧) هنا سؤال مقدر لاستيضاح نوع الإفك ومن هنا جاء الجواب: إنهم لا يملكون لكم رزقا فالله هو الرزاق.

* قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطَا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾ (العنكبوت ٣٢) أى

فكيف تهلكون قرية يقيم فيها نبي؟ فكان الجواب «نحن أعلم بمن فيها» أى أن الله سينجي لوطا ومن معه.

* قال سبحانه: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا

أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴾ (سبأ ٣ - ٥) كأن سائلا سأل: ولماذا كان هذا الكتاب المبين فكان الجواب ليجزى المؤمنين بالمغفرة والرزق الكريم وليجزى الساعين في الآيات بعذاب من رجز أليم، فهذا الكتاب المبين سيكون شاهدا على هؤلاء وأولئك.

* قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا

يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (سبأ ٢) ثم قال سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَنْسُقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (سبأ ٩) إذا صح لنا أن تقضى

عن المسافة بين الآيتين وجدنا فى الآية رقم ٩ إجابة عن سؤال وارد على الآية رقم ٢ يقول: أى أثر يمكن أن يكون لهذا العلم؟

* قال تعالى: ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (١٧)
إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ
(١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿ (ص ١٧ - ٢٠) كأن سؤالاً جاء يقول: بم يذكر داود؟ فكان الجواب: إنه أواب... إلخ.

١٠ - للتفصيل طرق أسلوبية مختلفة منها استعمال أدوات ملفوظة مثل «أما» و«من...» ونحوهما وقد لا تذكر أداة التفصيل فيفهم المعنى بعلاقة ملحوظة يسهل معها تقدير الأداة كما يلي:

* قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (الأعراف ٨٧) أى وطائفة منكم. قال سبحانه: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ﴾ (التوبة ١٠١).

﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ (التوبة ١٠٢) أى ومنهم آخرون.

﴿ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ (التوبة ١٠٦) أى ومنهم آخرون والآخرون فى الحالتين من الأعراب الذين سبق ذكرهم.

* قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقِيَ وَسَعِيدٌ ﴾ (هود ١٠) أى ومنهم سعيد. فالأداة المحذوفة فى جميع الحالات السابقة هى «من» الجارة. وقد يفهم التفصيل دون تقدير أداة محذوفة فيكون المعنى عندئذ من عطاء النص كما فى قوله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا تُنذِرُ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرُ يَوْمَ
الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً ﴿ (الشورى ٧ - ٨).

فلو شاء الله لجعل أهل أم القرى ومن حولها أمة واحدة ولكنه جعل منهم فريقين
أما أحد الفريقين ففي الجنة وأما الآخر ففي السعير وذلك يوم يجمعهم ليوم الجمع
أو يوم التغابن.

الصحة والجمال في النص القرآني

الصحة والجمال:

تصدى النحاة العرب لدراسة اللغة العربية وغايتهم التي يسعون إليها هي إنشاء نظام طابعه الاطراد ومن ثم اعتدوا بقطبي الاتفاقات والفروق فجعلوا الاتفاق أساس الباب الواحد وجعلوا الفرق أساس تعدد الأبواب. ثم إنهم بعد البحث عن الاتفاقات في حدود الباب الواحد وصلوا إلى القاعدة الكلية للباب ونسبوا إليها الاطراد. وبعد النظر في الفروق وصلوا إلى القواعد الجزئية وهي استثناءات من القواعد الكلية تجد تبريرها في أمن اللبس. ذلك بأن من طبيعة الاتفاق أن يؤدي إلى اللبس ومن طبيعة الاختلاف أن يؤدي إلى أمن اللبس. ومن نتائج الاتفاق تعدد الاحتمالات. فلو قلنا مثلاً: «غادرته غاضباً» لم يعلم السامع من الغاضب أهو الفاعل أم المفعول فمن شأن صاحب الحال أن يكون معرفة وقد اتفق الفاعل والمفعول في التعريف ومن شأنه أن يتقدم على الحال وقد اتفق الضميران في التقدم عليها ومن شأن المتكلم والغائب العاقل أن يتفقا من حيث إمكان الغضب. وأخيراً لم تقم قرينة تشير إلى فرق بينهما يرجح أن تكون الحال لأحدهما. فكثرة الاتفاقات وانعدام الفروق أدت إلى اللبس. ولو أنني قلت: غادرته يتميز من الغضب لكان إسناد المضارع إلى الغائب قرينة على أن الغائب هو صاحب الحال. إذ إن هذا الإسناد جاء للفرق بين الفاعل المتكلم والمفعول الغائب.

من ثم كان على النحاة أن يعينوا القرائن الدالة على كل باب على حدة، وأن يفصلوا القول فيها في نطاق النظام النحوي في جملته، فتكلموا عن القرائن الآتية:

١ - التضام: ويقع تحته الافتقار والاستغناء والاختصاص وعدمه والمناسبة المعجمية والمفارقة المعجمية.

٢ - الرتبة: وتحتها الرتبة المحفوظة وغير المحفوظة التي تسمح بالتقديم والتأخير.

٣ - الربط: وتحتها المرجعية (إعادة الذكر وعود الضمير والإشارة وأل والموصول والصفة) وتحتها أيضا المطابقة (فى الشخص والنوع والعدد والتعيين والإعراب).

٤ - البنية: وتحتها اشتراط صيغة صرفية معينة للباب النحوى المعين كالاتشاق للحال والجمود للتمييز.

٥ - الأداة: كأدوات الجمل والحروف الداخلة على المفردات ومايستفاد من ذلك نحويا.

٦ - دلالة السياق: وهى قرينة تركيبية الطابع تفهم فى نطاق القرائن السابقة كدلالة

«إلا» على الاستدراك فى قوله تعالى: ﴿ طه ١ ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا

تَذَكِّرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿ طه - ٣ ﴾ أى لكن تذكرة، ودلالة «إن» على النفى إذا وليتها

«إلا» نحو: ﴿ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر ٢٣) وعلى التخفيف من الثقيلة إذا وليتها

اللام نحو ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ (البقرة ١٤٣).

فى ضوء هذه المعطيات كان النحاة يحكمون بالصحة والخطأ. غير أن اللغة أوسع من النحو لأن هموم الاستعمال اللغوى ليست نحوية فقط إذ هناك الجانب الأسلوبى الذى يُدخل على النحو أمورا مثل العدول عن الأصل بواسطة الزيادة والحذف والتضمين والتغليب والمجاز والترخص فى القواعد والتوسع إلخ. فكل أولئك صور من الشجاعة الأسلوبية التى تتحدى الاطراد الذى قننه النحاة. انظر مثلا إلى قوله الشاعر:

ألا يا اسلمى يا دارمى على اليلى ولازال منهلاً بجرعائك القطر

وتأمل كيف قدم الدعاء بالسلامة للدار بعد البدء فى ندائها ثم عاد فنادها بتكرار

حرف النداء وجعل ذلك أسلوباً للتعبير عن حرصه على سلامة الدار ولو كان قصده غير ذلك لكان له مندوحة أن يقول: «ألا فاسلمى يادارمى» وكان النداء غير مكرر. ولعل هذا التركيب الشعري يلقي الضوء على تكرار اللام والفصل بين اللامين بـ «ما» الزائدة للتأكيد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لُيُوقِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (هود ١١١). فتكرار اللام والفصل بين اللامين «بما» شبيه بتكرار حرف النداء والفصل بين حرفي النداء بفعل الدعاء «اسلمى».

والقرآن نزل بلسان عربى مبين قبل أن يكون النحو والنحاة. ففيه زخم اللغة الذى يتمثل فى صور العدول عن الأصل للوصول إلى غايات أسلوبية. وفى القرآن قراءات مختلفة وُصِفَ بعضها بالشذوذ ولكن الشرط فى قبول صحة هذه القراءات كان ضرورة موافقتها للعربية (أى لقواعد النحو) ولو بوجه (أى ولو بتوجيهها إلى أصل من أصول النحو). من هنا يتضح أن قضية الصحة قضية نحوية أولاً ثم تكون أسلوبية بعد ذلك من حيث ارتضى النحاة الاعتداد بالوسائل العدولية السابقة كالزيادة والحذف إلخ لأنهم صادفوها حقيقة واقعة فى الاستعمال اللغوى وفى أرقى نصوص اللغة العربية وهو القرآن الكريم فلم يكن هناك سبيل إلى رفضها أو التنكر لها.

وقد تتحقق الصحة ولا يتضح المعنى لأن التركيب ليس له مضمون مثل قول المجنون بن جندب:

محكوكة العينين معطاء القفا	كأئما قدت على متن الصفا
ترنو إلى متن شراك أعجفا	كأئما ينشر فيه مصحفا

والعلة فى ذلك هى المفارقة المعجمية بين مفردات التركيب. والمعروف أن هناك مايسمى «الحقول المعجمية» وقد اشتهر منها لدى علماء الأثر وبولوجيا حقل ألفاظ القرباب وحقل ألفاظ الألوان ولكن الأمر أوسع من ذلك فلو أخذنا ما فى الأفعال من معانى الأحداث لوجدنا الحدث المعين يتطلب فاعلاً ذا شروط معينة بمعنى أننا لو أخذنا فعلاً مثل «فهم» لوجدناه يتطلب فاعلاً ذا قدرة على التفكير. فإن قلت: فهم

التلميذ الدرسي فإن بين الفعل وفاعله مناسبة معجمية أما إذا أسندت الفعل إلى الحجر مثلا فإن الجملة تكون صحيحة من الناحية النحوية صالحة للتحليل الإعرابي أما من حيث الدلالة فلا معنى لها لأن بين الفعل وفاعله مفارقة معجمية. لا يداويها إلا وجود قرينة تحوّل التركيب من فساد المعنى إلى المجاز كأن يدل لفظ الحجر بواسطة القرينة على الغيبي مثلا. ولا عجب لأن المجاز بحكم التعريف: نقل لفظ من معناه الحقيقي إلى معنى آخر لعلاقة بينهما مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

والمعاني بحسب طبيعتها ثلاثة أنواع: أولها المعنى العرفي الذي هو شركة بين الناس في المجتمع الواحد وذلك كالمعنى اللغوي للمفردات والتراكيب وكالمعاني التي تعبر عنها أضواء المرور وملابس الحداد وطقوس الاحتفال وهلم جرا. وثانيها المعنى العقلي أو المنطقي وهو الذي يرتب النتائج على المقدمات ويصل بذلك إلى الأفهام والأحكام من خلال حركات الذهن. وثالثها: المعنى الطبيعي الذي هو ثمرة الانطباعات والمؤثرات الحسية كالذي نحسه عند رؤية المنظر المرسوم في الصورة الزيتية أو المعبر عنه بالصورة البيانية أو عند سماع الموسيقى أو الشعر أو التمثيلية المسرحية. كل ذلك من قبيل المعنى الطبيعي الذي عبرت عنه الآية القرآنية الكريمة: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْضِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة ٢٧٣). فإنت عند معرفتهم بسيماهم لا بد أن ترق لهم وأن تعطيهم إذ إن سيماهم تفهمك المعنى الطبيعي الذي يؤثر في نفسك. وأكثر ما يرتبط الجمال والقبح إنما يكون بهذه المؤثرات الطبيعية. أما المعاني العرفية والعقلية فإنها تستعمل للإعانة على بناء هذه المؤثرات كما في الشعر والتمثيل ونحوهما. والمفروض أن الأسلوب فردى وأن اللغة ظاهرة اجتماعية وأن الجمال يرتبط بالأسلوب في الأساس ثم لا يرتبط بخصوص اللغة إلا بعد ذلك من حيث إن بعض اللغات أطوع من بعض في التعبير وصياغة المؤثرات الطبيعية.

ولعل الفارق الأساسي بين العلم والفن أن العلم يعتمد في الجملة على المعاني العقلية وأن الفن في الجملة يعتمد على المعاني الطبيعية. ففي العلم فرض وتحقيق

فرض ونتيجة وفيه قياس واستنباط الخ. إما الفن ففيه أسلوب فردي وإلهام وإيحاء ويعد عن العرف وربما ترخص في مطالب العقل والمنطق. ومن ثم يسعى العلم إلى ضمان الصحة ويسعى الفن إلى التعبير عن الجمال. لقد تمكن الفن في بعض صورته أن يتجافى عن المعقول فكان سيرالييا أو عبثيا أو لا معقولا أو غير ذلك. أما العلم بكافة صورته فلا مناص له من مطابقة العقل والمعقول، سواء في ذلك العلوم الرياضية والطبيعية والإنسانية. ولو أننا رجعنا إلى الآية الكريمة السابقة لوجدنا فيها موقفين مختلفين من النظر الواحد، فأما الجاهل فقد حسب الفقير غنيا بسبب تعففه وأما الحاذق فقد رآه محتاجا بسبب سيماءه التي تطبع صورته وتصرفه وهكذا اختلف التفسير واتفقت الصورة وهذا شأن الإدراك للمعنى الطبيعي الفنى.

وخلاصة القول أن للاستعمال اللغوى جانبين أحدهما جانب الصحة والثانى جانب الجمال، أو بعبارة أخرى أحدهما جانب التركيب والثانى جانب الأسلوب وأوهما جانبا التعبير والتأثير وهما فيما بقى من هذا العرض أن نبرز الجانب الجمالى للأسلوب القرآنى سواء بتعلق هذا الجمال الأسلوبى بالأصوات أم بالصيغ أم بالمفردات أم بالتركيب أم بالنواحي النصية وما يميزها من ترابط النص وأن القرآن يفسر بعضه بعضا وهو ما يسمى حديثا باسم «التناس».

مستويات من جمال الأداء القرآنى:

١ - المستوى الصوتى:

للأصوات مخارج وصفات تميز بها ومن ثم يأتى التعبير عن هذه الصفات بأنها «سمات مميزة» يؤمن اللبس بواسطتها لأنها من قبيل «الفروق» التى سبق الكلام عنها منذ قليل. هذا هو الجانب العلمى أو العقلى إن شئت لدلالة هذه الأصوات على مستوى الدرس، وهو الجانب العرفى أيضا على مستوى الفهم باستعمال هذه الأصوات فى مجتمع لغوى ما. غير أن للأصوات جانبا طبيعيا انطباعيا تأثريا كالذى أشرنا إليه بالنسبة لصوت الموسيقى والغناء. ويأتى التأثير الأسلوبى الصوتى من خلال استعمال المخارج حيناً والصفات حيناً آخر ومن جملة مميزات الصوت مفرداً أو

مركبا حيننا ثالثا. فأما من حيث التأثر بأسلوب إخراج الصوت من مخرج معين يختلف عن مخرجه الذى هو له فى الاستعمال المعتاد فإننا نجد أمثلة لذلك فى الأسلوب القرآنى منها مايلى:

* تحويل الفعل «تثاقلتم» إلى «إثاقلتم» فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَأَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (التوبة ٣٨) إذ تحولت التاء إلى مخرج الثاء وأدغمت فيها للإيحاء بواسطة التاء المشددة يتسرب الطاقة المعينة على الحركة ثم جاءت عبارة «إلى الأرض» للإشارة إلى نتيجة هذا التسرب بالإخلاق إلى الأرض.

* قد يتغير المخرج من خلال الجنس الناقص كما فى قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام ١٠٠). فاختلاف المخرج بين اللام الجانبية والراء اللثوية مع قرب معنى الإيجاد فى الفعلين واختلاف طابعهما هو المقصود هنا لأن الخلق إبداع والخرق ادعاء أخرج للإيجاد.

* جمع المقلد وهو المفتاح على القياس «مقالد» وجمع الإقليد وهو المفتاح أيضا «أقاليد» والله تعالى يقول: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الشورى ١٢) ولايخلو الأمر هنا من أحد افتراضين أولهما إحلال الميم محل الهمزة تجنبنا لوزن الأفاعيل إذ إن هذا الوزن يستعمل غالبا فى سياقات غير مسحبة مثل الأباطيل والأقاويل والأساطير والإكاذيب والألاعيب والأحاييل والآخر وضع ياء المد موضع الكسرة وتحويل مقالد إلى مقاليد وهذا مستعمل فى نحو مفاتيح ومواعيد وذلك بقصد المبالغة.

* قال تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (الزخرف ٨٨) والمقصود «وقوله» فتحولت الواو إلى الياء مع مايناسب الياء من كسر ما قبلها. وهناك شىء آخر وهو إعراب لفظ «قيله» على الجراء فقال بعضهم على القسم وقال البعض إنه عطف على الساعة من قوله تعالى قيل ذلك: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (الزخرف ٨٥) والقولان فى رأى غير وجيهين لما فى الأول من حذف الجواب ولما فى الثانى من بعد

الشقة بين المعطوف عليه والمعطوف. ويبدو أن ذلك ترخص فى الإعراب مع أمن اللبس والسبب هو كراهية توالى الياء فى «قيله» وما يمكن أن يكون على اللام من الضمة فى الأمر مناسبة صوتية. والترخص لأمن اللبس شائع فى القرآن والسنة والشعر وكلام العرب وأمن اللبس شرطه الذى لاغنى عنه^(١). إذ يكون توافر عدد من القرائن الدالة على المعنى مبررا للترخص فى إحداها التى تعد فى القرائن.

* قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح ١٠). القاعدة فى حركة ضمير الغائب أنه إذا سبق بياء أو بكسر فإنه يأتى مكسورا كما فى «عليه» ولو جاء مكسورا فى الآية لكانت اللام فى لفظ الجلالة مرفقة ولكن موقف التواتر والتعاهد موقف خطير يتطلب نوعا من تضخيم المسئولية. والتضخيم يناسبة التضخيم. ولما كان تضخيم اللام فى لفظ الجلالة يتطلب أن تسبق اللام يفتح أو ضم فقد استبدلت الضمة على الهاء بالكسرة من خلال تغيير وضع اللسان أثناء النطق وهذا تغيير للمخرج.

وقد يستبدل الأسلوب صفة الصوت بصفة أخرى لأن البديل يعبر عن أثر معين. ومن قبيل ذلك ما يلى:

* قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا ﴾ (الأعراف ٣٨). أصل صيغة الفعل «تداركوا» ولكن مقاصد الأسلوب استبدلت جهر التاء بهمسها فتحولت التاء إلى دال ثم أدغمت الدال فى الدال فكانت النتيجة دالا مشددة مكونة من ساكنة ومتحركة جاء من تواليهما إيهاء بالتوقف الذى يعقبه اندفاع فجاء الانطباع بأن الأمم التى يلعن بعضها بعضا نكأأت على مشارف النار ثم اندفعت فيها جملة فى تتابع وربما عزز هذا الأثر الإيحائى ما جاء بعده من قوله تعالى «جميعا» أى مجتمعين متتابعين.

* قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي ﴾ (يونس ٣٥) أصل «يهدى» «يهتدى» فابدل الجهر من همس التاء فتحولت التاء إلى

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٣٣ - ٢٤٠ .

دال فتوالى دالان فلحقهما إدغام المثلين فسكنت أولاهما وتحولتا معا إلى دال مشددة قبلها هاء ساكنة فالتقى ساكنا هما الهاء وأولى الدالين فتحركت الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين وهكذا اصرار الفعل «يَهْدَى».

والأثر الأسلوبى الذى يترك تحول التاء إلى دال وإدغامها فى الدال هو تَخْبُطُ هذا الذى لا يهتدى إلا أن يَهْدَى وكأن كل حركة يتحركها تأتى عقب توقف وحيرة إذ تعبر أولى الدالين وهى الساكنة عن التوقف والحيرة وتعبر الثانية عن الحركة. هذا على الرغم من أن ثمة من يحاول هدايته.

* قال تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ (النازعات ٣٠).

وقال جل وعلا: ﴿ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ (الشمس ٦).

الآية الأولى جملة خبرية جاء الفعل «دحاها» فيها على الأصل فكانت فاء الكلمة دالا. أما الآية الثانية فجملة قسم إنشائية يناسبها أن يصحب القسم نوع من التأكيد. ويرى الأقدمون أن الدال إذا لحقها التفخيم صارت طاء. فإذا ارتضينا قولهم هذا كان معنى ذلك أن المخرج واحد وأن الذى حدث هو استبدال صفة التفخيم بصفة التريق. وهكذا يكون التفخيم بما يوحى به من الضخامة وسيلة من وسائل التأكيد لدعم الجملة القسمية.

* قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ (الزمر ٦٤).

الأصل «تأمرونى» وقد حدث فى التركيب أمران: الأول استبدال سكون النون الأولى (نون الرفع) بالفتح فكان من نتيجة ذلك إدغام إحدى النونين فى الأخرى، والثانى حذف «أن» المصدرية قبل الفعل «أعبد» ثم رفع الفعل. وفى إدغام النونين إحياء بما يكتنف أمرهم إياه من رفضه للطاعة وفى حذف أن إحياء بالانفعال والرفض الداعيين إلى سرعة البت فى الأمر.

* قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة ٢٤٥).

وقال جل شأنه: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الرعد ٢٦).

مرة أخرى تظهر للتفخيم قيمة أسلوبية في المعنى. فالأصول الاشتقاقية الثلاثة للكلمة هي (ب س ط) وقد جاء اشتقاق الكلمة مطابقاً لهذا الأصل في أماكنها الأخرى من النص القرآني ومن هذه الأماكن آية الرعد المذكورة منذ قليل (الرعد ٢٦). فلما كان المقام مقام تشجيع على الإقراض الحسن بواسطة العمل الصالح والإنفاق في سبيل الله ومقام وعد بمضاعفة القرض عند الجزاء جاء فعل البسط بتفخيم السين وانقلابها صادًا فكان معنى ذلك أن تفخيم السين دليل على جديده الوعد بالمضاعفة لأن من شأن الله سبحانه أن «يبسط» الرزق وهو من ثم أهل لأن يبسط الجزاء بالمضاعفة. ومثل ذلك يأتي الفرق بين كلمة «بسطة» في قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ

بَسَطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة ٢٤٧) وتظيرتها «بسطة» في قوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ (الأعراف ٦٩) فالآية الأولى جاءت لتفضيل طالوت على المخاطبين ولكن الثانية جاءت لتفضيل المخاطبين أنفسهم ومن ثم كان التفخيم دليلاً على عظم فضل الله عليهم ولذلك جاء بعده مباشرة ﴿فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ (الأعراف ٦٩). والأمر كذلك في قوله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (الغاشية ٢٢) واشتقاقها من (س ط ر).

* وقال سبحانه: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ

بِالْحِجَابِ﴾ (ص ٣٢). في هذه الآية تضمين «أحببت» معنى «فضلت» وقرينة ذلك مجيء «عن» معها إذ دل حرف الجر على أن المراد المفاضلة والمعلوم أن الفعل «أحببت» يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد فالقضية إذاً ليست مجرد حب لطرف واحد وإنما هي تفضيل طرف على طرف آخر هو ذكر الرب. والأمر الثاني وهو موضع الاستشهاد استبدال التكرار الذي في الراء بالانحراف الذي في اللام مع اتحاد مخرج الصوتين في اللثة. والمعنى أن سليمان فضل رؤية الخيل والاستمتاع بالنظر إليها عن التفرغ لذكر ربه. يقول المفسرون إن المقصود بقوله تعالى: «حتى توارت بالحجاب» هو الشمس لأن الخيل عرضت عليه بالعشى قبل العزوب. والذي يظهر لى أن التى

توارت هي الخيل وأن ما قصد سليمان إلى لوم نفسه عليه هو أنه لم يكتف برؤية بعض الخيل دون بعض. وإنما بقي في مكانه يستمتع بمنظرها ولا يذهب لمباشرة ذكر الله حتى رأى آخر واحد من الخيل المعروضة عليه. فلما توارت قال: «ردوها علي». وواضح أن الضمير في «ردوها» للخيل لا للشمس لأن الشمس لا يمكن ردها.

وقد يكون من أسلوب الفواصل القرآنية أن يستبدل صوت بصوت لاعلاقة بينهما من حيث المخرج أو الصفة. قال تعالى: ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلِكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (طه ١٢) وقال تعالى: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ (مريم ٥٢). فاسم الطور فيما يبدو يطلق على منطقة ينسب إليها الجبل وجانبه الذي هو الوادي المقدس. وكما يعرف الجبل باسم الطور يعرف الوادي أيضا فكأن مقصد الكلام: فانك بالوادي المقدس الذي هو الطور ليكون الطور بدلا من الوادي المقدس. جاءت مناسبة الفاصلة لتستبدل الألف بالراء وتفتح الواو لهذا السبب، ذلك أن «طوى» هو جانب الطور الأيمن المذكور في سورة مريم. والأيمن الأعظم يمنا وبركة وليس المقصود ضد الأيسر. فهذا الوادي كان مقدسا في سورة طه وميمونا في سورة مريم.

وقد يكون من مناسبة الفاصلة أيضا أن تزداد الأصوات في الكلمة. قال تعالى: ﴿ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ۝ (١) وَطُورِ سَيْنِينَ ۝ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ (التين ١ - ٣). وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ۝ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَيَّ إِلَى يَاسِينَ ﴾ (الصفات ١٢٣ - ١٣٠) فقد تحول الاسم لمناسبة الفاصلة من «إلياس» في الآية (١٢٣) إلى «إلياسين» في الآية (١٣٠) كما تحول اسم سيناء في سورة التين إلى «سينين» لمناسبة الفاصلة ولاشك أمر مناسبة الفواصل قضية أسلوبية تنتمي إلى المعاني الطبيعية ذات الارتباط بالتأثير ولاعلاقة لها بالمعاني العرفية ولا العقلية.

ذلك بأن الأصوات ذات تأثير في الأسماع تكون به موحية حيناً وغير موحية حيناً آخر كما يحكم السمع عليها بالجمال أو القبح. والمعروف أن بعض المتكلمين ذوو أصوات محببة إلى السمع وأن بعضهم ذوو أصوات منقّرة ولا علاقة لذلك بمضمون ما يقولون. ولقد أورد النص القرآني من الظواهر الأسلوبية التي تدور حول الأصوات وإيحاءاتها عدداً من الصياغات اللفظية التي أشرنا إليها تحت عنوان. «القيم الصوتية في القرآن الكريم وأثرها في المعنى» ومن ذلك: فككبوا فيها - اثاقلتم إلى الأرض - أمن لا يهدى - وهم يصطرخون - قسمة صنيذى - طوبى لهم - والأرض وما طحاها - من شجر من زقوم - غسلين - سليل - غساق - سجين - عليين - تسنيم - ضريع - وكل أولئك صياغات صوتية أريد بها التأثير الأسلوبى وبعضها صياغات لم تعرف من قبل مما يدل على أهمية المقاصد الأسلوبية وبخاصة بالنسبة للاعتبارات الصوتية التي يعز على العرف والعقل تحديد سبب تأثيرها على السامع. هذا هو الجانب الصوتى من الإبداع الأسلوبى.

وثمة جانب آخر هو الجانب الصرفى الذى يمكن الترخّص فيه لأسباب أسلوبية من خلال الصبغ غير القياسية وغير المستعملة. فمن ذلك مثلاً:

* قال تعالى: ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ (ص ٥). فالصيغة القياسية هي «عجيب» ولكنها جاءت على صورة عجاب لأحد سببين أو لكليهما: السبب الأول رعاية الفاصلة وهذا سبب أسلوبى كما تقدم، والسبب الثانى أن صيغة فعّال من صبغ الأدواء مثل داء الصداع والزحار فلربما أراد القائلون الإيحاء بأن ما جاء به النبى من الأمر بالتوحيد كان مكروها عند المشركين كراهية الداء.

* قال تعالى: ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾ (النبا ٢٨). المعروف أن مصدر «كذب» هو النكذيب ونسب صاحب البحر المحيط «كذايا» إلى لغة اليمن وأورد فى ضبطها روايات متعددة. غير أن الملاحظ أننا نجد صيغة مصدرية هي «فَعَّلَ» مازالت مستعملة فى بعض اللهجات فى صعيد مصر بوصفها مصدراً لصبغة «فَعَّلَ». فالتناس يقولون

كسره كَسِيرٌ وجرحه جَرِحَهِ وَقَلْبَهُ قَلْبٌ والمعنى الصرفى لهذه الصيغة هو المبالغة. فمن المحتمل أن تكون صيغة «فَعِيلٌ» من الصيغ المهجورة ويكون لفظ (كِدَابًا) ترخصا فى صيغة «فَعِيلٌ» لرعاية الفاصلة أى لغرض أسلوبى غير قياسى.

* قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ

(٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ (الواقعة ٤١ - ٤٤) أول ما يواجهنا فى هذا الشاهد تركيب تعجيبى غير قياسى ولكنه يتكرر كثيرا فى القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ لأن معناه: ما أشد معاناة أصحاب الشمال وهو تعجيبى أيضا فى ما أصحاب اليمين «ما الحاقة». «ما القارعة» وتكتمل أركان الجملة فى «وما أدراك ما الحاقة» «وما أدراك ما سقر»، «وما أدراك ما يوم الفصل»، «وما أدراك ما سجين»، «وما أدراك ما العقبة»، «وما أدراك ما ليلة القدر» «وما أدراك ما القارعة»، «وما أدراك ما الحطمة» فالمعنى فى كل ذلك «ما أعظم دريتك». والأمر الثانى صيغة «يَفْعُول» من الحميم وهى مؤشر أسلوبى جاء بعد عطف الحميم على السموم تأكيدا لما فى السموم من الحر فلما ذكر الظل لم يشأ أن يجعله للحماية من الحميم حتى جعل مادته التى هو منها حميما مبالغا فى حرارته لأنه «يَفْعُول» بحسب الصيغة وحروفه أكثر من حروف الحميم.

٢ - مستوى المفردات:

وكذلك تكون المفردات المعجمية مؤشرات أسلوبية من حيث مناسبة إحداها دون أخرى بمعناها لسياق معين فيتم اختيارها دون الأخرى. أو من حيث اتحاد صورة الكلمتين واختلاف معناهما أو بغير ذلك من الوسائل. فمن النوع الأول الذى يعتمد على الاختيار ما يلى:

* قال تعالى فى الكلام عن زكريا: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (آل عمران ٤٠). وقال فيشأن مريم: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ (آل عمران ٤٧). فانظر إلى استعمال الفعل «يفعل» فى حالة زكريا

واستعمال الفعل «يخلق» في حالة مريم وما يترتب على ذلك من الملاحظات. أما بالنسبة لذكريا فالبشارة له وقد أصلح الله له زوجه (لاحظ لفظ «له») فالفعل السببي لذكريا والذي لله هو فعل الخلق فاستعمال الفعل «يفعل» وإسناده إلى الضمير الراجع إلى الله تعالى لا يثير لدى السامع أى معنى كالذى يثيره هذا الفعل لو أنه استعمل في حالة مريم لأن استعمال «يفعل» في معرض الكلام عن أى أنثى قد يثير معنى غير مستحب. ولو أن الفعل «يفعل» استعمل في حالة مريم لكان في ذلك إبهاما يوجاهة قول من يزعمون أن عيسى ابن الله. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

* قال تعالى: ﴿وَرَأَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ (يوسف ٢٣) كان يوسف عليه السلام ملكاً لزوج هذه المرأة. فكان من طبائع الأمور أن يناديها «ياسيدتى» ولكن الذى يحول دون ذلك فى الأسلوب القرآنى أمران: الأول أن يوسف كان مؤهلاً أن يكون نبيا فى المستقبل القريب ومن ثم كان من غير المستحب أن يقال: وراودته سيدته عن نفسه. والثانى أن هذه المرأة لم تحافظ على وقار السيادة إذ عرضت نفسها على رجل من رقيق زوجها أصغر منها سناً بعد أن وصاها زوجها بإكرام مثواه ليكون كالولد لهما. ومن هنا كان أصدق تعبير عن علاقة يوسف بهذه المرأة أنه كان فى بينها.

* قال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ (الأعراف ١٤٤). المعنى: فضنلتك على الناس بقريئة حرف الجره «على» مع خلو الاصطفاء من معنى المقارنة. ولكن استعمال الفعل «اصطفيتك» يحقق عرضين أسلوبيين: الأول أن الاصطفاء أبلغ فى التقريب والتكريم من مجرد التفضيل لأن الذى يفضل أحد الشئيين لا يلزم أن يختص نفسه بأحدهما فقد يفضل امرأ القيس على طرفة فلا يقال عندئذ إنه اصطفاها. الثانى أن صيغة «افتعل» تفيد من المبالغة أكثر مما تفيده صيغة «فَعَلَ» ولا سيما مع قلب تاء افتعل إلى طاء مفخمة كما سبق أن ذكرنا مع دال «طحاها»، وإن كان هذا القلب قياساً مطرواً فى حالته الحاضرة.

* قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور ٦٣) أى يتوانون عن أمره.

وقد تتحد صورة الكلمتين ويختلف معناهما فتصلحان للمشاكله أو الجناس أو التورية لأغراض أسلوبية معنية كالذى تراه فى الشواهد التالية.

* قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف ٢٦). فقوله «لباسا» فى الحالة الأولى يقصد به الملابس بقريته قوله «يوارى سوءاتكم» أما فى الحالة الثانية فالمقصود هو مصدر لابس يلبس لباسا وملابسة أى لازم يلزم لازما وملازمة والقرينة أن التقوى لاتختص بملابس معينة، ومن ثم يكون المعنى: وملازمة التقوى أفضل.

* قال تعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ﴾ (الشورى ١١) فالأزواج الأولى هن الحلائل بقريته قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (الروم ٢١) والثانية معناها الأنواع لأن الانعام تتناسل ولا تتزواج بمعنى أن أنثى الأنعام لاتلزم ذكرا واحدا منها ويؤيد معنى «الأنواع» هذا عدد من الآيات القرآنية مثل:

﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ (الشورى ٥٠) أى ينوعهم

﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (التكوير ٧) أى صنفت أصنافا

﴿ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الحج ٥) أى من كل صنف

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (الشعراء ٧) أى من

كل صنف

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (لقمان ١٠) أى من كل

صنف

﴿ وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (ق ٧) أى من كل صنف

﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ (الرحمن ٥٢) أى من كل فاكهة صنفان

﴿ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ (الرعد ٣) أى صنفين
﴿ سَبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ ﴾ (يس ٣٦) أى

الأصناف كلها

﴿ هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ (ص ٥٧ ، ٥٨) أى

أصناف

﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ (طه ٥٣) أى أصناف
﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ (الواقعة ٧) أى كنتم أصنافا ثلاثة.

* قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾
(الروم ٥٥). الساعة الأولى القيامة والساعة الثانية فترة زمنية قصيرة.

* قال تعالى: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام ١) وقال جل شأنه
﴿ وَمَنْ قَوْمٌ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٥٩) فقوله «يعدلون»
فى الحالة الأولى معناه يتخذون عديلا له يعبدونه من دونه وفى الثانية بمعنى يقسطون.

* قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (يونس ٧٩). وقال
سبحانه ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف ١٠٩). فالعليم
فى الآية الأولى هو الغزير العلم والمعرفة والعليم فى الثانية الكثير الكلام بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم: «أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان» (أخرجه
أحمد فى المسند ١/٢٢، ٤٤ والبزاز فى مسنده كما فى كشف الأستار برقم ١٦٨،
١٦٩). إذ لا يعقل أن يصف الملأ موسى بكثرة العلم والمعرفة ففى ذلك مدحه
والأعجاب به.

* قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا
يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (النحل ٧٠) المعنى المقصود هو: ومنكم من

يبقى حتى يبلغ أرذل العمر. والمراد بأرذل العمر تلك السن التي يصبح الإنسان فيها عاجزاً خرفاً ضعيف الفكر قليل المهابة وهذه صفات لا تبعد كثيراً عن صفات الطفولة. فالطفل عاجز ضعيف الفكر قليل المهابة أيضاً ومن هنا جاء الفعل «يُردّ» ليشير إلى أن الشيخوخة هي الطفولة الثانية ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (الروم ٥٤). وهكذا حل «يُردّ» محل «يبقى» لأن فيه هذا الجانب من المعنى وقد خلا منه «يبقى».

* قال تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كما مثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ (العنكبوت ٤١). فضلت الآية الفعل «اتخذت» على الفعل «بنت» لسببين: الأول أن مجرد البناء لبس مقصوداً وإنما المقصود هو الركون إلى هذا البيت واتخاذه ملجأً ومهرباً ومعتصماً وهذا المعنى يعبر عنه الفعل «اتخذت» ولا يفى به الفعل «بنت». والثاني إرادة المشاكلة اللفظية بين «اتخذوا» و«اتخذت» وهي تعين على فهم المقابلة بين طرفين يلجأ كل منهما إلى ملجأ ضعيف لا يحميه.

* قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (مريم ٧٧ - ٨٠). عبرت الآية عن دعوى هذا الكافر حتمية إتيائه المال والولد بعبارة «مايقول» مرتين: أولاهما «سنكتب ما يقول» والثانية «ونرثه ما يقول». وقد جاء هذا التعبير اختصاراً للقول من جهة واستهانة به من جهة أخرى. ويتحقق أحد هذين الغرضين أو كلاهما في مواقف مشابهة في كثير من آيات القرآن الكريم قصد فيها الإشارة لقول ما مثل:

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ (البقرة ١١٣).

- ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ (البقرة ١١٨).
- ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ (آل عمران ١٨١).
- ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُتِمُمْ ﴾ (آل عمران ١٨٣).
- ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء ٤٣).
- ﴿ بَيْتَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ غَيْرِ الَّذِي تَقُولُ ﴾ (أى هى) (النساء ٨١).
- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ (المائدة ٦٤).
- ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة ٧٣).
- ﴿ فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (المائدة ٨٥).
- ﴿ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ (المائدة ١١٦).
- ﴿ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ (الأنعام ٣٣) الذى مصدرية أى «قولهم»
- ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾ (الأنفال ٣٦).
- ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾ (التوبة ٧٤).
- ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (يونس ٦٥).
- ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ. ﴾ (هود ٩١).
- ﴿ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (يوسف ٦٦).
- ﴿ وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (الحجر ٩٧).
- ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء ٤٣).
- ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿ (طه ٢٧، ٢٨).

- ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (طه ٩٤).
- ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ (طه ١٣٠).
- ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ (المؤمنون ٨١).
- ﴿ أُولَئِكَ مُرْءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ (النور ٢٦).
- ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا ﴾ (النمل ١٩).
- ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (القصص ٢٨).
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ﴾
 (الاحزاب ٦٩). ﴿ فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (يس ٧٦).
- ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ﴾ (ص ١٧).
- ﴿ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الزمر ٥٠).
- ﴿ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ﴾ (غافر ٤٤).
- ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ (ق ٣٩).
- ﴿ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (الذاريات ٣٠).
- ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ (ق ٤٥).
- ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾ (المنافقون ٤).
- ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (المزمل ١٠).
- * قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ
 الْآخِرَةِ كَمَا يَسُؤُا الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ (المتحنة ١٣). والذين يسؤوا من الآخرة
 هم الكفار من منكرى البعث والذين يسؤوا من أصحاب القبورهم الذين يلحدونهم

فى قبورهم وهم كفار بمعنى أنهم يكفرون أجسام الموتى فى الأرض بقريئة قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ (الحديد ٢٠) فالكفار هنا هم الزراع الذين يكفرون الحب ويرجون الثمار من الرب كما قال عمرو بن العاص. فالتشبيه هنا لقوم يئسوا من البعث وعودة الحياة فى الآخرة بقوم آخرين يئسوا من عودة الحياة الدنيا إلى الموتى أصحاب القبور الذين دفنهم هؤلاء الكفار بأيديهم. والذى يلفت النظر هنا هو استعمال كلمة «كفار» بدلا من «لاحدين»، لأن فى الأمر شيئا معقودا بين فريقين كلاهما كافر وإن اختلف معنى اللفظ من هنا تبدو الصورة كما لو كانت ثمة مشكلة شبيهة بما فى قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (الروم ٥٥) غير أن أحد الطرفين فى آية الممتحنة التى بين أيدينا مفهوم والآخر مذكور والمذكور منهما يومئ إلى المفهوم بمعونة قوله تعالى: «غضب الله عليهم» وقوله «قد يئسوا من الآخرة». ومعنى ذلك أن هناك مضافا مقدرًا فى الحالتين فالأولون يئسوا من بعث الآخرة والآخرون يئسوا من عودة أصحاب القبور إلى الحياة الدنيا.

٣ - مستوى التراكيب

عند هذه النقطة نتقل من دلالات المفردات المعجمية إلى دلالة التراكيب النحوية. والمعروف أن النحاة قصدوا بقواعدهم أن تكون مطردة وأن تكون مطابقة لأصول جردوها بواسطة ملاحظة المسموع من كلام العرب وبواسطة أقيسه على هذا المسموع يقيسون بها ما لم يسمع. ولقد أرادوا للاطراد والقياس أن يكونا سمة من سمات النحو، ولكن الفصحى أوسع ساحة من أن تخضع للاطراد أو القياس خضوعا تاما. ومن هنا رأينا فى اللغة مخالفة لشروط الاطراد والقياس تتمثل فى مجالين أسلوبيين يتحديان الاطراد والقياس ولم يكن للنحاة مناص من قبولهما ومنحهما ما يستحقان من احترام. هذان هما الأساليب العدولية والترخص فى قرائن المعنى عند أمن اللبس. ولقد سبق لنا أن درسنا هاتين الظاهرتين فكانت دراسة الترخص فى الفصل الثامن من الجزء الأول من هذا الكتاب وكانت دراسة الأساليب العدولية فى الفصل الثالث من الجزء الثانى. وأود أن أضيف هنا بعض الملاحظات التى تتناول اشتراط النحاة قبول الترخص بأمن اللبس. ومناطق ذلك مبدأ تضافر القرائن إذ لا يمكن أن

يعتمد باب من أبواب النحو على قرينة مفردة فلو نظرنا مثلا إلى القرائن التي يعرف بها المفعول المطلق المؤكد لفعله لوجدناها الاسمية والشركة في أصل الاشتقاق والنصب والتأخر عن الفعل فإذا كان بعض هذه القرائن كافيا للدلالة على المفعول المطلق أمكن الترخيص في البعض الآخر كالشركة في أصل الاشتقاق مثلا إذ ينوب عن المفعول المطلق المؤكد لفعله مصدر آخر نحو جرى هرولة أو كل وبعض نحو ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ (النساء ١٢٩) ونحو ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ (الحافة ٤٤). والواقع أن النحاة اشترطوا لذلك أمن اللبس، ويكفي لاختصار القول في ذلك أن نأتى بأبيان من ألفية ابن مالك يشترط فيها للتخص في القاعدة أن يؤمن اللبس مثل:

ولا يجوز الابتدا بالنكرة	(مالم تفد) كعند زيد ثمرة
والأصل في الأخبار أن تؤخرا	وجوزوا التقديم (إذ لا ضررا)
ونحو عندي درهم ولي وطر	ملتزم فيه (تقدم الخبر)
وخبر المحصور (قدم أيذا)	كما لنا إلا تباع أحمدا
و(حذف ما يعلم) جائز كما	تقول زيد بعد من عند كما
وفى جواب كيف زيد قل دنف	فزيد (استغنى عنه إذ عرف)
وفى جميعها (توسط الخير	أجز) وكل سبقه دام حظر
وقد (تزداد كان في حشو)	كما كان أصح علم من تقدا
بعد عسى اخلوق أوشك قديرد	(غنى بأن يفعل عن ثان فقد)
وربما أستغنى عنها (إن بدا	ما ناطق أرادته) معتمدا
وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر	(إذا المراد مع سقوطه ظهر)
(ولا تجز هنا بلا دليل)	سقوط مفعولين أو مفعول
(وكتظن اجعل تقول) أن ولي	مستفهما به ولم يفصل
بغير ظرف أو كظرف أو عمل	(وإن ببعض ذي فصلت يحتمل)
وقدر يبيع الفصل ترك التاء) في	نحو أتى القاضي نبت الواقف

(والحذف) فى نعم الفتاة استحنوا	(لأن قصد الجنس فيه بين)
والحذف (قد يأتى بلا فصل) ومع	ضمير ذى المجاز فى شعر وقع
(وقد يجاء بخلاف الأصل)	وقد يجى المفعول قبل الفعل
(وأخر المفعول إن لبس حُذِر)	أو أضمر الفاعل غير منحصر
وما بالإن أو بالإنما انحصر	آخر (وقد يسبق أن قصد ظهر)
نقلا وفى أن وأن يطرد	(مع أمن لبس) كعجبت أن يدوا
ويلزم الأصل لموجب عرا	(وترك هذا الأصل حتما قديرى)
وقد ينوب عنه (ماعليه دل)	كجد كل الجد وافرح الجدل
(وإن بشكل خيف لبس بجنب)	وما لباع قديرى لنحو حب

وليس هذا كل ما فى ألفية ابن مالك مما يدل على جواز الترخص عند أمن اللبس
أما عند خوف اللبس فالالتزام بالقاعدة عندهم أمر حتمى فلا حذف مثلا إلا بدليل:

(ولا تجز هنا بلا دليل) سقوط مفعولين أو مفعول

لأن الدليل قرينة المعنى المراد وبدونه يكون المعنى معرضا للالتباس «وإن بشكل
خيف لبس يجنب».

وجاء القول فى الأساليب العدولية فى الفصل الثالث من الجزء الثانى من هذا
الكتاب.

ومعنى العدولية أن هذه الأساليب معدول بها عن أصل الاستعمال فى عرف
النحاة ولكن النحاة على رغم ذلك يقبلونها ويرفعون درجتها فى الاستعمال إلى
مستوى التراكيب القياسية ويوبون لها ويمنحونها المصطلحات الدالة عليها على عكس
نظرتهم إلى الترخص الذى يضطرون إلى تبريره. فمن المصطلحات العدولية الحكاية
- النقل - التضمين - النيابة - التقديم والتأخير - الالتفات - التغليب - اختلاف النظرة
الأسلوبية نذكيراً وتأييماً - الحذف - اللف والنشر المرتب والمشوش - الزيادة -
الاعتراض - الفصل - تجاهل الاختصاص - تجاهل المناسبة المعجمية (المجاز) - وحدة

الضمير الراجع إلى مراجع متبانية إلخ. والنحاة يهشون لكل ذلك لأنه من جملة المسموع الذى لا يمكن رفضه ولا وصمه بالندرة أو الشذوذ أو القلة لكثرتة وشيوعه. وفى التركيب ظواهر أخرى غير الترخص والعدول عن الأصل منها ظاهرة الاختيارات الفردية لطريقة التركيب لأسباب لدى منشى النص. ويمكن بيان ذلك فى الشواهد التالية:

* قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس ١٦) موضع الشاهد قوله «ولا أدراكم» حيث جاء النفى بواسطة «لا» ولم يأت بواسطة «ما» التى نفيت بها الجملة السابقة «ما تلوته عليكم». وواضح أن اختيار «لا» دون «ما» يأتى لسببين: الأول أن تكرر «ما» وإدخالها على لفظ على وزن أفعل وهو لفظ «أدرى» يوهم التعجب من درايتهم به ومن ثم يتسرب اللبس إلى الكلام وهو مرفوض. والثانى أنك إذا أردت أن تنفى حدثين ليس بينهما ارتباط فى الوقوع نفيت كلا منهما بلفظ «ما» كما فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء ١٥٧) فقد اختلفوا فى أى الحدثين هو الذى وقع. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة ٩) فكل حدث منفى لذاته وليس مترتباً على الآخر. أما فى الشاهد السابق فالتلاوة والدراية كلناهما مرتبطة بأمر واحد هو مشيئة الله. وإذا كان ارتباط الحدثين منصبا على أمر واحد فإن نفى الثانى منهما يكون بواسطة «لا» سواء كان نفى الأول بـ «ما» أو بـ «لا» كما فى هذا الشاهد الأول وكما فى قوله تعالى: ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ (القيامة ٣١ - ٣٢). وقوله جل شأنه: ﴿ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ (التوبة ١٢٦).

* قال تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (التوبة ٧٧). جر المصدر المؤول الأول بالياء (بما اخلفوا أى بسبب إخلافهم) وكان يمكن أن يعطف عليه المصدر المؤول الثانى (بما كانوا =

بسبب كونهم) بدون الباء ولو عطف بدون الباء لا لتبس بالنفى لأن العبارة ستصبح: وما كانوا يكذبون. ومن هنا كانت الباء الثانية وسيلة أسلوبية ضرورية لحفظ المعنى.

* قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف ١٣٢). كان يمكن للتركيب من الناحية النحوية أن يكون: (وقالوا مههما تأتنا بآية لتسحرنا بها) ولكن الصورة فى سياق الآية مختلفة. وتفسير ذلك أن فى تكرار الضمير وإن اختلف تذكيرا وتأنينا شيئا من التأكيد لأن اختلاف الضمير جاء فى الصورة لا فى المدلول. فالنحاة يقولون إن مهما مركبة من ما + ما ثم تحولت أولاهما إلى (مه). ولو نظرنا فى (ما) الثانية لعرفنا أنها هى الشرطية التى إما أن تأتى منفردة مثل: ﴿ وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (المزمل ٢٠) والأولى التى تحولت إلى (مه) هى الموصولة التى يعود عليها الضمير فى (به). ودليل ذلك صحة دخول (ما) الشرطية على الظروف ونحوها لتفيد تعميم ما دخلت عليه وتشر به معنى الشرط نحو إذا - حيثما - أينما - أيما - كلما - متى ما إلخ. أما فى قلما وطالما وعندما إلخ فهى مصدرية لاشروطية - وأما صحة عود الضمير عليها فلان (ما) هذه منقولة عن الموصولة ومعها شرط عود الضمير عليها. والضمير فى (بها) يعود على «آية». والاختيار الأسلوبى هنا جاء فى صورة العزوف عن الصورة الأخرى الممكنة التى سبقت الإشارة إليها للوصول إلى التأكيد، لأن (ما) المحمولة عن الموصولة لإفادة الشرط تشير من حيث المعنى إلى مضمون لفظ (آية) ولا ضرر فى اختلاف الضميرين تذكيرا وتأنينا.

* قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ﴾ (غافر ٥٨). التركيب القياسى لهذا السياق اللفظى أن يكون: وما يستوى الأعمى والبصير ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسيء. ولكن المؤشر الأسلوبى إذ يكون القارئ عند ختام الآية أقرب عهدا بنفى التسوية بين المؤمن والمسيء وفى ذلك ما يجب فى الإيمان ويغض فى الإساءة.

* قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۗ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۗ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۗ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۗ ﴾ (فاطر ١٩ - ٢٢). هنا نجد المؤشر الأسلوبى هو تكرار (لا) مع كل من الطرفين المتقابلين مما يوحى بالتوكيد بطريقة غير الطريقة السابقة هى الإلحاح على النفى بتكرار الأداة فى مواقع زيادتها.

* قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۗ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۗ ﴾ (هود ٢٤) إذا أردت أن تعطف بعض الأفراد على بعض لزمك أن تذكر حرف العطف فأنت لا تقول جاء زيد عمرو وأنت تنوى «زيد وعمرو». أما إذا أردت عطف الصفات فأنت بالخيار أن تقول جاء زيد الكاتب الشاعر أو الكاتب والشاعر. هذا من الناحية النحوية. ولكن كلا من الخيارين يستند إى مبرر أسلوبى يراه منشاء النص ولا تحكمه قاعدة. والذى دعا إلى عطف الصمم على العمى وعطف السمع على البصر هو إرادة تمكّن الصفات من كل من الفريقين. ويلاحظ هنا أن الذى حال دون فهم دلالة كل صفة من الصفات الأربع على فرد خاص ليصبح الأفراد أربعة هو لفظ «الفريقين» فى أوّل الآية و«هل يستويان» فى آخرها فدل ذلك على أن المراد شخصان أحدهما أعمى والآخر بصير سميع. وهكذا تحول الفريقان المذكورتان دون التباس المعنى.

هنا نتجاوز الصحة إلى الجمال فنشير إلى أن الجمال يظهر من خلال التصوير إما من خلال المجاز وإما من طريق التخيل. فالمجاز نقل المعنى عن أصل دلالاته والتجاوز به إلى دلالة أخرى لعلاقة بين الأصل والفرع فإذا كان المجاز استعارة كان بحاجة إلى قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصيلى.

أما مع الكتابة فلاحاجة إلى قرينة ومعنى أن المجاز ظاهرة أسلوبية هى أنه إذا كان المعنى الأصيلى عرفياً فإن المعنى المجازى فردى فالناس جميعاً يتفقون على المعنى الأصيلى للفظ وهذا معنى أنه عرفى عام وإذا كان المعنى الأصيلى ينتمى إلى خطاب طائفة معينة فهو عرف خاص. أما المجاز فهو استعمال فردى ومن ثم كان مؤشراً أسلوبياً. والسؤال الآن عن طبيعة ارتباط المجاز بالجمال الأسلوبى أى لماذا كان المجاز فى الأسلوب ظاهرة جمالية. والجواب أن الجمال يأتى من جعل اللغة وسيلة من وسائل التصوير من خلال علاقة المشابهة (وهى فنية) أو العلاقات العقلية كما فى

المجاز المرسل أو لازم المعنى كما فى الكناية والتورية. فعلاقة المشابهة تحملنا من الأصل إلى صورة أكثر تعبيراً عن وجه الشبه. والعلاقة العقلية تقفز بنا فى عكس الاتجاه من الصورة إلى الأصل ولازم المعنى فى كل ذلك مزيج من المفاجأة والانطباع والاستجابة الوجدانية لهما وقد تختزن الاستجابة ثم تستدعى بالمناسبة. دعنا بعد ذلك ننظر فى بعض المجازات القرآنية لنكشف عما يعن لنا من جوانب الجمال فيها:

* قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَّوَحَيْنَا ﴾ (المؤمنون ٢٧).

* وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (الطور ٤٨).

* وقال تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴾ (القمر ١٤).

فى الآيه الأولى لقى نوح من قومه الجحود والاثهام إما بأنه يريد أن يضع نفسه موضع التفوق على قومه بأن يتفضل عليهم أى بأن يكون أفضل منهم وإما بأن به جنة ومن هنا طلب نوح إلى ربه أن ينصره فكان نصر الله إياه بالطوفان. ولم يكن نوح نجاراً حتى يطمئن إلى قدراته الشخصية فى صناعة السفينة ولذا وعده الله سبحانه أن يكون عمله فى رعايته وإرشاده فعبّر عن الرعاية بالأعين وعن الإرشاد بالوحي. ولا شك أن الصورة التى يدرکها المرء عند قراءة «بأعيننا ووحينا» تحمل من الجمال ما يحمله قولنا «برعايتنا وإرشادنا».

وفى الثانية أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالصبر لحكم ربه ثم لم يكله إلى نفسه لأن مجرد الصبر أمر صعب الاحتمال فكان لابد من التشجيع على تحمله وليس هنا من تشجيع أفضل من تمتع الصابر برعاية الله له رعاية يصل بها إلى نجاح المقصد.

أما فى الآيه الثالثة فقد كان جرت السفينة برعاية الله تعالى.

* قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ

شَهِيدٌ ﴾ (ق ٣٧). القلب هنا حتى فى لغة الحاضر مبعث الإدراك العقلى ويسمى

أيضاً الفؤاد ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء ٣٦) فالقصد بمن له قلب من له طاقة الفهم وصواب الحكم ففي ذلك مجاز مرسل علاقته المحلية. وأما قوله أو ألقى السمع فهو استعارة تبعية تجعل السمع في استيعابه للتذكير وسيلة صيد للنصائح كما تلقى الشبكة في الماء لتصطاد السمك. ومعروف أن بين السمع والالقاء بمعناه الأصلي مفارقة معجمية تجعلنا ننقل بالمعنى من أصله وهو إرهاف السمع إلى الفرع وهو إلقاء السمع بعلاقة الرغبة في الوصول إلى حيازة شيء ما مع جعل المفارقة المعجمية قرينة على عدم إرادة المعنى الأصلي للإلقاء. من هذه المفارقة يأتي عنصر المفاجأة ومن الصورة المترتبة على الاستعارة يأتي الانطباع وبهما تأتي الاستجابة الوجدانية التي تستدعيها الصورة الجديدة لإرهاف السمع.

* قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (الذاريات ٥٠). الفرار هرب من شيء مخوف، وهو هنا العذاب. فقد سلط الله عذابه على قوم لوط ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (الذاريات ٣٧) وعلى فرعون وجنوده ﴿ وَفَأَخَذْنَا مِنْهُ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (الذاريات ٤٠) وعلى قوم عاد ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الذاريات ٤١ - ٤٢). وعلى ثمود ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَنَصِّرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الذاريات ٤٣ - ٤٥) وعلى قوم نوح ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (الذاريات ٤٦). فلا غرو أن تأتي النصيحة لكفار قريش بالهرب من هذا المصير ثم لا يكون هذا الهرب إلا إلى الله بمعنى الإيمان به وإسلام الوجه له. وهكذا يكون المعنى المقصود بالفرار إلى الله الإيمان بالله مع إعطاء الإيمان صورة الفرار من خطر إلى مأمّن، ولو دخلنا إلى فهم الآية من مدخل الفعل «فروا» لوجدناها استعارة تبعية أي أسرعوا بالإيمان، ولو دخلنا إليها من مدخل لفظ الجلالة لوجدنا أن الذى قصد به هو الإيمان ولوجدناها تصريحية. فانظر إلى جملة ذات مدخلين كل منهما استعارة.

* قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفتح ٢٤). المكفوف هنا هم أصحاب الأيدي وليس الأيدي ذاتها. وإنما ذكرت الأيدي ولم يذكر أصحابها لأن الأيدي وسيلة لبطش وحاملة السلاح والممسكة بالأسرى وجامعة الأسلاب ومن ثم اتصلت الصورة بالأيدي لتكون العبارة من قبيل المجاز المرسل الذي علاقتة الجزئية وبها يدور الوهم والانطباع حول الأيدي بالنيابة عن أصحابها.

* قال تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ قَلْبَهُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ (الكهف ٤٢). كان للرجل جنتان فتعالى بهما على صاحبه حتى بلغ مرحلة الكفر بالذي خلقه وتواضع صاحبه وأظهر التوكل على الله وساق إليه التحضيض أنه كان ينبغي له أن يقول عند دخول جنته «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» ثم رجا أن يعطية الله خيرا من جنة صاحبه ويفسدها بأفة تنزل عليها من السماء. وقد حدث هذا فلم يكن أمام صاحب الجنة إلا الندم. غير أن الآية لم تقل: فأصبح نادما وإنما قالت: «فأصبح يقلب كفيه». وتلك حركة مألوفة من النادمين وبخاصة حين يكون الندم بسبب خسارة مادية. وشاعت هذه الحركة من النادمين حتى أصبحت بذاتها دالة على الندم حتى لو لم يعبر النادم عن ندمه بالكلام، أى أنها حركة نموذجية للندم. ومن هنا دلت على الندم عن طريق الكناية فالمعنى القريب تقليب اليدين والمعنى البعيد المراد هو الندم وهو كما رأينا لازم المعنى البعيد.

أما إذا كان المعنى البعيد غير لازم عن المعنى القريب فإنه يعبر عنه بوضوح كما فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً تَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ﴾ (التوبة ١٢٧) فالمعنى البعيد لهذه النظرة بخصوصها التساؤل عما إذا كان أحد يراهم عند الانصراف والتسلل ولكن هذا المعنى خاص بهذه النظرة كما سبق ولا يصلح لغيرها من النظرات أما الندم وتقليب اليدين فعلاقة اللزوم بينهما واضحة إذ يلزم عن التقليب الإحساس بالندم ولا يلزم عن تلك النظرة ذلك السؤال بخصوصه

وإنما توصف العلاقة بين الجملتين بعلاقة التفسير وليس علاقة اللزوم أى أنا التساؤل يفسر النظرة .

أو مثله أيضاً: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ (الفرقان ٢٠) إذ كان «أتصبرون» بقليلاً للفتة :

كان ذلك إنشاء الصورة بواسطة المجاز أما إنشاء الصورة بواسطة التخيل فهو شائع أيضاً فى النص القرآنى وبخاصة فى السور المكية المتجهة إلى الدعوة وما فيها من ترغيب وترهيب وضرب مثل ووصف لمصارع العُصاة فى الدنيا ومشاهد الحساب فى الآخرة، أما السور المدنية فقد أضافت إلى ذلك اهتماماً بالتشريع للمجتمع الإسلامى الذى بدت معالم صورته تظهر فى المدينة . والاستشهاد على هذه الظاهرة يقود مرة أخرى إلى صور الكفران والشكران وجها لوجه كما يصورهما مثل الرجلين اللذين جعل الله لأحدهما جنتين فكفر بنعمة الله وتعالى على صاحبه الذى أظهر الثقة بربه والشكر لنعمته . وقد ضرب الله هذا المثل لمشركى مكة الذين أنعم الله عليهم بالثروة ورواج التجارة مع البلاد المجاورة فى رحلة الشتاء ورحلة الصيف حتى كانت الرحلتان جنتين ذواتى ثمرات وأما المسلمون فهم الفقراء الشاكرون ذوو الثقة بالله والتوكل عليه والأمل أن يؤتيهم الله خيراً من جنة المشركين وكان أمراً مفعولاً . ويلاحظ فى كلام صاحب الجنتين أنه هو ما يقوله مشركو مكة فلم يكن يظن الساعة قائمة وكان يرى أى الأصنام تقر به إلى الله زلفى فإذا ردّ إلى ربه وجد من فضله ما يفوق نعمة الجنتين . وفى كلام الشاكر لربه . إخلاصه الإيمان بالله والطمع فى رحمته وعدم الاشراك به ثم النصح والتذكير للغافلين من أمثال صاحب الجنتين . وتبدو النهاية حكاية لما ينتظر المشركين من إحباط أعمالهم وندمهم لما فرط منهم ﴿ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (الكهف ٤٢) .

* قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ

وَأَبِلُ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿

(البقرة ٢٦٤ - ٢٦٥). هنا صورتان متقابلتان لنوعين من أصحاب الإنفاق: النوع الأول ينفق ليقول الناس فيه إنه رجل البرو الإحسان ثم لا يهتم بعد ذلك برضوان الله ولا بثواب الآخرة فشأنه شأن مرتفع صخرى تغطيه تربة صالحة للزراعة وإنتاج الخيرات ولكنها تتعرض لمطر غزير يغسلها فيتعرى المرتفع الذى كانت عليه التربة ويصبح غير صالح للزراعة فالتربة هى الثروة وتأكلها هو الإنفاق فى غير طائل والتعرية مجيء المنفق فى الآخرة وليس له حسنات ينتفع بها. وفى مقابل ذلك صورة أخرى لمن ينفقون ابتغاء مرضاة الله وتصديقا لوعده بالجزاء فهؤلاء كحديقة بربوة لا ترفع عن الأرض إلا بمقدار ما يحول ارتفاعها دون تجمع الماء بها فلما نزل عليها المطر الغزير لم يُعْرَها من خصوبتها فكان المطر سقيا وغماء لها فآتت ثمراتها بمقدار ضعفى ماجرت العادة عليه من قبل ثم إن إنتاجها مأمول دائما لأنها إن لم ينزل عليها المطر نزل عليها الطل مطراً خفيفاً أو ندى يتسرب فى عروق أشجارها فنزدهر الجنة وتؤتى أكلها ضعفين. وعناصر الصورة هنا جنة فى مكان آمن من عوادي الطبيعة منتفحة بعطائها وقد نزل المطر عليها فنمت وأزدهرت وأثمرت فكان ثمرها ضعفى ماسبق. فالمكان هو صدق الإيمان بالله والمطر رزق الله لهؤلاء العباد المتصدقين سواء بسطه لهم فكان كالوابل أو قَدَرُهُ عليهم فكان كالطل والأكل المضاعف ثواب الآخرة إذ تكون الحسنة بعشر أمثالها. بقى أن نشير إلى قوله تعالى بالنسبة للصفوان: «فأصابه» بالفاء وبالنسبة للربوة: «أصابها» بدونها فالفرق بين الفعل فى الحالتين أنه جاء فى المرة الأولى بعد أن استوفى الصفوان نعتة فكان مضمون الفعل هو الحدث الذى وقع للصفوان وأما فى المرة الثانية فإن الفعل جاء نعتاً من نعت الربوة فكان الحدث الذى لحقته الفاء فى هذه الحالة أن هذه الربوة آتت أكلها ضعفين وهو قوله «فآتت كلها ضعفين».

* قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ لَنْ أُخْرِجْتُمْ لِنُحْرَجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ
وَلَنْ نَصُرُوهُمْ لِيُوَلَّنَ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ
جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾
كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ
قَالَ لِلْإِنْسَانِ أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ
عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿الحشر ١١ - ١٧﴾.

في هذه المعادلة التمثيلية نجد المنافقين واليهود من بنى قريظة أولا في كفة وفي الكفة الأخرى المشركون في بدر وبنو قينقاع وهم الذين ذاقوا وبال أمرهم من قبلهم بقليل، ثم نجد الأولين في كفة والشيطان والإنسان المخدوع في كفة ثانية. وفي كلتا الحالتين وعد بالنصر وخذلان عند الشدة بشهادة الله عز من قائل فالمنافقون يعدون ويخذلون والشيطان يعد وبيراً من ضحاياه زاعما الخوف من الله. فلقد وعد المنافقون بنى قريظة أنهم إذا أخرجهم المسلمون من مساكنهم فهم سيخرجون معهم وإذا قاتل المسلمون بنى قريظة فسوف ينصرونهم على المسلمين غير عابئين بما يقال. ويشهد الله سبحانه وتعالى على كذبهم فيما يدعون فلن يخرجوا مع المخرجين ولن يقاتلوا معهم ولو حاولوا ذلك لما استطاعوا الصمود ولولوا الأدبار هربا من بأس المسلمين لأنهم يخافون المسلمين أكثر مما يخافون الله. ولو اجتمعت الفتتان لقاتل المسلمين ماوقع منهم القتال إلا أن يكونوا وراء ستار من حصن أو وراء جدار يحتمون به أضف إلى ذلك أن كلا من الفريقين لا يحرص على مساندة الآخر لما بينهم من الحقد الدفين فلو راقبتهم لحسبتهم متناصرين ولكنهم في الواقع متفرون. فالمنافقون كالشيطان وبنو قريظة كالإنسان الذي ينخدع بوعده الشيطان ثم يتبين في اللحظة الأخيرة هول العاقبة. والذي يلفت الانتباه هنا فتنشأ عنه المكونات الثلاث: المفاجأة والانطباع والاستجابة هو الموقف غير المتوقع إذ يدعو الشيطان ضحيته إلى الكفر وعندما يطيع

الضحية دعوته يبرأ الشيطان منه بزعم الخوف من الله. هذه المقارنة تمثل المفاجأة وإطار الموقف يمثل الانطباع والإحساس بالجمال يمثل الاستجابة الوجدانية.

نتقل الآن من صور الأمثال القرآنية إلى صور المشاهد في الدار الآخرة. سواء في يوم الحشر أم في الجنة أم في النار وستبدو كل صورة من هذه الصور عظيمة الترغيب أو شديدة الترهيب وهى على رغم تناول وصفها بمفردات لغوية مألوفة تبدو غير معهودة فى التجربة الإنسانية فى الحياة الدنيا. وهذا البون بين تجارب الإنسان فى الدنيا وهذه الصور الأخروية هو مبعث المفاجأة ومادة الانطباع ومثابة الاستجابة الوجدانية المؤدية إلى الاستجابة العملية بمخافة العذاب ورجاء الثواب. ولنا أن نلقى نظرة على الصور الآتية:

* قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج ٢).
والضمير فى «ترونها» لزلزلة الساعة. وإذا كان الناس فى الحياة الدنيا يذهلون عن سبل السلامة من الزلازل فيقذفون بأنفسهم من أعالى المباني ظانين ذلك مهربا فيفرون بذلك من موت إلى موت فما بالك بزلزلة الساعة التى تعمل عملها فى النفوس حتى يكون ذهول المرضعة عن رضيعها واسقاط الحامل لحملها وذهول الرجال عن أنفسهم وتعطل قدرتهم على الحكم السليم على الأشياء حتى كأنهم سكارى ويكون كل ذلك خوفا من واقع رهيب هو جزء من عذاب الله.
ثم يأتى بعد الزلزلة يوم الحساب وفيه أهوال لا تقل عن سابقتها. ففى شأن ذلك اليوم:

* يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس ٣٤ - ٣٧). هذا يوم الفزع الأكبر ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (ق ٤٤). ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (طه ١٠٢) ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا

مَنْ يُكَذِّبُ بآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿ (النمل ٨٣ - ٨٥). ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرَعٍ يُؤَمُّذُ أَمُونٌ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ (النمل ٨٧ - ٩٠). هنا تختلف مصائر المخلوقات من إنس و جن فمنهم من يخلد في النار فالله تعالى يقول لابليس: ﴿ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (ص ٨٥) ومنهم من يحشر إلى الجنة زمراً ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر ٧٣). عندئذ يبرأ المجرمون كل من صاحبه ﴿ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيًّا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿ (غافر ٤٧ - ٥٠).

أما الجنة فعرضها السموات والأرض تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى والناس فيها صنفان: المقربون وأصحاب اليمين ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿ (الواقعة ٨٨ - ٩١). وقال تأتي الجنة في صورة المثنى كقوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾ (الرحمن ٤٦) إحداهما للإنس والأخرى للجن وهما هنا للسابقين المقربين من الفريقين ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ ﴾

(الرحمن ٦٢) وهاتان لأصحاب اليمين من كل منهما ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ (الأنعام ١٣٢). لأن جنتي المقربين تشتمل على ملذات أفضل مما تشتمل عليه جنتا أصحاب اليمين وقد شرحنا ذلك في كلامنا عن سورة الرحمن من هذا العمل. كما تأتي الجنة في صيغة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَشْرِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة ٢٥). وقوله جل شأنه: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (التوبة ٢١-٢٢). وقوله سبحانه ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (فاطر ٣٣). وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ (الذاريات ١٥ - ١٦) وكذلك: ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (الصف ١٢).

وفي مقابل هذا النعيم المقيم يلتقى المشركون وما يعبدون من دون الله في النار جهنم فيكونون حصبا لها ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ (الأنبياء ٩٨) ﴿ وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾ (الأنفال ٣٧) فيصلى الجميع نارا حامية ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِمَ جُلِدْنَا بِهَا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا

فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ (فصلت ١٩ - ٢٤). ويلفت النظر هنا أمر شهادة الجلود. فمن الواضح أن الأعضاء التي تشهد عليهم يوم القيامة هي أعضاء الحس وأشهرها السمع والبصر اللذين طور الإنسان قدرتهما فاصبح السمع معززا بالموجات الكهرومغناطيسية ليسمع ما يذاع من الإشارات من كل أجزاء المعمورة وكذلك عزز البصر ليرى أدق الكائنات بالميكروسكوب وأبعدها بالتلسكوب. فلماذا شهد الجلد ولم يجد مثل هذا التعزيز بالعلم؟ إن الجلد مركز حاسة اللمس فهو حاسة اليد الباطشة واليد السارقة واللامسة كل أنواع اللمس المحرم والجلد مصدر الإحساس باللذة عند الزنا إلخ فلا غرو أن تكون شهادة الجلد على هذا القدر من الأهمية وأن يتجة عتاب هؤلاء إلى الجلود لما أقدمت عليه من الشهادة وألا يتجه العتاب إلى السمع والبصر. فإذا ادخل المجرم إلى جهنم فإنه ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ (طه ٧٤) فإذا ﴿ نَادَا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ ﴾ (الزخرف ٧٧) فهم ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ (فاطر ٣٦) وبين الجنة والنار حاجز من ﴿ سُوْرُهُ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (الحديد ١٣) وفي أعلى هذا السور أعراف كالتى نشاهدها على أسوار القلاع ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (الأعراف ٤٦ - ٥٠).

هذه المشاهد الأخروية تصف أحداث القيامة والحساب ثم الثواب أو العقاب. ثم

تصف ما يدور بين أهل النار وبين أصحاب الجنة من حوار يبدو منه مقدار ما يعانيه المعذبون وما يلذ به المنعمون. والصور في الحالتين منبع استجابة وجدانية من قبل القارئ الذى يعجب بنعم الجنة يغبط أهلها وينفر من عذاب النار ويأسى لأهلها ومع الغبطة والأسى يختار لنفسه أى السيلين يسلك والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٥ - مستوى التناص:

ومن خصائص الأسلوب القرآنى ما يشير إليه القول المأثور «القرآن يفسر بعضه بعضا» وهو ما يتفق مع الدراسة الحديثة للنصوص من حيث مبدأ «التناص». فالمعروف من صور التناص أن التناص يقوم بين النص وترجمته أو محاكاته أو التعليق عليه أو شرحه أو نقده إلخ. فإذا كان التفسير شرحا للقرآن فبينه وبينه التناص وإذا أعانت آية على شرح (أى تفسير) آية أخرى فبين الآيتين تناص وإذا كان القرآن يفسر بعضه بعضا فبين بعضه وبعض تناص. سنرى فى كلامنا عن بنى اسرائيل فى القرآن الكريم كيف تضافر عدد من السور القرآنية على نسج هذا الموضوع منها البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس وهود ويوسف والإسراء والكهف ومريم وطه والشعراء والنمل والقصص ويس وغافر والدخان والحشر إذا اشتملت كل سورة من هذه السور على قدر من المعلومات المكتملة لما اشتملت عليه السور الأخرى. ولو أننا أردنا مثلا أن نستخرج من النص القرآنى موضوعا كأحكام الأسرة لوجدنا ذلك فى عدد من السور منها البقرة والنساء والنور والأحزاب والمجادلة والمنتحنة والطلاق. وكذلك الأمر فى الموضوعات الأخرى التى تمس القصص القرآنى أو التشريع الإسلامى أو آداب السلوك أو الأخلاقيات أو غير ذلك من الأغراض وأنواع التوجيه.

٦ - مستوى الأسلوب:

ويسلمنا هذا إلى ناحية أخرى تتصل بالأسلوب القرآنى هى أنواع الخطاب فى القرآن الكريم. وأقصد بالخطاب الطريقة الأسلوبية التى تتصل بإطار تعبيرى معين. ولإيضاح ذلك نشير إلى ما اصطنعه نقاد الشعر العربى من السلف من تقسيم الشعر بحسب أغراضه من مدح أو رثاء أو غزل أو هجاء أو وصف إلخ وقيدوا لكل غرض

من هذه الأغراض طرائق تعبيرية معينة، فَفَصَّلُوا بذلك بين أسلوب المدح والثناء مثلا وإن كان كلاهما فى حقيقة مدحا وإطراء وميَّزوا القول فيهما عن القول فى الوصف والهجاء والأغراض الأخرى. وربما كان اختلاف القول فى أحد هذه الأغراض عن غيره راجعا إلى نوع التركيب أو إلى خصوص المفردات أو الصور البلاغية أو الصور التخيلية. فالوصف مثلا يفضل التراكم الخبرية ولكن الغزل والثناء تشيع فيهما التراكم الإنشائية إما طلبية كالأستفهام والتخصيص وإما إفصاحية غير طلبية كالتعجب والقسم والندبة. فإذا تأملنا صنيع النقاد العرب هذا فربما صح أن ننسبه إلى ما يقول به اللغويون المحدثون من الفصل بين خطاب وخطاب.

ففى مجال دراسة الخطاب يواجهنا فى البداية الفرق بين لغة العلم ولغة الأدب ولغة المهنة وفى إطار كل من هذه الأقسام الكبرى نجد اختلافا بين فرع وآخر ففى مجال العلم يختلف الخطاب بين لغة الرياضيات والطبيعات والإنسانيات وفى مجال الأدب اختلاف الشعر والنثر وتحت كل معهما أغراض كما رأينا فى أغراض الشعر منذ قليل وفى مجال المهنة تختلف لغة المحامين عن لغة الوعاظ أو لغة الصنَّاع أو الاقتصاديين فلكل من هذه اللغات خطاب من نوع معين. هذا هو المقصود بلفظ الخطاب فى كلامنا هذا.

فإذا تأملنا الأسلوب القرآنى وجدنا تنوعا فى الخطاب بين ما نزل من القرآن بمكة وما نزل منه بالمدينة وذلك على وجه العموم. فالقرآن المكى نزل للدعوة إلى الإسلام خالصة لهذا الغرض. أما القرآن المدنى فقد ضم إلى الدعوة أغراض التشريع والأخلاقيات وآداب السلوك إلى غير ذلك مما يتطلبه تنظيم مجتمع مستقر واضح المعالم. ثم نجد فى نطاق كل من الخطابين المكى والمدنى أساليب ترعى الفروق بين الخطاب القصصى وخطاب الحجاج أو التنديد بالنفاق أو النهى عن بعض الأعمال الموروثة أو المخالفات السلوكية أو وصف القيامة والحياة الآخرة وما يتصل بها من وصف نعيم الجنة وعذاب النار والخلود فيهما. ولقد مر بنا منذ قليل إشارة سريعة إلى شىء من هذه النصوص فرأينا كيف تختلف الناحية التركيبية فى القرآن المكى عنها فى القرآن المدنى سواء من حيث الترخص فى القرائن النحوية عند أمن اللبس أم من حيث الأساليب العدولية أم من حيث استعمال القيم الصوتية كتحويل

﴿ دَحَاهَا ﴾ (النازعات ٣٠) إلى ﴿ طَحَاهَا ﴾ (الشمس ٦) لإرادة التأكيد في معرض القسم. إن الصورة النموذجية للقرآن المكي تبدو في قصار السور التي تسود فيها قصار الآيات بما تشتمل عليه من شدة على الكفار وتنديد ووعيد وترغيب وترهيب وتخويف من عقاب الدنيا يمثل ما أصاب القرون السابقة من الهلاك ومن عقاب الآخرة بوصف نار جهنم وما يلحق الكافرين من عذابها. فمن نماذج القرآن المكي:

* قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ

ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام ١)

* ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴾ (٨) وَلَوْ

جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾ (الأنعام ٨ - ٩).

* ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلِ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) وَكَمْ مِّن

قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ (الأعراف ٢ - ٤).

* ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا

لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مَظْلَمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (يونس ٢٦ - ٢٧).

* ﴿ تِلْكَ مِن أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا

فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود ٤٩).

* ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ

الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف ١١١).

* ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابُ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيَلَّتْنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف ٤٩).

* ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الفرقان ٤ - ٦).

* ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (يس ٣٧ - ٣٩).

* ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَئِنذًا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ (الصافات ١٢ - ١٨).

* ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الزمر ٦٠ - ٦١).

* ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (ق ٦ - ٨).

* ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ

اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ
الهُدَى ﴿ (النجم ١٩ - ٢٣) .

* ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ
الْأَرْضُ رُجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً
﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ
﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿ (الواقعة ١ - ١٠) .

* ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكْبِيرٌ ﴿٣﴾ وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ
فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿ (المدثر ١ - ٧) .

* ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ
فَتَنَفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿ (عبس ١ - ٤) .

* ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿ (العصر ١ - ٣) .

يتصح من هذه النماذج القرآنية أنها تدور حول أمور عدة كلها يدور حول الدعوة
إلى الإسلام: فهناك.

١ - الإشارة إلى قدرة الخالق

٢ - الرد على مما حكات الكفار

٣ - الإنذار بالهلاك كما هلكت القرون الأولى

٤ - الترغيب في رضى الله والترهيب من سخطه

٥ - القصص القرآنى

٦ - وصف أهوال القيام

٧ - المحاجة

٨ - تسفيه عبادة الأصنام

٩ - الحُصَّ على مباشرة الدعوة

أما الخطاب في القرآن المدني فيضيف إلى الاهتمام بالدعوة الاهتمام بأمور أخرى تظهر من الشواهد التالية:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة ١٠٩).

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة ١٤٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة ١٧٨).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة ١٨٣).

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْثِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٨٨).

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٢٤).

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ..... ﴾ (البقرة ٢٢٨).

* ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢٥٦).

* ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ

حَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٦٣) * ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى

فَاكْتُبُوهُ..... ﴾ (البقرة ٢٨٢). ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ

جَهَنَّمَ وَيَسُوءُ السُّوءَ حَالًا ﴾ (آل عمران ١٢).

* ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ..... ﴾ (آل عمران ٦٥ - ٦٨).

* ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ..... ﴾ (آل عمران ١١٠).

* ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ..... ﴾ (آل عمران ١٢١).

* ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ..... ﴾ (النساء ١١).

* ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ

الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ..... ﴾ (النساء ٢٣).

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ

تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ..... ﴾ (النساء ٥٨).

* ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ

حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء ٦٥).

* ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء ٧٤).

* ﴿ وَإِذَا حِيَّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا..... ﴾ (النساء ٨٦).

* ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (النساء ١٤٨). ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ..... ﴾ (المائدة ١).

* ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا..... ﴾ (المائدة ٣٨).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ..... ﴾ (المائدة ٥١).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة ٩٠).

* ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال ١).

* ﴿ وَعَلِمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (الأنفال ٤١). ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنفال ٦١).

* ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة ٦).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴾ (التوبة ٢٣).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ (التوبة ٢٨).

* ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ (التوبة ٣٦).

* ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة ٦٠). ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ (التوبة ١١١).

* ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ (التوبة ١٢٢).

* ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج ٢٧). ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . . . ﴾ (النور ٥٨).

* ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا . . . ﴾ (النور ٦٣).

* ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ . . . ﴾ (الأحزاب ٥).

* ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ . . . ﴾ (الأحزاب ٣٦).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾
(الأحزاب ٥٣). ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ
جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ (الأحزاب ٥٩).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ (الحجرات ٢).

* ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (الحجرات ٩).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ... ﴾
(الحجرات ١١). ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِمَّنَّ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا
تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ (الحجرات ١٢).

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات ١٣).

* ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي
وَلَدْنَهُمْ ﴾ (المجادلة ٢).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ
وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ (المجادلة ٩).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ
لَكُمْ ﴾ (المجادلة ١١).

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُيُوتٌ مَرصُوعَةٌ ﴾
(الصف ٤). ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (المنافقون ١).

* ﴿ أَيْهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ..... ﴾

(الطلاق ١). تلك كانت الاقتباسات التي اخترناها ممثلة للقرآن المدني ونستطيع أن نرى منها ما يلي:

- ١ - الصراع بين الدعوة الإسلامية وعداوة اليهود لها وللمسلمين.
 - ٢ - اتخاذ هذه العداوة للمسلمين صوراً شتى من الكيد والمعارضة كما يتضح من موقفهم من تحويل القبلة.
 - ٣ - نزول التشريعات المختلفة لتنظيم العلاقات والمعاملات في المجتمع الإسلامي وتناولها بالتحليل والتحريم.
 - ٤ - الدعوة إلى مكارم الأخلاق والعدل في معاملة الغير.
 - ٥ - دعوة المؤمنين إلى أن يتأديوا في خطابهم للرسول وزيارتهم لبيوته.
 - ٦ - تنديد القرآن الكريم بظاهرة النفاق التي لم تكن قائمة في العهد المكي من عهد الدعوة.
- كل أولئك يمثل الفرق بين الخطاب القرآني في العهد المكي ونظيره في العهد المدني. والله سبحانه تعالى ولى التوفيق.

صفات القراء في القراء

تأتي صفات القرآن الكريم لتعبر عن أمور معينة يمتاز بها القرآن عن غيره من صور الكلام. فهناك صفات تكشف عن حقيقة القرآن وأخري تحدد تركيبه وثالثة تبين مدي صدقه ورابعة تصف سمو بيانه وخامسة تصف إرشاده للعباد وسادسة تعبر عن بركته. فأما لغة القرآن فإنه نص عربي وأنه في إعجازه أحسن الحديث وأما حقيقته فهي أنه كتاب وتنزيل ووحى وصحف مطهرة وروح وأما صدقه فهو أنه حق ولا ريب فيه وأنه برهان محكم وحكيم وغير ذي عوج وأنه مصدق لما بين يديه وهو قيم ومهيمن وأما من حيث البيان فهو فرقان ونور وهدي ومبين ويهدي إلي الرشد وآيات بيّنات وأما من حيث أنه يرشد فهو موعظة وبصائر وذكر وتذكرة وأما من حيث اليمن والبركة فإنه رحمة وشفاء ومبارك وبشري ويبشر المؤمنين. وسنري فيما يلي أن أكثر الشواهد عددًا ما نص علي أن القرآن كتاب وما نص علي أنه حق وتتراوح الشواهد قلة وكثرة فيما دون ذلك. وفيما يلي نورد هذه الشواهد:

١ - هُدَى.

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة ٢).

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى

وَبَشْرَىٰ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة ٩٧).

﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ
الْهُدَىٰ ﴾ (البقرة ١٢٠).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ
أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة ١٥٩).

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ (البقرة ١٨٥).

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران ١٣٧).

﴿ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (الأنعام ٨٨).

﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ (الأنعام ١٥٧).

﴿ وَلَقَدْ جَنَانَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ (الأعراف ٥٢).

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾

(الأعراف ٢٠٣). ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ

الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ (التوبة ٣٣).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس ٥٧).

﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف ١١١).

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴾ (النحل ٦٤).

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾
(النحل ٨٩). ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى
وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل ١٠٢).

﴿ طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
(النمل ١ - ٢).

﴿ وَإِنَّهُ لَهْدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل ٧٧).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ (لقمان ٢ - ٣).

﴿ ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر ٢٣).
﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ
عَمًى ﴾ (فصلت ٤٤).

﴿ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴾ (الجاثية ١١).

﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (الجاثية ٢٠).

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا ﴾ (الفتح ٢٨).

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴾ (النجم ٢٣).

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف ٩).

﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾
(الجن ١٣).

٢ - موعظة .

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران ١٣٨).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس ٥٧).

﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود ١٢٠).

﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (النور ٣٤).

٣ - رحمة.

﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ (الأنعام ١٥٧).

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف ٥٢). ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف ٢٠٣).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس ٥٧).

﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف ١١١).

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (النحل ٦٤).

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل ٨٩). ﴿ وَإِنَّهُ لَهْدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل ٧٧).

﴿ أَو لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا نَزَّلْنَا عَلَيْكَ لِكِتَابٍ يَتْلُو عَلَيْهِمْ أَن فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت ٥١).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ (لقمان ٢ - ٣).

﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (الجاثية ٢٠).

٤ - لا ريب فيه .

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة ٢).

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (يونس ٣٧).

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (السجدة ٢).

٥ - مصدق .

﴿ وَآمَنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ ﴾ (البقرة ٤١).

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَىٰ

الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ (البقرة ٨٩).

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى

وَبُشْرَىٰ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة ٩٧).

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (آل عمران ٣).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ (النساء ٤٧).

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

(المائدة ٤٨). ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ

وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف ١١١).

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (فاطر ٣١).

﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الأحقاف ٣٠).

٦ - ذِكْرٌ.

﴿ ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران ٥٨).

﴿ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف ٦٣).

﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (يوسف ١٠٤).

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (الحجر ٦).

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر ٩).

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل ٤٤).

﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنبياء ٢).

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِي وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي ﴾ (الأنبياء ٢٤).

﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (الأنبياء ٥٠).

﴿ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ (الفرقان ١٨).

﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾

(الفرقان ٢٩).

﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ (الشعراء ٥).
﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ (يس ١١).

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ (يس ٦٩).
﴿ صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ (ص ١ - ٢).
﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا
عَذَابَ ۝ ﴾ (ص ٨).

﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّا لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ ﴾ (ص ٤٩).
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (ص ٨٧).
﴿ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ (فصلت ٤١).
﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (الزخرف ٤٤).
﴿ أَوْ لَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾ (القمر ٢٥).
﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ
لَمَجْنُونٌ ﴾ (القلم ٥١).

﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (القلم ٥٢).
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (التكوير ٢٧).
﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ (طه ٩٩).

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ (الطلاق ١٠).
 ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا
 أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي ﴾ (الكهف ١٠١).
 ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ
 رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ (طه ١٢٤).

٧ - ذِكْرِي .

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام ٩٠).
 ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ اتَّبِعُوا
 مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (الأعراف ٢).
 ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ
 وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود ١٢٠).
 ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْبَشَرِ ﴾ (المدثر ٣١).

٨ - تَذْكَرَةٌ .

﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكَرَةٌ لِمَنْ يَخْشَى ﴾ (طه ٢ - ٣).
 ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكَرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الحاقة ٤٨).
 ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ (الزمل ١٩).
 ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ (المدثر ٤٩).

﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾ (المدثر ٥٤ - ٥٥).

٩ - عربى .

﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (النحل ١٠٣).

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ

مُبِينٍ ﴾ (الشعراء ١٩٣ - ١٩٥).

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف ٣).

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف ٢).

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ

مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ (الرعد ٣٧).

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ

ذِكْرًا ﴾ (طه ١١٣).

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الزمر ٢٨).

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت ٣).

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ

لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ (فصلت ٤٤).

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الشورى ٧).

﴿ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ

الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرَ لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأحقاف ١٢).

١٠ - محكم.

- ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود ١).
- ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الحج ٥٢).
- ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةَ مُحْكَمَةً وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ (محمد ٢٠).
- ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (آل عمران ٧).

١١ - حكيم.

- ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران ٥٨).
- ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ (يونس ١).
- ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ (لقمان ٢).
- ﴿ يَسَ ۝ (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ (يس ١ - ٢).

١٢ - حق.

- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (البقرة ٢٦).
- ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (البقرة ١٠٩).
- ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ ﴾ (البقرة ١١٩).

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (البقرة ١٤٤).
﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ
رَبِّكَ ﴾ (البقرة ١٤٩).

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ (البقرة ١٧٦).

﴿ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ (البقرة ٢١٣).
﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ
قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ (آل عمران ٣ - ٤).

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ (آل عمران ٦٢).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ (آل عمران ١٠٨).

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ (النساء ١٠٥).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ
تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (النساء ١٧٠).

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ
فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ (المائدة ٤٨).

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة ٨٤).

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (الأنعام ٥).

﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (الأنعام ٦٦).

﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (الأنعام ١١٤).

﴿ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (يونس ٩٤).

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (يونس ١٠٨).

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (هود ١٧).

﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود ١٢٠).

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ (الرعد ١٩).

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (الإسراء ١٠٥).

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الحج ٥٤).

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ (المؤمنون ٧٠).

﴿ بَلْ آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (المؤمنون ٩٠).

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (الفرقان ٣٣).

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ (القصص ٤٨).

﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا ﴾ (القصص ٥٣).

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَتُنذِرَنَّهُمْ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (السجدة ٣).

﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب ٤).

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (سبأ ٦).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (سبأ ٤٣).

﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (سبأ ٤٩).

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر ٢٤).

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (فاطر ٣١).

﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الصافات ٣٧).

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ (الزمر ٢).

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ

عَلَيْهَا ﴾ (الزمر ٤١).

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾

(الشورى ١٧). ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴾

(الزخرف ٢٩).

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (الزخرف ٣٠).

﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ (الزخرف ٧٨).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

(الجاثية ٦). ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
(الجاثية ٢٩).

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ ﴾ (الأحقاف ٧).

﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى
الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الأحقاف ٣٠).

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ حَقِّ اللَّهِ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ
كَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (محمد ٢).

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ ﴾ (ق ٥).

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾
(الحديد ١٦). ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المتحنة ١).

﴿ وَإِنَّهُ لِحَقِّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (الحاقة ٥١ - ٥٢).

١٣ - مبين .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (المائدة ١٥).

﴿ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (يونس ٦١).

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (هود ٦).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (يوسف ١).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ (الحجر ١).

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (النحل ٦٤).

﴿ لِسَانَ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (النحل ١٠٣).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (الشعراء ٢).

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الشعراء ١٩٣ - ١٩٥).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (النمل ١).

﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (النمل ٧٥).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (القصص ٢).

﴿ لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (سبا ٣).

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ (يس ١٢).

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ (يس ٦٩).

﴿ حَمَّ ١ ﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (الزخرف ١ - ٢).

﴿ حَمَّ ١ ﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (الدخان ١ - ٢).

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأحقاف ٧).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ ﴿ (النساء ١٧٤).

١٤ - يهdy.

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ﴾ (المائدة ١٦).

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء ٩).

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (سبا ٦).

﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر ٢٣).

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ ﴾ (الشورى ٥٢).

﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الأحقاف ٣٠).

﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ (الجن ١ - ٢).

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (يونس ١٠٨).

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (الزمر ٤١).

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران ١٠١).

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (النمل ٩١ - ٩٢).

١٥ - يبشر.

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء ٩).

﴿ فَإِنَّمَا يَسِرَّنَاهُ بِلسَانِكَ لِئُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ (مريم ٩٧).

﴿ قِيمًا لِّبُنْدَرٍ بِأَسَا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ (الكهف ٢).

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ ﴾ (البقرة ١١٩).

١٦ - غير ذي عوج .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ (الكهف ١).

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الزمر ٢٨).

١٧ - قِيم .

﴿ قِيمًا لَّيُنَدِرَ بِأَسَا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ (الكهف ٢).

﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴾ (البينة ٢ - ٣).

﴿ وَذَلِكَ دِينَ الْقِيمَةِ ﴾ (البينة ٥).

١٨ - آيات بينات .

﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ (الأنعام ١٥٧).

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوْلَمُ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ ﴿ طه ١٣٣ ﴾ .

﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ ﴾ (فاطر ٤٠).

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ

رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ (البينة ١).

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴾ (البينة ٤).

﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ (البقرة ٩٩).

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾
(البقرة ١٨٥).

﴿ فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
(البقرة ٢٠٩).

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بُرْآنٌ غَيْرِ هَذَا أَوْ
بَدَّلَهُ ﴾ (يونس ١٥).

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ (مريم ٧٣).

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴾ (الحج ١٦).

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴾
(الحج ٧٢).

﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النور ١).
﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (النور ٣٤).

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (النور ٤٦).
﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
الظَّالِمُونَ ﴾ (العنكبوت ٤٩).

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
آبَاءَكُمْ ﴾ (سبا ٤٣).

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي ﴾ (غافر ٦٦).

﴿ وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الجاثية ٢٥).

﴿ وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (الأحقاف ٧).

﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحديد ٩).

﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (المجادلة ٥).

﴿ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ ﴾ (الطلاق ١٠ - ١١).

١٩ - فرقان .

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (البقرة ١٨٥).

﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ (آل عمران ٣ - ٤).

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان ١).

٢٠ - تنزيل .

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء ١٩٢).

- ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (السجدة ٢).
- ﴿ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ (يس ٢ - ٥).
- ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (الزمر ١).
- ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (غافر ٢).
- ﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (فصلت ٢).
- ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (فصلت ٤٢).
- ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (الجاثية ٢).
- ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (الأحقاف ٢).
- ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الواقعة ٨٠).
- ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الحاقة ٤٣).
- ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (الإسراء ١٠٦).
- ﴿ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾ (طه ٤).
- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ (الإنسان ٢٣).
- ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ (الأنعام ١١٤).
- ٢١ - كتاب.

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة ٢).

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (البقرة ٧٨).

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ (البقرة ٨٥).

﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة ١٢٩).

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٥١).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (البقرة ١٥٩).

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ (البقرة ١٧٦).

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (البقرة ١٧٧).

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ (البقرة ٢٣١).

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ (آل عمران ٢ - ٣).

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (آل عمران ٧).

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (آل عمران ١٦٤).

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (النساء ١٠٥).

﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء ١١٣).

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ ﴾ (النساء ١٢٧).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ (النساء ١٣٦).

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ ﴾ (النساء ١٤٠).

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة ٤٨). ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام ٣٨). ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الأنعام ٩٢).

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ (الأنعام ١١٤).

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأنعام ١٥٥).

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف ٢). ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (الأعراف ١٧٠).

﴿ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (الأعراف ١٩٦).

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (الأنفال ٧٥).

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ (التوبة ٣٦).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ (يونس ١).

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ

وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (يونس ٦١).

﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود ١).

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (هود ٦).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (يوسف ١).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴾ (الرعد ١).

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ

الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم ١).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ (الحجر ١).

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾
(النحل ٦٤). ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى
لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل ٨٩).

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ (الكهف ١).
﴿ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾
(الكهف ٢٧). ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾
(مريم ١٦). ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (مريم ٤١).
﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (مريم ٥١).
﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾
(مريم ٥٤). ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (مريم ٥٦).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (الشعراء ٢).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (النمل ١).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (القصص ٢).

﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا
لِلْكَافِرِينَ ﴾ (القصص ٨٦).

﴿ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ (العنكبوت ٤٥). ﴿ وَكَذَلِكَ

أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ (العنكبوت ٤٧). ﴿ أَوْ لَمْ

يُكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ (العنكبوت ٥١).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ (لقمان ٢).

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (السجدة ٢).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴾ (فاطر ٢٩).

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (فاطر ٣١).

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص ٢٩).

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (الزمر ١).

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ (الزمر ٢).

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ (الزمر ٢٣).

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (الزمر ٤١).

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (غافر ٢).

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر ٧٠).

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت ٣).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ (فصلت ٤١).

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾

(الشورى ١٧). ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

الْإِيمَانُ ﴾ (الشورى ٥٢).

﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف ٢ - ٣).

﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾

(الدخان ٢ - ٣). ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (الجنائفة ٢).

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (الأحقاف ٢).

﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ

ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأحقاف ١٢).

﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى

الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الأحقاف ٣٠).

﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴾ (الطور ١ - ٣).

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾

(الواقعة ٧٧ - ٧٩). ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الجمعة ٢).

٢٢ - وحى .

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمَلَّكُمْ أَنْبَاءُ الْغَيْبِ لَمَّا كَانَتْ

مَرْيَمَ ﴾ (آل عمران ٤٤).

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (النساء ١٦٣).

﴿ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (الأنعام ١٩).

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ

أَتَّبَعِ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ (الأنعام ٥٠).

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾
 (الأنعام ١٠٦). ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ (الأنعام
 ١٤٥). ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ﴾
 (الأعراف ٢٠٣).

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ
 لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (يونس ٢).

﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾
 (يونس ١٥). ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ
 الْحَاكِمِينَ ﴾ (يونس ١٠٩).

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ
 أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ (هود ١٢).

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾
 (هود ٤٩). ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ
 مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ (يوسف ٣).

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ
 يَمْكُرُونَ ﴾ (يوسف ١٠٢).

﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُو عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ
 يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ (الرعد ٣٠).

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
(النحل ١٢٣). ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (الإسراء ٣٩).

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُكَ
خَلِيلًا ﴾ (الإسراء ٧٣).

﴿ وَلَنْ نَشْنَأَ لِنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا
رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ﴾ (الإسراء ٨٦ - ٨٧).

﴿ وَآتِلْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ
مُلْتَحِدًا ﴾ (الكهف ٢٧).

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ
فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف ١١٠).

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ
زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه ١١٤).

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ (الأنبياء ٤٥).

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (الأنبياء ١٠٨).

﴿ اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء
والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ (العنكبوت ٤٥).

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (الأحزاب ٢).

﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ (سبا ٥٠).

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (فاطر ٣١).

﴿ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (ص ٧٠).

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الزمر ٦٥).

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ (فصلت ٦).

﴿ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الشورى ٣).

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (الشورى ٧).

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ (الشورى ١٣).

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نُّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ ﴾ (الشورى ٥٢).

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الزخرف ٤٣).

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأحقاف ٩).

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم ٣ - ٤).
 ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ (النجم ٩ - ١٠).
 ﴿ قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى
 الرُّشْدِ ﴾ (الجن ١ - ٢).

٢٣ - صحف مطهرة.

﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ (عبس ١٣ - ١٤).
 ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٧) فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ ﴾ (البينة ٢ - ٣).

٢٤ - أحسن الحديث.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ
 حَدِيثًا ﴾ (النساء ٨٧).

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ
 الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف ١١١).
 ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف ٦).
 ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
 رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الزمر ٢٣).
 ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور ٣٤).

﴿ أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾
 (النجم ٥٩ - ٦١). ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ
 تُكذِّبُونَ ﴾ (الواقعة ٨١ - ٨٢).

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (المرسلات ٥٠).

٢٥ - شفاء.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس ٥٧).

﴿ وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء ٨٢).

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ (فصلت ٤٤).

٢٦ - بصائر.

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴾ (الأنعام ١٠٤).

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف ٢٠٣).

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرٍ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (القصص ٤٣).

﴿ هَذَا بَصَائِرٍ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (الجنات ٢٠).

٢٧ - نور.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾

(النساء ١٧٤). ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة ١٥).

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف ١٥٧).

﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى ٥٢).

﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أُنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (التقوين ٨).

٢٨ - مبارك.

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الأنعام ٩٢).

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأنعام ١٥٥).

﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (الأنبياء ٥٠).

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (ص ٢٩).

٢٩ - بشرى.

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة ٩٧).

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل ٨٩). ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل ١٠٢).

﴿ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأحقاف ١٢).

٣٠ - روح .

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (النحل ٢) .

﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ (غافر ١٢) . ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ (الشورى ٥٢) .

٣١ - مهيمن .

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ (المائدة ٤٨) .

٣٢ - برهان .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (النساء ١٧٤) .